

# الوصف في الشئ العكربي

تأليف

عبد العظيم علي قناوي

الجزء الأول

الوصف في العصر الجاهلي

# الإهداء

إلى النهضة الأدبية، وإلى الطموح العلمي

إلى من ألهمني الإسهام في عرض طرفٍ من  
تراثنا الأدبي الخالد، وإلى من أولاني القدرة على إبراز  
ذلك التراث شائقاً جذاباً في ثوبٍ من التحليل والنقد  
رائقٍ رائعٍ

إلى هذا وذاك أهدى ذلك الكتاب الذي أرجو  
أن يأخذ مكانه من مكتبة الأدب الرفيع، وأن  
ينال عناية وتقديراً من أدباء الجيل، وأن يكون  
باكورة جهدٍ أدبي كبير، أقدمه للأدباء والمتأدبين  
من أبناء العمومية الأمائل، مطمئناً له، معتزاً به،  
مُعتمداً على الله فيه

المؤلف

## تقديم

### بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

وبعد : فهذا هو الجزء الأول من كتاب «الوصف في الشعر العربي» وهو كتاب تضم أجزاءه الأربعة التي ستصدر تباعا إن شاء الله فن الوصف ، ناظمة شتات هذا الفن ، جامعة أطرافه من العصر الجاهلي إلى هذا العصر ، فالجزء الأول يبحث الوصف في العصر الجاهلي ، ويناقش بعض نظريات الأدب نقاشا مدعوما بالحجة ، والثاني يبحث الوصف في العصر الإسلامي والأموي ، والثالث يبحث في العصر العباسي والأندلسي ، والرابع يبحث في العصر الحاضر . ولا أزعم أني سأستقصى كل ما قيل في الوصف ، فتلك غاية لا تبلغ ، على أن جدواها لا تتجاوز ما رسمناه لأنفسنا من عرض صور كاملة لأجزاء هذا الفن ، ثم تحليل هذه الصور تحليلا دقيقا وافية ، وبيان ما تنتظمه من اتفاق في النظرة أو اختلاف ، ورسم خطوط واضحة لما نراه فيها من طرافة وجدة وابتداع ، أو لما نلمحه فيها من تقليد ومحاكاة واتباع .

وإنما اخترت هذا الضرب من ضروب الشعر ؛ لأنه أغناها بعناصر الجمال ، وأحفلها بأسباب الحسن ، ولأنه ينبعث حين تتفجر به قرائح الشعراء عن صادق الشعور ، ووحى الإحساس .

والحق أن الوصف هو الشعر ، وبقية الأبواب الأخرى على جلال بعضها ، وانصراف الشعراء إليها في بعض عصور الأدب تجيء تابعة له ، متفرعة عنه ، تابعة من منابه ، وإن بدا الأمر غير ذلك

والشاعر الحق هو الذى يملكه مافى الكون من مناظر تبهر النواظر، فيستطيع وصفها ،  
وتصوير أثرها فى نفسه ، وهو الذى يبهره مافى الحياة من ظواهر تملك الحواس ، فيستطيع  
رسمها ، ووصف ما يخالج الأفكار عند سراها ، فهو يعبر عما لا يستطيع غيره التعبير عنه من  
وصف لمعنى من معانى الجمال ، ولا يقف هذا التعبير عند ناحية بذاتها من نواحي الجمال ،  
وإنما تختلف هذه المناحي ، وتتعدد الزوايا التى ينظر منها الشعراء ، فتتعدد عناصر الجمال .

يرى شاعر البدر فيصور استدارته فى القبة الزرقاء ، ويصور آخر وضائه بين سواطع  
النجوم التى يذهب بسطوعها ، ويصور ثالث أثره فى المحبين ، وأنه عون العاذلين والرقباء ،  
وفى كل من هذه الفكر حسن وروعة وجمال ، يرضى عنه شاعر ، ولا يرضى عنه آخر ،  
وكلاهما يصف شعوره ، فيجيد التعبير عن وصف ذلك الشعور .

وكما اشتد الشاعر تأثرا بهذا المنظر أو بذاك وجد عناصر الإجابة لديه مواتية مدانية ،  
واستطاع أن يصوره على حقيقته دون مبالغة أو تزيد ؛ لأن المبالغة يُأجأ إليها عند ما يريد  
الأديب أن يزيد على الحقيقة ؛ ليلبسها ثوبا غير ثوبها ، ويكسوها إهابا أضفى من إهابها ،  
وهذا معناه أن قصا يعثورها يريد أن يغطيه ، الكنه إذا أغم ذلك المنظر حسه ، وملا  
نفسه ، تصوره كاملا لا يحتاج إلى تزيد أو مغالاة .

و بعد . فإن ههنا فى هذا الكتاب ههج بديع لم اسبق إليه فى أى فن من فنون الشعر،  
ولم يعالجه أدب كما يعالجه نحن ، ولم يقتبسه من سوانا . ولا اعتمدنا فى أحكامنا على غيرنا  
من شيوخ الأدب ، قد نتفق معهم ؛ لأننا ننظر مثل نظرتهم ، وقد نختلف معهم ؛ لأننا رأينا  
نقيم الدليل على سداه ، ونسوق الحججة على صوابه ، ولا يضيرنا الخلاف ؛ بل إننا به نسعد ،  
لأنه رأى الحر .

ههنا فى هذا الكتاب ههج شاق عنيف ؛ لأنه جمع لهذا الفن من جميع مظاهره ،  
وتخليصه من الأغراض الأخرى التى تتصل به ، ثم تفسير مفردات النماذج حتى نزود القارى  
بالزاد الذى يعينه على متابعة السير فى هذه الدارة التى لا يقدر على السير فيها إلا من تزود  
بذلك الزاد ، ثم تحليل هذه النماذج تحليلا يكشف دقائق معانيها ، وطرائف جزئياتها ،

وإبراز محاسنها . ثم النظر في معاني هؤلاء الشعراء الذين اتفقوا في الموضوع ؛ لنبين عناصر الحسن ومعاني الجمال ، ولنحصى الطريف البديع ، ولننسب كل معنى إلى صاحبه ؛ إذا كان هذا المعنى طريقا بديعا ، وسبيلنا في هذا هو الترجمة الموجزة الوافية لكل شاعر ، ونسبته إلى إقليمه وقبيله ؛ ليظهر أثر هذين في اتجاهه وتفكيره ، وفي أسلوبه وألفاظه ؛ وفي حياته : بداوتها أو حضارتها .

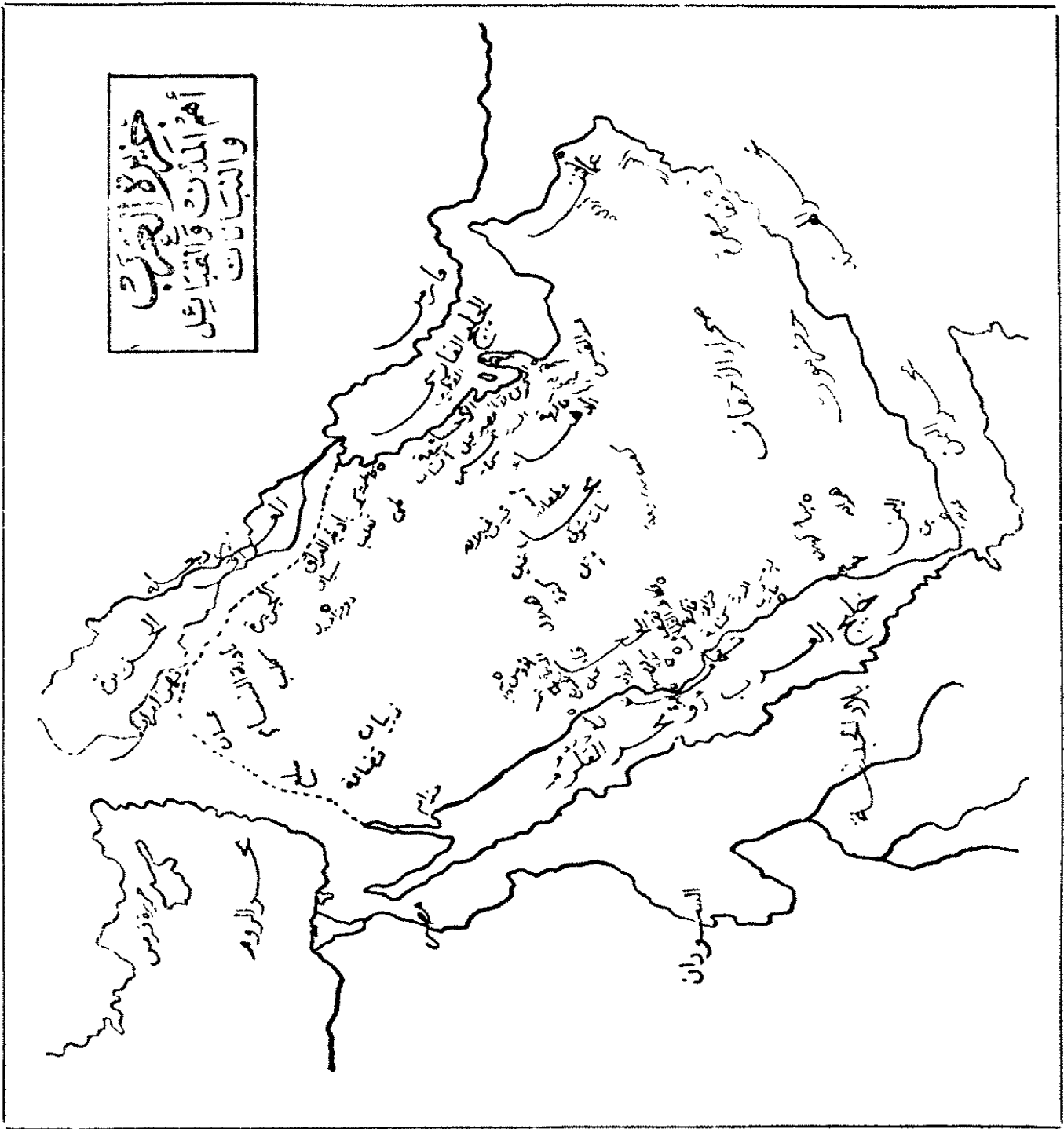
وقد سارت العصور الأدبية ؛ لأن المعاني تتطور بتطورها ؛ ولأن الأدب يختلف باختلاف عوامل الحياة فيها ، فرأيت أن من الخير أن أربط كل عصر بأدبه ، أو كل أدب بعصره ؛ فالنابغة إذ يصف الليل ليس مثله ابن خفاجة ، والحطيئة إذ يصور البخيل ليس مثله بشار .

ثم إن هناك شيئا آخر دفعني إلى مراعاة ذلك الترتيب هو ربط الشعراء المتعاصرين بعضهم ببعض ، ووزنهم بميزان واحد ؛ لأنهم يحيون حياة واحدة ، ويعيشون في عصر واحد .

هذا ، وقد قدمت بين يدي الوصف فصولا لا بد منها : هي وصف جزيرة العرب لأنها المعين الذي يستقى منه أولئك الشعراء ، ثم عرض حقائق أدبية جليتها تجلية تدفع عنها شبهات المشككين ، ثم عرضنا لتقسيم الشعر عند الإفرنج وعند العرب ، وأثبتنا أن العرب في عصورهم السحيقة كان لهم شعر قصصي . ثم انتقلت إلى تقسيم الشعر الغنائي عند العرب ، ثم عرضت للوصف فقسمته ، ثم أرزت قيمته العالية في الآداب العالمية ، وأرجو أن أكون بلغت بعض ما إليه قصدت ، فعلى الله قصد السبيل ؟

المؤلف

أهم المدن والتبانيخ  
والتبانيخ



# الفصل الأول

## بلاد العرب

بلاد العرب أو الجزيرة العربية كما كان القدماء من أهلها يسمونها تقع في الجنوب الشرقى من القارة الآسيوية ، وهي تحد شمالا بالبحر الأبيض وجبال طرسوس ، وجنوبا ببحر اليمن ، وشرقا بالخليج الفارسي وبحر عمان ، وغربا بالبحر الأحمر .

وإذا كانت بلاد العرب تضم شعبا واحدا ، فإنها ليست ذات طبيعة واحدة ؛ إذ أنها تختلف اختلافا عظيما في كثير من الظواهر الطبيعية ، فهذا الجزء حار الجوى ، وذاك قاريه ، وذلك بارده ، وهذا إقليم خصب غنى بأسباب الحياة ، وذاك جرد قاحل تبسط الصحارى عليه أجنحتها ، وغيرها ساحلى يشغل أهله بالفوص على اللؤلؤ والمرجان ، وعليهما يعتمدون في حياتهم .

واختلاف الظواهر الطبيعية في بلاد العرب جعلهم يختلفون طبائع وصناعات ومهن ؛ كما يختلفون حضارة وبداعة ، فهؤلاء هادئون إلى حد ، وأولئك ثأرون إلى غير حد ، وهؤلاء يصطنعون التجارة ، وأولئك يزاولون الزراعة ، وقد تجد منهم من له حظ من الصناعة ، وكل هذا التباين كان له أثره في أدبهم بوجه عام ، وفي شعرهم بوجه خاص .

لذلك كان لزاما علينا أن نتناول وصفها بالتفصيل ؛ حتى تكون الأحكام التى نصدرها على شعرهم قائمة على أساس من العلم قوى سليم .

ونستطيع أن نقسمها إلى سبعة أقسام هى أهم أقطارها فى العصر القديم ، وأعظم أقاليمها فى الأيام الأولى ، وإلى هذه الأقاليم ينتسب الشعراء جميعا ، وفيها الأماكن والعيون ، والجبال والصحارى ، والقرى والمدن التى ترد أسماؤها فى أشعارهم ؛ كما أن فيها أسماء الحيوانات والنباتات التى تفيض بها أشعارهم فى أوصافهم أو تشبيهاهم « انظر المصور » .

وتلك الأقاليم هي : الحجاز ، واليمن ، وحضرموت ، وعمان ، والبحرين ،  
والصحارى ، ونجد .

وأعظم هذه الأقسام في القديم والحديث الحجاز واليمن ونجد .

١ — فأما الحجاز فيقتبس مكانته الرفيعة ، ومنزلته السماء ، من قدسيته ومقامه الدينى ؛  
ففيه مكة المكرمة أم القرى ، وبها بيت الله الحرام الذى قام على بنائه نبيان كريمان :  
إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فى واد ضيق ، وصفه الله سبحانه على لسان رسوله  
إبراهيم داعياً ضارعاً : « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ  
المُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أُمَّدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ  
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » .

وقد جعل الله سبحانه هذا البيت مجتمعاً للحجيج ، وأمناً لللاذنين : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ  
مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ  
هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ، مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، قَالَ وَمَنْ  
كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ أَصِيرٌ . وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ  
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وفيه يثرب التى سميت بعد الإسلام مدينة الرسول ، وهى حاضرة الإسلام فى عهد  
الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعهد خلفائه الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان .

وفيه الطائف ، وهى مدينة حصينة منيعة ، كانت مصيف السراة . قال النمرى يتحدث  
عن فاطمة أخت الحجاج ، ويعصفها بالرفاهية والنعماء :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وقد ضرب بمناعتها المثل ، فقال الشاعر :

٢ : منعنا أرضنا من كل حى كما امتنعت بطائفها ثقيف

وفى خيبر ، وهى مدينة حصينة كذلك ، كان يسكنها اليهود قبل الإسلام ، ولقى



المسلمون من كيدهم وحربهم عننا ، وهي على عكس الطائف ؛ إذ كانت وحة الهواء ، كثيرة الوباء ، قال الشاعر :

٣ : وقفت بها أبكى ، وأشعر سخنة كما اعتاد محوماً بخير صالب

والحجاز كما ترى يختلف في هوائه ، ويتباين في جوه ؛ فمكة مشتى لأن جوها أميل إلى الحرارة ، والطائف مصيف ؛ لأن جوه جميل ، وهوائه عليل ، وخيبر وبيثة وخيمة . ويعيش أهله على بعض ما يزرعون وما يستوردون من الأقاليم الأخرى ، وشرايهم من العيون المنبثقة ، والسيول المنهمة ، ومن حيوانه الخيل الكرائم ، والإبل الهجان ، ومن وحوشه الغزلان والذئاب ، والأسود والضباع ، ومن طيوره العقبان والغربان ، والنعام والحمام . ومن زروعه النخيل والأعناب .

٢ — أما اليمن فبستمد مجده من عظمتها التالدة ، ويقتبس عظمتها من مجده الخالد ، فقد كان مقراً للملك عظيم ، وموطناً لسلطان كبير ، وعاصمته صنعاء ، وكان في ظاهرها قصر غمدان ، ومن مدنها ظفار التي اتخذها بعض ملوك حمير حاضرة لدولته ، ومن مراقنها عدن ، كانت — ولا تزال — من أهم الموانئ على المحيط الهندي .

وهذا الإقليم ينقسم طبيعياً إلى ثلاثة أقسام :

( أ ) السهل الساحلي ويعرف بتهامة .

( ب ) المرتفعات الجبلية ، وهي موازية للساحل . ( ج ) الصحراء الشرقية .

وستقرأ في الفصل الثالث من هذا الكتاب الكثير من مظاهر مجد اليمن وعزته في العصور الجاهلية الأولى .

٣ — وفي الجنوب الشرقي لليمن إقليم حضرموت ، وكان في العصور الأولى إقليماً قويا ذا مملكة عظيمة ، بلغ من قوته أن حاصر ملكه مملكة سبأ ، فارتفع نجم ذلك الإقليم ، وكان ذا صلات تجارية مع جاراته .

٤ — وعمان في الجنوب الشرقي لحضرموت ، وهي ذات ساحل طويل على الخليج الفارسي ، ويستمد أهلها ثروتهم من النوص على اللآلي واستخراجها ، والتجارة فيها .

٥ — وإقليم البحرين ، ويمتد من عمان إلى حدود العراق ، ومن بلاده حجر وقطر ، وأهله كأهل عمان يفوصون على اللآلى ، ثم يتجرون فيها .

وجوّه الساحلى معتدل جميل الهواء ، أما الجزء الداخلى فخارّ ، ومن محصولاته البلح والتمر؛ حتى ضرب المثل بهجر فى جودة التمر، فقيل « كناقل التمر إلى هجر » والبن والحبوب والفواكه، ومن حيوانه الخيل والإبل والبقر، والحير والبغال ، ومن وحوشه الأسود والذئب والضباع ، والزراف والقروء ، والنعام .

٦ — أما وسط الجزيرة فصحارى مترامية الأطراف ، لا يكاد النظر يدرك نهاياتها ، ولا يوشك الطرف أن يبلغ غاياتها ، يجرى فيها السراب . جريان الماء فى الأنهار ، وتظهر فيها الوحوش الكاسرة ظهور الحيوانات الآنسة فى الحقول الناضرة .

فمن هذه الصحارى : « صحراء الدهناء ، والنفود ، والأحقاف » وبعض أجزاء هذه الصحارى خصب، وإن تكن رملية ، فإنها تصير بسقوط الأمطار من أجود المراعى، وليست التربة فى الدهناء والنفود متجانسة، فهناك بعض جهات لا يرى فيها غير آكام الرمال؛ تكاد تبتلع السابلة لنعومتها وعدم تماسكها ، فيتجنبها الجوابون ابتغاء السلامة لأرواحهم وأرزاقهم .

وتتألف فى بعض أجزائها دارات يكثر فيها النخيل ، كما أن بها مناطق خصبة كجبل شمر فى جنوب النفود ، إذ تنحدر إليه المياه من جبل طيىء « أجا وسلمى » المتدين من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، ولهذا الصحارى فى الشعر العربى ، وفى الوصف بالذات الأثر العظيم .

٧ — أما نجد فيقع فى الشمال لهذه الصحارى ، وهو قطر خصب ، والمناطق الخصبه منه تطوقها الدهناء شرقاً وجنوباً ، كما تطوقه النفود من الشمال ، وتتسع المنطقه الخصبه على الجانب الشاطئى للبحر الأحمر .

وحاضرة نجد الآن هى « الرياض » وتقع فى إيالة العارض ، وهى المعروفة قديماً بالجو والعروض واليامة ، وتقع بين سدير شمالاً ، والحرق والحريق جنوباً .

ومن مدن نجد الصغيرة الآن اليمامة ، وتقع على مجرى عين فرزان ، وكانت قديما تطلق على منطقة واسعة .

وقد تفنى الشعراء قديما بجو نجد ، وبجمال هوائها ، حتى من لم يسكن نجدا ، ولا عرف جوها ، ولا استنشق هوائها ، وليس كل الإقليم معتدل الهواء ، لكنه يختلف باختلاف المنطقة ، فالحريق ووادي الدواسر حاران مثلا .

و بنجد من الحيوان الحبارى والنعام ، وابن آوى وبقر الوحش وحماره .  
ويطول بنا مجال القول لو حاولنا حصر جميع البلاد التي ورد ذكرها في الشعر العربي ، على أننا سنحدد في تفسير الأبيات كل مدينة ، أو قرية ، أو جبل ، أو برقة ، أو عين ترد فيما تقدمه من نماذج ، وحسبنا هذا الذي قدمناه في تخطيط جزيرة العرب .

## جو بلاد العرب وأثره في شعرهم

هذا العرض الموجز لأهم أجزاء بلاد العرب ، ولطبيعتها يهيئ لنا أن نحكم حكما صالحا مبسوطا على جوها ، فجوها له أثر عظيم في شاعرية أهلها ، فهي في أكبر مناطقها قارية الجو ، ماعدا بعض المناطق الساحلية ، وقد أجملنا ذلك قبل ، فنفصل هنا هذا الإجمال :

١ — تظهر الحرارة المنطوية على « الرطوبة » في السهول الساحلية ، وبخاصة في نهاية بلاد اليمن وإمارة البحرين ، ومن القبائل التي كانت تسكنها بكر وأسد وتميم وأزد وغيرها .

٢ — تشتد الحرارة الخالصة في الوهاد التي تتوسط الجزيرة ، وفي الوديان الواطئة ، ويعتدل الهواء في المرتفعات والنجاد .

ومن القبائل التي كانت تسكن هذه الأقاليم : بنو حنيفة وبنو قشير ، وجمدة و يربوع ونمير وكلاب ، وغيرها .

٣ — ويتميز البحر الأحمر بجوه الحار ، فيمد الأقاليم المتاخمة له بالدفء في الشتاء ، ويلطف من رمضاء الصحارى التي على شاطئيه صيفا .

٤ - ونجد - كما قدمنا - من أجل بلاد العرب جوا ، لذلك تغنى بصباها الشعراء ،  
وقالوا عنها : إنها تهب من مطلع الشمس ، كما قال ابن الدمينه :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟ لقد زادنى مسراك وجدا على وجد  
وتقابل هذه الريح الجميلة ريح الدبور ، وهي تهب من مغرب الشمس ، ومن ذكر  
الأعشى لها واصفا مسير ناقته قوله :

لها زجل كخفيف الحصا صادف بالليل ريحا دبورا

وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما في حديث ، فقال : « نصرت بالصبا ،  
وأهلك عاد بالدبور » وما زال الشعراء يتحدثون بعراها ، ويلهجون بريها ، فيقول قائلهم :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار  
ألا يا حبذا نفحات نجد ورياروضه بعد القطار

وقال غيره :

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحى وقلّ لنجد عندنا أن يودعا  
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا !

ولم تكن بلادهم تجرى من تحتها الأنهار ، أو تسعد جميع أقسامها بالأمطار ، فأحبوا  
المطر وعشقوه ، فجعلوا منه دعاء لأحبابهم ، وأمانى لأعزائهم ، بل دعوا بالسقيا للأيام ،  
وقلدهم شعراء : الأنهار من طرفهم ؛ والماء بعض سبلهم ، قال ابن زيدون الأندلسي :

ليسق عهدهم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلارياحينا

وقال أحمد بك شوق :

١١ : سقيا لهد كأ كفاف الربا رفة أى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا

ولفقرهم إلى الماء ، كانت غلاتهم محدودة ، ومحصولاتهم محصورة ، فلا تكاد تجد  
من هذه الغلات غير ما قدمنا شيئا ، والذي قدمناه لا يستغنى به شعب ، لذلك كانت لهم  
رحلتان تجاريتان : إحداها إلى اليمن زمن الشتاء ، والأخرى إلى الشام زمن الصيف ،  
وكانهم بهاتين الرحلتين كانوا يتقون الأجواء عند اجتلاب الأرزاق .

## تقسيم القبائل العربية على أجزاء بلاد العرب

- ١ - كانت قبيلة قريش « واسمه فهر » تسكن مكة ، وقد تفرع إلى بطون كثيرة ، منها : الحارث ، ومحارب ، وتيم ، وعامر ، وخزيمة ، وسعد ، وعدى ، ومخزوم ؛ وكانت لقريش و بطونها الزعامة الدينية في العصر الجاهلي ، ثم ثبتت بيعة الرسول الكريم من قريش ، وبسط في رقعتها ، فجعلها تشمل العالم الإنساني .
- ٢ - وكانت قبيلة ثقيف وهي حي من هوازن تسكن الطائف ، ولها به حصانة ومناعة ، وغنى و ثروة ، وكان يسكن الطائف مع ثقيف بنو عدوان وبنو الحارث وبنو سعيد .
- ٣ - وكانت المدينة وطنا لقبيلتي الأوس والخزرج القحطانيتين ، وهما على ما بينهما من صلات الرحم كانتا متعاديتين ، فالعداوة مستحكمة ، والحرب بينهما متصلة ؛ حتى ألف الله بين قلوبهم بالإسلام .
- ٤ - وكانت هذيل تسكن جبالا بين مكة والطائف ، وقد اشتهر الهذليون بشعرهم الرقيق ، ونسيبهم المذب الجميل .
- ٥ - وعذرة إحدى القبائل الحميرية النازحة إلى بادية الحجاز ، وقد اشتهر أبناؤها بالغزل العفيف ، وفتياتها بالجمال الرائع .
- ٦ - وكان يسكن اليمن أبناء تمحطان ، وهؤلاء كان لهم فرعان : فرع كهلان وفرع حمير ، وقد تعددت رحلات أولئك وهؤلاء ؛ حتى سكن بعض القحطانيين من أبناء كهلان الحجاز ، كالأوس والخزرج ؛ ومن فروع كهلان : طيء و لخم و جذام و مراد و كندة و همدان و مذحج و الأزد .
- ٧ - وكان يسكن حضرموت بطون من كندة تسمى تجيب ، وفي حدودها من الشمال الأحقاف ، وكانت مسكنا لعاد قوم هود عليه السلام .
- ٨ - وكان يسكن عمان بعض قوم طيء ، ومن أشهرهم بنو نبهان ، كما كان يسكن البحرين قبائل من تميم ، وهم عدنانيون مضيرون .

## أثر البيئة في الشعر العربي

البيئة أعظم العوامل المؤثرة في الأدب ، بل هي في واقع أمرها ، وقوة وقعها تعتبر الخالقة لبعض فنونه ، المكونة لأكثر عناصره ، فإنها تخلع عليه جميع ألوانها ، وتهب له كل مظاهرها ، بل هي تحرمه ما حرمته ؛ وتمنعه ما منعته ؛ لبس ذلك شأنها مع الأديب أو مع الإنسان محسب : بل هو شأنها مع الحيوان ؛ فالحيوان يتلون بلون بيئته التي يعيش فيها ؛ ويتكون تكويها ؛ فيبدو مثلا أصفر اللون ؛ صلب الأعضاء ؛ ضامر الجسم ؛ شرس الطمع ؛ إذا كان يعيش في الصحراء ؛ فهي التي خلعت عليه صفة رملها ؛ وصلابة صحرها ؛ وقلة الغذاء فيها ؛ طعاما وشرابا جعلته ضامر الجسم ؛ وقلة الخلط بها جعلته شرس الطمع ؛ فإذا تركت الصحراء إلى إقليم ساحلي حصب وجدت لونا أبيض ؛ وجسم ريان ممتلئا ؛ وطبعنا لينا هادئا ؛ وإذا كان هذا هو تأثير البيئة في الحيوان ؛ فما بالنا بتأثيرها في الإنسان ؟

إنها بطعمه بطامعها ، وتسمه سمتها ؛ فالرجل الذي يعيش في الصحراء يألف مناظرها ؛ ويأس إلى كواسرها ، وقد يعشق بعض حيواناتها ، فيتخذ منها أصدقاءه ، يستديها بصوته الذي يشبه أصواتها ، ويتألفها بلونه الذي يقارب ألوانها ، ويجد فيها سلواته ، ويلقى فيها هويته :

١٢ : عوى الذئب فاستأست بالذئب إذعوى وصوت إسان فكادت أطير  
لذلك نجد الشعراء الذين يعيشون في الصحارى أجزل لفظا ، وأوضح معنى ، حزالة أفاضهم قوامها حهم لكل صلب ، وشغفهم بكل غليظ ، ووضاحة معانيهم أساسها تلك السماء الصافية التي منحت قلوبهم صفاءها ، وأخيلتهم ساطتها ، فإذا جاوزت الصحراء إلى إقليم حصري يكسو الخصب حقوله ثيابا من الأشجار الباسقة ، والأزهار الناضرة والأثمار اليانعة رأيت في أفاضهم رقة ، وفي معانيهم خيالا مركبا ، فمن ذلك الذي يستطيع أن يحكم أن هذه الأبيات لشاعر جاهلي دون أن يكون عالما ذلك من قبل ؟

قال المنخل الإشكري نديم النعمان وسميره ، والنعمان كان ملكا على الحيرة من  
قبل الفرس :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في يوم مطير  
الكعب الحسناء ترمل في الدمقس وفي الحرير  
مدفعتها فتدأمت مشى القفاة إلى الفدير  
ولثمتها فتتمست كتفنس الظى الغرير

إن الحضارة التي كان يحيا فيها ، والبيئة التي عاش بها هي التي رقت شعره ؛ حتى  
لكأنه الماء القراح سلاسة وعدوبة ، وهي التي أوحى إليه بتلك المعاني الرائعة الغزلة ، ثم من  
يحكم بعد ذلك بأن قائل الأبيات السابقة كان يعبش في عصر واحد مع قائل هذه الأبيات ؟

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل  
نصد وتبدي عن أسيل وتتنقى مناظرة من وحش وحررة مطلق  
وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا هي بصته ولا بمعطل  
ومرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعشك  
غدائره مستشزرات إلى العلا نضل المقاص في مثنى ومرسل

: ٢١

إنه سنشتد غرأته حين يعلم أن قائل هذه الأبيات ملك ابن ملك ، ولكنه سيزول  
عجبه حين يعلم أن المثة التي عاش فيها كل منهما هي الموحية إليه بأماظه وممايه .

## لفصل الثاني حقائق أدبية

شاعرية الأسم :

الشعر في جميع الآداب العالمية هو سفير الشعور ، ورسول الوجدان ، وترجمان العاطفة ، ذلك شأنه في جميع الشعوب ، لا ينفرد بهذا شعب دون شعب ، ولا تتميز به أمة دون أمة ، وإنما تتفاضل الشعوب بمقادير ما وهب لها من رقة في العاطفة ، وتوفز في الحس ، وتمايز كذلك بتيقظ الوجدان ، وانفساح الخيال ، فتى وهب الله للأمة من هذه المعاني قسطا أوفر بلغت في الشاعرية درجة أعلى ، وإذن فن الغلو في التعبير أن نقول :  
« في الأم الشاعرة وغير الشاعرة ، والمطبوعة على الفن والآخذة فيه بضروب المحاكاة والتقليد » .

وإنما القصد في التعبير أن نقول : في الأم من أوتيت استعداداً طبيعياً للشاعرية على مدى واسع ، ومن أوتيت من هذا الاستعداد حظاً ضئيلاً ، لا يقوم بشيء إلى جانب تلك ، ومن هنا تفاوتت القوى الأدبية بين الأمم ، واختلفت المعايير ، فرجحت في هذا الشعب ، وشالت في ذاك ، وكانت بينَ بينَ في ثالثهما .

وهذا ملحوظ مشاهد في القديم والحديث ، فإننا لانستطيع أن نحكم على شعب بموت الحس ، وخمود العاطفة ، فلكل الأمم فنونٌ ، الشعرُ أحدها ، كان للأمة الرومانية أدب وشعر ، ولا ينفى هذا الكون أنه أقل من الأدب اليوناني والشعر اليوناني درجة ، وما يقال عن الرومان يقال عن الفرس ، ويحكم به على غير الرومان والفرس .

اختلف مدى الشاعرية في الشعب الواحد :

بل قد يختلف الشعب الواحد في مدى استعداده الطبيعي ، وتهيبته الفطري ، ولعل



أبناء جنوب مصر أوفر استعداداً للشاعرية من أهل شماله ، وإن كانا جميعاً ذوي استعداد ، يبدو لنا هذا في غير المثقفين من أبناء الوادي ، إذ تكثر الأغاني الشعبية في صعيد مصر ، وتقل في دالها ، وهذا الغناء الشعبي هو اللبنة الأولى في الأدب الرفيع ، والفن الجميل . وهذا هو الشأن في الأمة العربية ، فإننا نرى القحطانيين أقل حظاً في نظم الشعر وإنشائه من العدنانيين ، وأولئك الذين نبغوا فيه منهم لم ينبغوا إلا في أحضان العدنانيين ، وبين أبنائهم .

### أثر البيئة في الاستعداد الطبيعي :

والاستعداد الطبيعي - فيما نرى - أثر من آثار البيئة في الشعوب ، وعنصر من عناصر تأثير الأجواء والأحياء ، يعلو على جميع الآثار ، ويسمو على كل العناصر ذات الأثر في رقى الشعر بخاصة ، والأدب بعامة ، وفي انحطاطه ؛ فالفطرة الإنسانية من أقوى مكوناتها الجو الذي يحيا فيه صاحبها ، والطبيعة الجغرافية التي تخلق ذلك الجو .

وعلى أيِّ فالإنسان ابن بيئته ، وهو في بداءته وبدائته أسير عاطفته ، تبسط عليه ظلها ، وتنشر فوقه لواءها ، تتحكم فيه فيثور ويفور ، أو يسكن ويهدأ ، وينبسط وينشرح ، أو ينقبض وينكمش ، يفعل ذلك للتوافق من الأمور ، والصغائر من الشئون ، فكم من كلمة عابرة أثار حرباً ضروساً ، وكم من نظرة عابثة استولت على قلب جادٍ صارم .

شأن الإنسان في فطرته وسذاجته كشأن الطفل في نشأته وطفولته سواء بسواء ، ولم لا؟ إنه في معرفة كنه الحياة ، والبصر بأحوالها ، والنظر في أسرارها ومعانيها ما يزال طفلاً ، وإن جاوز طور الكهولة ، بل وإن بلغ مرحلة الشيخوخة .

فإذا ما أخذ من الحضارة بعوامل التفكير والتأمل ، والتقليد والمحاكاة بدأ يحكم عقله في بعض الأمور ، ويرسل فكره وراء القليل من الشئون ، وهكذا يتدرج في التأمل والتدبر ، حتى يصل إلى مستوى من المدنية والحضارة يتيح له أن يبتكر وينشئ ، وأن يتخذ من هذا الذي يبتكره وينشئه أسباباً للكتابة .

## اعتماد النثر على العقل :

يصبح العقل حينئذ الهادى إلى الإنشاء والاختراع ، وعليه يعتمد النثر في تسجيل ما ينشئ ، في حين ينبعث الشعر كما قدمنا من نعمة بعيدة كل البعد عن هذه السبيل ، تلك النعمة هي العاطفة ، وهي الشعور .

ولذلك نجد الشعر الفلسفى أو المعتمد على المنطق متأخرا في نشأته عن الشعر العاطفى ، لأنه يتخذ العقل رائداً له ، ولا يعول على العقل ذلك التعويل إلا الشعب المتمددين ، انظر إلى الشعر الجاهلى تجده خاليا من المعانى الفلسفية ومن النظرات العميقة ؛ إلا للقليل من الشعراء الذين نظروا فى الكون ، وتأملوا فى الوجود ، فجاءوا بعمان لا يقام لها وزن إذا قيست إلى معانى شاعر عاش فى حضارة ، هى إحدى آثار العقول والأفكار .

## سبب الشعر للنثر :

وعلى هذا نقول : إن الشعر يسبق النثر فى الوجود سبق تحكم العاطفة فى الإنسان دون العقل ؛ ونحن لا نقصد بالشعر الشعر الكامل فى جميع عناصره ، وإنما نقصد المحاولات الأولى لقوله ، دون نظر إلى نشأته وطريقة هذه النشأة فيما عدا أنه مصور للعواطف ، معبر عن الإحساسات ، مثير للذة تقدير الجمال .

وإذا كان قد ورد عن العرب غير هذا فلأنهم عَنُوا بالنثر نحواً غير الذى نعتيه نحن الآن ، عَنُوا به نثر الحديث فى شئون الحياة الهينة التى لا يحتاج المتحدث فيها إلى إعمال الفكر ، وإيمان النظر ، أليس هذا هو ما يدل عليه قول قائلهم :

« وكان الكلام كله منشورا ، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعرافها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأجداد ، وسمحاتها الأجواد ؛ تهب نفوسها إلى الكرم ، وتدل أبنائها على حسن الشيم ، فتوهوا أعاريض ، فعملوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به . »

فقوق أن فى هذا التصوير وهما كثيرا ؛ إذ ظنوا علم الأوزان سابقا لقول الشعر ، فإنهم

لم يقصدوا إلى النثر الفنى ، وإنما قصدوا إلى النثر الخطابى الذى يتناول مختلف شئون الحياة اليومية من بيع وشراء ، وطعام وشراب ، وصيد ورعى ، ونوم ويقظة ؛ إلى غير هذه الأمور التى تقوم عليها الحياة الإنسانية الساذجة .

أما النثر الفنى الذى يعبرون به عن رأى خطير ، أو يرمون من ورائه إلى أمر عظيم ، أو يعبرون به عن فكرة عميقة يعمدون إلى تصويرها به ؛ لتقتنع بها العقول ، وتؤمن بها الأفكار ، فهم يريدون فرض الرأى ، أو الإقناع بالفكرة ، فلم يسعدوا بالوصول إليه .

وها نحن أولاء نرى فى ريفنا شعراء ، لا ينقص شعرهم خيال ، ولا تعوزه عاطفة ، ولا يحتاج إلى حسن تصور ، وإنما ينقصه اللفظ الصحيح ، ويعوزه الميزان السليم ، ويحتاج إلى دقة التصوير ، وليس كل ذلك بسالب إياه معنى الشاعرية ، فعذره أنه ينطق هذه اللغة ، ولو عرف غيرها لنطق بها ، وأن موازينه وإن لم تكن سليمة فهى أقرب إلى السلامة ، ودقة تصويره طريقها التأمل والتأنق ، وكمن الشعراء المطبوعين تنقصهم دقة التصوير .

### الشعر بذرة النثر الجاهلى :

والنثر الفنى الجاهلى الذى يثير اللذة ، ويبعث على الإعجاب نادر ، وهو فى مقداره إذا قيس إلى الشعر ليس شيئاً مذكوراً ، وإذا نظرنا إليه على اعتبار أنه معبر عن العقل لم نجد له وجوداً ، وإذا أغفلنا ناحية الوزن حق لنا أن نقول : إن الشعر هو البذرة الأولى للنثر ؛ لأنه كلاً أوجله خطب ، والخطب قوامها العاطفة ؛ على أنها فيما نعتقد قليلة لا تكاد تذكر ، وما وصل إلينا من النثر غير الخطب لا يمدو أن يكون حكماً متفرقة ، أو أمثالا منتشرة أملتها مناسباتها ، وخلقتها أسبابها ، يتورها من الشك فى سببها إلى قائلها ما يعتور الخطب والقصص .

## أطال للمضريين شراراي ؟

إني أخالف جمهرة من زعماء الأدب يرون : « أن تاريخ الأدب العربي يدل على أن قد كان للمضريين نثر ما ، بل يدل على أن قد كان لهم قبل الإسلام نثر وصل إلى حد الرقي لا بأس به » فإن النثر يحتاج - أول ما يحتاج - إلى الحضارة ، ومن مظاهرها الكتابة ، وقل فيهم الكاتب ، أو قل انعدم فيهم الكاتب ، ولم تكن لهم حضارة تستأهل استخدام العقل في تصوير مظاهرها ، أو وصف آثارها ، وإن تكن فقد كانت تصور شعراً لسهولته ، وجمال نغمه ، وإذا قلنا مع أولئك القائلين : إن العرب كان لهم في الجاهلية نثر فني ، فإننا سنفترض أنه نثر عاطفي ، وهو ما اتفق على تسميته في العصور الأدبية المتأخرة بالشعر المنشور .

## نزول القرآن نثراً :

فإذا قيل : لماذا إذن نزل القرآن نثراً ولم ينزل شعراً ليكون التحدي به أقوى ؟ قلنا : إنه جاء نثراً ليكون التحدي أقوى وأقوى ، فدرجة النثر أقل من درجة الشعر عندهم ، فإذا جاء نثر أقوى من الشعر كان ذلك برهاناً قوياً على أنه أرقى من أي نثر آخر .

وحينما وصف العرب القرآن الكريم بأنه شعر ، ووصفوا الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه شاعر كانوا على يقين بأن القرآن ليس شعراً ، وبأن الرسول ليس شاعراً ، فليست للقرآن سمة واحدة من سمات الشعر ليست له معانيه القائمة على الخيال المحض ؛ وليست له أغراضه المتعارفة بينهم ؛ وليست له أوزانه المرسومة عندهم ، فالقرآن لا يشارك الشعر في غير اللفظ ؛ وهي شركة محتمة في كل كلام .

ولم يقل الرسول - وقد عاش بين ظهرائهم ؛ وعرفوا جميع أطوار حياته كل المعرفة - بيتاً من الشعر ، وإن جاء بعض كلامه منظوماً كالذي روى عنه :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وإنما ادعوا هذه الدعوى ؛ لأنه أرقى من النثر ، فيجوز أن يمد من الشعر ، أو يجب ألا يعتبر من النثر .

## التوسع في معنى الشعر :

وإذا صح لنا أن نتوسع في معنى الشعر ولم نقيده بما قيده به العرب من أنه الكلام الموزون المقفى ، وجملناه الكلام المنبث عن العاطفة ، والذي يقصد به صاحبه إثارة لذة السامع استطعنا أن نحكم بأنه أقدم من النثر دون أن يخالفنا في هذا الحكم من يزعم أن النثر أقدم ، لأننا سندخل في نطاق الشعر عندئذ الخطبة والقصة ، وهما تعبدان على إثارة الشعور ، وتوافر الخيال ، على أن من العرب من وصف الشعر بأنه «شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا» .

## صفة القول في سبب الشعر للنثر :

بعد كل هذا البسط نستطيع أن نقول : إن الشعر أسبق من النثر بجميع فنونه ، أسبق من القصة والخطبة ، والحكمة والمثل والمقالة ، فقد اتخذها الناس منذ إدراكهم لمعنى الحياة المعبر عما يكونون ، والناطق بما يحسون ، والمصور لما تجيش به قلوبهم من انفعالات ، وما تختلج به أفئدتهم من خواطر وإحساسات ، فوجدوا بابها ، واستخلصوا لبابها ، في حين أحكم النثر الفنى دونهم رتاجه ، وبالغ في إيصاد مغالقه ؛ لأن هذا - كما سبق - عماده العقل والتأمل ، ومعينه الفهم والتفهم .

وأنى للأمم في بداءتها وبدائتها كل أولئك ؟ إن أبناءها - ولا نستثنى - يتيهون في مجاهل من الجهالة ، ويسيحون في صحارى من البداوة ، ولن يكون علم مكتسب مع جهالة مطبقة ، ولن يتفق فهم دقيق مع بداوة مفرقة ، وهام أولاء بمض سكان المجاهل الإفريقية ممن لم تغزهم الحضارة ، ولم تفتح عقولهم المدنية لهم أغانيهم المعبرة عن آمالهم ، وأنشيدهم المصورة لأشجانهم ، وهى دون شك شعر بمعناه الأعم الأفسح .

فلا علينا أن نقول بعد هذا العرض الواضح ، والبسط الضافى : إن الشعر ليس أسبق من النثر فحسب ، بل هو أسبق منه بآماد بعيدة، تستوى في هذا الحكم جميع الآداب العالمية،

ولا يضيرنا في حكمنا أن يكون الشعر سطحى الخيال أو عميقه ، ضيق الآفاق أو واسعها ، متعدد الأغراض أو محصورها ، ضعيف الأسلوب أو قويه ، مختلط التركيب أو منسقه ، مختل الوزن أو مستقيمه ، فكل تلك تقبلور مع الزمن ، وتستقيم مع الحياة ؛ فإن كل موجود في هذا الوجود تعتوره أطوار الحياة المتعاقبة ، وتتداوله تقلبات الزمن وتغيراته ، كل موجود ينبجم ثم يجبو ، ثم يدرج ... حتى يشارف الكمال ، ولا نقول حتى يصل إلى قمة الكمال ، ثم تدول دولته ، وتخبو شعلته ، فيعود كما كان .

### مال النثر الأولى :

ليس أمر النثر مغايراً لأمر الشعر ، فلا بد أنه كان في أول أمره سقيم الفكرة ، وإن يكن وليدها ، قليل الجدوى ، وإن يكن صادراً عن عقل وتدبر ، والناظر في النثر الجاهلى لا يستطيع أن يحكم دون أن يرمى بالهوى بأنه رفيع المكنانة خطير المنزلة : من الناحية التفكيرية أو الأسلوبية أو الموضوعية ، مع أن ما وصل إلينا - على فرض صحته - هو أفضل ما قيل ، وأبلغ ما ارتجل ، وأحكم ما سجل ، وإلا لما حفظته الحوافظ ، وتحدث بجماله الرواة ، واعتنى بتسجيله المؤدبون والشداة .

على أنى أكاد أوقن أن هذا النثر الذى يروى بعصه شيوخ الأدب - كصاحب الأغاني وصاحب الأمالي وأضرابهما - وهو منسوب إلى بعض الجاهليين ، وفي بعضه قصص وجمال تصوير ، أو حكمة وتأنق في التعبير - من وضع الرواة والمحدثين الذين رغبوا في أن يرفهوا عن الخلفاء ، أو أن يشيدوا بقول القدماء ، وحسبنا هذا الذى قدمناه .

### فضل الشعر على النثر :

اتفق الأدباء - إلا القلة الضئيلة - على أن الشعر جملةً أفضل من النثر جملةً ، ونحن ممن ترى هذا الرأي ، ونقيم الأدلة على سداه وصوابه فنقول :

### ١ — فضل القرآن على الشعر :

إن العرب طرا حينما بهرم القرآن ، وأخذتهم بلاغته زعموه شعرا إيماننا منهم بأن الشعر أفضل من النثر ، وهذا الكلام الذى يحاجهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله أجود من نثرهم ، وإذن فلا عليهم أن يدعوا أنه شعر ، وإن فقد مقوماته من خيال ووزن وقافية وموضوع وأسلوب .

### ٢ — فضل الشعر على الفنون الجميلة :

الشعر أحد الفنون الجميلة ، ولكنه منها واسطة عقدها ، وبدر فراقدها ، فأين منه النقش والتصوير ، والنحت والموسيقا؟ إن فيه إلى نظمه ورفضه صورا تبهر مهرة المصورين ، وجمالا يسحر نوابغ الرسامين ، والموسيقا لاتسمو إلا به ، والغناء لايجلو إلا فيه . إنه يتألق بين الفنون فيفيض عليها حسنا ، ويمنحها وضاءة ولألاء ، فأى فن جميل ليس للشعر فيه الأثر الرائع الجميل ؟

### ٣ — سمو موضوعات الشعر :

موضوع الشعر أعلق بالقلب ، وأقرب إلى النفس من موضوع النثر ، بل من موضوعات الفنون الجميلة التى لاتعتمد عليه ، والنثر إذا تجاوز موضوعه ، وحل في غير أفاقه ، واعتدى على موضوعات الشعر عد متطفلا ، وقيل عنه إعلاء لشأنه مع هذا التطفل : إنه شعر منشور؛ لأنه يحمل موضوع الشعر وأخيلته ، ويقتبس ألفاظه وموسيقاه ، وإن لم تسم إلى موسيقا الشعر .

### ٤ — رأى ابن رشيد القيروانى :

ولا نلجأ فى حبجنا إلى ما ذكره ابن رشيق فى كتاب العمدة من أن الشعر يفضل النثر لأسباب فنية ، « وأن كلام العرب نوعان : منظوم ومنشور ، ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ومتوسطة ورديثة ، وأنه إذا اتفقت الطبقتان فى القدر وتساوتا فى القيمة

ولم يكن لإحداها فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ؛ لأن كل منظوم أحسن من كل منشور من جنسه ؛ فالثر وبه يشبه اللفظ إذا كان منشوراً لم يؤمن عليه ، ولم ينتفع به في الباب الذي كسب له ، وانتخب من أجله ، وكذلك اللفظ إذا كان منشوراً تبدد في الأسماع ، فإذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته ، وازدوجت فرائده .  
فمن أدبائنا من يصف هذا القول بأنه كلام ضعيف ، وإن يكن بيان ذلك الأديب أضعف من بيان ابن رشيقي ، وليس هذا مجال تفصيل نقده .

### ٥ - فطر موضوعات الشعر :

وأولئك الذين يقولون إن موضوعات النثر أخطر من موضوعات الشعر جد واهمين ؛ فالشعر يتناول الكون بأجمعه ، وموضوعه كما قال غيرنا : الله والإنسان والطبيعة ، فهو كل مافي هذا الوجود ، على أنه يستطيع أن يتناول جميع موضوعات النثر ، بل هو الآن يتناول أعنف موضوعاته كالمباحث الفلسفية ، ويعتبر الشاعر الذي لا فلسفة في شعره شاعراً سطحياً ، لا : بل قد يبلغ به إذا فلسفه ما لا يبلغه بالنثر ، وهذه لزوميات أبي العلاء تجمع بين قوة العقل والمنطق ؛ وبين قوة التصوير وحسن الفن ، والشعر السياسي كان - ولا يزال - أقوى دعائم الدعاية السياسية ، ويكفي للدلالة على ذلك أن معاوية حين أراد أن يمهد للبيعة لابنه يزيد استعان لها بشعر مسكين الدارمي ، ذلك الذي يقول فيه :

ألا ليت شعري مايقول ابن عامر      ومروان أم ماذا يقول سعيد ؟  
بني خلفاء الله مهـلاً فإنما      يبوؤها الرحمن حيث يريد  
إذا المنبر الغربي خلأه ربه      فإن أمير المؤمنين يزيد

وأن بيت مروان بن أبي حفصة في الاحتجاج للعباسيين على العلويين ، وهو :

٢٤ : أنى يكون - وليس ذاك بكائن -      لبني البنات وراثه الأعمام ؟

كان أشد على آل علي رضي الله عنه من ظلمات السيوف ، وأسنة الرماح ، بل كان هذا للبيت دعامة من دعائم الدولة العباسية



وإنك لتجد الحكمة وحقها أن يكون النثر معينها مسجلة شعرا ونثرا ، فتحكم لأول وهلة بأنها شعراً أفضل منها نثراً ، وها هو ذا المثال الذي تؤيد به رأينا .

### موازنة بين نثر وشعر :

( ١ ) قال عبد الله بن الزبير حينما قتل عبد الملك بن مروان أخاه مصعباً من خطبة يبنى فيها أخاه ويؤنبه ، وتكاد هذه الخطبة تكون أروع خطبه ، والخطبة أقرب النثر إلى الشعر : « إنما التجلد والسلوة لحزماء الرجال ، وإن الهلع والجزع لربات الحجال » .

وتناول أبو تمام الطائي هذا المعنى في تعزيتة مالك بن طوق عن أخيه القاسم ، فقال :

٢٥ : خلقنا رجالاً للتجلد والأسى وتلك الغواني للبكا والمآتم

فكان البيت خيراً من الفقرة لأسباب كثيرة منها :

١ — لنظمه وجرسه الموسيقي ، وهذا فضل لا ينكره إلا معاند مكابر ، وإلا من

لا تطربه الموسيقى ، ولا يملك سمعيه الجرس والغناء .

٢ — لقلة كلماته عن كلمات النثر مع أن الشاعر مقيد بالوزن الذي قد يستدعى منه أن

يزيد ألفاظاً ، حتى يبنى المعنى حقه ، وحتى لا يوصف شعره بالغموض والتعقيد ، فللوزن من الأحكام ما ليس للنثر ، ولهذا الحرية المطلقة ، ولذلك القيد المحكم .

٣ — لدقة المعنى ، فقد وصف الشاعر قومه ونفسه بأنهم خلقوا رجالاً ، وفي الجملة

قصر جميل ملحوظ ، فكان أعداءهم ليست لهم هذه الصفة ، وفيها نخر نبيل واضح في حين ترك الخطيب هذا المعنى ، وقال إن التجلد والصبر والأسى المكتوم خليق

بالرجال ، أو خليق به الرجال ، فجمع بين الصفتين الجديرتين بخلق الرجال عند فداحة

الخطب وجلال الرزء ، أما الخطيب فجمع بين التجلد والسلوة ، وما أدري كيف يسلو الأخ

أخاه ، وبخاصة إذا كان هذا الأخ هو البطل العظيم ، والرجل الكامل مصعب بن الزبير ؟

والفرق عظيم بين الأسى والبكاء ، فالأسى للرجال ، والبكاء للنساء ، أما السلوة التي قرنها

عبد الله بالتجلد فلا موقع لها هنا ، في حين أن المآتم وقد عطفت على البكاء أدت المعنى

أسد أداء ؛ فالمآتم تقام للنساء يبكين فيها ويندبن ، ليثرن الرجال للأخذ بالثأر ، وتسل

العار ، وخص الشاعر الغواني بالبكاء ليدل على فداحة النازلة ، وشدة الكارثة ، ومن تبيكه الغواني خليق أن يبكيه غيره .

أما فقرة عبد الله فلا تشتمل على قليل من ذلك الكثير من المعنى ، كما أن الفقرة على الرغم من أنها مسجوعة لم تتم نغمة وجرسا وموسيقا ، وقول الخطيب ربات الحجال كناية دفعه إليها التكلف والسجع ، وأجل منها دون ريب الغواني ، والهلع والجزع معناهما واحد ، فلم يأت الخطيب بمجديد سوى التطويل الذي لا يدعو إليه داع غير رصف الجملة ، وإقامة السجعة .

ع — وهناك فوق ما قدمنا فروق<sup>٢</sup> تحس بها وتدرکها دون أن تستطيع لها تعليلا ، ففي الإشارة إلى الغواني بتلك جمال ، ولكن كيف نعلمه ؟ أنقول : إنه أراد تعظيمهن بالإشارة البعيدة إليهن ؟ ولم لا ؟ ألسن غواني ؟ أم نقول : إن المآثم كانت منه قريبة بعيدة ؟ أم نقول : إنه كان بين صفتين من الرجال والنساء ، فحدث الرجال بقوله : خلقنا رجالا ... والتفت إلى النساء فأشار إليهن قائلا : وتلك الغواني ... ؟

### (ب) صوانة أخرى :

وهذا مثل اختلف فيه النقاد ، فهناك من فضل النثر ، وهناك من فضل الشعر ، وإننا من أصحاب الرأي الأخير ، وسنورد الرأي الأول ، ثم نرد عليه ونفنده ، وللقارى الحكم بعدئذ .

قال عمر العتيبي : العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل ، وعقل يستفيدة المرء بأدبه وهو الفرع ، فإذا اجتمعا قوى كل منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة للبصر وقال أحد الشعراء :

رأيت العقل عقلين فطبوع ومصنوع

ولا ينفع مصنوع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

زعم صاحب الرأى الأول أن الشاعر « كرر كلمتى مصنوع ومطبوع على غير داع ، وقد سلت الأولى من ذلك التكرار ، وكلمة مصنوع فى الشعر تقابل كلمة مكتسب فى النثر ، ومكتسب أليق بموضعها ، وأدق فى الدلالة على ما يراد منها ؛ فالعتبى أدق عبارة ، وأحكم تأليفا ، وأسلم من التكرار » ثم قال : « قسم كل منهما العقل قسمين ، وفاضل بينهما ، ولكنهما اختلفا فى طريق المفاضلة ، فالأول ذكر أن القسمين يتعاونان إذا اجتمعا ، ومثل لهما بضوء الناريقوى البصر فى الظلمة ، وذكر الآخر أنهما إذا افترقا لم يفن المكتسب شيئا ، ومثل بنور الشمس لمن لا يبصر ، فقد اختلفا فى أجزاء المعنى ، والأول بين حالة اجتماع العقلين ، والآخر بين حالة افتراقهما ، والحالة التى ذكرها العتبى أقرب إلى الواقع ، وآلف عند الناس ، فإنهم يبتغون دائما تقوية العقل الموهوب بما يكتسب من تجارب ويستفاد من علم ، ولا يطمع أحد أن يفيد غير العاقل بالتعلم شيئا » فإذا ناقشنا هذا الرأى لنبين ضعفه قلنا :

١ - كان الشاعر أقدر من ناحية التأليف والصياغة من الكاتب ، فقد أوجز دون إخلال بالمعنى فى حين أورد الأول فى عبارته ما يمكن أن يسمى حشوا ؛ إذ يقول : « عقل تفرد الله بصنعه » كأن هناك عقلا اشترك فيه مع الله سواه ، هذا إلى أن الفرع جزء من الأصل وليس قسما له كما يقول .

٢ - عندى أن تكرار مصنوع ومطبوع فوق أنه أكسب البيت جرسا جميلا ، وموسيقا عذبة ، ومطابقة مستساغة فيه معنى التوكيد ، وإذن فليس من التكرار المغيب .

٣ - تشبيه الشاعر أدق وأظهر فى بيان فضل العقل المطبوع على المصنوع ، على أن الأول وقع فى خطأ فكرى ، فالنار لا تزيد قوة البصر ، وإنما تخفف شدة الحلكة ، وتدفع إسراف الظلام .

٤ - كلمة مصنوع أفضل من مكتسب التى يطلبها صاحب الرأى الأول ؛ أفضل ليطابق بها كلمة مطبوع ، على أنها من ألفاظ الأدب والشعر ، فيقال : شاعر مطبوع ، وشاعر مصنوع .

٥ - هذا إلى أن ألفاظ الشعر أقل من كلمات النثر ، وإلى أن لموسيقا الشرر نينا يسمع الأذن رنين الجمال .

### أسباب رجاحة الشعر للنثر :

وبعد فليس كل شعر خيرا من كل نثر ، بل لابد من اجتماع عدة عوامل مرجحة للشعر فوق الخيال والوزن ، فأوجه الموازنة كثيرة متنوعة منها : الأسلوب ، ومطابقة الكلام للواقع ، واثتلاف الألفاظ واتساقها ، ومناسبتها للموضوع ، والإقلال من الزخارف بجميع أنواعها ، فإنها قد تحجب المعنى ، أو تسيء إلى الفكرة ؛ فالجمال في المفاضلة فسيح ، وعناصر الموازنة كثيرة .

### نثر يفضل الشعر :

من النثر الذى يفضل الشعر تلك الحكمة الجاهلية : « المرء بأصغريه » وأكتفى بهذا الجزء منها ، فهي أفضل من قول الشاعر :

٢٩ : لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

أما أوجه التفضيل فكثيرة منها : الإيجاز ، فالحكمة كلمتان ، والشطر الأول من البيت ، - وهو فى الحق موطن المفاضلة - خمس كلمات ، والحكمة أكثر صدقا ؛ لأن المرء يظهر علمه أو جهله ، وحلمه أو حقه بأصغريه ، وإن لم يكونا نصفيه ، ولتلك الكناية اللطيفة الدالة على علم بأعضاء الإنسان ، فأصغر الأعضاء القلب واللسان ، ولعدم التكرار كما ترى فى الشطر إذ كرر كلمة « نصف » وكدقة كلمة المرء ؛ لأنها أشمل من كلمة الفتى ، ولعدم الغلوفى المبالغة التى زادها الشاعر بروزا بشطره الأخير .

## لفصل الثالث

### في تقسيم الشعر

#### أقسام الشعر عند الإفرنج :

يقسم الإفرنج الشعر إلى ثلاثة أقسام : الشعر القصصي والتمثيلي والغنائي ، والقصصي كان في غالب أمره دينيا ، يتعلق بالآلهة وأنصاف الآلهة ، وما قدموا لبنى الإنسان من أياد وصنائع ، وما حكموا لبعضهم على بعض من ظفر وانتصار ، وما أصاب غير هؤلاء من ويلات وهزائم ، ثم أثر هذه الأحكام في حياة الناس ، كما نرى في الإلياذة والأوديسة المنسوبتين إلى هوميروس الشاعر اليوناني .

ولم يكن الشعر القصصي مستقيم الأوزان دائما ، بل قد يستعصى الوزن على الشاعر فلا يأبه له ، وإنما الواجب الحتم هو أن يظهر فيه أثر الخيال ، فإن الشاعر وإن لم يكن في ملحمة معبرا عن أحاسيسه ، ناطقا بما يختلج به قلبه ، وتضطرم فيه عواطفه ، فإنه معبر عن إحساسات الناس ، ناطق بما تختلج به قلوبهم ، وتضطرم فيه عواطفهم ، فعليه أن يتصور كل هذا ، ويصوره لقارئيه أو سامعيه كأنه حقيقة واقعة ، فعبثه لذلك ثقيل ، وفي مثله تظهر البراعة الفنية ، فليس كل شاعر بمستطيع تخيل ما تجول به خواطر الناس وأوهامهم ، ولا بمقتدر على تصور ما تصوره لهم نفوسهم من أمان وآمال .

#### الشعر التمثيلي :

أما الشعر التمثيلي فيخالف القصصي من وجوه ، فهو يؤثر في القلوب من نواح : ناحية السمع حينما ينطق الممثل به ، وناحية البصر حينما يرى الممثل أمامه يعبر عما يريد التعبير عنه ، لابلسانه فحسب ، بل بحواسه الأخرى وبأعضاء من جسمه إذا استدعى التمثيل ذلك ، ثم

ناحية التصوير الدقيق الذى يحاول به أن ينسى جمهرة الرائيين والسامعين أنه أمام تمثيل ،  
ثم تصوير الجوهري لتخييل التمثيل حقيقة لا ريب فيها .

والشعر التمثيلي قوامه الفن هو الشعر القصصى الدينى ، فنه نشأ ، وعليه اعتمد ،  
ثم أخذ يخطو نحو الكمال ، ويستقل عن أصله الذى منه نشأ وعليه اعتمد ؛ حتى بلغ  
الغاية ، فصار ذا أساسين : الشعر القصصى والغنائى ، ثم تطور بعدئذ من الشعر إلى النثر ،  
ومن الخيال إلى الحقيقة ، ومن الغرض الدينى إلى أغراض أخر .

اعتمد التمثيل على النثر ؛ لأن هذا أداة طيبة سهلة للتمثيل والحوار ، فالحوار بالنثر  
أيسر من الحوار بالشعر ، والتمثيل أغلب أمره حوار ومحادثة ، والأغراض الأخر التى عنها  
التمثيل سواء أ كانت أغراضا اجتماعية أم سياسية أم فكاهية لا يغنى فيها الشعر القائم على  
الخيال ؟ وإما يجدى فيها النثر المعتمد على الفكرة السديدة والرأى الرشيد .

### الشعر الغنائى :

أما الشعر الغنائى فهو الشعر الذاتى ، المعبر عن عواطف قائله ، والمصور لمشاعره ، وقد  
سمى هذا الاسم لأن قائله كانوا يتغنون به فى جميع الأمم ، ويجمع فنونه ، فهو ينغمه  
رائيا ، ويشدو به مفتخرا ، ويرجعه ناسبا ، كما كان شأن الشعر القصصى  
فى أول عهده .

### أقسام الشعر الغنائى :

كل شعر ذاتى فهو من الغنائى ، فالشاعر الذى يأخذه جمال الزهرة أو عطرها ،  
أو تكوينها ، فيصفها ، كان هذا الوصف صادرا عن ذاته ، والشاعر الذى يستثيره إنسان ،  
فيتحمس ويفخر عليه ، ويعد مناقبه . . . كان هذا الفخر صادرا عن ذاته ، وهكذا  
يقال عن جميع الأغراض المعروفة فى الشعر العربى القديم : كالغزل والرثاء والهجاء  
والمدح والحكمة .

## العرب وتقسيم الشعر عند الفرنيجة :

يقول الباحثون في الآداب العربية : إن العرب لم يكن لهم حظ من الشعر القصصي والتمثيلي ، ويكادون يتفقون على هذا الرأي ، وإن اختلفوا في أوجه الاتفاق ، ومن تردّد منهم اعتبر بعض مقطوعات الفخر التصويري من الشعر القصصي كعملة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة من الشعر القصصي القصير ، ولنا في هذا الحكم نقاش طويل نرجو منه أن نزعزع أسسه ، ونزلزل أركانه ، فينقضّ أوائك الباحثون حكمهم الذي أبرموه ، وليس يعنيننا أن ننسب إلى العرب فنّاً لم يطرّقه ، أو أن ندعى لهم أدباً لم يتناولوه ، وإن كانه الرأي نفتنّع به ، فندافع عنه .

## قول مؤرّفى الأدب عن الشعر اليوناني :

يقولون : إن الشعر اليوناني القديم كان في أول أمره متصوّراً على القصص القصير ، ثم ضم هذا القصص بعضه إلى بعض بعد أن خلت الأمة اليونانية في الحضارة خطوات ، وصعدت في سلم المدنية درجات ، واستطاع من قام بهذا الجمع والضم أن ينظر فيه ؛ ليجعل منه وحدة متماسكة الحلقات ؛ لأنه لا يمكن روايته وهو آلاف الأبيات إلا إذا تماسك بعضه مع بعض ، واثلت حوادثه تمام الائتلاف .

## الكتابة والشعر القصصي :

ومما لاشك فيه أن الكتابة - وإن تكن قد عرفت - لم يكن قد يُسَمَّرَ أمرها ، وسهلت وسائلها ، وهان على الناس استخدامها في تسجيل هذه القصص الطويلة . وعلى هذا فالإلياذة والأوديسة لم تظهر في ثوبهما الفضفاض الضافي إلا بعد أن نالت الأمة اليونانية من الحضارة والمدنية حظاً أقدرها على أن تحافظ على هذا التراث المجيد تلك الأجيال الطويلة من حقب التاريخ الأولى .

وما يقال عن الإلياذة والأوديسة يقال عن المهاباراتا والرامايانا الهنديتين ، وعن سنوحى والبحار الغريق المصريتين ، وعن غير هذه وتلك من قصص الأولين .

### لماذا لم يكن للعرب شعر قصصى ؟

وبعد هذا أليس من حقنا أن نتساءل ؟ لماذا لم يكن للعرب شعر قصصى ، وقد آمن الجميع بأنهم ذوو فطرة أدبية سليمة ، وذوق فنى قويم ، وأنهم يُسامون اليونانيين فى تلك الفطرة ، وفى ذلك الذوق ؟ أليس الشعر القصصى ينبع من النبعة التى ينبع منها الشعر الغنائى ؟ ولا يغير هذا الحكم اختلاف الزمان والمكان ، ثم أليس معقولا أن الشعر القصصى - ودافعا للدين والحرب ، ولكليهما عند العرب المكانة التى هى لهما عند غيرهم إن لم تفقها - قد ظهر قصصا قصيرا عند العرب ، ثم ضم بعضه إلى بعض ، أو لم يتح له من يفكر فى ضمه حتى طواه الزمان فيما طوى من أخبار وآثار ؟ أما أنا فأقول : بلى . لقد كان لهم شعر قصصى لما مضى ولما بلى .

### أدلتنا على أنه العرب كان لهم شعر قصصى :

١ - اهتدى العلماء المنقبون من الأوربيين عن أطلال الدولة السبئية فى اليمن إلى بعض الآثار ، وذكروا أن دولة سبأ بدأت فى نحو القرن الثامن قبل الميلاد ( أى حين ظهور هوميروس ) وأن أسماء ملوكهم التى سجلوها على آثارهم قد بلغت أكثر من ثلاثين ملكا .

٢ - من المؤرخين من ذكر أن سيل العرم الذى اجتاح هذا الملك الطويل العريض : الطويل فى أمده ، العريض فى سلطانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو قرن من الزمان .

٣ - يتحدث المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » كما يتحدث غيره من ثقات المؤرخين « أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأتراها وأغدقها ، وأكثرها جنانا وغياضا ، وأفسحها مروجاً مع بنيان حسن وشجر مصفوف ، ومساكب للماء متكاثفة ، وأنهار وأزهار متفرقة ، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة ، وفى العرض مثل ذلك .



وأن الراكب والماركان يسير في تلك البلاد من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لاتواجه الشمس ولا تعارضه ، لاستئثار الأرض بالعمارة الشجرية ، واستيلائها عليها ، وإحاطتها بها ، وكان أهلها في أطيب عيش وأرفه حال ، وأرغد قرى ، وفي نهاية الخصب وطيب الهواء ، وصفاء الفضاء ، وتدفق الماء ، وقوة الشوكة ، واجتماع الكلمة ، ونهاية المملكة ، وكانت بلادهم في الأرض مثلاً ، وكانوا على صفة حسنة من اتباع شرف الأخلاق ، وطلاب الإفضال على القاصد ، والسفر بحسب المكان ، وما توجبه القدرة من الحال ، فكثروا على ذلك ماشاء الله من الأعصار ، لا يعاندهم ملك إلا قصموه ، ولا يوافقهم جبار في جيش إلا كسروه ، فذلت لهم البلاد ، فصاروا تاج الأرض »

ثم هو يروى بعد ذلك شعرا ينسبه إلى ملك سبأ عندما أغرقهم سيل العرم ، ويزعم أن اسمه الملك الشاعر عمرو بن عامر ، وهذا الشعر جزء من أسطورة زعموها هي أن الجرذ سُلط عليهم قلب برجليه صخرة لا يقلبها خمسون رجلا ، فنقب بفعله هذا السد الذي كان نقبه سبب غرقهم ، فقال :

أبصرت أمرا عادلى منه ألم      وهاج لى من هوله برح السقم  
من جرذ كفحل خنزير الأجم      أو تيس صرم من أفاويق الغم<sup>(١)</sup>  
يسحب صخرا من جلاميد العرم      له مخاليب وأنياب قضم  
٣٣ : مافاتة سحلا<sup>(٢)</sup> من الصخر قضم      كأنه يرعى حصيراً من سلم

ومع يقيننا بأن هذا الشعر مخترع مع هذه الأسطورة ؛ إذ لم تكن لغة قوم سبأ هي لغة قریش ، ولم يكن سبب انفجار السد جرذا كما تزعم الأسطورة ، فإنها تبين لنا أن ذلك الخيال الساذج الذى تخيل الأسطورة وشعرها يعترف بأن الأمة العربية القديمة كان لها شعر ، وكان بعض هذا الشعر قصصياً ، وكان من بحر الرجز أيسر بحور الشعر نظماً ، وأسهبها على الشعراء قافية .

(١) الصرم : الجماعة ، والأفاويق : الخيار . (٢) سحلا : نحتا .

وليس طعننا في هذه القصة بدافع سوانا إلى أن يطعن في وصف بلاد اليمن اعتمادا على أن مصدرها واحد ، فحضارة اليمن تحدث عنها غير السعودى من مؤرخى العرب ، بل تحدث عنها غير مؤرخى العرب .

٤ — فقد قيل إن الدولة التى قامت باليمن نالت من بسطة الحياة ونخامة المدنية حدًا أدّى بمعاصريهم من اليونانيين إلى أن يسمّوا هذه البلاد ببلاد العرب السعيدة ، وناهيك بمن بلغ من المعرفة الهندسية حدًا يستطيع به أن يرسم سد مأرب ، وأن يشيد بناءه ، وهو بعد من أعظم ما أقامه البشر

وقصور اليمن التى تتحدث عنها كتب التاريخ تنطق بعلمهم الواسع ، وفنهم الزاخر ، فن قصورها قصر غمدان الذى قيل عنه : « إنه كان مربعًا : أحد أركانه مبنى بالرخام الأبيض ، والثانى بالرخام الأصفر ، والثالث بالرخام الأخضر ، والرابع بالرخام الأحمر ، وفيه سبعة سقوف طباقا ، ما بين السقف والآخر خمسون ذراعا ، وعلى كل ركن تمثال أسد من نحاس ، إذا هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فمه ، فيسمع له صوت يشبه زئير الأسد » .

وإذا كان في وصف القصر مبالغة ، فإنها تؤيد رأينا ؛ لأن المبالغة دليل على إيمان المؤرخين بحضارتهم العظيمة ، وأنهم بلغوا منها الحد الذى يقدرّون معه على إتيان أمثال تلك المعجائب .

### الدولة البغمية والدولة المحورائية :

٥ — ما قيل عن دولة اليمن يمكن أن يقال مثله عن الدولة المحورائية التى بهرت العالم بحضارتها ، والتى تحدث المؤرخون عنها « بأنها أول دولة أنشأت الشرائع ، وجعلتها أساس معاملة أفرادها بعضهم مع بعض ، وليس كونها دولة تشريع يمنع أن تكون دولة فنّ ، فقد كانت الدولة الرومانية دولة تشريع وفنون معا ، وإذن فلماذا نحرّمها حق الشاعرية فى ذلك الزمن السحيق ؟ .

## رأى الأستاذ جرجى زيدان :

٦ - يرى العالم الباحث جرجى زيدان « أن الشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن أكثره كان غنائيا ، وليس فيه من الشعر القصصى إلا نتف قليلة ، أما التمثيل فيظهر لأول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب » .

وسرى أنه موجود فيها على صورة ساذجة تشبه إلى حد كبير الصورة التي نشأ بها الشعر التمثيلي عند اليونان ، وإن لم يسمه العرب بهذا الاسم ، ولم يمثله غير قائله ، ثم يقول : « وما يعد من قبيل آداب العرب في ذلك العصر سفر أيوب ، والمرجح عند أهل التحقيق أن صاحب هذا السفر في التوراة عربى الأصل نظم ذلك الكتاب شعراً عربياً في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح المحورانيين من بين النهرين ، ثم ترجم إلى العبرانية ، وعد من الأسفار المقدسة ، وضاع أصله العربى ، كما ضاع أصل كلية ودمنة الفارسية ، فإذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الأمم إلى قرض الشعر ؛ لأنه نظم قبل إلياذة هو ميروس بألف سنة ، ومهابها راتا الهند بعدة قرون » .

## مقدمة المقال فى الشعر القصصى والتمثيلى :

وبعد ، فإننا وقد بينا أن عوامل الشعر القصصى كانت متوافرة عند العرب فى عصورهم السحيقة ، فلماذا لا نؤمن بوجوده ؟ بل لماذا ننكر - دون سند - وجود الشعر التمثيلى ، وقد كان أول ما عرف أسبويًا ؟

إن هذه المدنية التى وصفنا بعض مظاهرها ، وعرضنا بعض آثارها لا بد أن يكون قد تبعها تقدم عظيم فى الفنون ، ومن بينها الشعر ؛ فالمعقول أن يصفوا حروبهم ، ويصوروا انتصاراتهم ، ويمثلوا أبطالهم ، ويترسموا أعمالهم بالشعر القصصى والتمثيلى والغنائى ، وليس من الحتم اللازم أن يكون شعر جميع الأمم متحد الصورة متماثل اللون ، فإنه حتى الآن ليس متحد الصورة ، ولا متماثل اللون ، ولا جارياً على نمط مستقيم لا عوج فيه ، ولو أننا

قلنا غير هذا لجاز لنا أن نقول : إن الله خلق العالم كله ذا لون واحد ، ولسان واحد ، وعقل واحد ، وشعور واحد ، وليس شيء من ذلك حادثا .

### مناقشة رأى ابن الأثير في أقدمية الشعر العربي :

قلنا : إن المعقول أن العرب كان لهم شعر متنوع فيه القصصي والتمثيلي والغنائي ، وأن هذا الشعر بأنواعه الثلاثة قد طواه الزمان فيما طوى ، وعفته الأيام فيما عفت ، ودع عنك رأى ابن الأثير في المثل السائر ، إذ يقول : « والذي نقلته الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الأبيات فيما يعنُّ لها من الحاجات ، ولم تزل الحال على هذه الصورة إلى عهد امرئ القيس ، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائداً لا ناقصاً ، فقصده القصائد . . . » فإن ابن الأثير بقوله هذا إنما يقصد الشعر المنظوم بلفظة عدنان ، ومع ذلك فإنه من غير المعقول أن يكون الشعر قد ولد كاملاً في معانيه وفي أسلوبه وفي أوزانه ، فطبيعة الأشياء أن تنشأ ناقصة ، وتقوم شيئاً فشيئاً حتى تبلغ درجة أدنى إلى الكمال .

وها نحن أولاء نرى أن بدء القصائد ببيكاء الديار مثلاً تتابع عليه الشعراء جيلاً بعد جيل ، وعصراً بعد عصر ، فكيف أمكن ذلك التغيير الشامل في الشعر من المقاطيع إلى القصائد في عهد شاعر واحد ، وفي جيل واحد ، مع أن هذا لا بد أن يستلزم تغيراً في المعاني بالزيادة أو بالنقص ، وتفتقراً للأفكار ، وتنوعاً في الخيال ، كما يستلزم حتماً تغيراً في الأسلوب ليجارى تلك المعاني ؟

### الشعر المحورابي واليميني لغة بغير اللغة العدنانية :

ولا ريب أن الشعر المحورابي ، واليميني كان بغير لغة عدنان ، كان بلغتين تخالفان في أصولهما وقواعدهما اللغة العدنانية مخالفة لا بد أن تكون عظيمة ، حتى ليصعب على القارئ فهمها ، وهاك ما يؤيد ما نقول نقلاً عن كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لمرحى زيدان ، قال :

« قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذي وجدوه بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع للميلاد بما قرءوه على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة ، وبين لغة مضر عند ظهور الإسلام ، وذلك أنهم عثروا في أطلال المارة في حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطي نقشت في أوائل القرن الرابع للميلاد ، أي قبل ظهور الإسلام بثلاثة قرون . »

ثم أورد المؤلف صورة الكتابة ، وقال :

« وإليك نصها كما تقرأ ، كل سطر على حدة :

١ — في نفس امر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج .

٢ — وملك الأسدين ونزار وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء .

٣ — يزجود ؟ في جيح نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .

٤ — الشعوب ووكله لفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ — عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ١٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .

ثم يقول : « هذا لسان عربي تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهما إلى إيضاح ، وهالك

تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى ، وهو :

١ — هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج .

٢ — وأخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم ، وهزم مذحج إلى اليوم وقاد .

٣ — الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر ، وأخضع معدا ، واستعمل بنيه .

٤ — على القبائل وأبا بهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ — إلى اليوم توفي سنة ٢٢٣ في يوم ١٧ أيلول ( سبتمبر ) وفق بنوه السعادة .

ثم يقول : « انظر إلى الفرق بين الأصل وتفسيره ، والمدة بين هذين العصرين ثلاثة

قرون ، فكيف تكون و بينهما بضعة وعشرون قرنا . »

عود إلى رأي ابن الأثير :

ذلك الرأي الذي يقول به ابن الأثير هو رأي أئمة الأدب القدماء ، وقد عللناه وأظهرنا

أن أساسه الذى بنى عليه هو مارووه من الشعر ، ولكنهم لم يعملوا فكرا ، ولا أجالوا نظرا فيما بعد من عصور التاريخ ، ولو قد فكروا لما وصموا الأمة العربية بموت العواطف ، ونضوب القرائح تلك الأحقاب الطويلة .

لو قد فكروا لعرفوا أن امرأ القيس وخاله عدى بن ربيعة الذى قالوا عنه : إنه هاهل الشعر وغيرها ممن جاء قبلهم وجدوا شعرا كامل العناصر تام الأجزاء فساروا على النهج الذى وجدوه ، وفتحوا من العين التى عرفوها ، إذ من المحال أن يولد الطفل رجلا ، وأن يظهر الناقص كاملا .

لو نظروا لرأوا امرأ القيس نفسه يقول :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبيكى الديار كما بيكى ابن خدام

ولا نجد بين أيدينا من كتب الأدب واللغة عن ابن خدام هذا الذى يتخذه أمير الشعراء فى العصر الجاهلى قدوة يقتدى بها ، وقبسا يقبس من معانيه ما يتقع غلة أو يبل صدى كل ما قيل عنه : إنه رجل جاهلى كان يقول الشعر ، وهذا هو مفهوم البيت لا غير ، أما ماذا قال من شعر ؟ وفى أى زمان ومكان قاله ؟ فلا نجد شيئا .

لو تأمل القدماء فى النزر اليسير الذى وصل إلينا من شعر العصر الجاهلى لرأوا هؤلاء الشعراء يصفون أنفسهم بالقصور ، ويعترفون فى شعرهم بأنهم ينهلون من مناهل استنبطها لهم أسلافهم ، ويردون موارد هدام إليها أجدادهم ، فزهير بن أبى سلمى يقول :

٣٥ : ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا

إنه ينسب إلى نفسه - وهو من هو صفاء قريض وسناء معان - ينسب إلى نفسه وإلى غيره الاستعارة والاستعادة والتكرار مما قاله القدماء ، ولما قالوه دون أن يجد من مدى الاستعارة والاستعادة والتكرار مما يدل على أنه يريد بها جامعة شاملة جميع ما يمكن أن يجمع .

وهذا شاعر آخر يقرر أن الأول لم يترك للآخر شيئا ، وينفى فى صيغة الاستفهام أن يكون الشعراء السابقون تركوا معنى لم يتركوه ، أو مترددا من الشعر لم يصلحوه ، فيقول عنتره :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم؟  
ومن أولئك الذين يقررون ويؤكدون أنهم مقتبسون ومستعيرون ، ومستعيدون ومكررون  
ومقلدون؟ إنهم ثلاثة من أصحاب الملقّات ، ومن زعماء الشعر في العصر الجاهلي ، وهم  
لا يرون في ذلك غضا من عليّاهم ، ولا توهنيا لكبريائهم .

### الشعر العربي المفقود بلسان قحطان :

وإذن فإن لنا أن نحكم بأن للعرب المتوغلين في الدهر شعرا لم يصلنا منه شيء . كان  
بلسان قحطان ، لم يصلنا لأنه اندثر فيما اندثر من آثار ، وبأن هذا الشعر لم يكن غنائيا  
خالصا ، وإنما هو مزيج من الغنائي والقصصي والتمثيلي ، ولكنه ساذج لم يتم بناؤه ، ولم  
تستحصد أجزاؤه ، فلم يوصف بأنه قصصي أو تمثيلي .

### الحوار هو الشعر التمثيلي :

إن تلك المحاورات التي تروى عن امرئ القيس وعبيد بن الأبرص ، وعنه وعن  
التوهم اليشكري - مع أننا نظن أنها موضوعة - تصلح لأن تعطينا صورة للحوار الذي يمكن  
أن يعتمد عليه المسرح .

وها هو ذا الحوار الذي زعم أنه دار بين امرئ القيس والتوهم :

قيل إن امرأ القيس نازع التوهم اليشكري جد قتادة بن الحارث ، فقال : إن كنت  
شاعرا فأجز ما أقول : فقال التوهم : قل ما شئت ، فقال امرؤ القيس :

امرؤ القيس : أصاح ترى بريقا هب وهنا .<sup>(١)</sup>

فقال التوهم : كنار مجوس تستر استمارا .

فقال امرؤ القيس : أرقت له ونام أبو شريح .

٣٨ : فقال التوهم : إذا ما قلت قد هدا استطارا .<sup>(٢)</sup>

(١) البريق : تصغير برق ، والتصغير هنا للتعظيم ، ووهنا : منتصف الليل .

(٢) استطار : انتشر .

فقال امرؤ القيس : كأن هزيره براء غيب .

فقال التوهم : عشار وُلّه لاقت عشارا .

فقال امرؤ القيس : فلما أن علا كنفى أضاح<sup>(١)</sup>

فقال التوهم : وهت أعجاز ريقه فخارا .

فقال امرؤ القيس : فلم يترك بذات السر ظيبا .

٤١ : فقال التوهم : ولم يترك بجلهتها حمارا .

فلما رأى امرؤ القيس أن التوهم قد ماتته ، ولم يكن في الزمن الأول شاعر يماتنه آلى

الآ ينازع الشعر أحدا بعده

### أعييب العرب ألا يكون لهم شعر قصصي وتمثيلي

و بعد فهمهم لم يقولوا شعرا قصصيا ولا تمثيليا فإن ذلك لا يهن من براعتهم ، ولا يفض من فنهم ، إذ لا يصيبهم أن يعرضوا عن منهل لم يستعذبوه ، أو ألا يردوا موردا لم يعرفوه ، ولو أرادوه لعرفوه ، فليس الشعر المسرحي بمعجز من كان له طبع سليم ، وخيال مسيح ، وكانا متوافرين عند العرب .

وقد يكون من أسباب انحرافهم عنه - إن كانوا قد انحرفوا - أو عدم اتجاههم إليه إن سلنا بأنهم لم يتجهوا - أنهم كانوا ذوى بديهة وارتجال ، لأنهم - كما يرميهم بعض المتعنتين - ضيقوا المجال ، مقفرو الخيال ، فشرهم الغنائى يشعرونا بغير ذلك ، فقد منحتهم طبيعتهم عناصر الإبداع ، ووهبت لهم بيئتهم أسباب تفرع القول .

(١) إحدى قرى اليمامة لبني نمير



## الشعر الغنائى

### انبعاث الشعر الغنائى :

ينبعث الشعر الغنائى عن عاطفة صادقة ، ويتدفق من وجدان سليم ؛ إذ هو يصور ما يجيش بخاطر الشاعر دون غيره ، ويرسم ما يخالط مشاعره لا مشاعر سواه ، فهو أقرب ما يكون موطناً من الغناء ، وأدنى ما يكون صلة به ، فالعربى الذى يحدو إبله ، والراعى الذى يرعى غنمه ، والحبيب الذى يناجى حبيبته ، والمأشوق الذى يساهر النجوم ، والمحارب الذى يصل فى حومة الوغى ، والمكلم الذى يشكو الجوى ويرسل الأسى ، وغير أولئك وهؤلاء ممن تحفزهم إلى إنشاء القريض دوافعه تفتتح صدورهم لإنشاده ، وتطرب آذانهم لتلحينه ، فإذا الشاعر مغن ، وإذا المغنى شاعر .

### الشعر القصصى والتمثيلى ليسا صالحين للغناء وإنما :

أما القسمان الآخران : القصصى والتمثيلى فلا يصلحان فى جميع الأحوال للغناء ، إذ ليست جميع المواقف والمشاهد تستأهل التلحين ، وحتى إن كانا صالحين ، فإنهما يصدران عن باعث ليس قويا قوة انبعاث الشعر الغنائى ، هذا إلى أنهما أقرب إلى الدين والأخلاق منهما إلى الآداب والفنون ، وهما يحتاجان إلى التروية والتأمل ، وهذا ما لم يكن يحتمله العربى الجاهلى القريب العهد بالإسلام ، فحياته البدوية البحت لئلائم هذه القيود ، وطبيعة النفور من الأسر لا تتحمل هذه الأصفاد ؛ تلك التى تقف دون انطلاق لسانه بما يشاء ويريد ، لا بما يراد منه .

### الشعر القصصى والتمثيلى يحتاجان إلى تدوين .

ثم إن الشعر القصصى والتمثيلى يحتاج كلاهما إلى تدوين وتسجيل حتى يقتدر ناظمه على تتبع ما نظم ، والعودة إلى مراجعة ما قرأ ؛ لتسير اللحمة أو التمثيلية على عطف متسق ،

ونظام متصل، وهذا هو ما صرف الشاعر في العصر الجاهلي الحديث عن هذين الفئتين، لا ما يزعمه بعض رجال الأدب من أنه ضيق الأفق، أو قيد القافية، فليس العربي الذي يعيش بين الصحراء والسماء - لا يجيب هذه الآفاق عنه حجاب - ولا يعترض النظر في كائنتهما حائل - بالذي يقال عنه إنه ضيق الأفق، وأما القافية فهو مخترعها، ولو رأى أنها ستصده عن طريق يريده لحاد عنها، وإذا كان الرجز أول مقال من الشعر وقد التزم فيه بناء البيت على الشطر الواحد، فالقافية ملتزمة في كل شطر، ثم توسع في استعمالها؛ إذا كان الأمر كذلك، فإنه يتحول عنها إلى ما ييسر عليه النظم، فهو مطلق الحرية في ذلك الحين، وهو الخالق للأسس والقواعد.

ومع هذا فبحر الرجز يبيح له ما لا يباح في بحر سواه، وسهولة النظم به تتيح للشاعر القدرة على الإطالة، وهذه أرجوزة أبي العتاهية الشاعر العباسي توشك أن تكون ملحمة، مع أنها في الحكمة، والحكمة أضيق معاني من الملاحم.

وها هو ذا أحمد شوقي بك استطاع أن ينظم القصة القصيرة، والتمثيلية الجميلة دون أن يقف في سبيل نظمه قيد البحر أو القافية.

### أول منه فكر في تقسيم الشعر الفنائى :

أول من فكر في تقسيم الشعر الفنائى عند العرب تقسيما فيه دقة نظر، واستقصاء أغراض هو الشاعر العباسي هو أبو تمام الطائي، فقد اختار من شعر الشعراء المجيدين في الجاهلية وصدر الإسلام، والعصر الأموي وصدر العباسي أجود ما قاله أولئك الشعراء، وسمى كتابه: «ديوان الحماسة»، ووهب لهذا الغرض ثلث كتابه.

وإذا كان لنا ما نأخذه عليه فهو أنه آثر المقطوعات القصيرة على المقطوعات الطويلة والقصائد الكاملة، وكأنه أراد بذلك أن يعرض علينا من شعر الفحول أكثر ما يمكن أن يجمع في كتاب؛ فيكتفي بالبيتين أو الأبيات دليلا على جمال الشعر وروعته، وعلى قدرة

الشاعر وبراعته ، مثله كمثل البستاني ينسق الطاقة ، فيقطف من كل نوع زهرة ، ليظهر غنى بستانه بأزاهيره .

### تقسيم أبي تمام ورأبنا فيه :

وقد قسم ما اختاره إلى عشرة أقسام : الحماسة والمراني ، والأدب والنسيب ، والهجاء والأضياف والمديح ، والصفات والسير ، والملح ومذمة النساء .

ومن عجب أن أبا تمام غض من قدر الوصف مع أنه كان من البارعين فيه ؛ إلا إذا أبحنا لأنفسنا ألا نتقيد بالتسمية التي سماها لأقسامه ، وأورد تحتها الأبيات التي اختارها . على أنه أورد في باب الصفات سبعة عشر بيتا ليس فيها بيت لشاعر من شعراء الوصف المجيدين ، فهي للبعيث الحنفي ، واعنترة بن الأخرس ، وللملحة الحرمي ، وهذه أبياته يصف فيها السحاب :

أرقت وطال الليل للبارق الومض	حبيا سرى مجتاب أرض إلى أرض <sup>(١)</sup>
اشاوى من الإدلاج كدرى مزنه	يُقضى يجذب الأرض مالم يكذب يقضى <sup>(٢)</sup>
تحن بأجـــــــــواز الفضا قطراته	كما حنَّ نيب بعضهم إلى بعض <sup>(٣)</sup>
كأن الشماريخ العلامن صبيره	شماريخ من لبنان، بالطول والعرض <sup>(٤)</sup>
يبارى الرياح الحضرميات مزنه	بمنهم الأرواق ذى قزع رفض <sup>(٥)</sup>
يقادر محض الماء ذو هو محضه	على إثره إن كان للماء من محض <sup>(٦)</sup>
٤٠ : يروى العروق الهامدات من البلى	من العرفج النجدى ذو باد والحض <sup>(٧)</sup>

- (١) حبيا : سحابا معترضا الأفق . (٢) الإدلاج : سير أول الليل . كدرى : فى لونه كدرة وسواد (٣) الأجواز : الأوساط . قطراته : نواحيه . النيب : الإبل المسنة . (٤) الشماريخ : أعلى الجبال ، واستعارها للسحاب . الصير : السحاب فيه سواد وبياص . (٥) الحضرميات : الهابة من حضرموت . الأرواق : جمع روق المياه الصافية . القزع : قطع السحاب . الرفض : الإبل تترك فى المرعى ، ويريد متفرقا . (٦) ذو : بمعنى الذى . (٧) العرفج : اسم نبات . ذوباد : الذى هلك . الحمض : المرمن النبات

وبات الحبي الجون ينهض مقدما كنهض المدائى قيده الموعث النفض<sup>(١)</sup>  
وهى أبيات بالغة الإحسان فى وصف السحاب ، والقطعتان الأخريان إحداهما فى وصف  
الناقة ، والأخرى فى وصف الثعبان .

إذا لم نتقيد بهذه التسمية وجدنا فى جميع الأبواب قطعا تصلح لأن تكون فى باب  
الصفات ، كأبيات أمية بن أبى الصلت التى يصف فيها شأنه وولده إذ يقول :

غذوتك مولوداً وعلتك يافعا	تمل بما أدنى إليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشكوى لم أبت	لشكوك إلا ساهرا أتمل
كأبى أنا انطروق دونك بالذى	طرقت به دونى ، وعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك، وإننى	لأعلم أن الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى	إليها مدى ما كنت فيه أوئل
جعلت جزأى منك جبها وغلظة	كأنك أنت المنعم المتفضل

إلى آخر هذه القطعة التى فى أبياتها الكثير مما يدخل فى الوصف الحكيم وتندرج تحته ،  
بما تنتظمه من صور كاملة ، ومعان سامية ، وكقول الأخنس التغلبى الجاهلى فى الأطلال  
والناقة والسيف :

من يك أمسى فى بلادٍ مقامة	يسائل أطلالا بها لا تجاوب
فلاينة حطان بن قيس منازل	كما نمق العنوان فى الرق كاتب
تمشى بها حولُ النعام كأنها	إماء تزجى بالعشى حواطب <sup>(٢)</sup>
وقفت بها أبكى وأشعر سخنة	كما اعتاد محوماً بنجوير صالب <sup>(٣)</sup>

(١) الجون : السحاب الأسود أو الأبيض ، والأول هو المراد . المدائى : المقارب الخطأ .  
الموعث : السائر فى الأرض اللينة . المعض : المهزول الضعيف .

(٢) إماء : جمع أمة البنت الرقيقة . تزجى : تساق سوقا لينا . حواطب : ضالة تخبط  
خبط عشواء ، أو جامعات الحطب . (٣) أشعر : ألبس الشعار ، وهو الثوب يلى الجسد .  
سخنة : حرارة . صالب : حمى مصحوبة بصداغ .

خليلىّ عوجا من نجاء شملة عليها قتي كالسيف أروع شاحب<sup>(١)</sup>  
خليلاى هوجاء النجاء شملة وذو شطب لا يجتويه المصاحب<sup>(٢)</sup>

وهى أبيات تبدو فيها الروعة والحسن والافتنان ، فهذا التشبيه لرسوم الديار « كما نمتق العنوان ... » لا يفضله قول طرفة فى المعنى نفسه : « تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد » وتشبيهه النعام الحائل فى أماكن تلك الديار يضرب فيها ، ويخبط فى جنباتها بالإماء تخبط خبط عشواء ، أو بهنّ إذ يتنقلن فى جمعهن الحطب من مكان إلى مكان تصوير جميل . وإذن فإن أبا تمام وإن يكن قد وضع الوصف فى غير مكانه ، فقد ملأ به كتابه ، فغض منه من ناحية ، وعنى به من ناحية أخرى ، فقل أن تجد قطعة لا يبهرك الوصف فيها .

### تقسيم البحترى ورأينا فيه :

ثم جاء بعده أبو عبادة البحترى ، فوضع كتابه : « الحماسة » على غرار كتاب أستاذه أبي تمام فى الاسم فقط ، وخالفه فيما عدا ذلك ، إذ قسمه إلى أربعة وسبعين ومائة قسم ، نظر فيها لا إلى فنون الشعر ، بل نظر إلى جزئيات المعانى ، فيقول مثلا :

« الباب السادس عشر » فيما قيل فى حمد عاقبة ركوب المكروه عند الحرب :

قال النابغة الذبياني :

سرنا إليهم وفيهم كارهون لهم وقد يصادف فى المكروهة الرشدُ

وفال الجمال العبدى :

إذا خفت فى أمر عليك صعوبة فأصعب به حتى تذلل مراكبه

٦٤ : وأمر على مكروهه قد ركبته فكان بحمد الله خيرا عواقبه

---

(١) عوجا : ميلا . النجاء : السرعة . الشملة : الناقة السريعة . الأروم : الجميل . شاحب :

متغير من السفر .

(٢) خليلاى مبتدأ خبره : هوجاء النجاء ، وذو شطب . الهوجاء : الناقة فى سيرها هوج

ونشاط . وذو شطب : وصف للسيف به طرائق متعرجة . يجتويه : يكرهه وبعه .

وقال الأخرز بن جرير :

وأركب الكره أحيانا وأحمده      وربما نال في الكره الفتى الرغبيا  
لا تجزعن لكره أنت راكبه      واجسر عليه ولا تظهر له رعبا

وقال بشامة بن حصين الفزاري :

٦٧ : وتركب الكره أحيانا فيفرجه      عنا الحفاظ وأسـياف تؤاسينا

ثم ينتقل بعد هذه الآيات الستة إلى الباب السابع عشر فيما قيل في الاعتذار من الفرار ، وهكذا يسير في تقسيمه ، فيجمع المعاني المتماثلة ، والأفكار المتقاربة في إطار واحد ، وهو لا يبدو فيما يعرضه البيت والبيتين والثلاثة ، فيتيح للناظر في الشعر ، تبين أصحاب المعاني المبتدعة ، ومعرفة من اقتبس منهم . وأخذ عنهم ، ويجمع الكتاب نحو أربعة آلاف بيت كلها من جيد الشعر ومصطفاه

تقسيم قدامة بن جعفر :

ولقدامة بن جعفر كتابان في النقد ، أحدهما : نقد النثر ، والآخر نقد الشعر ، قال في أولهما ؛ عن تقسيم الشعر : « وللشعراء فنون كثيرة تجمعها في الأصل أصناف أربعة ، وهي : المديح والهجاء ، والحكمة واللهم ، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون ، فيكون من المديح المرأى والافتخار ، والشكر واللفظ في المسألة ، وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه ، ويكون من الهجاء الذم والعتب والاستبطاء والتأنيب ، وما أشبه ذلك وجانسه ، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ ، وما شاكل ذلك وكان من نوعه ، ويكون من اللهم الغزل والطرود وصفة الخمر والمجون وما أشبه ذلك وقاربه ، ثم يورد بعد ذلك أمثلة لهذه الفنون الأصلية والفرعية ، وهو تقسيم تظهر عليه سمة العلماء وأهل المنطق . وقال في نقد الشعر تحت عنوان : « باب المعاني الدال عليها الشعر » .

« . . . ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لانهاية لعدده . . . رأيت أن أذكر منه صدراً ينبىء عن نفسه ، ويكون مثالا لغيره ، وعبرة لما لم أذكره ، وأن أجعل ذلك في الإعلام عن أغراض الشعراء ، وما هم عليه أكثر حوماً ، وعليه أشد روماً ، وهو المديح والهجاء ، والنسيب والمرأى والوصف والتشبيه » .

ولو أنه استغنى عن التشبيه بالوصف لكان تقسيمه أقرب إلى ما تعارف عليه الشعراء .

### تقسيمات أخرى :

جاء أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في أعقاب قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ فسار على نهجه ، وأخذ عنه مذهبه ؛ إذ قال : « وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرثي حتى زاد النافعة فيها قسما سادسا ، وهو الاعتذار فأحسن فيه » .

ومن بعدهم جاء ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ بمعدل في تقسيم من سبقوه تمديلا طفيفا ؛ إذ جعله تسعة أقسام : النسب والمديح ، والافتخار والثناء ، والاقتضاء والاستنجاز ، والعتاب والوعيد والإنذار ، والهجاء والاعتذار .

ويقول عبد العزيز بن أبي الإصبع : « والذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا : غزل ووصف ، وفخر ومدح ، وهجاء وعتاب ، واعتذار وأدب ، وزهد وخريات ، ومراث وبشارة وتهان ، ووعيد وتحذير وتحريض وملح ، وباب مفرد للسؤال والجواب » .

وهو تقسيم ليس بذى قيمة فنية ، فلا هو راعى دقات المعاني كالبحثري ، ولا هو لاحظ خصائص المعاني ، فنحن نستطيع أن نجتمع بين الهجاء والعتاب والوعيد والتحذير والتحريض في باب واحد ؛ لأنها تصدر عن غاية واحدة ، وكذلك المدح والبشارة والتهاني ، ثم الأدب والزهد .

وقسمه البارودي في مختاراته إلى سبعة أقسام : الأدب والمديح والثناء ، والوصف والنسب والهجاء والزهد ، ومع أنه أيضا من زعماء الوصف في عصره ، فإنه لم يعرف له قيمته ، ولم يضعه في فلكه ، فلم يعقد له بابا خاصا .

وبعد ، فأقرب هذه التقسيمات إلى الدقة تقسيم أبي تمام والبارودي ، فتقسيمهما تقسيم الشاعر لا تقسيم العالم .

## الفصل الرابع

### في الوصف وتقسيمه

معنى الوصف :

الوصف بمعناه اللغوي : هو التحلية والتجميل ، يقال : وصف الشيء له وعليه وصفا ووصفة : حلاه وجمله ، وللصديق أوصاف حسنة وصفات جميلة ، وتواصفوا الكرم إذا وصف بعضهم بعضا به ، وقد اتصف جاره بالخلق الحميد إذا صار منعوتا متواصفا بين القوم به . وهو عند النحويين يخالف معناه عند اللغويين بعض المخالفة ، فهو عند أولئك أعم وأشمل ، إذ جعلوه يتناول المدح والذم ، والحسن والقبيح ، فيقال : هذا فتى وسيم ، وذلك رجل دميم ، وفلان له أصل كريم ، والآخر له نسب لئيم .

ونحن لانعنى هذا المعنى ولا ذاك ، وإنما نعنى معناه عند الأدباء ، وهو عندهم :

تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق ، إلى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى ذوق فني ، وتتطلب الإحاطة بنواحيها ، والسمو إلى آفاقها وجداننا شاعرا ، وإحساسا مرهفا ، وذوقا سليما ، ككل ما يملك على الإنسان المرهف الحس إحساسه ، ويشير فيه شعوره ووجدانه ، وكتلك المناظر التي تخلب لب المتأمل وتملكه ، وتأسر بفتنتها المتمعن وتسحره ، فيطيل في قسامتها التأمل ، ويدمن في أجزائها التمعن ، ثم يصوره بعدئذ في الصورة التي يرتضيها ذوقه ، ويقبلها فنه ، وقد يكون الفن في أول الأمر ساذجا فطريا ، يعوزه الصقل والتقويم ، وتنقصه الدقة والعمق ، ولكنه ما يلبث بعد حين أن يصقل ويكمل ويوفى على التمام .

قيمة الوصف في الشعر العالمي :

والوصف — في حقيقة الأمر — هو عمود الشعر وعماده ، بل إن كل أغراض الشعر



وصف ، فالمدح وصف نبل الرجل وفضله ، والنسيب وصف النساء والخنين إليهن ، والشوق إلى لقائهن ، والرثاء هو وصف محاسن الميت ، وتصوير آثاره وأياديه ، والهجاء وصف سوءات المهجوة ، وتصوير نقائصه ومعايبه ، وهكذا نستطيع أن ندخل جميع فنون الشعر تحت الوصف ، فهو على هذا الوضع كاللدوحة الملتفة الأغصان ، الفارعة الأفنان ، المترامية الظلال ، ولكننا نريده مستقلاً بذاته ، محدود المعالم عن سواه ، وهو ما سنفصله في هذا الكتاب .

### الوصف أول مناطق به الشعراء :

أرى أن فن الوصف هو أول مناطق به الشعراء ، لا ما يرى البعض من أن الشعر الحماسي هو أول ضروب الشعر ، وحتى إن رضينا بهذا الذي يقال ، فإننا نرجع الشعر الحماسي إليه ؛ لأنه وصف لضروب من الشجاعة والقوة ، وعرض لصور من البطولة والقوة .

إني أرى أن الشعراء حينما تدقت ألسنتهم بالشعر ، بعد أن أفعمت به قرائحهم تدفقوا واصفين شعورهم ووجدانهم ، أو أساهم ووجدهم ، أو مصورين نجوهم وشكواهم ، أو نعيمهم وملهامهم ، وعلى الجملة معبرين عن كل ما يحرك كواملهم ، ويثير هواجسهم ، ويوقظ أحاسيسهم ، ويستبد بمشاعرهم من مناظر أو أحداث ، أو مظاهر أو آثار .

نعم نطق الشعراء بالشعر واصفين — لامفتخرين ولارائين — فالفخر كان بلغة الشعب إلا إذا اقتضته المحافل الجامعة أو الأسواق الحاشدة ، ولغة الشعب في الأمم البادية هي القوس والسهم ، والسيف والرمح ، والرثاء كان بلغة القلوب والعيون . القلوب تنفطر ، والعيون تنهمر . أما وصف أثر الطبيعة في النفس ، وتصوير فعل الظواهر في الخاطر ، فلا بد أن يكون بلغة أرقى ، وبأسلوب أكثر اتساقاً ، وأعظم انسجاماً من سواه ، وهو الشعر .

ودع رأى من يقول : « إن أبواب الشعر اليوم تعدّ بالذشرات لم يكن منها في الجاهلية إلا الفخر والحماسة ، والتشبيب والمدح والهجاء ، وتفرع من المدح الرثاء وهو مدح الميت » . فذلك رأى لا تؤيده الطبيعة الإنسانية ، ولا يثبتته المروى من الشعر الجاهلي ، ولعل القائل قاته أن الوصف يمكن أن يندرج تحته كما قدمنا — الفخر بالقبيلة لأنه وصف لما أثرها ، وعد لآلائها ومناقبها ، وعلى النمط بقية الأغراض التي تناولنا الحديث عنها .

### كثرة الوصف وطفياؤه على الأفراسه الأخرى :

وبين يدينا الكثير من الشعر الجاهلي نتأمله فنجده يبدأ بالوصف دائما ؛ وصف الأطلال أو وصف الظعن ، أو وصف الحبيبة ، أو وصف الخمر أحيانا ، ثم ينتقل الشاعر من وصف إلى وصف مستطردا متتابعا ؛ حتى تكاد القصيدة تنتهى ، فإذا جُلّها وصف ، وإذا القليل منها ليس كذلك .

وهذه — مثلا — معلقة امرئ القيس نتتبعها فنجدها جميعا وصفا ، فقد بدأها بوصف منازل حبيبتها ، وتأثير الشمال والجنوب فيها ، فترى في عرصاتنا وقيعانها بعرا الأرام كأنه حب فلفل ، ثم يصف وقوفه وصحبه عندما تحمل أحبابه ، وهم يبعثون فيه التجمل ، ويصور ما يشقى نفسه ، ويطلق لوعة قلبه بأنها عبرة مهراقة ، وإن لم يكن من ورائها طائل ، فهل عند رسم دراس من معول ؟ وهكذا ينتقل في الوصف ، فيصف عمر مطيته للعداري ، ويعجب من كورها المتحمل ، ويصور كيف ظل العذارى يرتمين بلحمها « وشحم كهذاب الدمقس المقل » ثم يصف دخوله خدر عنيزة وأنها عبثت به فدعت عليه ؛ لأنه سيرجلها بركوبه معها ، إذ لن يستطيع البعير أن يحملها جميعا ، وأى عبث كقولها :

« لك الويلات إنك مرجلي » .

ويسير على هذا النهج الوصفي القصصى المعتمد على الحوار الهادى حينا ، والثائر حينا كقولها :

« عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل » فيقول :

٦٨ : فقلت لها سيرى وأرخى زمامه ولا تبعدينا من جناك المثلل

ثم ينتقل إلى وصف بيضة الخدر التي لا يرام خباؤها ، ويصف الثريا في السماء ، وقد عرضت له :

« تعرض أثناء الوشاح المفصل » .

ويصف بعد ذلك صورة لما يجرى بين العاشقين ، لا ينقص الصورة تلوين أو تظليل ، بل هي كاملة التكوين والتجوير ، وأى صورة أكمل من قوله :

هصرت بفودي رأسها قمايلت      عنى هضم الكشح ربا المخلخل  
 مهفهفة بيضاء غير مفاضة      ترائبها مصقولة كالسجنجل  
 تصد وتبدي عن أسيل وتتقى      بناظرة من وحش وجرة مطفل  
 وجيد كجيد الرُم ليس بفاحش      إذا هي نصته ولا بمعطل  
 وورع يزين المتن أسود فاحم      أثيث كقنو الفخلة المتمشكل

وينتقل من وصف عنيزته ذلك الوصف الذى يستطيع المصور أن يخلق منه ملكا  
 جمال فى هذا العصر بعد أن يتأمل دقائقه ، ويتصور جزئياته ،

ثم ينتقل إلى وصف الليل وطوله ، وثبات نجومه حتى لكانها :  
 « بكل مغار الفتل شدت بيذبل » .

ومن الليل ينتقل إلى وصف واد :

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْمِيرِ قَفَرِ قَطْعَتِهِ      بِهِ الذُّبُّ يَمُوءُ كَالْخَلِيعِ الْمَعِيلِ

ثم يدير الحديث بينه وبين ذلك الذئب ، ومن ثم ينتقل إلى وصف فرسه ، وسنعرضه  
 عرضا مبسوطا بعد حين ، وإذ يبلغ غايته من وصف فرسه يصف سربا من البقر الوحشى .  
 وهنا ترى صورة من الصيد والطرْد ، كأنها لوح فى معرض من معارض التصوير ، أو قطعة  
 فنية فى متحف من متاحف الآثار ، وبنقل من معركته مع صيده إلى وصف البرق ،  
 وأن وميضه .

« كلع اليدىن فى حبي مكلل » و بعد أن يأخذ حظه من وصفه يصف ثيرا فى عرانيه  
 وبله كأنه : « كبير أناس فى بجاد مزمل » حتى يختم القصيدة بقوله :

كأن مكاكى الجواء غدية      صبحن سلافا من رحيق مفلل  
 ٧٦ : كأن السباع فيه غرقى عشية      بأرجائه القصى أنايش عنصل

فهذه قصيدة تجاوزت أبيتها الثمانين ليس فيها بيت واحد يمكن أن يقال عنه : إنه  
 ليس من فن الوصف ، مع أنها لشاعر يتسع له مجال الفخر والحماة ؛ لأنه ملك وسليل

ملوك ، ولكن الوصف غلب عليه ؛ لأن من حقه أن يغلب عند ذوى النفوس الجياشة ،  
وهم الشعراء قبل جميع الناس .

وهذه قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري تجاوزت أبياتها المائة تكاد تكون وصفا  
خالصا ، فهو يصف في أولها خليلته وصفا لا فحش فيه ولا فسوق ، بل هو تشبيه وتصوير  
كقوله :

تمنح المرآة وجها واضحا      مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع  
صافي اللون وطرفا ساجيا      أكل العينين ما فيه قمع

ثم ينتقل إلى وصف زيارة طيف المحبونة ، وسهاد الليل في سبيل الإمام به ، وأنه  
قطع في رحيله إليه : « عصب الغاب طروقا لم يرع » لأنه :

آس كان إذا ما اعتادنى      حال دون النوم منى فامتنع

ثم يصف رحلته إليها ، وقطعه المعاوز في سبيلها ، فيصف الزمان والمكان والسكان ،  
فيقول :

كم قطعنا دون سلمى مهمما      نازح الغور إذا الآل لمع  
في حرور ينضج اللحم بها      يأخذ السائر فيها كالصقع  
وتخطيت إليها من عدى      بزمام الأمر والهيم الكنع  
وفلاة واصح أقربها      باليات مثل مرفت القزع  
يسبح الآل على أعلامها      وعلى البيد إذا اليوم متع  
وركبناها على مجهولها      بصلاب الأرض فيهن شجع  
كالغالى عارفات للسرى      مستفات لم توشم بالنسع

ثم يسير في هذا الوصف حتى يبلغ منه غايته ، فيعرج على قبيلته يصفها ، ويفخر بكرمها  
وخلقها ، ثم ما لبث أن يعود إلى تصوير أثر بعد الحبيبة عنه فيقول :

٨٧ : حل أهلى حيث لا أطلبها      جانب الحضرة وحلت بالفرع

لا ألقيا وقلبي عندها غير إمام إذا الطرف هجم

ومن ثم يصف الثور الوحشي وصفا فيه دقة المعرفة ، وفيه سذاجة الفطرة ؛ فهو يصف  
شياته وأجزاءه ، ثم يصف روعته وفزعه من صياد طي وكلابه ، فيصور لك حربا ناشبة  
بين الكلاب وبينه ، مما سنعرضه لك فيما بعد

وما يزال ذلك شأنه يتنقل بين وصف الطبيعة الساكنة والمتحركة ، أو بين الفخر  
والحكمة ، والوصف في هذين أثر حتى يبلغ الغاية بوصف شيطان شعره ، فيختم به قصيدته  
فيقول :

وأثنى صاحب ذو غيث	زقيات عند إنعاد القرع
قال : لبيك ! وما استصرخته	حاقرا للناس ، قوال القذع
ذو عباب زبد آذيه	خبط التيار يرمى بالقلع
زغربي مستعز بحره	ليس للماهر فيه مطلع
هل سويد غير ليث خادر	تثدت أرض عليه فانتجع ؟

هاتان قصيدتان من أطول قصائد الشعر الجاهلي لاتكاد تجد فيهما من أغراض الشعر  
بعد الوصف إلا القليل الذي لا يعتد به ، بل لاتكاد تجد فيهما شيئا غير الوصف إذا نظرنا  
إلى ما فيهما من غزل أو نحر أو حكمة نظرة واسعة ، فسويد يقول في فخره ، ووصف حربه مع  
عدوه :

وعدوّ جاهد ناضلته	في تراحي الدهر عنكم والجمع
فتساقينا بمر ناقع	في مقام ليس يثنيه الورع
وارتمينا والأعدى شهد	بنبال ذات سم قد نقع
بنبال كلها مذروبة	لم يطق صنعها إلا صنع
٩٨ : خرجت عن بغضة بينة	في شباب الدهر والدهر جذع

فهل بعد هذا يصح لقائل أن يقول : إن شعر الحماسة في العصر الجاهلي غلب

على الشعر العربي ، أو أن نستمع إلى من يقول: «إن الوصف كان متخلفا عن أكثر أبواب الشعر العربي» ؟ اللهم لا ، وقد قدمنا الحجة والدليل .

### الشاعر هو الوصف :

إن الشاعر الوصف يعبر عن خلجات النفوس ، وخفقات القلوب ، وومضات العيون ، وبسات الشفاه ، وأسارير الجباه ، معينه في وصفه السماء ، والأرض ، والصحراء ، والماء ، والبدو ، والحضر ، والشمس ، والقمر ، والإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجماد ، وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق كما يقول المتنبي . يتخذ منه مادته ، ويجعله ينبع عاطفته ، فهو يصور الليل إذا سجا ، والنجم إذا هوى ، والموج حين يتلاطم ، والرمل وهو متراكم ، والبدر عندما يتألق ، والصبح حينما يشرق ، بل هو يصف ما لا يدركه البصر ، ويصور ما لا يعرف كنهه النظر ، فيصف الحس ، ويصور الخاطر ، ويخرج من هذه المعنويات صوراً فتانة يدركها الحس ، ويتأملها الشعور ، فكأنك ترى الكبد المقروحة ، أو القلب الخفاق ، أو النفس الهاجسة ، أو الطيف الزائر ، أو الخيال العابر ، مما لا تدركه إلا النفوس الجياشة بالشعور . ويصور لك الشوق نارا تتأجج ، والسرور نسيما يتأرجح ، وغير هذا وذاك ، مما ستقرأ منه الكثير ، فتجد فيه روح العبير .

### أثر البيئة العربية في أهلها

إذا تأملنا مصور شبه جزيرة العرب أدركنا لأول وهلة أنها وحى صادق للشاعرية ، ونبع غزير للوصف ، إنها تكاد تكون صحراء ، لا أنهار تجري بينها ، فتفتق مكنونها ، وتخرج مكنوزها : فالقحط يشملها من كل جانب ، والجذب يحتلها من كل قطر ، فهم لذلك ينتظرون الوسى انتظار المحب رجع الرسول ، ويؤملون من النوء أن يجر أهدابا على البطحاء ، ويسعون في طلب الكلاب سعيًا يجمع بين الضحك والبكاء ، وينتجعون المشب في الصبح أو في الليلة الظلماء ، لا يشغلهم عن طبيعة بلادهم السافرة ، ومناظرها الساحرة

إلا أن يجدوا من العيش شظفا ، ومن الماء رشفا ، ثم انصرفوا إلى ذلك الطبيعي يتأملونه فيصفونه ، ويستنبثونه سره ويعلنونه :

إن الذى حرم الصحارى منظرا ألقى عليها للجلال شعارا  
روحية صدفت عن الدنيا وما فيها وأضحت للشـمـور مثارا  
لما عرفوا جميعا - لا فرق بين طفل وشيخ ، ولا بين رجل وامرأة ، ولا بين أعمى ومبصر  
دقائق ظواهرها ، وحقائق مناظرها .

أعرابي ضريـر يستنـبـي ثم يعلن حكمه :

حدثوا أن أعرابيا ضريراً خرج مع ابنة عم له يرعيان غنما ، فأحس سمة تؤذن بمطر ، وأراد أن يتعرف من ابنة عمه حال السماء ، فقال : إني أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري ، فقالت : تريد السحب ، كأنها ربرب معزى هزلى ، فلم أن السحب لا تزال في صغر قطعها ، ووضوح لونها كقطع المعزى الهزيلة ، وأن المطرات ولكن بعد حين ، فقال لها : ارعى واحذرى ، وسكت ساعة ، ثم أعاد السؤال ، فقالت : كأنها بغال دم تجر جلالها ، فعرف أن السحب قد عظمت وأطبقت ؛ حتى صارت في ضخامة البغال قد سقطت عنها الجلال ، فهي تتعثر فيها ، فقال : ارعى واحذرى ، وبعد قليل سألها الثالثة ، فقالت : كأنها بطن حمار أحمر .

فعرف أن غبرة السماء قد اختلطت بحمرة خفيفة ، وأن السحاب قد تدلى لثقل مائه ، وعما قليل سيمطر ، فقال لها : ارعى واحذرى ، ثم سألها الرابعة ، فأنشدت :

١٠١ : دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يمسه من قام بالراح  
فأيقن أن المطر هاطل ، فقال لها : انجى لأبالك ، فما أتم كلامه حتى هطلت السماء

## عناية العرب بالسحاب والغيث :

و بلغ من عنايتهم به ، و رقابهم له أن سموه أسماء بترتيب دمعاته ، فقالوا : إنه أول ما ينشأ نشأ ، فإذا انسحب في السماء فهو السحاب ، فإذا تغممت له السماء فهو الغمام ، فإذا كان الغيم في عرض السماء ولم تبصره وإنما تسمع رعده فهو العقر ، فإذا أطل وأظل السماء فهو العارض ، فإذا كان رعد و برق فهو العراض ، فإذا كانت السحابة قطعا صفارا متدانيا بعضها من بعض فهي النمرة ، فإذا كانت متفرقة فهي القزع ، فإذا كانت قطعا متراكمة فهي الكرفي ، فإذا كانت قطعا كأنها قطع الجبال فهي قلع ، فإذا كانت قطعا رفاقا فهي الطخارير ، فإذا كان حولها قطع من السحاب فهي مكللة ، فإذا كانت سوداء فهي طخياء ، فإذا حسبتها ماطرة فهي نخيلة . فإذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضا فهو المكفهر . . . إلى آخر هذه الأسماء التي تبلغ اثنتين وثلاثين منزلة لكل منزلة اسمها المميز لها عما سواها .

وللمطر أسماء مميزة : منها الوسمى ، ثم الولي ، ثم الربيع ، ثم الصيف ، ثم الحميم ، وله في آثاره أسماء كذلك ، فالحيا ما يحيي الأرض بعد موات ، والغيث ما يعقب المحل ، والديمة الدائمة مع سكون إلى غير هذه الأسماء المحددة للمعاني ، والتي تبلغ سبعة وعشرين اسما كل اسم يميز أثر المطر في الأرض .

وللرياح من الأسماء ما للسحاب والغيث ، فهي النكباء إذا وقعت بين ريحين ، وهي الجرياء إذا وقعت بين الجنوب والصبحا ، وهي المتناوحة إذا هبت من جهات مختلفة إلى آخر هذه الأسماء التي تبلغ أربعة وعشرين اسما .

ونظروا إلى الجبال في ارتفاعها وشهوقها ، فأدنى الجبل الحضيض ، ثم السفح ، ثم السند ، ثم السكيح وهو عرضه ، ثم الحضن ، وهو ما أطاف به إلى غير تلك الأسماء الكثيرة التي تدل على طول تأملهم فيها ، وإدمانهم النظر إليها ، فضربوا بها الأمثال .



## امتثالهم بمظاهر الطبيعة :

ولهم في وصف كل هذه الظواهر الرائع من الشعر ، والجيد من النثر ، فهم يحتفلون بها فيصوروها أجمل تصوير ، ومن نثرهم قول أعرابي يصف المطر :

« تدارك ربك خلقه وقد كلبت الأمحال ، وتعاصرت الآجال ، وعكف الياس ، وكتمت الأنفاس ، وأصبح الماشى مصرما ، والمترب معدما ، وجفيت الحلائل ، وامتهنت العقائل ، فأنشأ سحابا ركاما ، كنهورا سجاما ، بروقه متألقة ، ورعوده متقعمة ، فسح ساجيا راكدا ثلاثا غير ذى فواق ، ثم أمر ربك الشمال فطحرت ركامه ، وفرقت جهامه ، فانقشع محمودا وقد أحيا وأغنى ، وجاد فأروى ، والحمد لله الذى لاتكث نعمه ، ولا تنفد قسمه ، ولا يخيب سائله ، ولا ينزر نائله . »

ولشغفهم ببيئتهم ، وإعجابهم بطبيعتهم : المتحرك منها والساكن استمدوا منها أوصافهم واقتبسوا من مظاهرها صورهم ، في شعرهم ونثرهم ، رجالهم ونساؤهم على السواء ، وهذه قصة مارية امرأة حاتم الطائي تصف سنة أصابها وزوجها فيها القحط ، ثم نصف مع هذا كرم زوجها ، فتقول :

« أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض ، واغبرت أفق السماء ، وراحت الإبل حدبا حدابير ، وضنت المراضع على أولادها ، فما تبض بقطرة ، وحلقت السنة المال ، وأيقنا بالهلاك ، فوالله إننا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين ؛ إذ نضاعى صبيتنا جوعا : عبد الله وعدى وسفانة ، فقام حاتم إلى الصبيين ، وقت أنا إلى الصبية ، وأقبل يعلنى بالحديث ، فرفت ما يريد ، فتناومت ، فلما تهورت النجوم إذا شئ قد رفع كسر البيت ، ثم عاد ، فقال حاتم : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة . أتيتك من عند صبية يتعاونون عواء الذئاب ، فما وجدت معولا إلا عليك يا أبا عدى ، فقال : أعجليهم ، فقد أشبمك الله وإياهم ، فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى جنائبها أربعة ، كأنها نعامة حولها رثالها ، فقام حاتم إلى فرسه فوجأ لبته بمديته ، نخر ، ثم كشطه عن جلده ، ودفع المدية إلى المرأة ، وقال لها :

شأنك ، فاجتمعنا نشوى اللحم ونأكل ، ثم جعل يمشى فى الحى يأتهم بيتا بيتا ، فيقول  
هبوا أيها القوم ، عليكم بالنار ، فاجتمعوا ، والتفع فى ناحية ينظر إلينا ، فوالله إن ذاق من  
مزعة ، وإنه لأحوج إليه منا ، فأصبحنا وما على ظهر الأرض من الفرس إلا عظم وحافر .  
هذه القطعة فيها الجميل من الصور ، والبديع من الوصف ، وهو لا يحتاج إلى مز  
يكشف عنه ستوره ، أو يبدي مكنونه ، فوصف الأرض بالاقشعرار ، والسماء بالاغبرار ،  
وصف يشعر بالفاقة ، وينبئ عن الحاجة ، ووصف الإبل بالحدب والضمور ، والمراض  
بالضنّ والجفاف يدل على اختيار المعانى .

فالعربي يجوع ليطعم ناقته ، والأم ترضى ليحيا وليدها ، وما أروع وصفها الصبيا  
بأنهم يتعاونون عواء الذئاب ؟ فلصوت الذئاب نكر ووحشة ، وما أجمل تشبيه الأم بالنعامة  
تغطى اثنين من رثاها بجناحيها ، ويلتف من حولها بقية أولئك الرثال .

إنها جميعها صور مستمدة من تلك البيئة الغنية بأسباب الجمال ، السخية بروائع الصور  
والظلال ، قلنا إنهم اتخذوا من هذه البيئة أمثالهم وحكمهم ، فيقولون : أظلم من حية ،  
وأغدر من ذئب . قال الأسدى :

لمرك لو أنى أخاصم حية إلى فقمس ما أنصفتنى فقمس  
إذا قلت : مات الداء بنى وبينها أتى حاطب منهم لآخر يقبس  
فما لكم طلسا إلى كأنكم ذئاب الغضى ، والذئب بالليل أطلس

وقالوا : « ماء ولا كصدا » وهى ركية عدة . قال ضرار السعدى :

وإنى وتهيامى زينب كاندى تطلب من أحواض صداء مشربا

وقالوا : « لقد ذل من بالت عليه الثعالب » وأصله أن رجلا من العرب كان يعبد صنما ،  
فجاء ثعلب ، فبال عليه ، فكفر بصنمه ، وقال فى ذلك :

١٠٦ : أرب يبول الثعلبان برأسه ؟ لقد ذل من بالت عليه الثعالب

أثر البيئة فى الوصف :

وبعد فللبيئة العربية فى الأدب الأثر القوى ، ولها فى الوصف بصفة أخص الأثر

الأقوى ، منها يستمد معانيه ، ويستنبط أفكاره ، ويتخذ تشبيهاته ، ويستوهبها مادة أوصافه .

وإننا لنعلم فوق ما قدمنا عن طبيعتها أن العرب كانوا دائمى التسيار ، مدمنى الأسفار ، لا يكاد الواحد منهم يحط رحله اليوم حتى يشده غدا للارتياح والانتجاع فهم لا يطمثون فى مكان ولا يسكنون إلى دار ؛ لينالوا رزقهم ، ويبلغوا ما يتبلغون به ، يخرجون إلى مواطن الكلا ومناات العشب ، ومساقط الفيث ومنايع الماء .

وقد ساق إليهم هذا المحلُ الفقر ، وبمئ فيهم ذلك الجذبُ القحط ، فاستهانوا بالنفوس ، واستخفوا بالأرواح يزهبونها ويختطفونها ، فكان اشتعال الحروب ، واصطراع الجيوش ، مرأيناهم يشنون الفارات ، ويؤلقون العصابات ، ويوقدون نار الحرب التى كلما أطفأها عقلاؤهم أوقدها سفهاؤهم

وإذا آمنا بأن الشعر المضرى نهض نهضته القتية قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام مائة سنة ، وأن أول من هلل الشعر هو عدى بن ربيعة جاز لنا أن نقول : إن الحرب بين بكر وتغلب هى التى أطلقت لسانه ، وفكت عقاله ، أطلقتته بالقصائد الجياد التى سار على نهجها الشعراء من أبناء عصره ، ومن بعد أبناء عصره ، فقد قيل : إن هذه الحرب دامت أربعين عاما تتطاحن فيها القبيلتان باللسان واللسان .

وهكذا نستطيع أن نحكم بأن بيئتهم قد أثرت فى حياتهم الصاخبة الصارخة التى لا يستقر لها قرار ، ولا ينطفى للهبها أوار ، فلونت شعرهم بملائم هذه الحياة ، فوصفوها أجمع وصف ، وصوروها أحكم تصوير ، ولم يتركوا فى الفلوات والمغازات إذا كانوا من بنينا شيئا إلا وصفوه ، فوصفوا وحوشها الضارية ، وذئابها العاوية ، وظباءها السارحة ، وحرها القارحة ، كما وصفوا جوارح السماء وصادحها ، وخشاش الأرض وهوامها ، ثم وصفوا الرسوم والأطلال ، والسهول والجبال ، والأنواء والأمطار ، والعيون والآبار ، والبرق والرعد ، والأملك والكواكب ، ولم ينسوا أن يصفوا حياتهم فى جدم ولهوم ، وظنهم وإقامتهم ، وسلمهم وحرهم ، وأن يصفوا أدوات الحرب كالسيف والرمح والقوس والسهم ، وشأنهم

في الحضر، هو شأنهم في البادية ؛ فوصفوا جميع مظاهره ، وصفوا للنبات والأزهار ،  
والحدائق والأثمار ، والحجر ومجالس الشراب ، واللهو ومحافل الميسر . وعلى الجملة لم يتركوا  
في قراهم ومدنهم منظرا إلا رسموه ، ولم يستخدموا مما يقع في محيطهم أو تحت سمعهم وبصرهم  
حيوانا أو جمادا إلا وصفوه ، ولم ينالوا من متع الحياة شيئا إلا تحدثوا عنه ، وأشادوا به ، ولم  
يروا من بأسائها ضرا إلا ذكروه وشكوا منه . نخلدوا بشعرهم يبتئهم ، وأبقوه على الدهر  
صورة لحياتهم هي أصدق سفر للمؤرخين ، وأدق سجل للباحثين ، ولذلك قالوا صادقين :  
« الشعر ديوان العرب »

## أقسام الوصف

### الطبيعة في الشعر العربي :

يقسم الأدباء الوصف إلى قسمين : وصف الظواهر الطبيعية التي هي من خلق الله القادر  
المبدع ، ووصف الآثار الإنسانية التي هي من صنع الإنسان الخاذق المخترع ، ومن إخراج  
اليد الصّناع ، ثم هم يتناولون الظواهر الطبيعية فلا يجدونها متماثلة في جميع الخصائص ،  
فيعقدون بينها موازنة تنتهي إلى تقسيمها قسمين : الظواهر المتحركة ، وهي كل ما يجري فيه  
ماء الحياة وينبض بالحركة : من حيوان أنيس كالناقة والفرس ، والكلب والمعز والغنم ،  
أو حيوان آبد كالأسد والضبع ، والذئب والثعلب ، والحشرات والهوام .

والظواهر المتحركة إما خارجية كهذا الذي قدمنا أمثلة له ، ويسميه الغربيون الوصف  
الموضوعي ، وإما داخلية ، وهي تلك التي تمثل أحوال قائلها ، فتصف خواطر نفسه ، أو  
خفقات قلبه ، أو تقرّح كبده ، أو تحرق فؤاده ، أو هجسات وجدانه ، أو همسات شعوره ،  
أو لمحات أفكاره ، أو ومضات إنسانه ، إلى آخر ما يصوره من تلك التموجات النفسية ،  
والاهتزازات العاطفية ، وهو الوصف الذاتي .

والظواهر الساكنة ، وتنصرف إلى كل ما تشتمل السموات والأرض من أجرام  
وكواكب ، وجبال وصحارى ، ووهاد ونجاد ، وبحار وأنهار ، وما ينشأ عن هذه وتلك من  
مد وجزر ، وبرق ورعد ، وغيث ومطر ، وزلازل وبراكين ، وزعازع وأعاصير .

وللشعر العربي في هذه وتلك الآثار الجلية ، ولا نظن أن آداب أمة ذات شاعرية تدانى الأمة العربية في العصر الجاهلي في وصف الظواهر الطبيعية الموضوعية ، وبخاصة الحياة منها ، وسنعرض من جميع ماتقدم ما فيه مقنع لكل شاكّ في أن العرب في القديم قد فاقوا أضرابهم في أكثر ضروب الوصف .

### غلبة الحس الفردى على الوصف عند العرب :

وبعد ، فالوصف يدور في غالب أمره على الحس الفردى الذى يشعر به صاحبه عندما يكون في حال تماثل حال الشاعر الذى يصور ذلك ، أما الإحساس الجماعى ، فلا يصوره الشعر في العصر الجاهلي ؛ لأن حياة الجماعة لم تكن واضحة المعالم في تلك العصور ، فالشاعر يتحدث عن نفسه أو ما يمس نفسه ، لا يكاد يتجاوزها بالنظرة البعيدة ، أو الفكرة الشعبية . على أن هذا لا يفض من قيم الوصف العربى ، فقد فطر الشعب العربى على ثوران النفس ، وتوقز الحس ، لا يطمئن ويهدأ حتى يفكر ويتعمق ، فشعره قائم على البديهة والارتجال أو ما يشبه الارتجال ، ومن كان هذا شأنه لا يرضى من شعره إلا بما يرضى عاطفته ؛ ويعبر عن شعوره .

على أن من شعرهم ما يعتمد على الحس والخيال معا ، والعاطفة والتصوير والتمثيل ، وسنعرض في هذا الكتاب لكثير مما يقوم دليلا على أن ألوانا من الوصف قد امتزج فيه الحس بالخيال ، وسيان بعدئذ أن يكون الخيال ماديا أو روحيا

### عوامل الشاعرية :

من الأدباء من يقول : « إن شعراء العرب لم يكونوا ينظرون إلى الكون النظرة الشاملة الواسعة ، ولم يكونوا يشعرون بما فيه من مظاهر الجمال ، وأسرار الحياة إحساس الشعراء الغربيين » وكأنى بأولئك قد نسوا أن الطبيعة الشعرية ليست العامل الفردى فى الشاعرية ، وإنما هى أحد العوامل التى منها : الثقافة والحضارة والبيئة والعصر والخلق ؛ فالعرب فى عصورهم الأولى لم يكونوا قد بلغوا من قوة التفكير ما بلغه شعراء هذه العصور الذين غمرتهم الثقافة ، وشملتهم الحضارة ، وربطتهم بغيرهم أسباب وأسباب .

## نهجنا في التأليف :

هذا وسنقسم الشعر الوصفي إلى قسميه المعروفين : وصف الظواهر الطبيعية المتحركة والساكنة ، ثم وصف الآثار الإنسانية .

والشعراء في العصر الجاهلي كانوا أكثر في القسم الأول افتنانا إلا فيما يتصل بالطبيعة الداخلية ، إذ لم تكن الآثار الإنسانية وفرت - فيما عدا أدوات الحرب - حتى تلفت إليها أنظار الشعراء .

سيكون نهجنا أن نجمع القطع المتحددة الموضوع ، المتقاربة المعاني ، نضعها جميعها في إطار قد وشى بالتفسير والشرح ، والتحليل والنقد ، ونبرز ما قد يكون فيها من صور شعرية ، وما في هذه الصور من دقة في الفن ، وجودة في الوصف .

وعندنا أن التفسير أول واجب على المؤلف ؛ حتى لا يحمل القارىء عبء الانصراف عن القراءة إلى مراجعة المعجمات يسألها البيان والإيضاح ، فينبعث في نفسه الميل إلى الانصراف عن هذا الشعر الذي لا يفهم إلا بمساءلة القواميس ، وشرح هذه القطع شرحا تصويريا يجب إلى شدة الأدب آثارهم القديمة ، ويزجى إليهم اللذة الفنية .

ولا نريد إحصاء ، فالشعر العربي زاخر بمادة الوصف ، ومكان ذلك الإحصاء إنما هو دواوين الشعراء ، وإن كنا سنورد أمثلة للكثرة الغالبة من الشعراء ، دون تمييز بين من اشتهر بالوصف ، ومن لم يشتهر به ؛ لنبين أن العرب أجمعين كانوا وصاهين . ولنبدى لكل قارىء أن الوصف في الشعر العربي كان يغلب جميع ضروب الشعر

هذا ولن نعرض لوصف الناس : رجالا ونساء ، بهذا باب المدح أو الغزل أو الهجاء ، حتى ولو كان معبرا عن دراسة نفسية ، كقول أحد الشعراء عن أخلاق النساء :

رأين الغواني الشيب لاح بمارضى فأعرضن عني بالحدود النواضـ

١٠٨ : وكن إذا أبصرنني أو سمعن بي سعين فرقن الكوى بالحاجر

لأن ذلك سيخرجنا عن الوصف إلى كل ما يمت إليه ، وما أكثر ما يمت إليه

ويتصل به .

## قيمة الوصف في العصر الجاهلي :

كان الوصف في العصر الجاهلي أقوى فنون الشعر ، فكلمنا عن لأحدم أن ينظم شعراً كان الموحى به هو الوصف ، سيان في ذلك أن يكون وصفا للطبيعة المتحركة أو الساكنة ، يبدوون به قصائدهم التي قد يكون الدافع إليها ضربا سواه ، ولكن الشاعر ينسى هذا الضرب ، وقد لا يلزم به إلا إلماما ضئيلا .

وشغفهم بالوصف دفعهم إلى أن يصفوا بعض التافه من عاداتهم ، فمن ذلك أن غلمانهم كانوا إذا ثغروا رموا أسنانهم في عين الشمس بسباباتهم وأباهيمهم ، وقالوا : أبدلينا أحسن منها ، فوصف ذلك طرية بقوله :

بدلته الشمس من منبتها بردا أبيض مصقول الأشر

وكانوا يزعمون أن الإبل إذا أصابها العر ، فأخذوا الصحيح فكووه زال العر عن السقيم ، قال النابغة في وصف تلك العادة :

وكلفتني ذنب اسرى وتركته كذي العريكوى غيره وهو راتع

ومن ذلك لعبة الفيل حين شبه بها طرفة السفينة في البحر تشقه ، فقال :

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المقابل باليد

وذكروا الوشم الذي كانوا يستوشمون به ، فقال زهير في مطلع معلقته :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بمجومة الدراج فالمتشم ؟

ودار لها بالرقتين كأنها مراجع وشم في نوأشر معصم

وقال طرفة في المعنى ذاته في أول معلقته :

١١٤ : لخولة أطلال بيرقة نهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وذكروا أكل المرة أولادها حبا لها ، وأكل الضب إياها عقوقا منه ، فوصفوا به بر

الرجل ، فقال العملى بن عقيل لأبيه :

أكلت بنيتك أكل الضب حتى وجدت مرارة الكلال الوبيل  
فلو أن الألى كانوا شهودا منعت فناء بيتك من يجيل

وليس كل ذلك في حقيقة الأمر من وصف الطبيعة الساكنة أو المتحركة ، وإنما هو وصف للعادات ، وهو يدلنا على إمعان في الوصف إمعانا لم يقف عند حد ، وإن أنكر ذلك المنكرون ، فأى وصف للطبيعة الداخلية والنفس المتغيرة أقوى من قول علقمة الفحل :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأحوال النساء طيب  
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودهن نصيب  
يردن ثراء المرء حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

وأى وصف أبدع تصويرا لأخلاق النساء وغريزة حب الاستطلاع من قول المثقب العبدى :

١٢٠ : ظهرن بكلة وسدلن رقما وثقبن الوصاوص للميون

وكل هذا وسواه مما سنعرضه في هذا الجزء يدل على أن الوصف الجاهلي بلغ مبلغا عظيما





## لفضل الخامس

### وصف الطبيعة المتحركة في العصر الجاهلي

عنى الشاعر الجاهلي بوصف الطبيعة المتحركة العناية كلها ، ولا سيما وصف الناقة والفرس ، وله ما يبرر هذه العناية بهذين الحيوانين أكثر من عنايته بسواهما ، فإن الناقة أعظم خلق أَرْضِيَّ في نظره ؛ لما يفيد منها ، ولما تسديه إليه من صنائعها ، فهي صديقة حله وترحاله ، ورفيقة ظمئه وإقامته ، تحمل له الكل ، وتعينه على نوائب الدهر ، وتصبر معه على لأواء الأيام ، دون أن تشكو نصبا ، أو تحس لغوبا ، وإن أحسته لم تضجر ولم تتملد .

إنها تظماً فلا تشكو الصدى ، وتجويع فلا تظهر الأسي ، وتقطع بجليها الصحارى في الصبر الجميل والوفاء الكريم ، فإذا أقام شرب لبنها ، ونسج وبرها ، وطعم لحم فصالها ، هذا إلى أنها تؤنس وحشته ، وتخفف عليه وحدته ، يحدوها فتشاركه في عواطفه ، ويفنيها فتشاطره جميع مشاعره ، تنقاد له انقياد الصديق لا انقياد الذليل ، وتطيعه طاعة الرقيق لا طاعة الرقيق ، فلو شاءت لحرمته امتطاءها ، ومنعته وبرها ولبنها وفصالها ، فهي في ضخامتها وجسامتها ، وقوتها ومُنْتها تستطيع أن تدفع عن نفسها ، ولكنها تفتيح إذا أراد إناختها ، وتنهض حينما يطلب نهوضها ، وترقل إن ابتغى منها إرقالا ، وتخذ إن أحب منها وخدا ، فكيف به بمد كل ذلك لا يحفظ ودها ، ولا يحسن نعتها ؟

ثم يتبع بوصفها وصف ما يشبهها من بقر وحشى فيبدع في وصفه ماشاء له الإبداع ؛ لأنه شبيه ما منحه مودته ، ونظير ما أولاه تقديره .

وإن الفرس لأجل ما خلق الله في نظره ، وهو إلى هذا الجمال الفتان صديق حربه  
وسلمه ، ولهوه وجدده ، وطردّه وصيده ، لا يضمن عليه بجهد ، ولا يبخل دونه بشأو ، إذا  
حارب كان له أوفى من سيفه ورمحه ، وأسدّ من قوسه وسهمه ، وإذا سالم شاركه في خيالاته ،  
وعاونه على بناء مجده وسنائه ، وإذا ابتغى صيدا كان قيد الأوابد ، أو أراد طرداً آلى على  
نفسه أن يلحق المطارد ، وأمهار الفرس ثروته المدخرة ، وكنزه الثمين ، فهي كما قال الشاعر :  
\* قليلة كالكرام ، عزيزة لاتضام \* وإذا وصف فرسه انتقل منه إلى وصف  
ما يتصل به فأنا يصف الصيد والطرْد ، وأنا يصف المارك والحروب ، وإذن فلا غرامة  
أن يفتن بهما ، فيفتن في وصفهما .



## ( ١ ) وصف الناقة

١ — قال طرفه بن العبد \* يصف ناقته في معلقته التي أولها :

خولة أطلالٍ ببرقة شهيدٍ      تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد<sup>(١)</sup>

وَإِنِّي لَأَمْضِي الْمَهْمَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ      بموجاءٍ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَمْتَدِي<sup>(٢)</sup>

أَمُونٍ كَأَلْوَابِ الْإِيرَانِ نَسَاتُهَا      على لاجبٍ كأنه ظهر بُرْجُودٍ<sup>(٣)</sup>

١٢٤ : تَبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعَتْ      وَظَيفًا وَظَيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبَدٍ<sup>(٤)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو طرفه بن العبد بن سفيان البكري ، وطرفة لقبه ، واسمه عمرو ، وهو من أشعر شعراء العصر الجاهلي ، ومعلقته التي منها هذه الأبيات من أجود المعلقات ، ومن أروع الشعر الوصفي ، فهي جميعها وصف ، وقد اشتملت على معان لم تشتمل عليها غيرها ، قتل بأمر من عمرو بن هند لأنه هجاء ، ولم تكن سنه بلغت الثلاثين ، فكيف به لو عمرا ؟ قتل حوالي سنة ٥٥٢ م

التفسير المفرد : (١) خولة : خليلته ، قيل : إنها امرأة من كلب . الأطلال : جمع طلل ماشخص من آثار الديار . البرقة : الراية من الرمل والطين . الوشم : غرز الإبر ، ثم يفر عليه الكحل فيبقى سواده ظاهرا .

(٢) لأمضي : لأذهب . احتضاره : نزوله . العوجاء : الناقة النشيطة لا تستقيم في سيرها . مرقال : سريعة . تروح وتمتدي : يستوي عندها سير الليل والنهار .

(٣) أمون . مأمونة العثار . الإيران : التابوت . نساتها : ضربتها بالمنسأة . لاجب : طريق واضح . برجد : كساء مخطط .

(٤) تباري : تسابق . عتاقا : جمع عتيقة كرائم : ناجيات : جمع ناجية سريعات . الوظيف :

عظم الساق . المور المعبد : الطريق المهد .

- تربعت القفنين بالشول ترتعي (٥) حدائق مولى الأسرة أغيد (٥)  
تربع إلى صوت المهيب وتثقي (٦) بذى خصل روعات أكلف ملبد (٦)  
كان جناحي مضرحي تكنفا (٧) حفايه شكا في العسيب بمسرد (٧)  
مطورا به خلف الزميل وتارة (٨) على حشف كالشن ذاو نجدد (٨)  
لما فخذان أكل الذخض فيهما (٩) كأنهما بابا منيف ممدد (٩)  
وطى محال كأنني خلوه (١٠) وأجرنة لزت بدأي منصد (١٠)  
١٣١: كان كناس ضالة يكنفها وأطرقسي تحت ضلب مؤيد (١١)

(٥) رجت : رعت الربيع : القفين : مثنى قف ، وهو الأرض المرتفعة . الشول : الإبل شالت صروعها . المولى : اللد . توالى عليه المطر . الأسرة : مفردا سرارة ، بطون الأودية . الأغيد : الناعم من كل شيء .

(٦) ربع : رجع . المهيب : الراعى يهيب بها ويدعوها . بذى خصل : بذيل كثيف الوبر . الروعات : الإفزاعات . أكلف : أحمر ضارب إلى السواد . الملبد : التلبد ويره .

(٧) المضرحي : العتيق من الدور يصرب إلى البياض ، وهو طويل الجناحين . تكنفا : صار من حانيبه . حفايه : حانيبه . شكا : غرزا . العسيب : أصل الذنب . بمسرد : بمخضف .

(٨) الزميل : الرديف ، ويهصد موضعه . الحشف : الأخلاف جف لبنها . الشن : القرية الثالثة . الداوي : الذابل . ياس : المجدد : الذاهب اللبن .

(٩) النحض : اللحم . المنيف : العاير . وهو وصف لموصوف محذوف أى قصر منيف . ممدد : ملس أو مطول ، وهو المقصود هنا .

(١٠) المحال : فقار الظهر الواحدة محالة ، وهي خاصة بققر البعير . الحى : مفردا حنية القسى . الخلوف : مفردا خلف الأصلاع . الأجرنة : جمع جران باطن العنق ، وجمعه لما حواله لزت : قرن بعضها ببعض . الدأى جمع دأة وهي فقار العنق أو الظهر . منصد : منسق منظم .

(١١) الكناس : بيت الطي يحتضره في أصل الشجرة كالسرب والجحر . الضالة : شجرة السدر . يكنفها : يحيطان بها . الأطر : العطف . مؤيد : مقوى مشدد .

- لها مرفقان أفتلان كأنما تمرُّ بسلمى دالجٍ مُتَشَدِّدٍ (١٢)  
كقنطرة الرُّومى أفسمَ ربهَا لتكتنفن حتى تشادَ بقرمَدٍ (١٣)  
صهابيَّةُ العُثنونِ مُوجَدَةُ القِراَ بعيدةٌ وَوَدِ الرَّجُلِ مَوَارِدُ اليَدِ (١٤)  
أمرتُ يداها فتلَ شزرٍ وَأَجْنَحَتُ لها عَصداها في سَقِيفِ مُسَنَدٍ (١٥)  
جنوحٌ ، دُفاقٌ ، عَنَدلٌ ، ثم أُفْرِعتُ لها كَتِفَاها في مُعالى مصدِّدٍ (١٦)  
كانَّ عُلُوبَ النَّسْعِ في دَأْيَانِها مَوَارِدُ مِنْ حِنَاءٍ في ظَهْرِ قِرْدِدٍ (١٧)  
١٣٨ : تَلاقى وَأَحيانا تَبِينُ كأَها بَنائِقُ غُرَّةٍ في قَميصِ مُقَدِّدٍ (١٨)

- (١٢) المرفقان : مثنى مرفق ، الوصلان بين الساعد والعصد . أفتلان : محكان . السلم : الدلوذات عروة واحدة . الدالج : النازح بالللو من البئر إلى الحوض .  
(١٣) لتكتنفن : لتؤتين من أطرافها لتبنى . تشاد : رفع . بقرمد : بأجر .  
(١٤) صهابية العثنون : حمراء ماتحت لحبيها من الوبر ، والصبية يياض تخالطه حمرة . موجدة : محكمة . القرا : الظهر . الوخد : ضرب من السير السريع . مواردة اليد : دواردة القامتين الأماميتين .  
(١٥) أمرت . قتلت . قتل شزر : قتلا إلى أعلى . أجنحت : أميلت . سقيف مسند : سقف متاسك .  
(١٦) جنوح : مائلة . دفاق : متدفقة في السير . عندل : ضخمة الرأس . أفرعت : عوليت . معالى : اسم مفعول من على يعالى . مصعد : مرتفع .  
(١٧) العلوب : مفردها علب بفتح العين الآتار . النسع : الحبل من الجلد مضفور . الدأيات : منتهى الأضلاع . الموارد : طرق المياه . الحلقاء : الصحرة المساء . القردد : الأرض المستوية الصلبة .  
(١٨) تبين : تفرق . البنائق : مفردها بنية قطع القميص من الأجناب . عر : ييض مفردها غراء . مقدد : مشقق .

- وأُتلعُ نَهَاضٌ إذا صَعَدَتْ به (١٩) سَكَانَ بَوْصِيٍّ بِدِجْلَةٍ مُضْعِدٍ (١٩)  
وَجُمُجَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّهَا وَعَى اللَّتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مِبْرَدٍ (٢٠)  
وَخَدٌّ كَقِرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٌ كَسَبَتْ أَلْيَابِي قَدَّهُ لَمْ يُحْرَدِ (٢١)  
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ اسْتَكْنَفَتَا بَكَهْفِي حِجَاغِي صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدٍ (٢٢)  
طَاحُورَانِ عُوَارَ الْقَدَى وَمَرَاهَا كَمَكْحُولَاتِي مَذْعُورَةٍ أُمَّ فَرْقَدٍ (٢٣)  
وَصَادَقْنَا سَمِعَ التَّوْجُسِ لِلشَّرَى نَجَسٌ خَفِيٌّ أَوْ لَصُوتٍ مُنْدَدٍ (٢٤)  
١٤٥: مَوْلَاتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَأَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مَفْرَدٍ (٢٥)

- (١٩) الأتلع : الطويل العنق . النهاض : القوي للرفع في سيره . صعدت به : أشخصته إلى السماء . السكان : الدقة . البوصي : النوى . دجلة : نهر بالعراق . « انظر المصور »  
(٢٠) العلاة : السندان . وعى : تماسك . اللتقى : مجتمع عظام الرأس . الحرف : الحد .  
(٢١) القرطاس : ورق الكتابة . الشامي : الكاتب المنسوب إلى الشام . المشفر : للجمل كالشفة لغيره . السبت : الجلود المدبوغة أو من حلد القر خاصة . قدده : قطعه . لم يحرد : لم يعوج في تقطيعه .  
(٢٢) كالمآويتين : كالمآتين . الكهف : الغار في الجبل . الحجاج : العظم المشرف على العين . القلت : النقرة في الصحرة أو العين . المورد : منهل الماء .  
(٢٣) طحوران : دفاعتان . العوار : ما يضر العين كالقذى . المذعورة : وصف لوصوف محذوف هو بقرة أم فرقد : كناية عن البقرة الوحشية ، والفرقد اسم ولدها .  
(٢٤) التوجس : التسمع بخذر . السرى : السير لئلا حيث يجب الحذر . المهجس : الحركة . مندد : مرفوع .  
(٢٥) مؤللتان : محددتان . العتق : الكرم . الشاة : الثور الوحشي . حومل : اسم مكان . مفرد : صفة لشاة ، وجاء اللفظ بلاهاء ، لأنه أراد الثور الوحشي ، وانمراده يجعله أحد سمها ؛ إذ ليس هناك ما يشغله .

وَأَرَوْعُ نَبَاضٌ أَحَدٌ مُنَلَّمٌ كِرْدَاةٍ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمَّدٍ (٢٦)  
وإن شئت سامى واسط الكور رأسها وعامت بضبعيها نجاء الخفيديد (٢٧)  
وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوىء من القدِّ محصد (٢٨)  
وأعلم مخروت من الأنف مارن عتيق متى ترجم به الأرض تزد (٢٩)  
١٥٠ : كلى مثلها أمضى إذا قال صاحبي ألا ليقتني أفديك منها وأفتدي (٣٠)



- 
- (٢٦) الأروع : صفة لموصوف محذوف هو ، القلب ، والأروع : الفزع الخائف . نباض : كثير النض والخفقان . احد : أمدس مللم : مجتمع . كيرداة : كصخرة تكسر بها الصخور لصلابتها . الصفيح : المريض من الحجارة . المصمد : الصلب لاخور فيه .  
(٢٧) سامى : على وطاول . واسط الكور : العود بين موركة الرجل ومؤخره ، وموركة الرجل الموضع الذى يضع عليه الراك رجله . بضبعيها : بعضديها . نجاء : إسراع . الخفيديد : الظليم .  
(٢٨) الإرقال : ضرب من السر السريع . الملوى : وصف للسوط . القد : الجلد . المحصد : الحكم .  
(٢٩) الأعلم : وصف للشفر ، والعلم : الشق فى الشفة العليا ، وضده الفلح ، وهو شق الشفة السفلى . المخروت : المشقوق . المارن اللين . عتيق : كريم . ترجم : تضرب به الأرض . تزد : تضاعف سيرها .  
(٣٠) منها الضمير يعود على الفلاة الموحشة الخيفة .

## تحليل الأبيات :

هذه قصيدة كاملة في وصف الناقة ، وإن تكن جزءا من معلقة طرفة ، فقد بلغ وصفه للناقة ثمانية وعشرين بيتا ، وهو قدر لم يبلغه شاعر سواه ، وكلها تفيض بالمعنى وتزخر بالأفكار ، فليس فيها بيت يمكن أن يقال عنه : إنه انحرف فيه عن موضوعه ، أو حاد عن غرضه ، بل إن الأبيات إلى الإيجاز بنوعيه : إيجاز الحذف وإيجاز القصر أقرب منها إلى الإسهاب والإطناب .

ولو أن رساما نابغة زايد صناع ، وريشة مطواعة وقف يتأمل الناقة جزءا جزءا ، ثم يرسم ما تأمله ، وما يمكن أن يتخيله ما بلغ هذا الذى بلغه طرفة ، فسيكون الرسم صامتا لا ينبض بحياة ، ساكنا لا يشعر بنأمة ، أما الأبيات فتنبض بالحياة ونفيض بالحركة .

في هذه الأبيات صور كثيرة تبهر أقدر المصورين ، وتعجز أبغ الرسامين ، ولقد أعجب بهذا الوصف القدامى والمحدثون ، ولا نعرف أحداً من أولئك أو هؤلاء جرؤ على القول بأن في الوصف عيبا ، أو أن في الخيال شططا ، فالأخيلة جميعها مستمدة من بثته ، مقتبسة من طبيعة أرضه ، مأخوذة عن المحسوسات ؛ إذ وصف الناقة لا يستقيم بغير المحسوسات .

قال : إنى لأزِيل هِىَ وَغَمَى بامْتِطَاءِ نَاقَةٍ نَجِيْبَةٍ ضَامِرَةٍ ، سَرِيْعَةٍ مَرْفَالٍ ، تَصِلُ بِمَسِيرِ اللَّيْلِ سَيْرَ النَّهَارِ ، دُونَ أَنْ يَخْشَى رَاكِبُهَا الْعَثَارَ ، وَكَيْفَ تَعَثُرُ وَجَسْمُهَا فِي صَلَابَتِهِ كَالْوِاحِ التَّائِبُوتِ ؟

لقد مستتها بالنساء لأستثير همتها في طريق قويم ، لأمت فيه ولاعوج ، كأنه الثوب المستقيم الخطوط .

ومن قداماء النقاد من زعم أنه لم يرد في قوله : « على لاحب كأنه ظهر بوجد » ظهر الكساء دون بطنه ، وكأنه يقول : إن « ظهر » حشو ، والأمر ليس كذلك ، فظهر الكساء هو الذى تظهر خطوطه واضحة ، أما بطنه فلا تكاد تظهر له خطوط ، وهى دقة محفى على غير طرفة المتأمل المتمعن .



ناقتي تلك تبارى في سيرها كرائم النياق ، وبجانب العتاق ، فتغذ السير ، وتتبع  
الوظيف الوظيف فوق ذلك الطريق المعبد ، وهي الكريمة عندي ، الأثيرة لدى ، فأنا  
أربعها نبات الربا ، وأرعياها عشب الحدائق ، وهذا وذاك أجل ماننته الصحراء ، بل من  
أجل ما تخرجه الأرض ، أرعياها نبات الربا وعشب البساتين بين نياق قد جفت ضروعها ،  
ونضبت أخلافها ، فقيهن إلى الطعام هم ، ولهن على التهامه قدرة ، فيبعثن فيها الميل إلى  
التنافس في الرعى من ذلك المرعى الناعم الأريص الذي يلاحق وسميه وليه ، فهو دائم  
الإعشاب ناعم التراب .

وهي ناقة مدعانة إذا أهاب بها حادياها سمت إليه سراعا متقية بذيلها ذى الخصل  
الكثيفة ما قد يعترض طريقها من الفحول الشداد . تلك الفحول الكلف الملبدة خصل  
ذيوها لكثرة ثورانها . ولكنها لاتباليها في سبيل الإجابة لإهابة داعيها ، ذنبها الذيال  
المنبسط الوبر يشبه جناحي النسر العتيق الطويل الجناحين ، فكأنهما قد غرزا  
في عظامه ، وهذا تشبيه واسع الدلالة ؛ إذ يدل على أنها قوية كقوة جناحي النسر ، وأن  
ذيلها منبسط انبساط الجناحين ، كما يدل على غزارة وبره ، فهي به معجبة ؛ فطورا تضرب  
به مكان الرديف لحادياها ، وآخر تضرب به أخلافها ، فهو حينما إلى أعلى ، وحينما  
إلى أدنى ، وفي الحالين تبلغه المكان القصى البعيد ، يبلغ به أخلافها التي جف لبنها ،  
فصارت كالقربة البالية ، والشن الذابل ، ولها فخذان مكتنزان باللحم ، كأنهما لضخامتها  
مصراعا باب لقصر مشيد منيف ، وفقار ظهرها متداخلة متماسكة ، وهي مع الأضلاع  
المتصلة بها كالقسي اقترن بعضها ببعض في صفوف مترابطة ، وما بين مرفقي الناقة منبسط  
وسيح ، كأنه كناسان محفوران في أصل شجرة سدر ، وكأن قسيا متعاطفة تحت أضلاعها  
الصلبة ، فهي لذلك مأمونة المسير .

ولما وصف ما بين مرفقيها بالانبساط أراد أن يزيد المعنى إيضاحا فقال :

إن مرفقيها المفتولين المتباعدين يشبهان دلوين يحملهما سقاء قوى ، إحداهما في يمينه ،  
والأخرى في يسراه ، فهو لقوته يبعدهما عن جانبيه ؛ حتى لا يحمثكا بثيابه ، وهي  
في امتدادها وصلابة أجزائها كقنطرة رجل رومي حاذق الصناعة ، محكم البناء ، بصير

بجاراته وأدواته ، فهو يقسم أن يبينها من جوانبها بالآجر ؛ حتى لا يصيبها وهن ، وهى من النوق المتكاملة الجمال ، فما تحت لحبيها أحمر ، وهى قوية الظهر ، شديدة الأسر ، بعيدة الخطو ، دوائر اليد ، وفى هذا البيت تقسيم رائع فى معنى وافر لا يفيض من قيمته أنه تكرر لى سبق ، فكأنه أراد أن يجعل بعد تفصيل ، شأن العليم بالفرائض يجمع المتفرق ؛ ليثبتته فى الأذهان ، وهو إلى هذا من طرق شعراء ذلك العصر ، وأحسب أن شيئاً آخر غير العلم بالفرائض يدعو إلى التكرار هو أنهم فى أمية تحتاج إلى التقرير والتأكيد .

أحكمت فأتمتها الأماميتان أيما إحكام ، فكأنهما مفتولتان فتلا شزرا ، وأميلت عضداها تحت جنبها ، فكأنهما سقفان أسند بعضهما إلى بعض ، تجنح فى سيرها لفرط نشاطها ( وليس بين هذا البيت والبيت الثالث . . . أمون كألواح . . . تناقض ؛ لأنه فى البيت الثالث حملها على الاستقامة بمنسأته ) وتدفق فى طريقها ضخمة الرأس ، مرتفعة الكتفين على ظهر قد علا وتسامى ، وأن آثار النسع فى ظهر هذه الناقة وجنبها موارد ماء ينبجس من ناقة ملساء فى أرض صلبة غليظة ، وهو تشبيه كامل الحسن ، دقيق العرض ، فقد شبه خطوط الأساع بموارد الماء فى بياضها وامتدادها ، وشبه جنبها بالصخرة الملساء فى الصلابة والنعومة ، وجعل ظهرها صلباً كالأرض الغليظة ؛ إذ فى الظهر السنام ، هذه الموارد تبدو للعين متلاقية متجمعة حيناً ، ومتفرقة متباعدة حيناً ، فتتلاقى تحت إبطها عند ما تربط بينها العرا ، وتباعد عما ترتفع إلى الرحل ، فكأنها بنائق بيض فى قميص شقق ووصل ، وهذا البيت يتم الصورة فى البيت السابق .

ولها عنق سامق ، إذا رفعت من كسكان النوقى يسير بزورفه فى دجلة ، والتشبيه يجمع بين حركتى العنق والسكان فى ارتفاعهما حين تسير الناقة ، وحين تجرى فوق الماء السفينة ، ولها جمجمة صلبة كأنها السندان ، فكأنما طرفاها يجتمعان عند ملتقى صلب محدد تحديد المبرد ، وهو تشبيه بالغ الحسن ، قال عنه الأصمعى : « لم يأت أحد غير طرفه بهذا التشبيه » ولها خد ، صقول قد حلا من الشعر الذى يشين الحدود ، فكأنه

لانصقاله قرطاس كاتب شامى ، فهو يختار لما يكتب أرق القراطيس وأبيض الورق ، ينتهى بمشفر طويل لين مستقيم ، كأنه مقدود من جلد البقر المدبوغ بالقرظ ، واستقامة المشفر دليل فتاء الناقة وشبابها ، ولها عينان صافيتان متألقتان كمرأتين ثبتتا في عظمتين غائرتين ، كأنهما لغورها وصلابتهما نقرتان في جبل ينبع منه أصفى الماء ، هاتان العينان تدفمان ما يمكن أن يصيب العيون من عوار أو قذى ، فهما في صفائهما وكحلهما كمينى بقرة وحشية مذعورة من صائد تزقبه ونحذره على نفسها وعلى فرقدتها ، والبقرة في تلك الحال أجمل ما تكون عينا ، وأحد ما تكون بصرا ، ولها أذنان سماعتان متوجستان في السرى ، سواء عندها أكان ما تسمعه مجسا خفيا أم صوتا عاليا ، أذنان دقيقتان محدودتان تحديد الحربة ، فكأهما أذنا ثور وحشى في مكان موحش ، فهو لوحده ووحشته حديد السمع ، شديد الحذر . ذات قلب عظيم الارتياح ، سريع الخلفقان ، خفيف ذكى مجتمع ، كأنه الصحراء العظيمة بين أضلاع كالحجارة العراض ، وذات مشفر معلم ، وأنف مثقوب لين ، فاذا أومات به إلى الأرض اندفعت كالسهم لا تأبه ما يعترضها .

وهى مروضة ذلول ، إن أردتها على الإسراع لبت إرادتك ، وإن شئت منها البطء أجابت مشيئتك خشية سوط ملوى محكم مقدود من الجلد ، وإن أردتها على أن تطاول برأسها العسود في واسط كورها كان لك منها ما تريد ، وجميع ذلك لفرط نشاطها ، وامتلاكى زمامها ؛ حتى لتشبهه إذ تسبح بعضديها الظليم الطويل الساقين .

على مثل تلك الناقة التامة التكوين ، الكاملة الأعضاء ، أقطع الفلاة التى تخيف الشجاع الجرى .؛ حتى ليقول صاحبي : ليت لى ما أفتديك به وما أفتدى به نفسى ؛ لتكتب لنا النجاة ، تكون هذه الناقة سبيل الأمان ورائد الحياة .

### النقر :

وبعد ، فإن التأمل في هذه الأبيات يستنبط منها ما يمكن أن يتخذ حكا عاما على الوصف في الشعر الجاهلي ، فهو لا يعنى بالترتيب ، ولا يبالي بمواقع الأعضاء ، فقد وصف أول ما وصف سرعة الناقة ، وانتقل من وصف سيرها إلى وصف أضلاعها ، ولم يسرف في هذا طويلا بل رجع إلى وصف منزلتها في نفسه ، وإكبارها لها ، ثم عرج على وصف ذيلها ، وهكذا ، لاتراه يسير على نمط ، بل أشد ما يتأثر به هو أول ما يبدأ بوصفه .

وهو يعتمد على التشبيه كل الاعتماد في تصوير ما يشاء تصويره ، ويغلب أن يكون واضحاً كل الوضوح ، فكأنه اختار لكل جزء لونه الملائم له ؛ لتكون الصورة كما يقولون « طبق الأصل » فأى جمال في التشبيه يفوق قوله :

أمون كألواح الإيران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد

وقد عرضنا لدقة التشبيه في تحليل هذا البيت ، وأظهرنا أن أى كلمة لا يعنى عنها غيرها ، فهي مأمونة المسير ؛ لأن أعضاءها صلبة كألواح التابوت ، وهي تطوى طريقا لاحبا ، قد رسم طرفه كثرة المسير فيه فهو يظهر كالكساء المخطط خطوطا طولية ، أو قوله :

لها فخذان أكل النحض فيهما كأنهما بابا منيف مـمرد

لم يكف أن يشبه فخذيهما بأنهما كبابى القصر في استطالتهما وتقابلهما ، فوصف القصر بأنه شاهق أملس ، لأن فخذى الساقين أملسان ، والملاسة من آثار السمنة ، أو يفوق قوله :

وعينان كالمأويتين استككتنا بكهفي حجاجى صخرة قلت مورد

واعلمه لاحظ في هذا البيت أكثر من علاقة بين المشبه والمشبه به ، فالعينان كالمراتين المستكنتين في مغارة جبلية ، ولعمان العينين في هاتين النقرتين كالماء ينبع من تينك المغارتين ، إلى غير هذه التشبيهات الدقيقة التصوير .

كما أن الكناية تلى التشبيه في اعتماده عليها ، وعنايته بها ؛ فالأبيات التي لا تشبيه بها قد يكون فيها كناية مستملحة ، كقوله :

تبارى عتاقا ناجيات وأتبعتم      وظيفا وظيفا فوق مور معبد  
فقد كنى في الشطر الأول عن كرمها ونجاتها بمباراتها للكرائم العتاق ، كما كنى في الشطر الآخر عن سرعتها ونشاطها بإتباعها الوظيف الوظيف ، وكقوله :

تربعت القفين بالشول ترتعى      حدائق مولى الأسرة أغيد  
كنى عن إعزازه إياها بأنها تربع نبات الربا ، وترتعى حدائق قد أخذت حظها من الماء ، فهي ناضرة ناعمة ، وكقوله :

تريع إلى صوت المهيب وتمتقى      بذى خصل روعات أكلف ملبد  
كنى في الشطر الأول عن يقظتها وطاعتها ، ودائم توجسها وتوقئها ، وكنى عن كشافه وبر ذيلها بأنه ذو خصل ، وكنى عن شجاعته بأنها تفوت الفحل الأكلف الملبد ، وعنه بأنه أحر ضارب إلى السواد ، وكنى عن قوته بروعائه وبكلفه وإباده .

وقد يستخدم الاستعارة قليلا ، وإذا جاء بها بدت متناسقة الألوان ، كاملة الظلال ، كقوله :

أمدت يداها فتل شرر وأجنحت      لها عضداها في سقيف مسند  
فقد صور استدارة فأمتهيا الأماميتين بالقتل الشرر ، وظهرها بالسقف المتساند المتمايك الأجزاء ، وكقوله :

طحوران عوار القذى ، فتراهما      كمكحولتى مذعورة أم فرقد  
ففى الضمير المحذوف العائد على « وعينان » استعارة ، إذ شبه العينين بإنسانين يدفنان الأذى ، ويطحران العوار .

والشاعر واسع الثروة اللغوية ، فاللغة لغته ، ولا يعيبه أن يستبدل بلفظ لفظا ، ولا يعجزه أن يعدل عن كلمة إلى أخرى ، وإن لاحظنا أنه إنما يعدل عن القريب إلى

الغريب ، وليس ذلك شأن أكثر شعراء عصره ، فلعل ذلك لأنه كان ما يزال شابا ، وللألفاظ جزالة وفتوة تستمدان من قائلهما ، أو كأنه يريد أن يظهر أنه فوق براعته في التريض يستطيع التصرف في الألفاظ ، أو أن ذلك مسلك سائر شعراء العصر الجاهلي في الوصف أو في وصف الطبيعة المتحركة بالذات ، وذلك واضح جدا في وصف النابغة وزهير وغيرها .

وطرفة لايهتم بالأسلوب اهتمامه بالمعنى ، فقد نجد في الأسلوب ما قد يأخذه عليه الناقدون ، وذلك لأن الجاهليين كانوا يؤثرون العناية بالمعاني ، والتصرف فيها على العناية بالأسلوب ومراعاة الجمال فيه ، فما لاستلذ الأذن جرسه لتوالي الإضافات قوله :

وعينان كالماويتين استمكننا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

وقوله في البيت التالي للبيت السابق :

طحوران عوار القذى فتراهما ككحولتي مدعورة أم فرقد

وإننا لنشعر بأن طرفة كان رجلا خيرا ببيئته ، عالما بطبيعة بلاده خبرة وعلما قل أن يدركهما علماء وصف البلدان ، ونجده بصيرا حاذقا بطبائع الحيوان ، بصرا وحذقا لايجاره فيها علماء الحيوان في هذا العصر ، ولا أقصد حيوانا خاصا هو الناقة التي يصفها ، بل أقصد جنس حيوان بلاد العرب .

إنه في كثير من أبياته يحدثنا عن البيئة الصحراوية ، وما تشتمل عليه من صخور ملس ، أو منابع روية ، أو أحجار صلدة ، أو كهوف وأغوار ، فاستمع إلى قوله :

كأن كناسي ضالة يكتفانها وأطرقسى تحت صلب مؤيد

إن هذا البيت قد رسم لنا كناس الظبي ، وحدد مكانه ، فهو يتخذ في أصل شجرة السدر ، وصور لنا القسي في الصورة الدقيقة التي لا تدق عنها صورة .

وأما عن طبيعة الحيوان فقد عرفنا أن طبيعة الناقة ليست هي طبيعة الجمل ، وأن حياة الإبل ليست مثلها حياة غيرها ، وأن ما يستحسن في نوع منه قد لا يستحسن في سواه . هذا

إلى أن الأبيات توحى إلينا أنه واسع المعارف ، عظيم الاطلاع ، فهو يعرف عن الروم  
إحكام الصناعة والمهارة في البناء ، فيقول :

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وهو يعلم أن البناء بالآجر أحكم من البناء بالحجر ، وأن الجوانب إذا كانت قوية حفظت  
البناء من التصدع والانهيال .

كما أنه يعرف جغرافية الشام واليمن وحال أهليهما ، وما يجيده أولئك وما يحسنه هؤلاء  
فأهل الشام يقرءون ويكتبون ، وأهل اليمن يحسنون صناعة الجلد ، فقال في وصف  
خدّ ناقته :

وخذ كقرطاس الشامي ومشفر كسبت اليماني قدده لم يجرّد

وفي الأبيات عرض لبعض عادات الجاهليين ، فقد وصف لنا العلاة حين شبه بها الجمجمة  
في قوله :

وججمة مثل العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد

وختام القول أن طرفة كان أقدر شعراء عصره على الإطلاق في وصف الناقة ، فقد بذ  
من سبقه من فحول الشعراء ، ولم يلحقه من جاء بعده ، مع أنه عبد لهم الطريق ، ومهد  
لخيلهم السبيل ، وأحسب أن طرفة كان شديد الحساسية بفضل ناقته عليه ، فأتى في وصفها  
بالصور التي لا تدانيها صور لأي شاعر كان .



٢ — وقال بشامة بن الغدير \* من قصيدة بدأها بالفضل ، فقال :

هَجَرَتْ أَمَامَةً هَجْرًا طَوِيلًا وَحَمَلَكِ النَّأْيُ عَيْبًا ثَقِيلًا<sup>(١)</sup>

فَقَرَّبْتُ لِلرَّخْلِ عَيْرَانَةً عُدَافِرَةً عَنْتَرِيْسًا ذَمُولًا<sup>(٢)</sup>

مَدَاخِلَةَ الْخَلْقِ مَضْبُورَةً إِذَا أَخَذَ الْحَاقِقَاتُ الْمَقِيلًا<sup>(٣)</sup>

لَهَا قَرْدٌ تَامِكٌ نَيْسُهُ تَزَلُّ الْوَلِيَّةُ عَنْهُ زَلِيلًا<sup>(٤)</sup>

تَطْرَدُ أَطْرَافَ عَامٍ خَصِيْبٍ وَلَمْ يَشَلْ عَبْدٌ إِلَيْهَا فَصِيْلًا<sup>(٥)</sup>

تَوْقَرُ شَاذِرَةً طَرْفَهَا إِذَا مَا ثَنَيْتَ إِلَيْهَا الْجُدِيْلًا<sup>(٦)</sup>

١٥٧ : بَعِيْنِ كَمِيْنِ مُفِيضِ الْقِدَا ح إِذَا مَا أَرَاغُ يُرِيْدُ الْحَوِيْلًا<sup>(٧)</sup>

\* **ترجمة الشاعر** : هو بشامة بن عمر الملقب بالغدير بن هلال العطفاني الشاعر الحكيم

الوصاف ، عليه تخرج زهير بن أبي سلمى ، وكان مقعدا ذا مال كثير ، ولا ولده ، فأورث أهله ماله ، وجاء زهير يستورثه ، فقال له : « والله يا بن أخي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله ، فقال زهير : وما هو ؟ قال : شعري ورثتيه » .

**التفسير اللغوي** : (١) أمانة : خليلته المتخيلة ، فقد كان مقعدا لأرب له في النساء .

النأي : البعد . العيب . الحمل .

(٢) العيرانة : الناقة تشبه العير الوحشي لوثاقها . عدافرة : شديدة ضخمة . عنتريسا :

قوية متينة . ذمولا : سريعة .

(٣) مداخلة الخلق : محكمة الجسم . مضبورة : مجموعة الخلق . الحاققات : الطباء تكون

في الأحقاف ، والحقف ما عوج من الرمل . المقييل : مكان قضاء وقت القيلولة .

(٤) القرد : السنام . التامك : المرتفع العالي . النى : الشحم . تزل : تنزلق . الولية :

حلس يوضع تحت الرجل ليحمي الظهر .

(٥) تطرد : تتبع . لم يشل : لم يدع . الفصيل : ولد الناقة .

(٦) توقر : ترزن وتثقل . شاذرة : رافعة . الجديل : الزمام المجدول .

(٧) مفيض القداح : الذي يقلب قداح اليسر ، وبه يضرب الثل في حدة النظر . أراغ :

أراد . الحويل : الاحتيال .



وَحادِرَةٌ كَنَفِيهَا الْمَسِيحَ تَنْضَحُ أُوبَرَ شَثًا غَلِيلاً<sup>(٨)</sup>  
وَصَدْرٌ لَهَا مَهِيحٌ كَالْخَلِيفِ تَحَالُ بَأَنَّ عَلَيْهِ شَلِيلًا<sup>(٩)</sup>  
مَرَّتْ عَلَى كَشْبٍ غُدُوَّةً وَحَادَتْ بِجَنْبِ أَرِيكِ أَصِيلاً<sup>(١٠)</sup>  
تَوَطَّأَ أَغْلَظَ حِزَّانَهُ كَوَطَّءَ الْقَوِيَّ الْعَزِيْزِ الذَّلِيلَا<sup>(١١)</sup>  
إِذَا أَقْبَلْتُ قَلْتَ مَذْعُورَةً أَطَاعَ لَهَا الرِّيحُ قَلِعًا جَفُولَا<sup>(١٢)</sup>  
وَإِنْ أَدْبَرْتُ قَلْتَ مَشْحُونَةً مِنْ الرُّمْدِ نَلْحَقُ هَيْقًا ذَمُولَا<sup>(١٣)</sup>  
وَإِنْ أَعْرَضْتَ رَاءَ فِيهَا الْبَصِيْرُ مَا لَا يَكْلِفُهُ أَنْ يَفِيلاً<sup>(١٤)</sup>  
بَدَا سُرْحًا حَائِلًا ضَبْعُهَا تَسُومُ وَتَقْدُمُ رِجْلًا زَجُولَا<sup>(١٥)</sup> : ١٦٥

- (٨) الحادرة : الضخمة . كنفها : جانبيها . المسيح : العرق المسوح . الأوبر : دو  
الوبر . شثا : كثيرا متراكبا . غليلا : حارا .
- (٩) المهيع : الطريق الواسع البين . الخليف : الطريق أيضا . الشليل : كساء أملس  
يوضع فوق عجز البعير .
- (١٠) كشب وأريك : جبلان متباعدان . غدوة : صباحا . أصيلا : بعد العصر ،  
وقبيل المغرب .
- (١١) توطأ : تطأ . حزانه : جمع حزيز، وهو ماغلظ من الأرض .
- (١٢) أقبلت : جاءت إليك . مذعورة : خائفة . أطاع لها : هيا لها . جفولا مسرعا .
- (١٣) أدبرت : تحولت إلى الخلف . مشحونة : مملوءة ، وهي وصف لموصوف محذوف  
هو سفينة . الرمذ : جمع أرمد أو رمداء ، وهي النعامة، سميت بذلك لأن لونها يشبه الرماد .  
الهيق : ذكر النعام . ذمولا : مسرعا .
- (١٤) أعرضت : تحولت . راء : رأى حصل فيها قلب ، فقدم الألف على الهمزة .  
يفيلا : يخطيء .
- (١٥) يدا سرحا : يدا منسرحة سهلة . حائلا ضبعها : مضطربا عضدها . تسوم : تمر  
مرورا سهلا . زجولا : بعيدة الاندفاع .

وَعُوجًا تَنَاطَعْنَ تَحْتَ الْمَطَا وَتَهْدِي بَيْنَ مُشَاشَا كُهُولَا<sup>(١٦)</sup>  
تُمَزُّ الْمَطَى جِمَاعَ الطَّرِيقِ إِذَا أُدْلِجَ الْقَوْمُ لَيْلًا طَوِيلًا<sup>(١٧)</sup>  
كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أُرْقِلَتْ وَقَدْ جُرْنَتْ هَاتِيكَ السَّبِيلَا<sup>(١٨)</sup>  
يَدَاعُثُمُ خَرًّا فِي عَمْرَةٍ قَدْ أُدْرِكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١٩)</sup> : ١٦٩



- 
- (١٦) العوج : جمع عوجاء كناية عن الأضلاع . تناطعن : تداخلن . المطا . الظهر .  
تهدى : ترشد . المشاش : رءوس العظام . الكهول : جمع كهل الضخام الطوال .  
(١٧) تمز : تغلب . المطى جمع مطية الإبل . جماع : طوال . أدلج : سار ليلا .  
(١٨) أرقلت : أسرعت . جرن : ملن عن الطريق ، والضمير يعود على النياق اللاتي  
يسايرنها .  
(١٩) عاثم : سابع . خر : سقط . غمرة : ماء كثير .

## تحليل الأبيات :

لم يكن بشامة من رجال الحب ، بل لم يكن ممن يتخيل الحب فيحسن تخيله ، أو يصوره فيجيد تصويره ، فجاء مطلع قصيدته دالاعليه ، منبثا عنه ، ناطقا بأن عاطفته في المنزل ناضبة جامدة ، فقد هجر فؤاده حبيبته هجرا طويلا ، وكان من حق أمامة أن تكون هي الصادة عنه ، المهاجرة له ؛ إذ شأن المرأة الصد والدلال ، والهجر والإعراض ، وليس ذلك شأن الرجل في لغة المحبين ، وكأنه أحس بأنه أخطأ في حق الحب والجمال ، فقال : « وحملك النأي عبثا ثقيلًا » ولكن كيف حمله النأي العبء الثقيل ، وهو صاحب الهجر الطويل ؟ ثم يدير كلاما في النسب ليس له من جمال الخيال نصيب يصف بعده الوداع ، وأن عينيها استعبرتتا ، فيقول :

فبادرتاها مستعجل من الدمع ينضح خذا أسيلًا

ولما ندري لماذا لم يصبغ دمه الدامي حده ليكون الوداع دامعا داميا ؟ ثم ينتقل إلى وصف ناقته ، فيقر بها للرحيل يقرب ناقه صلبة قوية كأنها العير الوحشي في وثاقة جسمها ، وصلابة أعضائها ، وهي شديدة ضخمة ، حريثة سريعة ، فأى صفة مستحبة تنقصها ؟ إنها متداخلة الأعضاء ، مدججة الأجزاء ، يبدو مراحها في أدنى الأوقات إلى الخمول ، ويظهر نشاطها في أحق الساعات بالكلال والملال ، وهي ساعات الظهيرة ؛ إذ يقيل كل كائن ، ويسكن كل متحرك ، ويهدأ كل حي ، حتى الطباء ، وهي رمز المراح تطلب الراحة والسكون ، وتسكن إلى الهدوء والاطمئنان .

أما الناقة فلا تشعر بتغير الجو ، ولا بتوهج الشمس ، وهي لا تسكن إلى الراحة ، لها سنام مرتفع مكتنز ، قد أزال اكتنازه وبره ، فهو أملس ناعم تزل عنه الولية زليلا ، ويستط عنه المجلس سقوطا ، أعززت تلك النجبية ، فمنحتها حق الرعى حيث شاءت ، فهي تقطف أطراف النبات الناجم في الأرض الخصبية دون أن يزجرها راعيها ، وتستمد قوتها من أنها لا فصيل لها يمتص مئنتها مع امتصاص أخلافها ، ويرشف دمها حين يرشف لبنها ، وهي

وقور رزان لا تشور إذا ما شد را كبا زمامها ، ولا تنفر عندما يثنى إليه خطامها ، تنظر بعين حادة كأنها عين مقلب القداح ، قداح الميسر ؛ ليعرف الراجح منها ، ويحتال ليتبين الكاسب فيها . وأذنها ضخمة ينضح على جانبيها العرق غزيرا ، حتى يتجاوزها سائلا إلى الوبر في لحبيها ، فيبيلل ذلك الوبر الكثيف الحار ، ولكنه لا يزيل حرارته لتجمعه وتكاثفه ، ولها صدر عريض واسع ؛ كأنه طريق بين لاحب ، يتموج ويضطرب كأنه مغطى بذلك الكساء الذي يوضع فوق أعجاز الدواب ، وهي تقطع المراحل الشاسعة دون أن يدركها الأين أو يحط عليها الكلال ، فتغدو على جبل كشب ، لتمسى فوق جبل أريك ، فما أقوى احتمالها ! إنها لتطأ الأرض الغليظة الحزنة ، فتحيلها لينة ناعمة ، مثلها كمثل السيد القوى العزيز يطاءً بجبروته الرجل الضعيف الذليل ، فيطوى صفحته من الوجود ، متى أقبلت عليك ظمنتها لنشاطها قد تمسكها الذعر ، واستولى عليها الفزع ، فهي أسرع من نعامة يطاردها ظليم قوى عداء ، وإذا أدبرت حسبها سفينة موسوقة أطاعت الريح قلعها ، وأذغنت الريح الصرصر لشرعها ، وهي بمن فيها مجفلة متوجسة ، فهي تمخر العباب بقوتين ، وتجرى في اليم بإرادتين : قوة الريح والشرع ، وإرادة الإجمال والتوجس ، وإذا ظهرت أدرك رائبها كرمها ونجابتها دون أن يخطئ . في إدراكه ، أو يفيل في تقديره ، يرى يدا منسرحة سهلة ، وهي مختلجة العضد ، مضطربة الصبع ، تمر يدها من الريح ، وتندفع قدمها اندفاع الصخرة ، ذات أضلاع تبدو تحت ظهرها عوجاء مقوسة ؛ قد تلاقى بعضها ببعض ، واتصل يمينها بشمالها ، حتى لسكانها تنطاطح ، ترشد من يراها أن عظامها ضخام صلاب ، جسام شداد ، تبارى المطى فتغلبه وتعزه ، وتسابق الركب جماع الطريق فتسبقه وتبزه ، وذلك الغلب والسبق حينما تسرى ليلا ، فتبدو يداها ، وقد أرقلت إرقالا معتدلا هازة رأسها - في مرح ونشاط ، فتشاركها الإبل المبارية لها في أول مراحل السير هذا المرح وذلك النشاط ، فينحرفن عن الطريق كما تنحرف ، ويملن عن الصراط المستقيم كما تميل ، فإذا ما أوغلن في الطريق سرن معتدلات قاصدات لا يجرن ولا ينحرفن ؛ لأنهن فقدن تلك القوة الدافعة ، واستنفدن ذلك النشاط الحافز ، لقد أدركهن الأين والنصب ، وأصابهن التعب والوصب ، فسرن سواء السبيل حينئذ تبدو يداها كيدي

سابع في بحر عجاج متلاطم الأمواج قد كاد يدركه الغرق ، ويطويه في قراره الماء ، وهو يطلب الحياة ، فيعمل يديه كلتيهما بكل ما أوتي من قوة ؛ حتى يبلغ ساحل الأمان ، ويصل إلى شاطئ الاطمئنان .

### النقر :

الناظر في هذه الأبيات يجدها ممتازة بوفرة معانيها ، وتجدد الأفكار فيها ، فإذا نحن تجاوزنا الصفات العامة التي كاد يتفق فيها أغلب الواصفين كصلابة الناقة ، ووثاقة الأعضاء وسرعة السير ، وعظم السنام ، واكتناز الفخذين ، وجفاف الأخلاف ، واتساع الصدر... إذا تجاوزنا هذا وجدنا الشاعر وفق إلى معان لم يوفق إليها شاعر عداه ممن سندرهم بعده ، وهي معان تعتمد على الحس حقا ، ولكنها مع هذا بالغة الروعة ، عالية الخيال ، وذلك كقوله في وصف حدة نظرها :

توقر شازرة طرفها إذا ما نثيت إليها الجديلا

بعين كعين مفيض القداح إذا ما أراغ يريد الحويلا

فحدة نظر الناقة صفة نعنها بها كل واصف إياها ، ولكن أحدا لم يشبهها بمثل هذا التشبيه الذي أوحى إلينا بالتفكير في إحدى عاداتهم ، وبتصور حال الحكم في الميسر ، وفيما يجب أن يكون عليه من حدة النظر ، وحسن الاحتيال ، وكقوله في وصف سرعتها في السير ، وجلدها عليه :

فمرت على كشب غدوة وحاذت بجنب أريك أصيلا

فقد صورها لنا تربط بجلدها وقوة صبرها بين المتباعدين ، وتصل بين المتناهين ، وأى قوة كقوتها ، وقد سارت اليوم كله من مطلع الشمس إلى مغربها لم يأخذ منها الكلال ، ثم إن تشبيه وطئها غليظ الحصى ، واستحالاته تحت أقدامها دقيقا ناعما بوطء القوى العزيز للضعيف الدليل تشبيه إنساني صادق فيه سمو المعنى ونبالة الغرض الذي أوحى به ، فهو يرمز إلى أن القوى يكاد يحسب الدليل مفقود الحس ، معدوم الشعور فقدان الحصى للحس والشعور ، أو أنه لا يدرك أنه كائن حتى من حقه أن يشعر بالوجود ، كما أن الحصى ليس كائنا

حيا ، فليس من حقه أن يشعر بالوجود : لا بد أن بشامة نظر إلى هذا المعنى الإنساني الرائع فقد كان إنسانا كريما ، كما كان شاعرا حكيما ، والإنسانية والحكمة تمليان هذا المعنى ووصفه تقابل الأعضاء بأنها تتناطح وصف دال على طول التأمل ؛ فالأضلاع والقرون كلاهما مقوسان ، والأضلاع متقابلة ، تقابل القرون عندما تتناطح ، فهي صورة تكاد تكون كاملة لا ينقص من كمالها سوى أن الأضلاع متعددة ، والقرون محدودة العدد .

وتشبيهه يدي الناقة عند الإرفال بيدي السابح في عباب متلاطم يكاد يقضى عليه بالفرق ، فهو لذلك يبدل قصارى جهده ؛ ليصل إلى النجاة تشبيه قوى مستقيم ، ومخاصة إذا ذكرنا أن بلاد العرب غريبة فيها هذه المناظر لانعدام البحر والأهبار فيها .

والحق أن هذه القطعة من حير ماقيل في وصف الناقة ، ولو بلغ عدد أبياتها عدد أبيات طرفة لكان أحق منه بزعامه وصف الناقة ، بل لكان أحق منه بزعامه الوصف عامة ، وذلك من نواح : أسلوب بشامة أملس وأعذب ، وتشبيهاته أدق وأقرب إلى الحقيقة ، ولعل طول الحياة ، وكثرة التجارب ، وسعة الخبرة هدت بشامة إلى ما لم يهتد إليه طرفة ، فقول بشامة في وصف داخل أعضاء ناقته !

مداحلة الحلق مضبورة إذا أخذ الحاقفات المقيلا

أقرب إلى الحقيقة من قول طرفة :

وطى محال كالخنى خلفه وأجرنة لزت بدأى منضد

وينتظم أسلوب بشامة البديع من البديع ، والرائع من جمال اللفظ ، وحق مثله في حياته وسنه أن تكون عنايته بجمال اللفظ دون عناية طرفة ، فالشباب دائما باحث عن الجمال في كل شيء ، ولكن بشامة كان ينبغي الجمال في شعره دون سواه ؛ لأن حياته حرمتها النظر إلى غير جمال الشعر ، فمن ذلك الجمال قوله :

إذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيقا ذمولا

وإن أدبرت قلت مشحونة أطاع لها الريح قلعا جفولا

وإن أعرضت راء فيها البصير مالا يكلفه أن يقيلا

ويعجبنا منه ذلك التضمن الذي يعنيه واضع قواعد النظم العربي ؛ يعجبنا لأنه مبمّث تشويق ، وشغف للقارىء ؛ إذ هو ينتظر في لفظة المشبه به ؛ ليتبين وجه الشبه الذي يربط بينه وبين المشبه ، وذلك في قوله :

كأن يديها إذا أرقلت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا  
يدا عائم خرم في غمرة قد أدركه الموت إلا قليلا

وتعجبنا دقته في اختيار الألفاظ ، وحسبنا شاهدا البيتان السابقان ، فاختياره الإرقال دون غيره من أنواع السير دقة ؛ لأن السابح يحرك مع يديه رأسه كما تصنع الناقة المرقلة ، واختياره لفظ « عائم » دون ساح مثلا دقة ؛ لأن السباحة تشعر بالمهارة دون العموم ، وتفضيله « خرم » على عام مثلا دقة ؛ لأنها تشعر بالسقوط دون عمد .

وإذا كان لنا ماأخذ عليه ، فهو تكرار القافية ، لقد كان بشامة أستاذ الزهير فأكرم بالأستاذ والتلميذ .



٣ - وقال المثقب العبدى \* في قصيدة أولها :

هَلْ عِنْدَ غَانٍ لِقَوَادٍ صَدٍ      مِنْ نَهْلَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي غَدٍ؟<sup>(١)</sup>

حَتَّى تَلَوَيْتُ بِلِكِيَّةٍ      مُعْجَمَةَ الْحَارِكِ وَالْمَوْفِدِ<sup>(٢)</sup>

تُعْطِيكَ مَشِيًّا حَسَنًا مَرَّةً      حَثَّكَ بِالْمِرْوَدِ وَالْمُحْصَدِ<sup>(٣)</sup>

يُنْبِي تَجَالِيدِي وَأَقْتَادَهَا      نَاوٍ كِرَاسِ الْفَدَنِ الْمُوَيْدِ<sup>(٤)</sup>

عَرَفَاءَ ، وَجَنَاءَ ، جُمَالِيَّةٍ      مُكْرَبَةٍ أَرْسَاغُهَا جَلْعِدِ<sup>(٥)</sup>

تَنْمِي بِنَهَاضٍ إِلَى حَارِكٍ      ثُمَّ كَرُّ كُنِ الْحَجَرِ الْأَصْلِدِ<sup>(٦)</sup> : ١٧٥

\* ترجمه الشاعر : هو العائد بن محسن بن ثعلبة بن وائل العبدى ، وكنيته أبو عمرو ولقبه

المثقب لقوله :      ظهرن بكلة وسدان رقما      وثقن الوساوص للعيون

وهو شاعر مجيد ، قيل عنه : « قد عرد بقصائده كل مفرد ، وأنشدت على كل

مورد » . والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجود شعره ، وقد آجاد فيها وصف ناقته ،

توفي سنة ٥٢٠ م .

التفسير اللغوي : (١) الغاني : أصلها الغانية ، ثم رخم ، أو أنه ذهب إلى الإسان .

صد : عطشان . الهلة : المرة من النهل . (٢) تلويت : ندوركت . بلكية : بناقة كثيرة

اللحم ، وبلكية صفة لموصوف محذوف ، واللثاكت شرائح اللحم . معجمة الحارك : مكتنزة أعلى

الكاهل . الموفد : المشرب . (٣) حثك : حضك ودفعتك . المرود : حديدة تدور في اللجام .

المحصد : السوط المحكم الفتل ، فهو صفة لموصوف محذوف .

(٤) ينبي : يدفع . تجاليدى : جسمى وأعضائه . الأقتاد : جمع قند ، وهو أداة

الرحل . الناوى : سنام الناقة . الفدن : القصر العظيم ، أو الصرح الضخم . المؤيد : الموثق المشدد .

(٥) عرفاء : وصف للناقة صار سنامها كالعرف ، وهو المرتفع من الرمل . الوجناء :

الغليظة ، أو العظيمة الوجنتين . جمالية تشبه الجمل في وثاقة الخلق وعظم الجسم . المكربة : الموثقة

الصلبة . الأرساغ : جمع رسغ ، وهو الموضع المستدق بين الخف وموصل الوظيف . الجلعد :

الغليظ الصلب . (٦) تنمى : ترتفع . النهاض : الكثير النهوض ، ويقصد به العنق . المصعد

المتسامى . الحارك : أعلى الكاهل . ثم : هناك . كركن : بجانب . الأصلد : الأملس الصلب .



- كأَنَّمَا أُوبُ يَدَيْهَا إِلَى حَيْرُومِهَا فَوْقَ حَصَى الْفَدْفَدِ (٧)  
 نَوْحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكِ تَفْدُبُهُ رَافِعَةَ الْمِجْلَدِ (٨)  
 كَلَّفَتْهَا تَهْجِيرَ دَوِيَّةٍ مِنْ بَعْدِ شَأَوٍ : لَيْلِهَا الْأَبْعَدِ (٩)  
 فِي لَاحِبٍ تَعْرِفُ جَنَاتِهِ مُنْفَهَقِ الْفَقْرَةِ كَالْبُرْجُدِ (١٠)  
 تَكَادُ إِذْ حَرَّكَ مِحْذَافَهَا تَفْزَعُكَ مِنْ مِثْنَانِهَا وَالْيَدِ (١١)  
 لَا يَرْفَعُ الصَّوْتَ لَهَا رَاكِبٌ إِذَا الْمَهَارَى جَوْدَةً فِي الْبَدِ (١٢)  
 تَسْمَعُ تَعَزَافًا لَهُ رَنَّةٌ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَفِي الْقَرْدَدِ (١٣)  
 كَأَنَّهَا أَسْفَعُ ذُو جُدَّةٍ يَمْدُهُ الْوَيْلُ ، وَلَيْلٌ سَدَى (١٤)

: ١٨٣

- (٧) أوب يديها : رجوع قاعتيها الأماميتين . الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن أو ضلع الفؤاد . الفدقد : المكان الغليظ أو الفلاة .  
 (٨) ابنة الجون : امرأة من كندة عرفت بشدة النواح حتى ضرب بها المثل . تندبه : تكيه . المجلد : خرقة سوداء كالمنديل تحملها البادية ، وتشدها بين يديها وفوق رأسها .  
 (٩) التهجير : السير في ساعات المهجير عند اشتداد الحر . الدوية : الصحراء الشاسعة . شأوى ليلها : تثنية شأو ، كأنه أراد شأوى ليلها ونهارها ، والشأو : الغاية .  
 (١٠) اللاحب : الطريق البين الواضح . منفهق : متسع . الفقرة : العلم من جبل أو فلاة . البرجد : الثوب المخطط .  
 (١١) مجذافها : يريد سوطها ، وهو في الأصل المجذاف ، وهو خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين تسير بها السفن . المثناة : الزمام .  
 (١٢) المهارى : الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن ، قالوا عنها : إنه لا يعدل بها شيء في سرعة جريانها . الجودة : كالتجويد ضرب من السير . البد : الابتداء ، يقال بدأت بالشيء ، وبديت به .  
 (١٣) التعزاف : أصوات الحجارة التي تقذف بها الناقة إذا سارت ، وهو في الأصل العزف على ناي أو عود أو غيرها . الرنة : الصور والصلصلة . القردد : الأرض الغليظة .  
 (١٤) الأسفع : الثور الوحشي في وجهه سفح ، وهو السواد المشرب بالحجارة . الجدة : خطة في ظهره تخالف لونه . يمده . يطويه يقال : ممدود الخناق ومعصوبه . الويل : المطر الكثير . السدى : الندى . يقال سديت الأرض نديت .

## تحليل الأبيات :

بدأ الشاعر قصيدته كأكثر شعراء عصره بالغزل المتمنى ، فهو يتمنى على غانيتها أن يجد عندها رية لفؤاده الصادى من رحيق ريقها العذب فى يومه ، فإن تعذر عليها فى غده ، ثم يسير فى غزل قصير يعتمد فيه على الأمانى العذاب ، وإذ لم يجد من ينيله متمناه انتقل إلى وصف الناقة فقال :

لقد تداركنى الأمر بناقة موفورة اللحم ، كثيرة الشحم ، مكتنزة الكاهل ، سمينة العنق ؛ إذا ما امتطيتها سارت بك سيرا جميلا ؛ جميلا فى ليمه وهدونه ، جميلا فى إرقاله وتجويده ، فكأنك تستحشها — دون أن يكون منك حض أو استحثاث — بمرود لجام ، أو بمحكم سوط ، وهى — إذ يعتمد على سنامها جسمى ورحلى ، ذلك السنام العظيم الضخم الذى يشبه قمة القصر الفخم — تدفعنى من أرض إلى أرض ، وتقلنى من بلد إلى بلد ، هى ناقة عرفاء ، فسنامها فى ا كتنازه وارتفاعه كدعص الرمل منبسط من أدناه ، مجتمع فى أعلاه ، ووجنتها ممتلئتان يغطيهما لحم كثير ، ويكسوها جلد ثخين ، وأعضاؤها فى وثاقها وإحكامها ، وتداخلها وتساندها كأعضاء الجمل ، وأرساغها فى ملاستها وصلابتها كالحجر الصلد ، ووظيفها فى غلظه وشدته كالجلعد الغليظ من الأرض .

إذا سارت صعدت بعنقها حتى تسامى به كاهلها السامق الربيع الذى هو بجانب الحصن المنيع ، وكأن صوت قاعتيها الأماميتين ، وهى تعود بهما فى مسيرها إلى وسط بطنها ، وضيع فؤادها فوق حصى الغدغد ، كأنه نواح ابنة الجون على هالك عزيز عليها ، وفقيد كريم لديها ؛ فهى ترجع فى نواحها ، وتندب رافعة بين يديها مجلدها ، تشير به إلى الأمام وإلى الوراء .

كلفت تلك الناقة الجمالية العرفاء أن تقطع بى فى ساعة القيلولة وإبان القيل ، وحين التهاب الرمضاء صحراء واسعة ، دون أن يكون هذا الذى كلفتها إياه أول مسيرها ، بل كان بعد أن قطعت شوطا بعيدا فى يوم أيوم ، وليل أليل ، فسارت فى تلك المفازة فى طريق

واضحة ، وسبيل لاجبة ، فقد قطعتها وعرقتها ، فأبى بها جواب آفاق ، وجوال صحارى ،  
فهي تعرف جناتها ، فتسير في طرقها المستقيمة الممتدة التي تماثل في استقامتها وامتدادها  
ظهر برجد ، إذا ما حرك حاديتها سوطه في يده كادت لشدة فزعها تنزع منه زمامها ، وإذا  
ماسايرت النياق المهارى اللأبى ما يزلن في أول شوطهن في حين أنها قطعت ما قطعت من  
رحلة في إثر رحلة ، وسارت ماسارت من ليل في أعقاب نهار لم تحوج حاديتها إلى أن  
يسمعه زجره ، بل تسمعه صوتا موسيقيا موقعا منغما ، كأنه عزف ناي ، ينبعث هذا  
الصوت الموسيقى من اصطدام وظيفتها بالحصى الغليظ ؛ سواء أكان مسيرها في بطن الوادى  
أو في ظهه .

كأن ناقتى تلك لجمال وجهها ، وسفعة وجنتيها ثور وحشى ، لون ظهره يخالف لون  
وجهه ، إذ في وجهه سفح كأنه الدم المتجمد ، وظهره أبيض كأنه ملتف بالوبل الندى

### النقر

وصف الثقب يبعد كثيرا عن وصف طرفه وشامة ، فقد أقل من وصف الأعصاء ،  
لم يفصلها تفصيل طرفه ، ولا اجتراً ببعضها دون بعض كما فعل بشامة ، وإذا كان قد  
جارهما في شيء ففى وصفها جملة بالصلاة والاكتناز ، فأجل نعوتها في الثلاثة الأبيات  
الآنية :

بنى تجاليدى وأقتادها      نار كراس القدن المؤيد  
عرفاء ، وجناء ، جمالية      مكربة أرساغها جلمد  
تمى بنهاض إلى حارك      ثم كركن الحجر الأصد

ولكنه تحدث عن حسن سيرها ، وسهولة قيادها ، وشدة يقظتها ، وعظم صبرها ، فأجاد  
إجادة بالغة ، فهي :

تعطيك مشيا حسنا مرة      حثك بالمرود والمحصد

ويعجبنا منه قوله : تعطيك فهي استعارة جميلة ، وكأنه قد شبهها كذلك بالفرس يتحكم  
فيه اللجام ، ويخشى السوط المحكم المحصد ، ولكنها ليس لحاديتها ما يتحكم به فيها غير حبا

إياه ، وطاعتها له . ثم رسم رجع يديها إلى وسط بطنها ، وأنها إذ تقدمهما وتؤخرهما في سرعة سريعة ذات صوت ورنين تشبه ابنة الجون الصائحة النادية .

وهذه صورة لا تنقصها الظلال ، فأحسب أن الغبار الذي تثيره الناقة هو لون مجلد ابنة الجون ، وتشبيه السوط بالمجداف تشبيه جميل ، فكلاهما وسيلة سير ، وكلاهما مبسوط ممتد ، وكلاهما عريض من قبضته ، دقيق في نهايته .

ونفيه عنها رفع صوت حاديهما لها ؛ استحثاثا لإرقالها بعد مسيرة بعيدة المدى في حين أن كراهم النياق ما تزال في بدء سيرها ، فيه نكريم لها ، واعتزاز بها ، ولكن فيه كذلك مبالغة وغلوا لیسا من سمة الجاهلي .

ووصفه صوت وظيفها عند ما يصدم الحصى بأنه كالتعزاف أو كسب الجو جمالا يشعر به من يعرف أثر الحداء والغناء في قوة الإبل عند ما تشعر بالأين والإعياء ، فكأنها تغنى لنفسهم ، وتحدو بوظيفها إذا غفل راكبها عن الحداء لها .

والناظر بين أبيات المثقب وأبيات طرفة وبشامة يجد أبياتا قليلة متماثلة ، أنحكم بأن طرفة وبشامة أخذا من المثقب ، أم أنها معان مطروقة ؟ أما أنا فأعتقد أنها معان مطروقة ، وذلك كقوله :

تمى بنهاض إلى حارك ثم كركن الحجر الأصـلد  
إذ مثله قول طرفة :

وأتلع نهاض إذا صعدت به كسكان بوصى بدجلة مصعد  
وبيت طرفة أجل ؛ لأنه أوسع معنى ، وأدق تصويراً . ويشبه قول بشامة  
ابن الغدير :

تمـز المطى جماع الطريق إذا أدلج القوم ليلا طوبلا  
قوله :

لا يرفع الصوت لهـا راکب إذا المهارى جودة في البـد

وبيت بشامة أضفى مدحا مع قلة في المبالغة ؛ لأنه وصفها بالسبق طوال الطريق .  
أما أسلوب المثقب فهو سلس سهل ، لاعوج فيه ولا أمت ، وفيه من التشبيهات  
الجميل الجيد ، والواضح الساطع كقوله :

كأنما أوب يديها إلى حيزومها فوق حصى الفدقد

نوح ابنة الجون على هالك تندبه رامة المحلد

وقد اتفق طرفة معه في وصف الطريق في الاستقامة والوضوح بأنه كالبرجد ،  
وبيت طرفة أجمل ، على أن له فضلا في كثير من هذه المعاني ، فقد سبق طرفة  
بفترة طويلة .



ع — وقال زهير بن أبي سلمى \* من قصيدة بدأها بقوله :

عَشَيْتُ الدِّيَارَ بِالْبَقِيعِ قَتَمِدِ دَوَارِسَ قَدِ أَقْوِينَ مِنْ أُمَّ مَعْبِدِ (١)  
وَقَفْتُ بِهَا رَأْدَ الضُّحَاءِ مَطَيِّتِي أَسَائِلُ أَعْلَامًا بِيَدَاءِ قَرَدَدِ (٢)  
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا لَا تَجِيْبُنِي نَهَضْتُ إِلَى وَجْنَاءِ كَالْفَخْلِ جَلْعَدِ (٣)  
جُمَالِيَّةٍ لَمْ يُبْقِ سَيْرِي وَرِحْلَتِي عَلَى ظَهْرهَا مِنْ نَيْبِهَا غَيْرَ تَحْفِدِ (٤)  
مَتَى مَا تُكَلِّفُنَا مَأْبَةَ مَنْهَلِ فَتَسْتَعْفَ أَوْ تَنْهَكْ إِلَيْكَ فَتَجْهَدِ (٥)  
١٨٩ : تَرْدُهُ وَلَمَّا يُخْرِجِ السُّوْطَ شَأْوَهَا مَرُوحًا ، جَنُوحَ اللَّيْلِ ، نَاجِيَةَ الْغَدِ (٦)

\* ترجمه الشاعر : هو زهير بن أبي سلمى بن زهير اللزني الشاعر الحكيم ، المجيد في جميع فنون الشعر ، وبخاصة الحكمة والمدح والوصف ، ويمتاز من غيره بسقيح شعره ، وتهذيب قريضه ، وتنقيته من كل زيف وبهرج ، حتى تخرج قصائده متينة الرصف ، محكمة البناء ، ولذلك كان له قصائد تعرف بالحوليات لأنه لا ينشدها إلا بعد عام كامل على نظمها ؛ توفي سنة ٥٩ هـ .  
التفسير اللغوي: (١) عشت : نزلت . البقيع وثمد : مكانان بالمدينة . دوارس : زوائل . أقوين . أقفون ، ورحل عمن أهلين . أم معبد : زوجته .  
(٢) رأد الضحاء : وقت ارتفاع الشمس وبسائط ضوئها . المطية : الناقة ، ثم أطلقت على كل ما يمتطي ظهره . أعلاما : جمع علم ، وهو ما بهتدى به في الصحراء . الورد الأرض الغليظة المرتفعة .

(٣) الوجناء : الناقة الضخمة الوجنتين . الغليظة الحدين . الجعد : الشديدة الصلبة .  
(٤) جمالية : تشبه الجمل في عظم خلقها ، وقوة جسمها . النى : الشحم . المحفد : الأصل ، ومثلها المحتد ، والمحكد ، أو أن المحفد الأصل للسنام خاصة .  
(٥) مأبة منهل : المأبة أن تسير الناقة نهارها ، ثم تثوب إلى المنهل للشرب عشيا . فتستعف : يؤخذ ما عندها من السير من غير كد . تنهك : يبلغ منها بالضرب والإجهاد . تجهد : تتعب .

(٦) ترده : ترد المنهل . لما يخرج السوط شأوها : لم يستخرج ضرب السوط كل عفوها وما تسمح به نفسها من طاقة وقدرة وطلق . مروحا : نشيطة مرحة . جنوح الليل : ميالة في سيرها يمينا وشمالا في الليل بجنوحها في النهار ، وذلك لنشاطها . ناجية الغد : مسرعة في غدها

كَهْمَكُ إِن تَجَهَّدَ تَجِدْهَا نَجِيحَةً      صَبُورًا ، وَإِن تَسْتَرِخْ عَنْهَا تَزِيدُ<sup>(٧)</sup>  
وَتَنْضَحُ ذَفْرَاهَا بِجَوْنٍ كَأَنَّهُ      عَصِيمٌ كُحَيْلٍ فِي الرَّاجِلِ مُنْقَدٍ<sup>(٨)</sup>  
وَتُلَوِي بِرِيَانِ الْعَسِيبِ تَمْرَهُ      عَلَى فَرْجِ مَحْرُومِ الشَّرَابِ مُجَدِّدٍ<sup>(٩)</sup>  
تُبَادِرُ أَغْوَالَ الْعَشِيِّ وَتَتَسْقَى      عَلَالَةَ مَلُوِيٍّ مِنْ الْقَدِّ مُخَصَّدٍ<sup>(١٠)</sup>  
: ١٩٤      كُنْسَاءُ سَعْفَاءِ الْمَلَاظِمِ حُرَّةً      مُسَافِرَةٌ مَزْعُودَةٌ أُمَّ فَرْقَدٍ<sup>(١١)</sup>

(٧) كهملك : هي كما يهملك منها وترجو . إن تجهد : إن تطلب جهدها وإسراعها .  
نجيحة : سرية . صبورا : كثيرة الصبر على الجهد . تسترخ : تجعل لها السير سهلا . تزيد :  
تسير سير التزيد ، وهو صرب من السير فوق العنق .

(٨) تنضح : ترشح . الذفرى . عظم نأى حلف الادن ، ويكثر عرق البعير في هذا  
المكان . الجون . الأسود والأبيض والأول هو المراد . العصيم : البقية من كل شئ .  
الكحيل : القطران أو النفط ، ويقال : إن الإبل أول ما يبدو عرقها أسود ، ثم يصمر .  
قال الشاعر :

يصفر لليبس اصفرار الورس      من عرق النصح عصيم الدرر  
معقد : مطبوخ .

(٩) تلوى : تصرب يمنة ويسرة . ريان العسب : ممتلىء الأصل ، وهو يعنى ذنا عليظا ،  
والعسب : عظم اللب ومنبته من الجلد والعظم . تمره : تذهب به ويجىء . محروم الشراب :  
كناية جميلة عن عدم حملها مجدد : لالين في أخلافها من جد الشئ يحده كنصره ينصره  
قطعه ، وشاة حذاء قليلة اللب ، يابسه الصرع ، ويقال : ناقة جدود : مجددة .

(١٠) تبادر : تسارع . أغوال : أبعاد مهردة غول ، وهو بعد المفازة ، لأنه يقتال من يمر به ،  
ويقال : هون الله عليك عول هذا الطريق أى خفف عليك بعده العلالة : البقية . ملوى  
من القد : مفتول من الجلد ، وهى كناية عن السوط . محصد : شديد القتل محكمه .

(١١) الكنساء البقرة الوحشية المتأخر أنقها في رأسها . السفع : السواد فى حمرة ،  
والمقصود بهذا الوصف خدائها . إذ الملاطم : الحدود لأنها تلطم . حرة : كريمة عتيقة . مسافرة :  
كثيره الأسفار وقطع الأرض . مزعودة : مذعورة ، يقال : زئد الرجل فهو مزعود ، والاسم  
منه الزؤد . الفرقد : ولد البقرة الوحشية .

## تحليل الأبيات :

نزلت بديار أم معبد ، تلك الديار التي تقع بين البقيع وشهد من مدينة يثرب ، وقد درست آثارها ، وامتت معاملها بعد أن فارقتها تلك الزوجة الغالية ، ونأت عنها هذه الحبيبة الغانية .

وقفت بها مطيتي وقد انبسط ضوء الشمس ، وامتدت أشعتها هنا وهناك ، وقفت أسائل أعلام تلك البيداء الغليظة ، والصحراء الوعرة ، أسائلها أين ذهب الذين مروا بها مرتحلين ؟ ومن حزن ومن أسى أن الديار لم تجب لي نداء ، وأن الدوارس لم تلب لي دعاء ، فوثبت حزينا باكيا إلى ناقتي الغليظة ، الضخمة الوجنات ، الوثيقة الأعضاء التي تماثل الجمل في خلقها ، وانبساط جسمها ، وإن لم يبق سفري الطويل الدائم ، ورحلي المستمر من شحم سنامها سوى أصله ، ولم يخلف منه غير رسمه ، ولكنها مع هذا الجهد الجاهد إذا ما كلفتها قطع مفازة ، أو عبور ملاء ذات مناهل وعيون لم تن في العدو ، ولم تدخر شيئا من النشاط ، شأن كرائم الإبل ، وعتاق النياق ، بل هي تبذل نشاطها كله لا تستبقي منه شيئا حتى تبلغ ذلك المنهل من دون أن تجهد بالضرب ، أو ننهك بالزجر ، ترده قبل أن يخرج السوط نهاية شوطها ، أو غاية طلقها ، ترده نشيطة مرحة ، قوية جلدة ، لم ينل منها أن سارت الليل كله ، فهي تميل يمينا وشمالا ، سريعة في العشي والغدو ، في الليل والنهار ، هي كما تريد منها بحبيبة مدعانة ، إن أجهدها بالسير الطويل ، أو الإرقال السريع وجدتها نجيحة سريعة ، مروحا نشيطة ، صبورا جليدة ، وإن تركتها دون إجهاد سارت متزيدة ، فهي لك كما تبغى ، وهي في مسيرها على ماتهوى ، وإن نال منها الجهد ، وأدركها الأين حينئذ تنضح ذفراها بعرق أسود كأنه بقية قطران انعقد في المراحل ، وطبخ على النار في الأواني .

وهي إذ تسير تضرب بذنبها الممتلي<sup>١</sup> الريان العسيب ، الغليظ الضخم المنبت ، تضرب به ساقها ، ثم تذهب به وتجيء على فرج قد حرم الشراب ومنع من الضراب ، فهي لم تحمل ولم تحلب ، ولا لبن في أخلافها ، يمتصه ويمتص معه غذاءها فصلان ، فنذاؤها لها وحدها



وطعامها وقف عليها دون سواها ، فهي لذلك الجلدة الصبور ، وإذا سرت بها في مهمه فيحاء أسرع بك إسراعاً كأنه جرى الريح خشية أن يكون بعد المسافة في العشى سبب اغتيال ، فهي تبغى لك الحياة ، وإن كانت من كثرة أسفارك في شقاء ، وتطلب لك النجاة ، وإن أصابها من تعدد رحلاتك العناء ، وهي شديدة الخوف كثيرة الفرع ، تخاف أن تعلق بذلك السوط المحكم المفتول ، المقدود من الجلد .

ما أشبه ناقتي تلك بالبقرة الخنساء قد سفعت وجنتها ، وهي إلى هذا الحسن والجمال كريمه عتيقة ، حرة عزيزة ، قطاعة آفاق ، جوابة أنحاء وأقطار ، شديدة الذعر ، جياشة الفؤاد ، تكاد تشبه لشدة ذعرها ، وجيشان فؤادها البقرة الرؤوم الحريصة على فرقدتها الحسن الجميل .

#### النقر :

معاني هذه القطعة من قصيدة زهير تشبه شباها واضحاً معاني قطعة بشامة بن الغدير أستاذه العظيم ، فالناقة وجنائه كالفحل الغليظ الضخم ، وهو معنى سبقه إليه بشامة ، بل إن بيت بشامة أجمع :

فقربت للرحل عيرانة عذافرة عنقرىسا ذمولا

وإن يكن زهير قد وصفها - دون غيره ممن تقدمه - بأنها نضو أسفار ، وطليح آفاق ، وذلك إذ يقول :

جمالية لم يبق سيري ورحلتي على ظهرها من بيها غير محفد

وأحسب أنه لو أكرمها لأراحها ، كما أراح علقمة ناقته في قوله :

قدعريت زمناحتي استطف لها كتر كحافة كير القين ملموم

وأراه متناقضا ، فقد ذكر أنه يكرمها ، ويضاعف لها غذاءها ؛ لأن فرجها محروم الشراب ، وذلك مفهوم من قوله :

وتلوى بريان العسيب تمره على فرج محروم الشراب مجدد

ثم هي مفضاة من السفر ، مفضاة من الرحل ، وذلك غير قول أستاذه بشامة :  
لها قرد تامك نيه تزل الولية عنه زليلا

وكأني بزهير في بيته ذلك قد نظر إلى نفسه لا إلى ناقته ، وهذا المعنى يقال عن غيره من أولئك الشعراء الذين يصفون مطاياهم بالنضو والضنى والهزال .

ولقائل أن يقول : إن زهيراً كان جواب آفاق ، فأما شامة فقد كان قعيد داره ، لا يكاد يبرحها ، فناقته مكتنزة السنام ، وكلاهما وصف ناقته بالكرم والعتق والجنوح والنجاء ، والمرح والنشاط ، ولكن معنى جديداً أورده زهير واضحاً ساطعاً ؛ ذلك أن ناقته تشعر بشعوره ، وتحس باحساسه ، فهي إذا ما أرحى الليل سدوله ، وخيف عنى المسافر الفتك والاعتيال :

تبادر أغوال العشى ، وتتقى علالة ملوى من القد محصد  
ويؤيد هذا المعنى أيضاً قوله :

كهمك إن تجهد تجدها نجيحة صبوراً ، وإن تسترخ عنها يزيد  
وهذان البيتان واضحان عن قول المسيب بن علس :

مرحت يداها للنجاء كأنما تكرو بكفى لاعب في صاع  
فعل السريعة نادت جدادها قبل المساء تهم بالإسراع

ولم وصف زهير سوطه بأنه علالة ؟ لأنه قطعه بضربه إياها ؛ أم لأنها لا تحتاج إلى ضرب ، فاكتفى بالبقية الباقية منه ؛ الوجه أنه عرفها كريمة عتيقة ، فاستغنى عن السوط الكامل بعلالة منه

وزهير يمتاز على جميع شعراء عصره بدقة التحديد ، فديار أم معبد « بالبقيع فهمد » وقد كان وقوفه « رأد الضحاء » والرحل لم يبق من « نيه غير محمد » وهي « جنوح الليل ناجية الغد » وتجيء دقة معانيه تابعة للدقة في ذلك التحديد سواء أ كان التحديد مكاناً أم زماناً ، معنى أم صورة .

كما أنه دائم الجنوح إلى الحقيقة ، وهذا أثر من آثار حكيمته التي أخذها عن أستاذه بشامة ، فهو لم يقل ما قاله طرفه في وصف انفراج ما بين مرقبها :

كأن كناسي ضالة يكتفانها وأطر قسي تحت صلب مؤيد  
ولم يسر على نهج أستاذه ، فيقول كما قال :

وصدر لها مهيع كأنخليف تخال بأن عليه شليلا  
ولكن في الأبيات غير التشبيهات الكنايات الطريفة كقوله :

وتلوى بريان العسيب تمـره على فرج محروم الشراب مجدد  
وقوله :

كنساء سقاء الملاطم حرة مسافرة مزوءدة أم فرقد

وبعد فمعاني زهير أقل من معاني من سبقوه ، وتشبيهاته أدنى من تشبيهاتهم ، ولعل ذلك لأنه كان يؤثر الحقيقة ، وفي التشبيه نوع من المبالغة ، وصوره ليست متكاملة كأكثر صورهم : وأسلوبه في جملة أقل رنيناً من أساليبهم .



٥ — وقال المسيب بن علس\* من قصيدة أولها :

أرحت من سلمى بغير متاعٍ      قبل العطاسِ ورُعْتها بوداعٍ؟<sup>(١)</sup>  
 قسلاً حاجتها إذا هي أعرضت      تخميصة سرح اليدين وساعٍ<sup>(٢)</sup>  
 صكاً ذعابة إذا استدرتها      حرج إذا استقبلتها هلواعٍ<sup>(٣)</sup>  
 وكان قنطرة موضع كورها      ملساء بين غوامض الأساعٍ<sup>(٤)</sup>  
 وإذا تعاورت الحصى أحفاها      دوى نواديه بظهر القاعٍ<sup>(٥)</sup>  
 وكان غارتها رباوة مخرمٍ      وتمثثنى جديلاً بشراعٍ<sup>(٦)</sup>  
 وإذا أظفت بها أظفت بكل كلٍ      نبض الفرائص مجمر الأضلاعٍ<sup>(٧)</sup>  
 مرحت يداها للنجاء كأنما      تكرو بكنى لاعب في صاعٍ<sup>(٨)</sup>  
 فعل السريعة بادرت جدادها      قبل المساء تهم بالإسراعٍ<sup>(٩)</sup>

\* ترجمه الشاعر: هوزهير بن علس بن مالك بن عمرو الربيعي، خال الأعشى وأستاذه، شاعر مقلد عبيد، مدح عمرو بن هند، ولقي عنده طرفة والمتلس الشاعرين، وهذه الأبيات من قصيده جيد مدح بها القعقاع بن معد، وكان سيداً كريماً ظريفاً يضرب بظرفه المثل، توفي حوالي سنة ٥٨٠ م.  
 التفسير اللغوي : (١) العطاس : الصباح . رعتها أفزعها :

(٢) أعرضت : صدت . تخميصة : بناقة ضامرة الحصر . منظوية البطن . سرح اليدين : سهلة السير بهما . وساع : واسعة الخطو . (٣) الصكاء : القوية في سيرها ، والتي تقارب عرقوناها . الذعابة : السريعة . الحرج : الطويلة الضامرة . الهلواع : السريعة الحديدية المذعانة . (٤) الكور : الرجل بأدائه . غوامض : خوافي الأساع : جمع نسع سيور الجليديشدبها الرجل . (٥) تعاورت : تداولت . دوى : صوت . نواديه : شوارده ومتفرقه . القاع : الأرض السهلة . (٦) الغارب : هنا السام ومن معانيه ما بين الظهر والساكاهل . الرباوة : منقطع الغلظ من الجبل حيث استرق . المخرم : منقطع أنف الجبل . ثنى : مثني . الجديل : الزمام الجدول المقتول . الشرع : القلع . (٧) الكلكل : الصدر . نبض : حركة . الفرائص : جمع فريضة وهي مصغة بين الكتف والصدر . مجمر : واسع . (٨) مرحت : نشطت . النجاء : الإسراع . تكرو : تلعب . الصاع : منهبط الأرض . (٩) الجداة : ما بقي من خيوط الثوب .

## تحليل الأبيات :

بدأ المسيب قصيدته في مدح القعقاع بن معبد بغزل لم يتجاوز الأبيات الثلاثة من القصيدة ، فقد صحا في بيته السادس من حمله ، وأفاق من شوقه ، ورأى أن الحكمة في اجتناب الصبا ، وذلك إذ يقول :

فرايت أن الحكم مجتنب الصبا وصحوت بعد تشوق ورواع  
وإذن فعلى قلبه الواله أن يتسلى عن سلمى إذا ما صدت عنه ، وأعرضت دونه ، فقال له :  
تسلّ عن حاجتك منها بخليّة أخرى تطيعك إن أحببت ، وتقبل عليك متى أردت ،  
ولا تصد عنك أو تعرض كتلك الخليّة التي أعرضت عنك وصدت ، تسلّ بتلك الناقة  
النجيبة ، الخميصة البطن ، الضامرة الخصر ، السهلة السير ، الواسعة الخطو ، البعيدة الشأو ،  
كأنها في تقارب عرقوبيها ، وقوة نشاطها نعامة تسابق الريح ، فلا تكاد تقينها إذا رأيتها  
مدرة ، فإذا استقبلتها بدت لك طويلة ضامرة ، مطيعة مذعنة ، حديدة البصر ، قوية  
النظر ، وكأن ظهرها قنطرة ملساء مدحجة ، مكنتزة قد أثرت سيور الكور التي لا تكاد  
ترى لتداخلها في لحمها الكثير ، حتى ملس ونعم مكان تلك الأساع ، إذا أرقلت  
فتداولت أخفافها حصى الطريق المتفرق سمعت له دويّا في الأرض الهينة الناعمة ، كأنه  
صوت الريح الخنون .

أما سنامها الضخم المتعالى فأشبهه بأكمة رمل ، أوراوة جبل ، كلاهما يعالو جسما  
منبسطا ، وكلاهما ينتهى بقمة متماسكة متداخلة ، وتحملك على أن تبسط المنثنى من زمامها  
المفتول ، وخطامها المجدول ، عند ما تمد في مسيرها عنقا مستطيلا ، كأنه الشراع المطوى ،  
أو الرقل المستعرض المتين .

وإذا تأملتّها ، وتدبرت محاسنها ، وأحطت بأعضائها أخذك ما تراه من قوة  
في صدرها ، وامتداد في كلكها ، ذلك الصدر الذي تنبض بالحركة الدايقة فرائصه ،  
وتشدت بالخفقان السريع عروقه ، وتتسع أضلاعه ، قد نشطت قائمتها الأماميتان ، فهما  
تندمان للعدو اندفاعا ، حتى ليحسبها من يراها تدفعهما بتلك القوة تريد أن تحفر بهما

الأرض ، فهما ككفتي لاعب ماهر ، قد نشط للكرة يقذفها بكلتا يديه في أرض منخفضة سهلة ، وقد انهمك في اللعب حتى سال عرقه ، وجرى فوق أعضائه ، تلك الناقة تشبه في تتابع قائمتيها عند إرقالها امرأة تريد أن تنتهي من ثوب تنسجه قبل أن يحل بها المساء ، ويطوى النهار ، فهي تبادر إلى مابقى من خيطها تعمل فيه يديها في قوة وإسراع .

### النقر

يغلب على وصف المسيب الحسية البصرية ، فهو يعتمد على عينييه الاعتماد كله ، أليست ناقته « بخميصة سرح اليدين وساع » ؟ وبتأملها مدبرة ومقبلة فيقول :  
 صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع  
 وكان قنطرة بموضع كورها ملساء بين غوامض الأنساع  
 وكأنه أخذ هذا المعنى من طرفة ؛ إذ يقول :

لها مرققان أفتلان كأنما تمر بسلمى دالج متشدد  
 كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقمرمد

وإن قوله : « ملساء بين غوامض الأنساع » فيه تصوير واضح ؛ إذ أظهر انطواء جلد الناقة فوق الأنساع حتى ما تظهر أوتبين ، وفيه دلالة على اكتنازها ورقة جلدها ، وتصويره تعاور أخفافها الحصى بأن له دويا أوحى إلى السامع أشياء :

منها تصوير تلك الفلاة التي تقطعها بأنها وعرة ، وأن السير فيها لا يهون إلا على النياق الوثيقة الأخفاف ، الصلبة الأرساع ، وتوحى بأن للسامع أذنا موسيقية تعرف كيف تميز الأصوات ، وكيف تصورهما ، وأن قوتها في مسيرها أطارت الحصى ، فضرب بعضه بعضا ، وهو قريب من قول المثقب العبدى :

تسمع تعزافا له رنة في باطن الوادى وفي القردد

وتشبيهه سنامها بأنه كربة الجبل تشبيه جميل ، وإن يكن مطروقا على ألسنتهم جميعا ،

فهو يشبه بقمة الحبل ، والمثقب العبدى يشبه برأس القصر ، وهو يدل على خيال  
حضرى ، فيقول :

ينبى تجاليدى وأقتادها ناو كراس الفدن المؤيد

وتشبيهه قائمتها الأماميتين بكفى لاعب الكرة يقذفها بكلتا يديه ليكون مرماها بعيداً .  
تشبيه جميل ؛ لأنه يدل على بعض أعبابهم ، وجميع تشبيهاته مستمدة من بيئته ، فغاربها  
رباوة مخرم ، وزمامها كالشراع أو كالدقل الذى يفضلهُ القدماء ، وإن كنت لا أرى ما يمنع  
تشبيهه العنق بالشراع المطوى ، والحصى يدوى نواديه بظهر القاع ؛ وقد جرى الشاعر على  
الطبيعة الجاهلية ، فلم ينظر فى أبياته تلك إلى ترتيب بل كل ما يعن له من معان ينظمه ،  
وذلك شأن الشاعر المطبوع فى ذلك العصر .



٦ — وقال علقمة الفحل \* من قصيدة أولها :

هل ما علت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم<sup>(١)</sup>

فالعين مئى كأن غرب تحط به دهاء حاركها بالقتب محزوم<sup>(٢)</sup>

قد عريت زمناً حتى استطف لها كثر كحافة كير القين ملموم<sup>(٣)</sup>

قد أدبر العر عنها ، وهى شاملها من ناصع القطران الصرف تدسيم<sup>(٤)</sup>

٢٠٨ : تسقى مذائب قد زالت عصيفتها حدورها من آئى الماء مطموم<sup>(٥)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة التيمي ، شاعر جاهلى فحل . قال عنه ابن سلام الجحى : « له ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر » والقصيدة التى منها هذه الأبيات إحدى هذه الروائع ، ولقب بالفحل لأنه نازع امرأ القيس الشعر ، وحكاً أم جندب زوج امرئ القيس ، فكمت لعلقمة عليه ، فطلقها امرؤ القيس ، خلفه عليها ؛ توفى حوالى سنة ٥٦١ م .

التفسير اللغوى : (١) نأتك : فارقتك . مصروم : مقطوع .

(٢) الغرب : الدلو العظيمة ؛ تصنع من جلد الثور . تحط به : تعتمد فى جذبها إياه على أحد شقيها . دهاء : وصف للناقة ، إذ الدهم أقوى أنواع الإبل والحيل . الحارك : أعلى الكاهل . القتب : الإكاف الصغير .

(٣) استطف لها : ارتفع لها . الكثر : السنام . الكير : موقد النار للحداد ، وهو القين . ملموم : مجتمع .

(٤) العر : الجرب . الناصع : الخالص . التدسيم : الأثر

(٥) مذائب : مدافع الماء إلى الرياض . العصيفة : ورق الزرع . حدورها : منحدرها

آئى الماء : السيل القوى الندفع . مطموم : مملوء .



هل تُلحِقَنِّي بِأُخْرَى الْحَىِّ إِذْ شَحِطُوا      جُلْدِيَّةٌ كَأَنَّانِ الضَّحْلِ عُلُكُومٌ؟<sup>(٦)</sup>  
كَأَنَّ غَسْلَةَ خِطْمِيَّ بِمِشْفَرِهَا      فِي الْخَدِّ مِنْهَا فِي الْأَخْيَيْنِ تَلْفِيمٌ<sup>(٧)</sup>  
تَمَثَّلَهَا تَقَطَّعُ الْمَوَامُ عَنْ عَرُوضٍ      إِذَا تَبَغَّمَ فِي ظَلَمَائِهِ الْبُومُ<sup>(٨)</sup>  
٢١٢ : تَلَا حِطُّ السَّوْطِ شَزْرًا وَهِيَ ضَامِرَةٌ      كَمَا تَوَجَّسَ طَاوِي الْكَشَّحِ مَوْشُومٌ<sup>(٩)</sup>



- (٦) أُخْرَى الْحَىِّ : آخر الفرق المرتحلة . شحطوا : بعدوا . الجلدية : الصلبة الفوية .  
أَنَّانِ الضَّحْلِ : الصخرة يجرفها السيل فتبقى في الماء . العلكوم : الغليظة .  
(٧) الغسلة : ما غسل به الرأس . الخطمي : نبات يغسل به . التلقيم : تفعيل من  
اللقام ، وهو زبد تخالطه خضرة من الرعي .  
(٨) المومة : الصحراء . عن عرض : عن اعتراض . تبغم : صوت صوتا مختلسا .  
(٩) شزرا : بمؤخر العين . ضامرة : صابرة فلا ترغو من الضجر . طاوى الكشح :  
كناية عن الثور الوحشي . موشوم : منقط .

## تحليل الأبيات :

بدأ علقمة قصيدته بمناجاة قلبه في موقفه من خليلته ، أبحافظ على سرها ، ويكتم  
مكون أمرها ، أم أنه وقد نأت عنه سيقطع صلته بها ، ثم يفشى سرها ؟

ثم أخذ يصف رحيل الغواني وأثره ، وجمالهن وسحره ومسكنهن وعطرهن ؛ حتى انتهى بعدئذ  
إلى أن العين كالذئب اعتمدت على أحد جانبيها ناقة دهاء ، قد ظهر من فوق قتبها الحزوم في كاهلها ،  
فأدلو لهذا الميل دائم الانسكاب ، وهو بعد هذا التمهيد يسير في وصف الناقة ، فيقول :

إنه يعز ناقته ويكبرها فلا يستخدمها إلا قليلا ، قل أن يضع الرجل فوق ظهرها ،  
فهو في أكثر الأحيان عريان ، لذلك هو مكتنز صلب كحافة كير الحداد ، وقد ذهب عنها  
العر ، وزال الجرب ، بما بذله من العناية بها ، فأثار القطران الخالص تشمل جميع  
أجزائها ، وهذا في ذلك العصر دليل الغنى والثروة .

مثل ذلك القطران يسقى جميع أجزاء هذه الناقة كمثل الماء يسير في طرقه ومجاريه ؛  
ليسقى الحدائق والرياح ، قد زالت عنها أوراق الأشجار ؛ فالقطران يسير من أعلاها إلى  
أدناها ، فيتفرق على قوائمها وعنقها وذيلها وجميع أجزاء جسمها ؛ تفرق الماء يسير إلى  
الرياح من المرتفعات إلى الوهاد ، فيسقيها جميعها .

هل تلحقني تلك الناقة العزيزة المكربة بأخرى الطمأن اللأئي ظمن ، وهي الظمينة  
التي علق بها قلبي ؟ ولم لا تفعل ؟ وهي ناقة قوية صلبة كأنها الصخرة نضب عنها الماء ،  
فبدت ناعمة ملساء ، وكأنها - وقد علا مشفرها وخدها ولحيها الزبد المختلط بخضرة  
العشب - قد غسلت بالخطمي .

بمثل تلك الناقة القوية الجلدة تقطع الفلوات ، وتجاب المغازات دون أن تباليها  
أو تخشى مجالها ؛ تلك الجاهل التي يصوت في أقطارها البوم ، ذلك الصوت المنكر  
الضئيل المختلس ، كأنه يخاف أن يسمعه صائد فيودي به ويقضى عليه ، وهي إذ تسير  
تراقب سوط رآكبها ، وتنظر إليه بمؤخر عينها جلدة صبورا لا تشكو سيرا ، ولا تحس  
ضجراً ، مثلها في النظرة الشزراء والطرف الحذر ؛ كمثل الثور الوحشي الطاوي الكشع ،  
الضامر الخصر ، المنقط الجسم ، يتوجس الشر ، فيسمع كل نامة ، ويرهب كل حركة ،  
فهو لا يأمن كائنا ، ولا يصاحب مخلوقا .

النقر :

لم يقتضب علقمة في قصيدته غزله كما اقتضبه سائر من اخترنا من شعرهم في الوصف ،  
فقال طرفة : « وإني لأمضى الهم عند احتضاره » وقال بشامة بن الغدير : « فغربت  
لرحل عيرانة » .

وقال المثقب العبدى : « حتى تلوفيت بلسكية » ، وقال زهير بن أبي سلى :  
« وقفت بها رأد الضحاء مطيتى » ، وقال المسيب بن علس : « فتسل حاجتها إذا هي  
أعرضت » .

لم يفعل كما فعلوا وإنما مهد للوصف تمهيداً طريفاً على غير عادة الجاهليين ، فقال : إن  
عينه مثلها كمثل الدلو تحمله ناقة دهاء قوية ، وقد مالت الدلو إلى أحد جانبيها فهي تسيل ،  
ثم انصرف إلى وصف تلك الدهاء .

وفي القطعة معان طريفة مخترعة لم يمر لها نظير في شعر الحمسة الشمرء الذين قدمنا لهم  
نماذج في وصف النوق ، فناقته عزيزة عليه عزتها على الآخرين ، ولكنه لا يرهقها  
كما فعل زهير ، بل :

قد عريت زمنا حتى استطف لها      كتر كحافة كير القين ملموم  
قد أدبر المرعنها وهي شاملها      من ناصع القطران الصرف تدسيم

ومن الطريف تشبيهاً في صلابتها وملاسة جسمها بالصخرة الغليظة الضخمة يجرفها  
السيل ، فتبقى في الماء دهرأ فتزول خشوتها ، وتبقى لها قوتها ، فيقول :

هل تلحقتنى بأخرى الحى إذ شحطوا      جلذية كأثان الضحل علكوم؟

وهو يتخير الألفاظ الصلبة لمعانى الصلابة ، مثل : جلذية ، علكوم ، ضامرة ، كتر .

والقطعة على قصرها تدل على أن علقمة كان من مجيدى الوصف البارعين فيه ، فأى  
صورة كاملة للقطران يعم أجزاء الناقة أدق من تشبيهه بالماء يسيل من الروابي والنبجاد  
إلى المنخفضات والوهاد ، فيصل جميع أجزاء الروض .

## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف الناقة

هؤلاء الشعراء الستة الذين أردنا أن نجعل منهم عناوين لبقية شعراء هذا العصر في وصف الناقة ليسوا بأشعرهم في الوصف ، وليسوا بأفوقهم في الشعر ، ولكننا اخترناهم ؛ لأنهم ينتسبون إلى قبائل متعددة ، ويعيشون في أقاليم متباعدة ، وينشئون في عصور مختلفة وإن بدت متقاربة ، فطرفة كان ينتسب إلى بكر ، ويعيش في البحرين وإن رحل منها إلى غيرها ، وكان بشامة بن الغدير غطفانيا ، ويعيش في نجد ، والمثقب عبديا ، ويعيش في العراق ، وكان زهير مزنيا ، ويعيش في نجد ، والمسيب بن علس بكريا ، ويعيش في العراق ، وكان علقمة الفحل تميميا ، ويعيش في نجد ، وليس كون بعضهم متفقيين في الوطن أنهم متفقون في الفكرة ؛ إذ كانوا جميعا ماعدا بشامة بن الغدير من الشعراء الرحالين ، وللرحلات أثر في الأدب ؛ إذ ينهل الشاعر من البيئة التي يرحل إليها نهله من البيئة التي يرحل عنها ، هذا إلى أن العراق ونجدا وإقليم واسمان مختلفان اختلافا كبيرا في نظم الحياة .

ونحن نرى هؤلاء الشعراء - ماعدا طرفة - يكادون يتشابهون في المعاني التي أوردوها ، ولم نستئن طرفة لأنه لم يشاركهم في معانيهم ، بل لأنه أورد معاني كثيرة اتسع لها طول وصفه ، وهم يعتمدون على الحس دون العطف الاعتماد كله ، وبخاصة حاستا السمع والنظر ، ولكنهم يتفاوتون في الاعتماد عليهما ، فمنهم من يؤثر النظر ، ومنهم من يؤثر السمع ، وقلما يشيرون إلى الشعور الداخلي ، ومن ذلك القليل قول زهير :

تبادر أغوال المشى وتتقى علالة ملوى من القد محصد

فقد أشار إلى إحساسها وشعورها حينما يغطيها الظلام ، ويفشاهما الليل ، ولكنها مع ذلك إشارة عابرة ، ومنه قول علقمة :

بمثلها تقطع المومة عن عرض إذا تبغم في ظلماته البوم

فهو يشير إشارة مبهمة أو خفية إلى أنها تسعى جاهدة لتقطع هذه المومة بعد أن بسط الليل جناحيه الأسودين ، يشعرا بهذا الذي يعنيه قوله : تبغم فهي وحدها الموحية بهذا الشعور .

ومع تباعد أوطانهم وأنسابهم وأعمارهم تكاد معانيهم تنبع من معين واحد ، فكلمهم  
وصف ناقته بالصلابة والقوة ، فقال طرفة :

أمون كألواح الإيران نسأتها      على لاحب كأنه ظهر برجد  
وقال بشامة بن الغدير :

فقربت للرحل عيرانة      عذافرة عنتريسا ذمولا  
وقال المثقب العبدى :

عرفاء وجناء جمالية      مكربة أرساغها جلمد  
وقال زهير بن أبي سلمى :

جمالية لم يبق سيرى ورحلتى      على ظهرها من نيبها غير محفد  
وقال المسيب بن علس :

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها      حرج إذا استقبلتها هلواع  
وقال علقمة الفحل :

هل تلحقنى بأخرى الحى إذ شحطوا      جلذية كأتان الضحل على كوم؟  
وقال أيضا :

فالعين منى كأن غرب تحط به      دهاء حاركها بالقتب محزوم

وقد استنبطت قوتها من كلمة دهاء ؛ إذ الإبل الدم معروفة بالقوة والسرعة ، فهو فى تناوله  
هذا المعنى غير المسيب بن علس الذى نعتها بنموت القوة كصكاء وحرج ، فالصكاء القوية ،  
والحرج الطويلة ، وكلاهما غير زهير الذى صورها جملا ، وهو دون شك أقوى من الناقة  
وأبسط جسما ، وثلاثتهم أقل من المثقب العبدى الذى وصفها بأنها عرفاء ، ووجناء ،  
وجمالية ، وبأنها مكربة وجلمد الأرساغ ، فهذه خمسة نموت كل نعت منها يشعر بالقوة  
والصلابة ، أما بشامة فيصف قوتها فى بيتين متتابعين :

فقربت للرحل عيرانة      عذافرة عنتريسا ذمولا  
مداخلة الخلق مضبورة      إذا أخذ الحاققات المقيلا





فنبات الربا في الحدائق التي توالى عليه المطر أنعم وأجود من سواه ، ولا يعرفه من يعيش في صحارى الأحقاف أو في النفود أو في الدهناء ، ثم جمعه الحدائق يدل على كثرتها وانتشارها ، ومثل قوله :

لها فخذان أكل النحض فيهما كأنهما بابا منيف ممرد

فتشبيهه الفخذين ببابى القصر المنيف دليل مدنيتهم ؛ حتى إنهم يشيدون قصورا ممردة متعددة الأبواب ، وتستطيع أن تتبّع أبيات القصيدة لتجد دلائل الحضارة ومظاهر المدنية واضحة ساطعة ، وتجد أثر الحضارة في تشبيه آثار ارتطام الحصى بأرساغ الناقة بالغناء في قول المثقب :

تسمع تمزافا له رنة في باطن الوادى وفي القرد

وفي قول المسيب :

وإذا تعاورت الحصى أخفافها دوى نواديه بظهر القاع

أما آثار الثقافة في شعر طرفة فمظاهرها كثيرة كذلك ، ومنها قوله :

كقنطرة الرومى أقسم ربها لتككتفن حتى تشاد بقرمد

فهو قد أشعرنا بأن الروم يحسنون البناء ، ويجيدون فن الهندسة ، وقوله :

وخذ كقرطاس الشامى ومشفر كسبت اليماني قدّه لم يجرّد

ففي هذا البيت صورة لقرطاس الشامى ، فهو رقيق أبيض عريض ؛ لأنه يريد وصف خد

الناقة بهذه الصفات ، ولأن هذه الصفات من أسباب الجمال في النوق والمشفر كسبت اليماني

نستشعر منه أن سبت اليماني أحمر لين مستقيم ؛ لأن هذه صفات المشفر الجميل ، وقوله :

وعينان كالمأويتين استككتنا بكهفي حجاجى صخرة قلت مورد

فتشبيه العين بالمرأة يدل على ثقافة وحضارة ؛ إذ هو يعرف في المرأة الصفاء ، وكثرة العرب

تشبه العين بالنبع ، أو النبع بالعين ، أما تشبيهها بالمرأة فلا .

على أنه لا ينسى البادية بل يذكرها ، فألفاظه في جملتها من أجزل ألفاظ البادية ،

والكثير من معانيه وتشبيهاته وكنائياته أضفت عليه البادية الكثير من القوة والرصانة ،

وذلك كقوله :



تريع إلى صوت المهيب وتتقى بذى خصل روعات أ كلف ملبد  
فهذه الكنايات في البيت من ملاحظات أهل البادية ، وكقوله :  
كأن كناسى ضالة يكتفانها وأطر قسى تحت صلب مؤيد  
لها مرقان أفتلات كأنما تمر بسلى دالج متشدد  
كلها من إملاء البيئة البدوية التي لا تشوبها شائبة من الحضارة ، فإن القسى من أدوات  
الغابة لا من نبات الحديقة .

وهذا الذي ذكرناه عن طرفه يذكر بعضه عن الشاعرين الآخرين المنتسبين إلى العراق،  
ونقول بعضه لأنهما لم يطبلا كما أطال ، ولم يكن لهما ماله في ذلك المجال ، وإن يكن لهما  
من الصور الشعرية ما يملأ النفس روعة ، كقول المثقب العبدى :

كأما أوب يديها إلى حيزومها فوق حصى الغدغد  
نوح ابنة الجون على هالك تندبه رافسة المجد  
فهذه صورة واضحة كاملة لحركة القامتين الأماميتين لا تنقصها ألوان ولا خفقان ، وهذه  
الزغمة الموسيقية التي تصورها المسيب بن علس فأحسن تصويرها لا يمكن أن نقض من  
شأنها بالإشارة إليها دون عرضها ، وهي قوله :

وإذا تعاورت الحصى أخفافها دوى نواديه بظهر القاع  
أما الشعراء النجديون وهم بشامة وزهير وعلقمة ، فمع أن اثنين منهم كانا حكيمين ،  
والحكمة توحى إلى صاحبها بالركة والسهولة ، واللين والسماحة فإنك تشعر أن للبيئة فيهما  
مالها في غيرها ، فاستمع إلى هذا البيت ينشده رجل هو قعيدة بيته ، وحكيم قبيلته، وهو  
بشامة بن الغدير :

فقربت للرحل عيرانة عذافرة عنتريسا ذمولا  
أربع كلمات كأنها منحوتة من الصخور في بيت واحد ، ولو أنها وزعت في إحدى المطولات  
لألبتها شملة الأعراب ، ثم قوله .  
لها قرد تامك نيه تزل الولية عنه زليلا

أما تلميذه زهير ؛ فشأنه هو شأنه المعروف رقة لفظ وعذوبة أسلوب ، فإن خرج عن طبعه فلأن الكلمة التي قهر عليها مما لا يغنى عنها غيرها ، أو لأن الشعراء جرت بها ألسنتهم ، فصارت كالجزء من وصف الناقة ، وذلك كقردد وجلعد ، ومزءودة ، فأما علقمة فقد كان شعره جميعه منخولا مصفى ؛ حتى أخبر عنه حماد الراوية قال : « كانت العرب تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوا منها كان مقبولا ، وما ردوا منها كان مردوداً ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم القصيدة التي منها هذه الأبيات ، فقالوا : هذه سمط الدهر ، وكان الفرزدق يقول عنه :

والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه يتنخل

وقد قدمنا أنه كثير الرحلات فلعل هذا من أسباب رقة شعره ، ويعجبنا منه ذلك الخيال في قوله يصف مسيل القطران الخالص على أطراف الناقة :

تسقى مذائب قد زالت عصيفتها حدورها من أتى الماء مطموم

فالقطران لا يجدى الجدوى كلها إلا إذا كان جسم الناقة خاليا من الشعر ، وهو ما أشار إليه بقوله : « قد زالت عصيفتها » وقوله في وصف خضرة مشفرها من أثر الرعى :

كأن غسلة خطى بمشفرها في الخد منها وفي اللحيين تلغيم

كما يعجبنا قول زهير في وصف عرقها خلف أذنيها :

وتنضح ذفراها بجون كأنه عصيم كحيل في المراجل معقد

فهذا الوصف لعرق الإبل الذي يتحدثون عنه بأنه أسود في أول أمره ، ثم ما يلبث أن يصفر حتى يصير كلقطران المطبوخ تشبيهه دقيق يدل على علم بدقائق حياة الإبل .

وبعد فهذه نظرات فاحصة قد تكون إلى الإيجاز أقرب منها إلى الإطناب ، ولكنها مع ذلك محصية مستقصية ، فهي إتمام لما بدأناه في تحليل القطع الست ، وإيفاء لما قد نكون عبرناه عبراً ، وإيحاء إلى من يريد أن يتبين أصول وصف الناقة في العصر الجاهلي ، وحسبك من الزاد ما بلنك الحل ، ومن النقد ما رسم لك الطريق .

## ( ب ) وصف الفرس

١ - قال امرؤ القيس \* من معلقته :

وقد أغتتـدى والطيرُ في وُكُناتِها	بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ <sup>(١)</sup>
مِكرٍ مِفرٍ ، مُقبِلِ مُدبرٍ معاً	كجلمودِ صخرِ حطّه السيلُ من عِلِ <sup>(٢)</sup>
كُميتِ يَزِلُّ اللبـدُ عن حالِ متنه	كما زلتِ الصّـفـواءُ بالمُتَنزِلِ <sup>(٣)</sup>
على الذّـبـلِ جياشٍ كأنَّ اهـتـزامه	إذا جاش فيه حميه غلِيُّ مرَجَلِ <sup>(٤)</sup>
مِسحٍ إذا ما السّابحاتُ على الوئى	أثرتِ الغُبارَ بالكديدِ المرَكَلِ <sup>(٥)</sup>
٢١٨ : يَزِلُّ الغُلامُ الخِفُّ عن صهواته	ويَلوى بأثوابِ العنيفِ المَثَقَلِ <sup>(٦)</sup>

\* ترجمته الشاعر : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي ، زعيم شعراء العصر الجاهلي ، بما اخترع من معان بقيت مادة الشعر والشعراء عصوراً ، وبما أنشأ من صور لونها ، فلم يمح ألوانها مرور الدهور ، وبما ابتكر من أساليب ذات طراز طريف خالد ، وبما ابتدع من تشبيهات واستعارات وكنيات هي آية الآيات في الروعة والجمال ، في الشعر القديم والحديث ، وأسفى شعره غزله ووصفه ، لأنهما ينبعثان عن نفس جياشة صافية ، توفي حوالي سنة ٥٣٩ م .

التفسير اللغوي : (١) أغتدى : أخرج غدوة للصيد ، والغدوة أول ساعات النهار . وكُناتِها : جمع وكنة وهي الأوكار ، والوكنتات في الجبال كالتماييد في السهول ، والتمراد برج الحمام . بمنجرد : بفرس قصير الشعر . قيد الأوابد : مقيد للوحوش الأبدية النافرة . هيكل : ضخم . (٢) مكر مفر : كثير الكسر والفر ، مقبل مدبر : حسن الإقبال والإدبار . كجلمود صخر : كصلب الصخر . حطه : أسقطه .

(٣) كُميت : أحمر مائل إلى السواد . يزل : يسقط . حال متنه : موضع ظهره . الصفواء : الصخرة اللساء . بالمتنزل : بالسيل المتدافع . (٤) الذبل : الضمور . جياش : مضطرب اضطراب الماء المغلي . اهتزامه : صوته . حميه : غليه . الرجل : القدر الكبيرة .

(٥) مسح : عداء ، من مسح السحاب المطر إذا صبه . السابحات : وصف للخيل تبسط يديها في جريها كما يبسطهما السابح . الوئى : البطء والفتور . الكديد : الأرض الصلبة المطمئنة . المركل : الذي يركل بالرجل مرة بعد مرة .

(٦) يزل : يزلق . الخف : الخفيف . الصهوات : جمع صهوة مقعد الفارس من ظهر الفرس . يلوى : يرمى يمينا وشمالا ووقفا . العنيف : الفارس الحاذق . المثل : الثقيل .

(٧)	تتابعُ كفيه بخيطٍ موصَّلٍ	دريرٍ كخُذْرُوفِ الوليدِ امرءٍ
(٨)	وإرخاءِ سِرْحَانٍ ، وتقريبُ تنقلٍ	له أبطالا ظبي ، وساقا نعامةٍ
(٩)	بضافٍ فُويقِ الأرضِ ليس بأعزلٍ	ضليعٍ إذا استدبرتهُ سدَّ فرجه
(١٠)	مَدَاكُ عروسٍ أو صَلايَةِ حنظلٍ	كأنَّ سراته لدى البيتِ قائمًا
(١١)	عُصارةُ حنَّاءِ بِشَيْبِ مُرَجَّـلٍ	كأنَّ دماءَ الهادياتِ بنـحـره
(١٢)	عَدَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذِيلٍ	فمنَّ لنا سربُ كأنَّ نعاَجَـه
(١٣)	بجيدٍ مُعِمِّ فِي العَشِيرَةِ مُخْوَلٍ	فأذبرن كالجزعِ المفضَّـلِ بينه
(١٤)	حَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ	فألحقنا بالمهادياتِ ودونه
(١٥)	دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ	٢٢٧ : فعادى عداً بين ثورٍ ونعجةٍ

- (٧) درير : مستدر في العدو . الخذروف : الحرارة ، وهي حصة مثقونة يجعل فيها الصبيان خيطا ويديرونها فيسمع صوت ودوى لسرعة دورانها . أمره : أحكم قتله . تتابع كفيه : بسرعة إدارة تلك الحصة . (٨) أبطالا ظبي : خاصرتا غزال . إرخاء سرحان : عدو ذئب ، والإرخاء نوع من جريه . تقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العدو . التنقل : ولد الثعلب . (٩) ضليع : عظيم الأضلاع . استدبر الشيء : نظر إلى مؤخره . الفرج : الفضاء بين الفخذين . بضاف : بذيل سابغ مغط . فويق : تصغير فوق للتقريب ، كأنه قال : بضاف قريب من الأرض . الأعزل : الذي يميل عظم ذنبه على أحد الشقين . (١٠) سراته : ظهره . المداك : الحجر الذي يدك به الطيب ونحوه . الصلاية : الحجر الأملس الذي يدق فيه أو عليه . الحنظل : نبت مر . (١١) الهاديات : السابقات من كل شيء ، ويريد هنا المتقدمات من طرائد الصيد . بنحره : بعنقه . مرجل : مسرح . (١٢) عن : اعترض . السرب : القطيع من البقر الوحشى . العذارى : جمع عذراء الأبقار ، ويعنى أنهن فتيات قويات . دوار : اسم صنم كان الجاهليون يدورون حوله تشبهاً بالطائفين حول الكعبة . الملاء : جمع ملاءة الملاحف ، ولا تسمى ملاءة إلا إذا كانت لقفين مزيل : أطيل ذيله . (١٣) الجزع : الحرز اليماني فيه سواد وبياض . المفصل : المنظم بغيره من الجواهر . بجيد : بعنق . معم : كريم الأعمام . مخول : كريم الأخوال . (١٤) الجواحر : المتخلفات في جحورهن . الصرة : الجماعة . لم تزيل : لم تفرق . (١٥) فعادى عداً : فوالى الجرى موالاة . دراكا : مداركة ومتابعة . ينضح : يرشح .

## تحليل الأبيات :

غنى امرؤ القيس في معلقته الخالدة خلود الفن والأدب بواحد وخمسين بيتا أودع فيها ألوانا من الفن ، وأفانين من الجمال ، مختلفة مؤتلفة ، مختلفة لاختلاف أصواتها ، مؤتلفة لاختلاف أوصافها ، فهي جميلة رائعة ، سواء أكانت في وصف الأطلال أم في وصف أم الحويرث ، أم في وصف يوم بدارة جلجل ، أم في ذلك الحوار الأخاذ بالألباب بينه وبين عزيزته ، أم في وصف مغامراته في سبيل حبه ، ومخاطراته ليقضى حق قلبه ، أم في وصف الليل وهوله ، أم في خدمته لآله وصحبه ، أم في قطعه واديا كجوف العير تعوى فيه الذئاب ؟ أليست هذه كلها أصواتا مختلفة ، وألحانا متباينة ، ولكنها مع هذا متسقة المعاني ، متسامية الخيال ؟ وإذن فهي مختلفة مؤتلفة .

والشاعر لم ينهر لطول الغناء ، ولم يبيح صوته لكثرة الإنشاد ، بل زاده ذلك جلاء ووضوحا ، وحسن نعمة ، وجمال ترجيع ، فأخذ يغنى بمحاسن جواده .  
وامرؤ القيس الشاعر هو امرؤ القيس الفارس الذى صادق الخليل فتى وشابا ، ورجلا وكهلا ، الذى صادقها فى لهوه وجدده ، وسله وحر به ، وصيده وطرده ، فكانا الكريمين فى صداقتهم ، وفاء فى الشدة والرءاء ، وصفاء فى السراء والضراء ، فليس غريبا أن يغنى بمحاسن جواده خمسة عشر بيتا ، فيقول :

قد أغدو بكرة مرحا نشيطا ، وأى نشاط أوفر من نشاط أسبق به رمز النشاط ، أسبق به الطيور التى لا تزال فى وكراتها لما تصح لتتششق وتغرد ، أغدو معتليا صهوة جواد كريم ، قد انحسر شعره لوفرة سمنه ، جواد ماض لا يقف فى طريقه كائن ؛ حتى إنه ليقيد بسرعته الوحوش الأبدية ، فما تستطيع حراكا ، وهو الفرس النهدي العظيم ، المكر فلا يسبق ، المفر فلا يلحق ، المقبل حين تريد إقباله فلا يصد ، المدبر إذا رغبت فى إدباره فلا يرد ، وهذه الصفات متجمعة فى قوته ، لا أنه يأتيها جميعها ، كأنه فى سرعتة وصلابته حجر عظيم أسقطه السيل الزاحف ، من السمو إلى الهوى ، هذا الفرس الكميء الضخم الجسم ، المكتنز اللحم ؛ حتى ليسقط اللبد عن أوسط ظهره سقوط الصخرة الملساء بالمطر

الماطل ، وهو ضامر ذابل كثير الجيشان ؛ حتى لتخال تكسر صوته إذا جرى في عدوه جيشان الماء في الرجل .

يصب هذا الجواد عدوه صبا ، فيأتي بأفانين تتيح لهسبق ، في الوقت الذي أدرك الجياد السابحات الونى والكلال ، ويبدو ذلك الإعياء من أنها تثير من الأرض الصلبة الغبار ، يزلق الغلام النحيف الخفيف الذي لم يدرب على الفروسية عن صهوته ، ويرمى بأثواب الفارس العنيف الماهر الشديد في جهات ثلاث ، يرمى بها إلى أعلى وإلى شمال وإلى يمين ، وهو يستدرّ عدوه ، ويوالى جريه كما تدر ذوات اللبن ضرعها إداراً متتابعا ، أو هو في تتابع أفانين سبقه كخذروف الصبي أحكم قتل خيطه ، وتتابعت كفاه في إدارته بخيط قطع ثم وصل ، فهو كالخذروف يبدأ هادئاً ، ثم يشتد شيئاً فشيئاً بين انبساط وانقباض .

ترى لذلك الفرس النهدي خاصرتي ظبي ، وساقى نعامة قصيرتين صلبتين ، وسيرا كبير الذئب ليس بالشديد ولا البطيء ، وتقريباً في سيره بين قوائمه كما يفعل ولد الثعلب عند ما يسرع إذ تقع قدماه الخلفيتان مكان قدميه الأماميتين ، فهو قد أخذ من كل حيوان أجل ما يتصف به ، فأخذ من الظبي خصره الضامر ، ومن النعامة ساقها القصيرة الصلبة ، ومن الذئب سيره المرخي ، ومن التنفل تقريب قوائمه في سيرها .

وهو مع ضمور خصره عظيم الأضلاع ، ممتلئ الجنين ؛ إذا تأملته مستدبراً رأيت يسد الفضاء الذي بين قائمته بذنبه الضافي السابغ الذي يكاد يصل إلى الأرض ، في استقامة واستواء ، كأن ظهره الأملس حينما ينزع عنه سرجه قائماً أمام البيت في صفائه وملاسته مذاك عروس أو صلاة حنظل ، واختياره مذاك العروس ؛ لأنه دائم الطيب ، وصلاة الحنظل لأنه يسيل منها دهن فتلع جوانب الصلاة وتبرق ، وكذلك جلد الفرس فيه نصاعة وصفاء ، ولمعان وبريق .

هذا الفرس يقيد الأوابد ، ويدرك الهاديات الشوارد ، وفارسه حينئذ يطعننا طعنة

عميقة يتدفق منها الدم غزيرا ، فيضرح نحر ذلك الفرس الكريم ، فإذا هو كالشيب  
الرجل بالحناء ، لقد عرض لنا قطيع من البقر الوحشى هو آية الجمال ، وعنوان الحسن ،  
فظهرها بيض نواصع ، وقوائمها سود حوالك يشبهن فتيات عذراوات ، يملك صفاء  
بشرتهن القلوب ، وقد أسبغن على أرجلهن ملاء سودا ذوات أذيال سابعة ، ويختلن اختيال  
أولئك العذارى إذ يدرن حول صنم يقدسته ويمظمنه ، وإذ هن فى تلك الحال الملأى  
بأسباب المسرة بدوت لهن قفز عن أعظم الفزع ، وأدبرن متفرقات ، وكن من حين متجمعات  
مختلات ، فبدون فى تفرقهن كالجزع سائره أبيض وأطرافه سود ، وقد فصل بعضه عن  
بعض بجوهه كريم ، يزدان به عنق غلام نبيل ، فهو كريم الأعمام والأحوال ، ولكن  
تفرقهن لم يغنهن شيئا ؛ إذ ألحقنا الجواد الكريم بالسوابق منهن ، وترك من خلفه الجواهر  
المتخلقات ، فأدراكه للأوائل كفيل باقتناص الأواخر .

وهى إذ تفرقت تفرقت جماعات ، فعادى بينها عدا ، ووالى الجرى موالاته ، بين  
ثيران ونعاج ، فأدر كهن لم يجهده الإدراك ، ولا أشقاه العدو ، فلم يسلم منه عرق ، فيفسل  
جسمه .

### النقر :

والناظر فى هذه الخمسة عشر بيتا يجد ضروبا من الوصف رائحة ، وألوانا من الجمال  
فاتنة ، تشع ألقاظها معانى أوسع مما تعارف عليه اللغويون ، وتصب معانيها صوراً لا يخلق  
مثلا المصورون ، بل هى ترسل وميضاً تشعر به ولا تصوره ، فهى مفعمة بالصور الكاملة ،  
زاخرة بالحياة النابضة ، فكأنك حيالها فى ميدان أو فى حلبة فرسان .

أى حياة نابضة أوضح من حركة الكر والفر ، والإقبال والإدبار ؟ كلها فى شطر  
واحد ، إن هذه لا تصدر عن جواد فى لحظة ، ولكنها تلمح فى حلبة ، وإننا لتنتخيل  
الصخرة العظيمة تسقط من شاقق ، فتمتلئ القلوب من سقوطها هلما ، قد نتصورها ،  
ولكننا نعجز عن تصور أثرها فيمن تسقط عليه ، إلا أننا نستشعره إذ نسمع :  
« كجلمود صخر حطه السيل من عل » .

وأى حياة خاققة نابضة أقوى من حياة تستقضيك جميع حواسك ، فترى منها وتسمع ، ولا تكتفى بالسمع والبصر ، بل تطالبك باللس وبغير اللس ؟ هذه الحياة تبدو في قوله :

على الذبل جياش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل  
إن الألفاظ مع قوتها لا تغنيك شيئاً كثيراً في تصور « اهتزاه » ولا في تصوير « غلى مرجل » وتخيّل حيواناً يتألف من جملة أجزاء لعدة حيوانات ؛ حيوان له خصر كخصر الطي ، وساق كساق النعامة ، وسير كسير الذئب ، وتقريب كتقريب التفتل ، أليس ذلك الحيوان سيكون نوعاً فريداً بين سائر أنواع الحيوان ؟

وإنك لتتخيّل الغلام الغربى بالفروسية يعتلى صهوته ؛ بل صهواته ، وفرق بعيد بين اللفظين وإن أديا معنى واحداً ، فإن هذا الجمع يشعر بالفخامة والضحامة ، والحول والهول ؛ حتى ليكاد الغلام يزل دون ركوب ، إنه لن يثبت على ذلك الفرس الجبار ذى الصهوات ، لن يثبت عليه لا لجوحه فهو عتيق أصيل ، ولكن لاندفاعه فهو القوى الشديد ، وتتصور صورة ذلك الفارس العنيف العنيد تتطير أثوابه ، فلا يستطيع جمعها ، فهو مشغول بجسمه عن ثوبه ، وتتصور أثوابه تتطير في جميع الجهات ، فكأنها جناحان لطائر جارح .  
وتتخيّل خراة طفل قد أحكم قتل خيطها ، وأجاد اللعب بها ، إنك لا تستطيع أن تبين الخدروف لسرعة دورانه ، ولتتابع حركة الصبي به .

وامرؤ القيس هو الشاعر الذى يستطيع - دون تكلف - أن يفعم قصائده بالصور المتكاملة الظلال ، فلنعد هذا النوع لنقف وقفة قصيرة عند نوع آخر تظهر فيه عبقريته .

الدقة في التعبير سمة امرئ القيس الظاهرة ، وآيته السافرة ، فتأمل هذا البيت :

كيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

فحال متنه وسط ظهره ، وهنا تبدو الدقة ، فقد يزل اللبد لأنه لا يتوسط الظهر ، ولكنه وقد توسطه لا يزل إلا للملامسة ظهره ، واكتناز لجه ، ومثل :

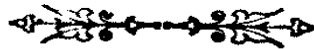
مسح إذا ما السامحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركل



فقد يشور الغبار إذا كانت الأرض رملية أو متربة أو سهلة ، وليس في ثورانه حينئذ ما يدل على الونى أو الكلال ، وإنما الذى يدل عليهما هو إثارة الغبار من الكديد ، ومثل :

ضليح إذا استدبرته سدّ فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل  
قد يكون الذيل ضافيا سابغا ولكنه معيب ؛ لأن صاحبه يتعثر فيه لطوله فى عدوه ،  
ولذلك احتس من هذا المعنى بقوله : « فويق » دون فوق لتفيد قربه من الأرض دون  
ضفوه عليها .

وتستطيع متابعة التأمل لتحكم بأن الدقة يراعيها كل المراعاة ذلك الشاعر الذى حكم  
له بأنه استنبط للشعراء معانى ، وفتح لهم فى الشعر منابع وعيونا .  
وليس عجبا على امرئ القيس أن ينال زعامة الشعر ، وأن تكون أقوى أسباب زعامته  
وصف فرسه ، فقد صاحبه من مهده إلى لحده ، وبين الصاحبين مجاورة هى أقوى عوامل  
الإجادة والإحسان .



٢ — وقال بشر بن أبي خازم \* من قصيدة أولها :

ألا بان الخليط ولم يُزاروا وقلبك في الطعائن مستعار<sup>(١)</sup>  
 فأبلغ إن عرضت بنا رسولا كناثة قومنا في حيث ساروا<sup>(٢)</sup>  
 كفيئنا من تغيّب واشتَبَحنا سنام الأرض إذ قحط القطار<sup>(٣)</sup>  
 بكل قيادٍ مُسنفةٍ عنودٍ أضر بها المسالِحُ والغوار<sup>(٤)</sup>  
 مُهارشة العنانِ كأنَّ فيها جرادة هبوةٍ فيها اصفرار<sup>(٥)</sup>  
 ٢٣٣: كأني بين خافيتي عُقابٍ تقلّبي إذا ابتل العذار<sup>(٦)</sup>

\* **ترجمه الشاعر :** هو بشر بن أبي خازم بن عمرو بن عوف شاعر مجيد وفارس مغوار ، وهو ينتسب إلى بني أسد ، وقد كان يهجو أوس بن لأم الطائي هجاء مقذعا حتى ذكر في هجائه أمه ، فتحين له أوس الفرص حتى أسره في إحدى حروبه مع طيء ، وكان أوس قد أهدر دمه إن مكن الله منه ، فقالت له أمه : خل الرجل فإنه لا يحمو ما قاله غير لسانه ، فعفا عنه ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح ، توفي حوالي سنة ٥٣٠ م .

التفسير اللغوي : (١) بان : بعد . الخليط : المخالط أو المخالطون يطلق على المفرد والجمع ، وهم الأحياء . الطعائن : سرج طعينة ، وهي الإبل فوقها الهوادج فيها النساء . مستعار : مأخوذ منك معهن .

(٢) عرضت بنا : تحدثت عنا . رسولا : رسالة . قومنا : بدل من كناثة .

(٣) كفيئنا : حمينا . اشتَبَحنا : جعلناها مباحة لا أحد يحميها ، سنام الأرض : نجدها . قحط القطار : قل المطر ، ونضب الفيث ، فأجدبت الأرض وأحلت .

(٤) قياد : عنان . المسنفة : الفرس شد عليه السناف ، وهو ليب يشد من وراء السرج . إلى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . العنود : التي تعاند الفارس فتأبى لإقطعه . المسالِح : المراقب والثغور . الغوار : الفارة ، وهو مصدر لغاور .

(٥) المهارشة : اللقائلة . العنان : جلد اللجام ، وتقاتله لنشاطها ومرحها . الهبوة : القبرة ، وخص جرادة الهبوة لأنها أشد طيرانا ، ثم خص الأصفر ، لأنه ذكر الجراد ، وهو أخف من الأثني في الطيران .

(٦) الخافية : جمعها خواف الريش الصغير ، وضدها القوادم . عقاب : نسر . ابتل العذار : كناية عن العرق ، والعذار : الشعر الذي يحاذي الأذن .

نَسُوفٍ لِلحِزَامِ بِمِرْفَقَيْهَا      يَسُدُّ خُوءَ طُبَيْبِهَا القُبَارِ (٧)  
 تراها من يبيس الماء شهباً      مُخَالِطَ دَرَّةٍ مِنْهَا غِرَارِ (٨)  
 يَكُلُّ قَرَارَةً مِنْ حَيْثُ جَالَتْ      رَكِيَّةٌ سُنْبُكٍ فِيهَا انْهِيَارِ (٩)  
 كَانَ حَفِيفٌ مُنْخُورِهِ إِذَا مَا      كَتَمَنَ الرَّبُّو كَبِيرَ مُسْتَعَارِ (١٠)  
 وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ      « أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المَعَارِ » (١١)  
 يُضَمَّرُ بِالأَصْنَائِلِ فَهُوَ نَهْدٌ      أَقْبُ مَقْلَصٌ فِيهِ اقْوَرَارِ (١٢)  
 كَانَ سَرَاتِهِ ، وَالخَيْلُ شُمْتُ      غَدَاةً وَجِيفَهَا مَسَدٌ مُفَارِ (١٣)  
 ٢٤١ : يَظَلُّ يِعَارِضُ الرُّكْبَانَ يَهْفُو      كَانَ بِيَاضِ غُرَّتِهِ خِمَارِ (١٤)

- (٧) نسوف : دفوع . خواء : خلاء طبييها : مثنى طبي ، وهو من الفرس ما يشبه الخلف من الإبل ، والضرع من دى الخف .
- (٨) يبيس الماء : متجمده ، ويقصد جاف العرق . شهباً : بيضا . الدرّة : كثرة العرق . والغرار : قلته .
- (٩) القرارة : الأرض المطمئنة . الركية : موضع حافر في الأرض ، وأصلها البئر . السنبك : مقدم حافر الفرس . انهيار : سقوط .
- (١٠) الحفيف : صوت نفس الفرس . . المنخر من الفرس ما يشبه الأنف من الإنسان . الربو : النفس المرتفع . الكير : المنفاخ الذي ينفخ به الحداد ناره . مستعار : مأخوذ ثم يرد . أو متداول من تعاوروا الشيء إذا تبادلوه .
- (١١) الركض : دفع الفرس للعدو . المعار : المضمر ، أو المنتوف الذئب ، أو المسمن ، أو المتروك دون قيد حرأ ، وكلها تصلح لأنها دليل العناية به .
- (١٢) يضمّر : يصير ضامراً . الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر وقيل المغرب . نهّد : قوى ضخم . أقب : ضامر البطن . المقلص : المشمر الطويل القوائم . الاقورار : الضمور .
- (١٣) سراته : أعلاه ، ويقصد ظهره . شعث : جمع أشعث ، مغبرة . غداة : صبيحة . وجيفها : إسراعها . مسد مفار : جبل مفتول يحكم القتل .
- (١٤) يظل : يستمر سائر النهار كله . يعارض الركبان : يبارى الخيول وينافسها . يهفو : يسرع . الفرّة : البياض في جبهة الفرس . الحمار : القناع .

## تحليل الأبيات :

يتحسر بشر حسرة موجمة أن رحل عنه خلطاؤه . وفارقه خلصاؤه دون أن يهيئ له الدهر السعادة بمراًهم ، فقلبه قد استعارته هذه الظمائن ، ثم يسير مسيراً طويلاً في عرض حنينه ، ونعت وجده ، ووصف جمال هؤلاء الظمائن ، ومن ثم ينتقل إلى أغراض آخر تصل به إلى وصف فرسه فيقول :

أبلغ أيها الخليل إن تحدثت عنا ، وجري على لسانك ذكرنا لدى قومنا بني كنانة ، حيث أتجهوا وساروا ، وكيفما كانوا وصاروا ، أننا كفيينا من تغيب منهم مئونة الحرب ، وتحملنا دونهم أعباء القتال ، وأننا استبحنا حرم المجد ، واستفتحنا سنام الأرض ؛ إذ القيث ضنين ، والمطر بنجيل ، والقطار لا يعطى ولا يجود ؛ فالناس في قحط وإعدام ، والقوم في جذب وإحمال ، نحن حينئذ نفتحم كل منيع ، ونبلغ كل حصن حصين ، فنزل حينما يفيض الماء ، ويقحط المطر حيث نشاء ، بكل فرس جواد قد شد لها السناف ، حتى لا يسقط عنها سرجها عندما يغلى رجلها ويشتد عدوها ، وهي عنود للأرض ، مطواعة للفرس ، فتأبى في عنادها إلا أن تطوى الأرض طيا مها يطل الأمد ، وتتسع الشقة ، وهي فرس كريمة قد اختيرت لحماية الثغور ، ومراقبة المسالح حتى أضنتها ، وانتخبت للرابطة عند الحدود حتى أضرتها ، وعودت شن الغارات حتى تعودتها ، هي آية في النشاط حتى إنها لتتعارك العنان ، وتترك اللجام ، تريد كراً وفرأ ، وفارسها يبغى منها سكوناً وانتظاراً ، فهواها مختلف ، فهما في عراق مستمر ، كأن أعضاءها يسكنها ذكر الجراد ، فهو لا يفتأ طائراً وما يزال متوثباً ، كأنى حينما أعتلى صهوتها ، وأمتطى منها ، وتأخذ في العدو حتى يجرى حميمها ، ويسيل عرقها فيبتل عذارها ، كأنى أمتطى خافيتي عقاب ، تميل بي كل الليل ، تدفع بمرقبيها حزامها حينما أشتد في السبع بيديها ، فيسد ما بين طبييها الغبار الثائر من بين سنابكها .

ترى الخليل التي منها فرسى تلك حينما يجف عرقها فوق أجزاء جسمها ، وقد خالط

كثيره قليله ، وامتزج غامره بمراره ؛ تراها بيضا لوامع ، وشهبا سواطع ؛ إذا سارت تلك الخيول في أرض سهلة مطمئنة أترت فيها سنايكها الصلاب تأثيرا بالغنا ، حتى لتبدو هذه الآثار كالحفائر المنهارة ، أو الآبار المطمورة ، وكأن صوت ذلك الفرس عندما يشتد عدوه ، وتكتم الخيول أنفاسها في مناخرها كير حداد قد استعاره مستعير ، فهو شديد الحرص على أن يرده إلى صاحبه فور وقته ، فهو ينفخ فيه بشدة ، ليقضى به حاجته قبل أن يضطر إلى رده لصاحبه .

ونحن نسمن خيلنا ، ونكرم أفراسنا ، حتى تكون على العدو في الحرب قوية الإغارة ، وتظهر قديرة على الركض ، فقد نقل عن بنى تميم أن أجدر الخيل بالركض المضمرة المسمنة ، وهو يشير بهذا إلى قول أحد شعراء بنى تميم القدامى :

أعيروا خيلكم ثم اركضوها أحق الخيل بالركض الممار

فرسى هذا موضع عنايتي ، ومحل تكريمي ، إفا أنا أضمره أصيل كل يوم ، وهو نهد ضخم ، ضامر البطن مشمر القوائم ، كأن ظهره وقد اغبرت شعور الخيل ، وتشعثت أعرافها من طول السفر ، وتغيرت ألوانها من غبار الطريق ساعة سيرها السريع ، كأن ظهره جبل شديد القتل محكم البرم ، يشبهه في شدته وامتداده ، واملامه واستوائه ، يظل يومه الأطول يعارض كرائم الخيل ، ويبارى المذاكي العتاق ، فهو يهفو ليسبقها ، ويمدو ليبيدها ، هو وضاح الغرة ، مشرق الجبهة ، كأن غرته الخمار الأبيض يغطي رأس المليحة الفيداء .

النقد :

بشر في هذه الأبيات يتفق مع امرئ القيس وقد كانا متعاصرين في بعض معانيه ، ويختلف معه في البعض الآخر ، ولكنه على أى حال لا يبلغ مبلغه ، ولا يمدو في طلقه ، وإن تكن المعانى التي انفرد بها بشر معانى جيدة ، منها : الطريف المبتدع ، والجميل المخترع ، وهذه نظرة فاحصة لذلك الذي أجلناه :

قال امرؤ القيس في وصف جيشان جواده عند عدوه :  
على الذبل جيش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل  
وقال بشر :

كأن حفيف منخره إذا ما كتمن الربو كبير مستعار

وبيت امرئ القيس أدق في الوصف والتصوير ، فألفاظه تكاد تشرك بصوت الشهيق والزفير اللذين يصدران عن الفرس عندما يشتد عدوه ؛ فقد جمع امرؤ القيس في بيت واحد بين جيش ، واهتزاز ، وحميه ، وغلى ، ومرجل ، وكل هذه الألفاظ توحى بالصورة التي يريدها الشاعر ، فوق أنه وصفه في أول البيت بالضمور ، وإسناد الجيشان إليه مع الضمور فيه يقظة حسية . فقد يكون مبعث الجيشان الضخامة والسمنة والاكتناز ، أو الهرم ، أو غيرها .

أما بيت بشر فإنه وإن يكن دون بيت امرئ القيس ، فإن فيه حسنا مبعثه الإشارة إلى توالى التنفس وتتابعه بقوله : « كبير مستعار » ولكنه على أيّ دون بيت امرئ القيس ، والبون بينهما شاسع .

ومن المعاني التي اتفقا فيها وصف الفرس بالملاسة والصلابة ، فقال امرؤ القيس :

كأن سراته لدى البيت قائما مداك عروس أو صلاية حنظل

وقال بشر :

كأن سراته وانخيل شمت غداة وجيفها مسد مغار

وكلا البيتين يشتمل على معان غير الملامسة ، فأمرؤ القيس وصف الظهر بالصفاء ، ولم يرد هذا المعنى في بيت بشر لأن المسد لا يوصف بالصفاء ، وأشعرنا بطيب ريحه بنسبة المداك إلى العروس ، وباللمعان بنسبة الصلاية إلى الحنظل ، وجميع هذا خلا منه بيت بشر ؛ ولا أنظر أن من المستحسن أن يكون الظهر كالحبل المبرم المقتول ، فاستواء الحبل مهما أحكم قتله غير ملاحظ ، فهو ينثني وينطوي ، والجمال في البيت يبدو في قيد استقامة ظهره عند مباراته

الخيول الأخرى ؛ لأن الفرس حينئذ يشتدّ ظهره شدا قويا ، ووصف الخيل بأنها شعث  
أشعر بأن فرسه ليس كذلك لأنه يغسله ، وإن لم يواته اللفظ الدال على صفائه كما واتي  
امراً القيس .

أما المعاني التي انفرد بها بشر ، وهي معان جميلة طريفة فمنها :

مهارشة العنان كأن فيها جرادة هبوة فيها اصفرار  
كأنني بين خافيتي عقاب تقلبني إذا ابتل العذار

فمن شأن كرائم الخيل أن تعلق لجامها ، وتشد عنانها كأنها تقائله ، وعدم تشبيهها  
بالجرادة بأن جعل الجراداة جزءاً من أجزائها معنى دقيق ، وعمق في التصور ، ثم تصويره  
نفسه حينما يعتلى صهوتها بأنه بين خافيتي عقاب تصوير جميل ، يشعر بأنه لا يأمن على نفسه ،  
وهو الفارس الجبار ، ومنها قوله :

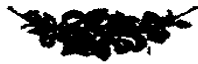
نسوف للحزام بمرقبيها يسد خواء طبييها الضبار

ويشبهه قول سلمة بن الخرشب ، وسيرد فيما بعد :

إذا كان الحزام لقصرييها أماما حيث يمتسك البريم

يدافع حد طبييها وحينما يعادله الجراء فيستقيم

وبيت بشر خير من بيتي سلمة ، وأوفى منها معنى ، وأسلس لفظاً .



٣ — وقال عنتر بن شداد العبسي \* من قصيدة أولها :

هَجِيَّتْ عُيَيْلَةٌ مِنْ قَتَى مَتَبَدَّلٍ عَارَى الْأَشَاجِعِ شَاحِبٍ كَالْمَنْصُلِ (١)  
 وَلرَبِّ مُشْعَلَةٍ وَزَعَتْ رِعَالَهَا بِمَقْلَصٍ نَهْدِ الْمَرَائِكِلِ هَيْكَلِ (٢)  
 سَلَسِ الْمُنْذَرِ لِأَحْقِ أَقْرَابِهِ مُتَقَلِّبِ عَيْثًا بِفَاسِ الْمِسْحَلِ (٣)  
 نَهْدِ الْقَطَاةِ ، كَأَنَّهَا مِنْ صَخْرَةٍ مَلَسَاءِ يَغْشَاهَا الْمَسِيلُ بِمَخْفَلِ (٤)  
 وَكَأَنَّ هَادِيَهُ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ جِذَعٌ أَذِلُّ ، وَكَانَ غَيْرَ مُذَلِّ (٥)  
 ٢٤٧ : وَكَأَنَّ مَخْرَجَ رُوحِهِ فِي وَجْهِهِ سَرِبَانٍ كَأَنَّ مَوْلَجَيْنِ لَجِيَالِ (٦)

\* ترجمه الشاعر : هو عنتر بن عمرو بن شداد العبسي ، أحد فرسان العرب وأغربتهم وأجوادهم وشعراهم ، وكانت أمه زبيبة أمة حبشية ، وأبوه من سادات بني عبس ، وكانت العرب لا تلحق بأنسابها أبناء الإمام ، فبقي عنتر عبدا منبوذا حتى ظهرت فروسيته في حرب داحس والغبراء ، فنسبه أبوه إليه وأصبح بعدئذ سيدا من سادات بني عبس توفي سنة ٦١٥ م .  
 التفسير اللغوي : (١) عييلة تصغير عبلة ، وهي ابنة عمه أحبها وشغفه حبها ، ولكنه

حرمها ، فعاش حياته يفرد باسمها ويتغنى بحبها . متبدل : مستخف غير محتشم . الأشاجع : العروق المتصلة بأصول الأصابع . وفي عربيها كناية عن الضعف والهزال . شاحب : متغير . المنصل : السيف .

(٢) المشعلة : وصف للسكتية المنفردة في كل وجه . وزعت : فرقت . رعالها : جمع رعلة ، وهي القطعة من الخيل . بمقلص : بفرس طويل القوائم . نهدي : ضخم جميل . للمراكل : جمع مركل موضع ركل الفرس . هيكل : عظيم ضخم .

(٣) سلس : لين . المنذر : موضع العذار من كاهل الفرس . لاحق الأقرب : ضامر الخواصر . الفأس : الحديدة القائمة من اللجام في حنك الفرس . المسحل : حلقة في طرف الشكيمة . (٤) نهدي القطاة : عظيم العجز . يغشاها : ينزل بها . المسيل : مجرى الماء . بمخفل : مجتمع الماء ، وفيها كناية عن الاكتناز .

(٥) الهادي : العنق وجمعه هواد . أذل : سهل ونعم . غير مذلل : غير منعم ومسهل .

(٦) مخرج روجه : كناية عن فتح منخره . سربان : مثنى سرب سردابان . مولجين :

مدخلين . لجيال : لصبغ .



وكان متنيه إذا جردته      ونزعت عنه الجل متنا أيل<sup>(٧)</sup>  
وله حوافر موثق تركيبها      صم النسور كأنها من جندل<sup>(٨)</sup>  
وله عيب ذو سيب سابغ      مثل الرداء على الغنى المفضل<sup>(٩)</sup>  
سلس العنان إلى القتال ، فمينه      قبلاه شاخصة كمين الأحول<sup>(١٠)</sup>  
وكان مشيته إذا نهته      بالنكل مشية شارب مستعجل<sup>(١١)</sup>  
فليه أقمم الهياج تضحما      فيها وأنقض انقضا الأجل<sup>(١٢)</sup>

: ٢٥٣

(٧) متنيه : ثنية متن ، والمتن الظهر ، وهو هنا يريد جانبيه ؛ لأنها يكتنفان صلب الظهر عن يمين وشمال . جردته : رامت عنه الجل . الجل : ما يوضع فوق ظهر الفرس ليصان به ، وهو كالثوب للإنسان . الأيل : نوع من الطباء ، جانبا ظهره أملسان تايمان ، وله قرون متشعبة لا تجويف فيها .

(٨) موثق : محكم . صم : جمع أصم ، وهو الصلد الصلب . النسور : جمع نسر ، والنسر لحمة في باطن حافر الفرس . جندل : صخر صلد .

(٩) العيب : هو أصل عظم الذنب ومنبت الشعر منه . ذو سيب سابغ : له شعر ضاف طويل . الرداء : الثوب . المفضل : الزائد في طول رداءه عن جسمه .

(١٠) سلس العنان : لين القياد ، وهي كناية . قبلاه : ناظرة إلى أعلى ، ومثلها شاخصة . الأحول : الرجل ينحرف إنسان عينه إلى أحد الجانبين أو إلى أعلى ، وهو المراد هنا .

(١١) نهته : زجرته وكففته . بالنكل : بحديدة اللجام . شارب : يقصد سكران . مستعجل : مسرع .

(١٢) أقمم : أخطق . الهياج : كناية عن الحرب ، وهو في الأصل الثورة . تضحما : قويا مشتدا . أنقض : أثب . الأجل : الصقر .





ساكنة في صخرة أوفى أصل شجرة ، والمنخر في رأس الفرس التي قد يكون فيها من أعضاء الجسم ما يشبه الثقوب والتتوء في الصخرة ، ففيها العينان ، وفيها الأذنان ، وفيها العذار ، وفيها الشفتان ، وكل هذه تقرب شبه الرأس بالصخرة غير اللساء .

و بعد فعنتره دون امرى القيس في هذه الأبيات وفي غير هذه الأبيات ، ولكنه يبذ بشراً في هذه الأبيات وفي غير هذه الأبيات ، وليس بناقص من قدر عنتره أن يكون دون امرى القيس ، فالبقرى لا يعاب من لا يساويه ، وأين قول عنتره في وصف ذيل فرسه ؟

وله عسيب ذو سبيب سابع مثل الرداء على الغنى المفضل

من قول امرى القيس :

ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

إن وصف عنتره ناقص من وجوه عن بيت امرى القيس :

أولاً : إن رداء الغنى المفضل ينسحب على الأرض فيتعثر فيه إلا إذا رفعه بيديه ،

وهذا ما احتس منه امرؤ القيس إذ قال : « فويق الأرض » .

ثانياً : أن السبيب يخالف الرداء من نواح : فشعراته غير متساوية الطول ، ولو قال :

إنه ثوب ذو أهداب لكان أقرب إلى السداد ، والثوب يبدو ضيقاً من أعلى وواسعاً من أدنى ،

وليس ذلك شأن الذيل .

ثالثاً : بيت امرى القيس اشتمل على صفات ثلاث : فهو ضليع ، وهو ضافي الذيل ،

وذي له مستو مستقيم ، فوق أنه أشعرنا بأنه كثيف لأنه يسد ما بين ساقيه . وليس في بيت

عنتره شيء من ذلك .

هذا إلى أن في البيت صورة رجل وقف يتأمل فرسا من خلفه ، فهو يراه على

الصورة التي رسمها ، ولكن عنتره أحسن وصف شعور فرسه ، إذ صورته ناظراً

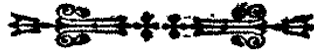
إلى أعلى يتأمل فارسه ، وكأنه يريد أن يدفع عنه عوادى الزمن ، فهو متأهب لهذا

الدفاع ، أشعرنا أن فرسه هذا نبيل كريم ، وأن حياة فارسه أعز عليه من حياته ، فقد

لايتقى هو طعنة قد توجه إليه ، وهو شاخص ببصره إلى فارسه ، هذا إلى أنه يشارك فارسه في ابتغاء النصر ، وإدراك الظفر .

أما اللفظة فكلمها تنبع من عين واحدة ، ولا تكاد تجد فرقا كبيرا بينهما ، ولكننا إذا أنعمنا النظر حكمتنا بأن ألفاظ عنتره أرق من ألفاظ امرئ القيس ، مع أن حالهما كانت تستأهل غير ذلك ، فعنتره من عبدان العرب وأغربتهم ، وامرؤ القيس من أواسطهم وملوكهم ، وعنتره يجب أن يكون خشن الملمس ، غليظ القول ، وعكس هذا كان يجب لامرئ القيس .

وأرى أن الجاهليين ومقلديهم كانوا يؤثرون في وصف الناقة والفرس وما يجري مجراها اللفظ الجزل ، فالعدول عن هذا انحراف عن مذهبهم ، ولا يعتبر مزية يمتاز بها صاحبها بل يعتبر ذلك قصوراً منه ومجزأ .



٤ - وقال سلمة بن الخرشب \* من قصيدة أولها :

تَأْوِبُهُ خِيَالٌ مِنْ سُـلَيْمِي كَمَا يَعْتَادُ ذَا الدَّيْنِ الْغَرِيمِ (١)

وَمُخْتَاضٍ تَبْيِضُ الرُّبْدُ فِيهِ تَحْمُومِي نَبْتُهُ فَهُوَ الْعَمِيمِ (٢)

غَدَوْتُ بِهِ تُدَافِعُنِي سَبُوحُ فَرَّاشٍ نُسُورِهَا عَجَمٌ جَرِيمِ (٣)

مِنَ التَّلْفَتَاتِ بِجَانِبِهَا إِذَا مَا بِلٌ مَحْزَمًا الْحَمِيمِ (٤)

إِذَا كَانَ الْحِزَامُ لِقُضْرَيْتِنَا أَمَامًا حَيْثُ يَمْتَسِكُ الْبَرِيمِ (٥)

٢٥٩: يُدَافِعُ حَدًّا طَبِيبِيهَا وَحِينَا يُعَادِلُهُ الْجِرَاءُ فَيَسْتَقِيمِ (٦)

\* ترجمه الشاعر : هو سلمة بن عمرو بن نصر بن حارثة النطفاني ، ولقب أليه الخرشب ومعناه الطويل ، وهو شاعر جاهلي ، ولكننا لم نقع له فيما بين أيدينا من كتب على ترجمة مطولة .

التفسير اللغوي : (١) تأوبه : راجعه . الخيال : الطيف . سليمان : محبوبته . يعتاد : يعاود . ذا الدين : المدين . الغريم : الدائن .

(٢) المختاض : الموضع الذي يخوض فيه الناس ، لكثرة عشبه والتفاف نبتة . الربد : مفردة ربداء ، وهي النعام . تحمومي : حماماء الناس فلم يرعوه خوفا . العميم : الكثير الشامل للتلطف بعضه على بعض .

(٣) غدوت به : بكرت إليه . تدافعي : تدفني . السبوح : الفرس التي تسبح بيديها ، كما يسبح الإنسان في الماء . فراش نسورها : الفراش : ما تطاير منها . والنسور : جمع نسر ، وهي قطع اللحم الصلب في باطن الحافر ، وصلابتها موضع المدح منها . عجم : نوى . الجريم : المبروم وهو المقطوع ، وهو ما طال مكته في نخله حتى جف وصار تمرا ، ونواه أصلب النوى .

(٤) من التلقتات بجانبها : من الخيل التلقتات ، والجملة كناية عن نشاطها ومراحها .

المهزم : موضع الحزام ، وهو أول ما يمسه العرق . الحميم : العرق .

(٥) لقصريتها : لضاميتها السفليين . البريم : الخيط للبروم ، أو السير من الجلد تشده

المرأة حول وسطها .

(٦) الطيبان : مثنى طبي ، وهو ما يشبه الخلف من الناقة والثدي من المرأة ، والضرع من ذات الظلف . يعادله : يقيمه ويعدله . الجراء : الجري ، فيستقيم : فيعتدل في سيره .

- كَيْتٌ غَيْرٌ مُخْلَفَةٌ وَلَكِنْ      كَلُونِ الصَّرْفِ عَلًّا بِهِ الْأَدِيمِ (٧)  
تَعَادَى مِنْ قَوَائِمِهَا ثَلَاثٌ      بِتَحْجِيلٍ ، وَقَائِمَةٌ بِبِهِمِ (٨)  
كَأَنَّ مَسِيحَتِي وَرَقِي عَلَيْهَا      نَمَتِ قَرْطَيْهِمَا أُذُنٌ خَزِيمِ (٩)  
تُعَوِّذُ بِالرَّقِيِّ مِنْ غَيْرِ خَبَلٍ      وَتُعْقِدُ فِي قَلَائِدِهَا التَّمِيمِ (١٠)  
وَتُمْكِنُنَا إِذَا نَحْنُ اقْتَنَصْنَا      مِنْ الشَّحَاجِ أَسْمَلَهُ الْجِيمِ (١١)  
هُوَ عِقَابٌ عَرْدَةٌ أَشَازَتْهَا      بِذِي الضَّمْرَانِ عِكْرِشَةَ دَرُومِ (١٢)

- (٧) الكيت : الأحمر بميل إلى السواد . غير مخلفة : خالصة اللون لا يخلف عليها أنها ليست كذلك . الصرف : صبغة حمراء تصبغ بها الجلود . عل : سقى مرة بعد مرة . الأديم : الجلد .
- (٨) تعادى : تتابع وتوالى . بتحجيل : التحجيل البياض في موضع القيد من قوائم الفرس . البهم : الأسود أو السوداء .
- (٩) المسيحة : الصفيحة أو السيكة . الورق : الفضة . نمت : رفعت . قرطيهما : حلقيهما . خذيم : مخدومة مثقوبة .
- (١٠) تعوِّذ : يدعى لها بالحفظ . الرقي : جمع رقية التمام ونحوها . الخبل : الجنون . تعقد : تربط . القلائد : جمع قلادة العقود . التميم : جمع تميمة التعاويذ .
- (١١) تمكنا : تهيء لنا . اقتنصنا : خرجنا للصيد والقنص . الشحاج : الحمار الوحشي يشحج بصوته دون أن يفصح به . أسمله : جعله مسعلاً نشيطاً كالسعلاة ، وهي الغول . الجيم : الكثير من النبات .
- (١٢) هوى : سقوط . العقاب : النسر . عردة : اسم لهضبة . أشأزتها : ألققتها واستخفتها . بذى الضمران : بذلك المكان . العكرشة : أنثى الأرنب . الدروم : المقاربة الخطو .

## تحليل الأبيات :

زار قلبه طيف سليمي ، التي لا يفارقه خيالها ، فهو معه في كل زمان ومكان ،  
يلتزمه ملازمة الدائن لمدينه ، ويعاوده معاودة الفارم من غريمه ، ثم انتقل بمد بيت واحد  
إلى غرضه الأصيل فأخذ يصف فرسه ، فقال :

ورب مرعى مخصب ، ومختاض موفور العشب ، ملتف النبت تحاماه الناس وخافوه  
لكثرة هوامه وكواسره ، وتوقوه خشية وحوشه وجوارحه غدوت إليه في بكرة النهار  
لا أخشى بأسا ، ولا أخاف فيه فتكا ، فإني أعتلى صهوة جواد سبوح لا يطلب راكبها ،  
ولا يدركها طالبها ؛ إذا عدت تطاير من نسورها حصى له صلابة الحديد ، أو نوى التمر الذي  
طال تجفيفه ، فأصبح نواه صلبا صلداً ، فإذا لزلجامها ، أو ركل مركلها تلعت بمثنيها ،  
وتلعت بجانيها ، يحدث منها هذا عند ما يبيل العرق موضع حزامها ، وذلك لحدة نشاطها ،  
وكثرة مراحمها ، وإذا عدت وحزامها محكم الربط عند ضلعها السفليين فإن عدوها ،  
وانقباض بطنها ، وضغطها على أضلاعها يجعل ذلك الحزام عند طبيعتها ، وأحيانا يقيمه  
ويعدله استقامة عدوها ، واعتدال جريها .

فرسى تلك كبيت خالصة اللون صافية الأديم ، لونها في شدة حرته ، وأديمها في صفاء  
كنته ، كلون الصبغ الأحمر ينهل منه الأديم ويعل ، لينال صافي لونه ، وخالص قانيه ،  
وهي محجلة القوائم الثلاث دهاء الرابطة ، والضد يظهر حسنه الضد ، ففي قوائمها يظهر حسن  
الضدين ، وكأن سبائك من الفضة الرقيقة قد صنع منها لكل قائمة قرطان ، ورفعا إليها ،  
فكان الأقراط في آذان مثقوبة .

هذه الفرس كريمة على ، أثيرة عندي ، فأنا لذلك أحفظها بالرقى ، وأقيها الشر  
بالتماويد دون أن يكون ذلك لخبيل أصابها ، أو لمس نزل بها ، فهي سليمة من كل عيب ،  
خالصة من كل شين ، وأنا أعقد في قلائدها التمام ، وأضع في عقودها التماويد ، كأنها ولد  
عزيز على أحميه من عيون الحاسدين .

وهي تهبي لنا إذا خرجنا للصيد أن نصطاد أشق أنواع الحيوان صيدا ، فنصيد بها



الحمار الوحشى الذى قد أصبح لكثرة ما رعى ، ووفرة ما أكل كالغول يخيف كل صائد ،  
وينأى عن كل قاصد ، فهى تهوى عليه كما يهوى عقاب تلك الهضبة القوية العقبان ،  
أفلقها أن ترى بذلك المكان أرنبا متقاربا فى خطوه ، متدانيا فى سيره ، فهى لا بد أن  
تنقض عليه فتقصر أجله .

### النقد :

هذه قصيدة كاملة فى وصف الفرس لم تتجاوز منها إلا بيتا واحداً ، فهى ثلاثة عشر بيتا ،  
ونقصد بهذا أن الشاعر محتفل بغرضه ، حاشد له جميع قواه ، ولكنه لم يبلغ فيه المبلغ  
الذى كان يرجوه ، فهاذا جاء من المعانى ؟

تكاد تحصر المعانى التى اشتملت عليها قصيدته فى العناصر الآتية :

- ١ - فرسه سبوح ذو نسور صلبة قوية . ٢ - تتلاعب بجانبها عند ما تستثار للعدو .
- ٣ - ينقبض بطنها فيجرى عليه حزامها المحكم . ٤ - هى كيت اللون خالصة الكتمة .
- ٥ - محجلة القوائم الثلاث دهاء الرابعة . ٦ - كأن قوائمها البيض مقرطة بأقراط فضية .
- ٧ - معوذة بالرقى والتأمم لإعزازها . ٨ - تتيح لنا الصيد مهما يكن المصيد .
- ٩ - تهوى كما يهوى العقاب على الأرنب .

هذه هى المعانى التى أوردها الشاعر فى قصيدته ، وجميعها معان مطروقة ، والجديد منها  
ليس بذى بال كتمويذه إياها ، وتعليق التأمم فى القلائد ، وهو أمر يعرفه الخالص والعام ،  
فمن الناس حتى اليوم من يعوذ فرسه لاعتقادهم أن العين تصيبها قبل أن تصيب سواها ،  
والحق أن تخيله بياض قوائمها بأنها أقراط فضية خيال لا بأس به .

هذه هى المعانى التى لم يتناولها الشعراء ، وإن تناولوها ، فقد نهجوا فى تناولها غير  
نهجه ، وساروا بها فى غير طريقه ، أما ما سواها فكلها معان معروفة ، فقوله :

غدوت بها تدافنى سبوح فراش نسورها عجم أديم

يشبه قول عنتره :

وله حوافر موثق تركيبها صم النسور كأنها من جنجل

وفى كل من البيتين ناحية جمال يمتاز بها عن الآخر ؛ فبيت سلمة يمتاز بأنه وصف فرسه بصفتين هما سبحة فى عدوه ، وصلابة نسوره ، وبيت عنتره يمتاز بأن تشبيهه أقوى من تشبيه سلمة فتشبيه النسور بالجندل أقوى من تشبيهها بالنوى مهما تكن صلابته .  
وقول سلمة :

إذا كان الحزام لقصريها      أماما حيث يمتسك البريم  
يدافع حد طبيها وحيناً      يعادله الجراء فيستقيم  
كقول بشر بن أبى خازم :

نسوف للحزام بمرفقيها      يسد خواء طبيها الغبار  
وبيت بشر أجمع من بيتى سلمة ، فقد زاد فى معناه أن الغبار الثائر فى مسيره يسد ما بين مرفقيها ، أما القيود التى أوردها سلمة فليست ذات قيمة فنية فقوله : « أماما حيث يمتسك البريم » قيد ثقيل فى لفظه وفى معناه .

وإذا كانت الألفاظ توحى بمعانيها ، وتشعر بمدلولاتها ، وذلك هو دليل حسن اختيار الأديب للفظه ، فإن إيجاء الألفاظ هنا على مدلولاتها إيجاء ضعيف ، ودلالاتها على مدلولاتها غير كاملة ، فاختياره كلمة عكرشة لأنثى الأرنب لارقة فيه ، فحروف الكلمة ، وتجمع هذه الحروف بعضها مع بعض يوحى بأنها اسم لغير الأرنب .  
ومن الأبيات ما ليس واضح المعنى لأن صورته غير كاملة ولا منسقة ، وذلك يظهر فى قوله :

كأن مسيحتى ورق عليها      نمت قرطيها أذن خذيم  
فإن المعنى جميل ، ولكن التصوير غير كامل التكوين .

٥ - وقال عوف بن عطية من قصيدة أولها :

أَمِنْ آلِ مِىَ عَرَفَتِ الدِّيَارَا بِمِثِّ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قِفَارَا؟<sup>(١)</sup>  
وَأَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ مَلْبُونَةً تَرَدُّ عَلَى سَائِسِيهَا الْحِمَارَا<sup>(٢)</sup>  
كُمَيْتًا كَحَاشِيَةِ الْأَتْحَمِ مِىَ لَمْ يَدَعِ الصَّنْعُ فِيهَا عَوَارَا<sup>(٣)</sup>  
رُوعًا الْفَوَادِ يَكَادُ الْعَنِيفُ إِذَا جَرَّتِ الْحَيْلُ أَنْ يُسْتَطَارَا<sup>(٤)</sup>  
لَهَا شُعَبٌ كَأَيَادِ الْعَبِيْطِ فَضَضَ عَنْهَا الْبِنَاةُ الشُّجَارَا<sup>(٥)</sup>  
لَهَا رُسُغٌ مُكْرَبٌ أَيْدٌ فَلَا الْعَظْمُ وَاهٍ وَلَا الْعِرْقُ فَارَا<sup>(٦)</sup>  
لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ يَتَّخِذُ الْفَأْرُ فِيهِ مَقَارَا<sup>(٧)</sup>  
لَهَا كَفَلٌ مِثْلُ مَتَنِ الطَّرَا فِ مَدَّدَ فِيهِ الْبِنَاةُ الْحِتَارَا<sup>(٨)</sup> : ٢٧٣

\* ترجمة الشاعر : هو عوف بن عطية بن عمرو بن عيس من بني تميم شاعر فارس إلا أنه مقل . واختلف فيه أهو مخضرم أم هو جاهلي صرف ، والظاهر أنه لم يدرك الإسلام .  
التفسير اللغوي : (١) مِى : اسم حبيبتة . الشقيق : ماء لبني أسد بن عمرو بن تميم . قفارا : ماحلا .

(٢) الملبونة : التي تسقى اللبن إكراما لها . سائسيها : فرسانها . الحمار : يقصد الحمار الوحشي .  
(٣) الحاشية : الأطراف . الأتممي : ضرب من البرود منسوب إلى أتمم باليمن .  
الصنع : الدواء الذي تصنع به في ضمرها . العوار : العيب .  
(٤) روع الفواد : ذكية القلب . العنيف : الشديد الغليظ . يستطار : تحمله على أن يطير من فوقها .

(٥) شعب : جمع شعبة ويقصد قفار الظهر أو هي ما أشرف منها كالكاهل والعنق ، وهو أنسب للمعنى . الإياد : المقدم من العبيط . العبيط : الرجل . فضض : فض وفرق . الشجار : خشب الهودج .

(٦) الرسغ : الموضع المستدق بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل . مكرب : شديد موثق ، وهو وصف للحبل المحكم القتل . أيد : قوى شديد . واه . ضعيف . فار العرق : انتفخ ، والانتفاخ يضعف القوائم .

(٧) القعب : القدح . الوليد : الصبي . الفار : الحجر .

(٨) الكفل : مؤخر الظهر . الطرف : البيت من الجلد . الحتار : خيط يشد به الطرف

## تحليل الأبيات :

بدأ الشاعر قصيدته بالاستفهام التعجبي ؛ إذ كيف تعرف ديار آل مى الواقعة بالقرب من ذلك الماء ؟ لقد أصبحت خالية مقفرة ، لا أحد من الإنس يسكنها ، فلتختر سكنها الوحوش الأوابد ، بعد أن كانت مهبط الغيد النواعم ، ثم أخذ يتنقل فى وصف عشقه ولهوه فى شبابه وشيبه من معنى إلى معنى ؛ حتى بدأ يصف فرسه ، أليس هو من أكبر أسباب اللهو ؟ فيقول :

إنى أعددت ليوم الكر والفر ، والضرب والطنن ، فرسا غذيتها باللبن ، فكانت فتية قوية ؛ إذا طارد بها فارسها حمارا وحشيا ردته إليه مذعنا مطيعا ، فكأنها قيد الأوابد .  
أعددتها فرسا كमित اللون ، كأنها فى صفاء لونها ، ووثاقة جسمها أطراف ذلك البرد الينى ، قد أحكم ناسجه نسجه ، فليس فيه ما يعاب به .

هى فرس ذكية الفؤاد ، متوفزة الإحساس ، نهاية للأرض ، جوابة للقفز ، تكاد تطير من فوق سهوتها الفارس العنيف حينما تبارى عتاق المذاكى ، فقار ظهرها فى صلابتها كإياد الرجل أزيل عنه خشب الهودج ، فبدت للأنظار متانتته ، ورسفها موثق محكم ، مفتول مكرب ، فليس عظمها واهيا ، ولا عرقها منتفخا فائرا ، فيضعف ذلك من قوة قوائمها ، ويوهن من صلابة أرجلها ، وحافرها فى استدارته وتقمييه مثل قدح الصبي ، بعيد الغور ؛ حتى ليتمكن أن يتخذ فيه الفأرجحرا ، ويجعل منه مقارا ، وكفلها مثل ظهر البيت المتخذ من الجلد ، المشدودة أطرافه ، فبدا أملس ناعما ، ممتلئا مكثرا .

النقر :

المتأمل في هذه الأبيات يجد الشاعر قد آمن في نعمتها ، فله في كل بيت معنى أو أكثر من معنى ، وكلها معان مطروقة لا جدة فيها ، وإن لم نعتبر للسابق فضلا على اللاحق ، فكلهم ينظرون ويسمعون ، فينتنون ويصفون ، ولا يمنع ذلك من أن نجتمع بين بعض معانيه ، وبعض معاني من قدمنا عنهم القول ، يشبه بيته الأول بعض الشبه بيت امرئ القيس :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل  
وبيت امرئ القيس أطرف معنى ، وأقوى أسلوبا ؛ إذ ذكر ساعة صيده ، ووصف  
فرسه بأنه منجرد الشعر ، وقيد الأوابد ، وضخم الجسم ، وقوله : قيد الأوابد من  
معجزات الشعر .

وبيته الثاني يشبه بيت سلمة بن الخرشب :

كيت غير محلفة ولكن كلون الصرف على به الأديم  
وبيت سلمة أفضل من وجوه ، أجملها ذلك الاحتراس « غير محلفة » فقد أكد المعنى  
وأكسبه روعة ، وتشبيه لونه « بأنه كلون الصرف على به الأديم » تشبيه بديع ، وقول عوف :  
رواع الفؤاد يكاد العنيف إذا جرت الخليل أن يستطارا

بيت جميل وإن تكن فيه مبالغة من ناحية ، وقصور من أخرى ، أما المبالغة ففي استطاره  
العينف ، أو قربها ، وأما القصور ، فشرطه الاستطاره بجر يان الخليل معها ، ولم تكن  
المبالغة من سمات الشعر الجاهلي ؛ كما أن القصور اللفظي قد يوجد ، أما القصور المعنوي فقل  
أن يوجد .

٦ - وقال المرقش الأصغر\* من قصيدة أولها :

أَمِنْ رَسْمِ دَارِ مَاہِ عَيْنِيكَ يَسْفَحُ غَدَا مِنْ مُقَامِ أَهْلِهِ وَتَرَوْحُوا؟<sup>(١)</sup>  
 غَدَوْنَا بِصَافٍ كَالعَسِيبِ مُجَلَّلٍ طَوِينَاهُ حِينًا فَهُوَ شَرْبٌ مَلُوحٌ<sup>(٢)</sup>  
 أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ كَمَيْتٌ كَلُونِ الصَّرْفِ أَرْجَلُ أَقْرَحٍ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَى مِثْلِهِ آتَى النَّدَى مُخَايَلًا وَأَغْمَزُ سِرًّا ، أَيُّ أَمْرِي أَرْبَحُ<sup>(٤)</sup>  
 وَيَسْبِقُ مَطْرُودًا ، وَيَلْحَقُ طَارِدًا وَيَخْرُجُ مِنْ غَمِّ المَضِيقِ وَيَجْرَحُ<sup>(٥)</sup>  
 تَرَاهُ بِشِكَاتِ المُدَجِّجِ بَعْدَ مَا تَقَطَّعَ أَقْرَانُ المَغِيرَةِ يَجْمَعُ<sup>(٦)</sup>  
 شَهِدْتُ بِهِ فِي غَارَةٍ مُسْبَطَرَةٍ يُطَاعِنُ أَوْلَاهَا فِثَامٌ مُصَبِّحٌ<sup>(٧)</sup>  
 كَمَا انْتَفَجَتْ مِنَ الطَّبَاءِ جِدَايَةٌ أَشْمٌ إِذَا ذَكَرْتَهُ الشَّدُّ أَفِيحٌ<sup>(٨)</sup>  
 ٢٨٢: يَجْمُ جُجُومَ الحَسَنِ جَاشَ مَضِيقُهُ وَجَرَّدَهُ مِنْ تَحْتِ غَيْلٍ وَأَبْطَحُ<sup>(٩)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة البكري عم طرفة بن العبد، والمرقش الأكبر عمه ، والأصغر أشعر ، وأطول عمراً ، وقد أجاد الغزل ؛ لأنه من العشاق ، والوصف لأنه من الفرسان ، توفي حوالي سنة ٥٠٠ م فهو أقدم من امرئ القيس .

التفسير اللغوي : (١) الرسم : بقية آثار الديار . يسفح : يسيل ويجري . غدا من مقام :

أصبح من إقامة إلى رحيل : تروحوأ : ساروا في وقت الرواح ، وهو من زوال الشمس إلى الليل .

(٢) غدونا . سرنا مصبحين . بصاف : بفرس خالص اللون . كالعسيب : كطرف

السففة في صفاء لونه . مجلل : وضع عليه الجلال . طويناه : ضمرناه : شرب ملوح : ضامر

متغير من حر الشمس . (٣) أسيل نبيل : أملس جميل . كमित : أحمر مائل إلى السواد .

الصرف : صبغ أحمر يصبغ به الجلد . أرجل : محجل . أقرح : أغر الجبهة .

(٤) الندى النادى . مخايلا : مختالا . أغمز : أشير . (٥) مطرودا : يطرده فارس

وراءه . طاردا : يطرد غيره أمامه . غم المضيق : شدة الأمر . يجرح : يصيد ، ومنه جوارح الطير .

(٦) الشكات : جمع شكة ، السلاح . المدجج : اللابس السلاح . تقطع أقران المغيرة :

تمزق نظراء السكتية . يجمع : ينفرد ويشرد . (٧) مسبطة : ممتدة طويلة الأمد . فثام :

جماعة . مصبح : مفار عليها صباحاً . (٨) انتفجت : ثارت . جداية : شابة . أشم : عالي

الأنف . أفيح : فسيح الخطأ . (٩) يجم : يجتمع شدة . الحسى : الرمل على الصخر

يجتمع الماء تحته . جاش : غلى . الغيل : الماء الكثير . الأبطح : الحصى .

## تحليل الأبيات :

يسائل المرقش نفسه ، أن رأيت آثار الحبيبة تسيل الدموع من عينيك مدرارا .  
وتجرى العبرات من مآقيك غزارا ، لأن من كانوا يحلون تلك الديار غدوا مرتحلين ، وأموا  
غيرها متروحين ؟

ثم يأخذ في نسيب رقيق ، ووصف بديع لريق الحبيب في أحد عشر بيتا يقتضب  
بدها نسيبه إلى وصف فرسه ، فيقول :

لقد غدونا إلى الصيد بفرس صافي اللون ، ضامر البطن ، مكرم عندي ؛ إذ الجلال فوق  
متنيه يحميه من الحر والقر ، وقد ضمناه حيناً حتى صار ضموره عنوان جماله .

هو أملس الجسم ناعمه ، جميل الخلق رائع ، ليس فيه ما يعاب ، فهو كيت اللون كتة  
كأنها الصرف ، محجل القوائم ، أغر الجبهة « كأن بياض غرته خمار » .

وهو مظهر سراء وشرف لمتطيه ، فأفد به على نادي قومي معجبا مختلفا ، معتزاً مزهوا ،  
أسائل نفسي « أي أمرى أربح ؟ » أيوم أخرج به للصيد ، فأبلغ ما أرجو من قنص الشوارد ،  
وصيد الأوابد ، أم يوم أستريح فأفد به إلى ذلك النادي الذي ينتظم سراة قومي ،  
وأشراف قبيلي ؟ .

إنه حينما أخرج به للحرب والغارة يسبق إذا كان مطروداً ، ويلحق إذا كان طارداً ،  
فهو ينجى من المآزق ، ويفرج من المضايق ، ويشاركني في حربي ، فيضرب ويحرج .

وهو إلى كل هذه الصفات كريم ذلول ، سلس العنان ، سهل القياد ؛ إذا حمل فارسه  
مدججاً بسلاحه ، مقلداً عتاده جعل النصر غايته ، فيعمل مع فارسه لإدراكه ، فإذا ما فرق  
فارسه الأقران ، وجدل الأبطال ، عاوده المرح والنشاط ، فإذا هو الفرس اللعوب الجوح ،  
أليس قد شارك في فوز فارسه ، وأسهم في نصر سيده ؟

كم قد شهدت به غارات طويلة الأمد ، بعيدة الأجل ، يطاعن طليعة المغيرين جماعة  
مصبتحون ، فأولئك وهؤلاء يدقون الرماح بالرماح ، ويكسرون النصال على النصال ،

فتسمع للفرس ثورة وهممة ، وانتفاجا وزمجرة ، كأنما هو في ثورته وانتفاجه ظبية فنية ، نشيطة قوية ، لاتهدأ ولا تسكن ، ولا تقف ولا تهمد .

هو فرس أشم طويل ، واسع الخطا ، إذا ذكرته بالشد على العدو اندفع اندفاع الحسى ينبع منه الماء تلو الماء ، وعراه مما حوله الماء المتدقق ، والحصى المتفرق .

### النقد :

المرقس من الشعراء المجيدين ؛ لأنه كان عاشقا فارسا ، والعشق والفروسية من عناصر الشعرية ، ومن مقومات الوصف بصفة خاصة ، ويظهر في هذه الأبيات المدودة أنه نحاس في وصفه نحوا يخالف إلى حد ما الطريق الذي نهجه بعده أكثر الشعراء ، أو أنهم لم ينهجوا نهجه فلم ينصفوه ، فعندى أن نهجه أوضح من نهج أكثرهم .

إنه لا يصف أجزاء الجسم عضواً عضواً ، وإنما يلم بهذه الأعضاء إلماما ، ثم ينصرف إلى غيرها ، ففرسه :

أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ كَيْتٌ كُلُّونُ الصَّرْفِ أَرْجُلٌ أَقْرَحُ

فها هوذا قد وصفه بست صفات في بيت دون أن يقال : إنه قصر في وصفه .

أما النحو الجديد الذي نحاه فهو الربط بينه وبين فارسه ، وتصويرها صديقين متعاونين على ما يكسب المجد ، وينشر عنهما طيب الحديث ، فهو :

عَلَى مِثْلِهِ آتَى النَّدَى مُخَايَلًا وَأَغْمَزُ سِرًّا أَيُّ أَمْرِي أَرْجَحُ؟

وَيَسْبِقُ مَطْرُودًا وَيَلْحَقُ طَارِدًا وَيَخْرُجُ مِنْ غَمِّ الْمَضِيقِ وَيَخْرُجُ

تَرَاهُ بِشِكَاكِ الْمُدَجَّجِ بَعْدَمَا تَقْطَعُ أَقْرَانُ النُّبَيْرَةِ يَجْمَعُ

وهو بارع الإجابة عندما يصور اندفاعه بين جماعة الخيل ، فيصوره باندفاع الحسى ،

ضاق مسيله ، وجرده من تحته الماء والحصى ، إنها صورة دقيقة ، وإن ضاقت الألفاظ عن

المعنى ، ولو أنه عنى بتكوين الصورة ، وتوضيح الغاية لكان قد بلغ أسى ما يريد من

التصوير ، والبيت هو :



يَجْمُ جُجُومَ الْحَسَنِ جَاشَ مَضِيقَهُ وَجَرَّدهَ مِنْ تَحْتِ غَيْلٍ وَأَبْطَحُ

ويعتمد المرقش على المقام الاعتماد كله ، فيقول مثلاً :

غَدُونَا بِصَافٍ كَالعَسِيبِ مُجَلَّلٍ طَوِينَاهُ حِينًا فَهُوَ شَرِبُ مَلُوحٍ

فإلى أين غدا به ؟ إلى الحرب أم إلى الصيد أم إلى غيرها ؟ إنه لم يحدثنا من قبل عن

شيء من هذه الأشياء .

ثم ما الأمران اللذان يسأل عن معرفة الأربح فيهما ؟ في قوله :

على مثله آتى الندى مخايلاً وأغزى سرا أى أمرى أربح ؟

إنه غامض ، فنحن لاندرى الصيد يريد أم السباق ، أم الحرب أم اللهو ؟ والنجاء يريد

أم الطلب كما يرى بعض الأدباء ؟ وقد عرضنا رأينا فى التحليل ، ولعله أقرب الآراء إلى المعنى

الذى أراداه .

وإذا تجاوزنا هذا الغموض حكماً للمرقش بقوة الأسلوب وجماله ، ورونقه وحسنه ،

فأى جمال وقوة يفوقان جمال هذا البيت وقوته فى طباقه الهادى ، ولفظه الجزل ؟

ويسبق مطروداً ، ويلحق طارداً ويخرج من غم المضيق ويخرج

وبعد ، فإن المرقش شاعر قد جاء قبل أوانه ، وفرع أهل زمانه .



## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف الفرس

أكثر أولئك الشعراء الذين اخترنا لهم بعض ما قالوه في وصف الفرس نجديون مقاما أو انتقالا ، ومن لم يكن منهم نجديا فقد طبع على أخلاق النجديين ، فأهل نجد في القديم والحديث أولونجدة وعزة ، وأصحاب فروسية و بطولة ، ولعل بلادهم العالية ، وإقليمهم الثابت أورثهم آيته ، وخلع عليهم طوله وعلياه .

وإذن فليس عجيبا أن يجيدوا وصف الخيل ، وأن يبرعوا في نعت الجياد ، وأن يبرزوا غيرهم من الشعراء في رسم شياتها ، وتصوير سماتها ، فالخيل النجدية لاتزال مضرب المثل في الحسن ، وليس عجيبا ألا تتفق معانيهم ، وألا تتحد أفكارهم وأخيلتهم في وصفها ونعتها ، كما لمسنا ذلك في وصف الناقة -- فإن محاسن النياق تكاد تكون محصورة في أجزاء جسمها ، وصلابة خلقها ، وليس الشأن كذلك في الخيل ، فمحاسن الخيل تتجاوز التكوين الخلقى ، والله در المتنبى إذ يعرف هذا المعنى فيقول :

وما الخيلُ إلا كالكرامٍ قليلةٌ      وإن كثرتُ في عينٍ من لا يُجربُ  
إذا لم تلاحظ غيرَ حُسْنِ شياتها      وأعضائها فالحسنُ عنك مغيبُ

هناك وصفها بمداركة الصيد ، ومتابعة الطرد ، وهناك وصفها عند المباراة في الحلبة ، والسباق في الميدان ، وهناك وصفها في الحرب ؛ إذ تشارك في الضرب والظعن ، وهناك وصفها في اللهو ، وهناك تصوير عدوها ، وتشخيص جرائها ، ووصف حنانها وجيشانها إلى غير هذه المعاني التي مرت بنا ، وأفضنا القول في تبيانها .

وليس أولئك الشعراء الذين اقتبسنا قبسا من شعرهم في وصف الخيل بأقدر شعراء العصر الجاهلي على وصفها ، ولكنهم من أقدرهم ، كما أن أولئك الذين اخترنا لهم بعض شعرهم في وصف الناقة ليسوا بأبرع من وصفها ، ولكنهم من أبرعهم ، ولكننا رمينا إلى الإكثار من عدد الشعراء ، فلم نختار لشاعر اخترنا له قبل في وصف الناقة ، وذلك لنظهر أن

هذا العصر غنى بالشعراء الذين أجادوا القول في كل مجال ، والذين سبقوا في كل ميدان ، ولو نهجنا غير هذا النهج لوجدنا أكثر من شاعر له في وصف الخيل الباع الأطول ، والقول الأفضل ، ومع ذلك ، ألم يفضل علقمة الفحل على امرئ القيس في نعت الخيل بصفة خاصة ؟ إننا لا نؤيد هذا الحكم ، ولكننا نسوقه دليلا على أن من الشعراء الذين تجاوزناهم من هم شعراء وصافون لا يشق لهم غبار .

ومحن في هذا المجال نجمع ماتفرق من المعاني في التحليل ، لعل فيه ما ييسر على الناقد مهمته ، ويبصره بمنهجه وغايته .

يكاد الشعراء الستة الذين اخترنا لهم يتفقون في وصف أجزاء الفرس وشيائه ، وإذا كان بينهم خلاف فهو في القدر والكيف ، ولكنهم يختلفون في تصوير شيء غير تصوير الجسم ، وغير شيائه ، ذلك الشيء هو خلقها وكرمها ، وحسنها ونبلها ، فإذا قال امرؤ القيس في وصف فرسه بالضخامة والجسامة :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا مُمْنَجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وجدنا غيره ممن تقدمه في النشأة ، وسبقه إلى نعت الخيل بشر بن أبي خازم يقول :

يُضَمَّرُ بِالْأَصَائِلِ ، فَهَوَ نَهْدٌ أَقْبُ مَقَاصٍ فِيهِ اقْوِرَارُ

والفينا من جاء بعدها قد تابعهما في نعت جواده بهذه الصفة ، فيقول عنتره :

وَلَرُبَّ مُشْعَلَةٍ وَزَعْتُ رِعَالَهَا بِمَقَاصٍ نَهْدِ الرَّاَكِلِ هَيْكَلِ

ولكننا نلمح في بيت بشر معنى لم يتناوله باللفظ هو عناية بذلك الفرس ، ورعايته له

في قوله : يضمّر بالأصائل ، فذلك التضمير من مظاهر العناية والتكريم .

وإذا وصف امرؤ القيس جواده بحدة النشاط ، وقوة الركض ، وشدة العدو ، فقال :

مِكْرٍ مِفْرٍ ، مُقْبِلٍ مُدْرِ مَمَّا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

وجدنا من تقدموه قد تناولوه على نحو يقارب هذا النحو ، فقال بشر بن أبي خازم :

مُهَارِشَةُ الْعِنَانِ كَأَنَّ فِيهَا جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فِيهَا اصْفِرَارُ

وقال سلمة بن الخرشب :

وَمَكِينًا إِذَا تَحَنُّنٌ اقْتَمَصْنَا  
مِنَ الشَّحَاجِ أَسْعَلَهُ الْجَمِيمُ  
هُوِيَّ عُقَابٍ عَرْدَةً أَشَازَتْهَا  
بِذِي الضَّمْرَانِ عِكْرَشَةٌ دَرُومُ

المعاني متقاربة ، ولكن التصوير متباعد ، والتشخيص مختلف ، فبيت امرئ القيس يشعر بالحدة في النشاط ، والقوة في العدو ، ويتخذ من الصخرة يسقطها السيل مادة تصويره في حين يتخذ بشر من مهارشتها عنانها مادته ، ويزيدها تصويرا بقوله : كأن فيها جرادة هبوة ... وسلمة لا يُغنيه في هذا المعنى بيت بل يؤديه في بيتين ، يؤلف فيهما صورتين كاملتين دالتين على أقصى القوة ، وأوفر الحدة .

وامرؤ القيس يصف فرسه بالكمة ، فيقول :

كَمَيْتٍ يَزِيكُ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ  
كَأَزَلَّتِ الصَّفَوَاهُ بِالْمُتَنَزِّلِ  
فقرى جميع من سبقوه ومن لحقوه وصفوا جياهم بالكمة كأن الجياد العربية أو الخيل النجدية ليس فيها إلا هذا اللون ، فيقول سلمة بن الخرشب :

كَمَيْتٌ غَيْرُ مُحَلَّفَةٍ ، وَلَكِنْ  
كَلَوْنِ الصَّرْفِ عَلَّ بِهِ الْأَدِيمُ  
ويقول عوف بن عطية :

كَمَيْتًا كَحَاشِيَةِ الْأَنْحَمِ  
يَلْمُ يَدْعُ الصَّنْعُ بِهَا عَوَارًا  
وقبل هؤلاء جميعا قال المرقش الأصغر :

أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ  
كَمَيْتٌ كَلَوْنِ الصَّرْفِ أَرْجَلُ أَوْحُ

وهكذا نجد اتفاقا في أكثر الأوصاف الجسمية بينهم ، وبنظرة عابرة يمكن الجمع بين هذه الأوصاف ، ولكنهم يختلفون في أدائها ، وقد يتباعدون في عرضها .

أما المعاني التي انفرد بها بعضهم دون بعض ، فليست من الكثرة بمنزلة المعاني التي اتفقوا فيها ، فن هذه المعاني قول امرئ القيس :

مِسْحَرٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَتَى  
أَثْرَنَ الْفُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمَرَ كُلِّ

إنه في هذا البيت يجمع معنيين متضادين دون أن يسمى ذلك طباقا ، وإذا كان الطباق جميلا ، فالقدرة على مثل هذا النوع أجمل ، إنه نعم فرسه بالاندفاع كالآتي ، والانصباب كالسيل ، ونعت السابحات الأخريات بالونى والكلال ، حتى ليثرن الغبار بضربهن الأرض الصلبة ، وهى صورة للفرس لا يصورها إلا من تتبع حركات الخيل : كبيرها وصغيرها عظيمها وضئيلها ، وهكذا تفتت الخيل المجهدة بسنابكها الثقيلة الأرض الصلبة .

ومن تلك المعانى التى انفرد بها ، فلم يشاركه أحد فيها ، ممن تقدمه أو ممن جاء بعده قوله يصور الدماء المتطايرة من صيده ، والتى ضرج بها فرسه :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ يَنْحَرُهُ عَصَارَةُ حَنَاءِ بَشِيبِ مُرَجَّلٍ

فالمعنى فريد ، والتشبيه جميل ، والصورة كلها رائعة ، وقوله فى وصف السرب الذى عن له ، فارتاع لمراه ؛ لأنه يعرفه مطاردا عنيفا ، وصيادا حصيفا ، فتفرق زرافات ووحدا نا :

فَقَنَّ لَنَا سَرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَأِ مُذَيَّلٍ

فَأَذْبَرْنَ كَالْجُزَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بَجِيدٍ مُعِمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوِّلٍ

فَأَلْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ ، وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيْلِ

ومن هذه المعانى التى لم يشاركه فيها أحد ، ولم يبلغ مبلغ جاهلها شعر وصفه أيطلى الفرس وساقيه ، ثم وصف سيره فى إرخائه وتقريبه ، وذلك فى قوله :

لَهُ أُيْطَلَا ظَبْيٍ ، وَسَاقًا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلٍ

ويعجبنا منه ذلك التقسيم البديع ، فهو فى الشطر الأول يصفه بصفتين جسميتين ، وفى الشطر الآخر ينعته بنعتين ليسا كذلك ، دون أن يضيق البيت بهذه المعانى ، فكان لكل هذا حامل لواء الوصف فى قديم الشعر وحديثه .

ومن المعانى الفريدة فى أبيات بشر بن أبى خازم قوله يصف شبهة فرسه حينما يبس

عليها عرقها ، وجف حميها : درته وغراره :

تَرَاهَا مِنْ يَبِيسِ الْمَاءِ شُهْبًا مُخَالِطُ دِرَّةٍ مِنْهَا غِرَارُ  
وقوله يصور أثر سنايكها الصلبة في الأرض المطمئنة :

بِكَلِّ قَرَارَةٍ مِنْ حَيْثُ جَالَتْ رَكِيَّةٌ سُنْبِكٍ فِيهَا انْهِيَارُ

ولعنتره في وصف الفرس المقام الأول بعد امرئ القيس ، فله فيه معان جواد ، إن لم  
نحط بها جميعا ، فحسبنا أن نشير إلى بعضها لندل على براعته .

من هذه المعاني وصفه الفرس حين ينهه من حدته ، ويحد من مراحه ، فلا يفتأ  
يتلوى ويتثنى بالشارب التمل ، والنشوان العجل ، وذلك في قوله :

وَكَأَنَّ مِشِيَّتَهُ إِذَا نَهْنَهَتْهُ بِالنَّكْلِ مِشِيَّةُ شَارِبٍ مُسْتَعَجِلٍ

وكثير من الشعراء وصف قطاة الفرس وكفله ، ولكن أحدا منهم لم يصفه بذلك  
الوصف الذي ترك في مخيلة كل قارئ رسما للصخرة الناعمة اللساء ، يغشاها السيل الجارف ،  
فلا يستقر لها قرار ، وذلك في قوله :

نَهْدُ الْقَطَاةِ كَأَنَّهَا مِنْ صَخْرَةٍ مَلَسَاءِ يَغْشَاهَا الْمَسِيلُ بِمَخْفِلٍ

فأما سلمة بن الخرشب ، فقد أبدع في وصف التحجيل إبداعا ، وأجاد في تصويره  
أيما إجادة ، وذلك في بيتيه :

تَمَادَى مِنْ قَوَائِمِهِ ثَلَاثُ بِتَحْجِيلٍ ، وَقَاعَةٌ بِبِهِمِ

كَأَنَّ مَسِيحَتِي وَرِقٍ عَلَيْهَا نَمَتْ قَرَطِيمَاهَا أُذُنٌ خَدِيمٌ

فتصوير التحجيل في القوائم الثلاث بأنه كالأقراط المصنوعة من الفضة في الأذان المشقوقة  
تصوير جميل ، فوق أنه يدل على سراء وبراء ، وحضارة ومدنية .

ولكننا لا ندرى كيف تكون الأذان ثلاثا ، ولا تكون اثنتين أو أربعا ؟ أحسب

أن الصورة غير محدودة .

أما عوف بن عطية فقد جاءت أبياته كلها وصفا لأجزاء فرسه ، وهو قصير النفس

في الوصف ، ولا نجد له معنى مبدعا سوى قوله :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ يَتَخَذُ الْفَارُ فِيهِ مَخَارَا

أما المرقش الأصفر فقد قدمنا في نقده أنه نهج في وصف فرسه نهجا جميلا ، لا ندرى لماذا لم يتأثره فيه خلفاؤه ، ولعل عدم الاتجاه مبغثه أنه كان شاعراً فارساً ، فهو يجد المادة الغزيرة لوصف فرسه في حربه أكثر من وجود هذه المادة لسواه ، وأكثر من تأمله هو لها في أيام سلمه ، سيان بعد ذلك أن تكون هذه الحرب مع الوحوش الأوابد أم مع الجيوش الجحافل .

وعهدنا بما قدمناه عن جمال معانيه ، وطريف أخيلته وأفكاره قريب ، فلا نعيده مرة أخرى .

وبعد ، فيبدو واضحاً أن عناية العرب بالناقة والإبل كانت أعظم من عنايتهم بالفرس والخيل ، إذ شعرهم في وصف الأولى ونعتها أوفر ، وإذ معانيهم في تصوير نفعها وفضلها أكثر ، وإذ أنفاسهم في عد أياها أطول ، وإذن فنعتهم ترقى برقى الانتفاع بالمنعوت ؛ إذ مما لا ريب فيه أن الناقة للفقير والغنى ، وللفارس وغير الفارس ، وللأهمل والجاد ، وليس ذلك شأن الفرس ، فهذه أداة زينة ولهو ، وفروسية وحرب .

كما أنه مما لا ريب فيه أن الفرس أجمل من الناقة وأوسم ، ولكن الانتفاع !! عند الناس جميعاً أولى بالرعاية من الانتفاع الخاص .

وقد قدمنا أن الملاحظ أن الشعراء يختمون وصف الناقة أو يبدونه بوصف ما يشبهها من البقر الوحشى أو الحمار ، أو الظليم أحياناً ، ويتمون وصف الفرس بذكر الصيد والطرْد ، فوصفهما سبيل إلى نعت سواهما ، فهما إذن — الناقة والفرس — الدعامة الراسخة لهذا الفن ، وعلى نهج الشعراء سنسير ، فنبدأ بوصف الأوابد .

## (ح) وصف الأوابد

١ - قال لبيد بن ربيعة \* في معلقته يصف البقرة الوحشية :

أفتلك أم وحشية مسبوعة<sup>(١)</sup>      خذلت وهادية الصوارِ قوامها؟<sup>(٢)</sup>  
خنساء ضيقت الفريرَ فلم ترم<sup>(٣)</sup>      عرض الشقائق طوفها وبغامها<sup>(٤)</sup>  
٢٨٥ : لمعفر قهْدٍ تنازعَ شلوه      غبسٌ كواسِبُ لا يُمنُّ طعامها<sup>(٥)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر البكري ، أحد فحول الشعر في العصر الجاهلي ، ونقول في العصر الجاهلي ، مع أنه عمر في الإسلام لأن مؤرخي الأدب يكادون يجمعون على أنه هجر بعد إسلامه الشعر استصغار الشأنه بعد أن سمع القرآن الكريم ، ويزعمون أنه لم يقل بعد إسلامه إلا بيتا واحدا هو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى      حتى اكتسيت من الإسلام سربلا  
أو هو قوله :

ما عاتب الحر الكريم كنفه      والسرء يصلحه المجلس الصالح  
ومن مؤرخي الأدب الحديث من يعد هذه أسطورة ، ويذكر أن في ديوانه كثيرا من الشعر الديني .

التفسير اللغوي : (١) أفتلك : اسم الإشارة يعود على الأتان التي شبه بها ناقته في الأبيات السابقة لهذا البيت . الوحشية : يقصد البقرة ، فهي نعت لمنعوت محذوف . مسبوعة : أصابها السبع بافتراس ولدها . خذلت : تركت دون أن تنصر وتعان . الهادية : المتقدم أو المقدمة . الصوار : القطيع من بقر الوحش ، والجمع الصيران . القوام : ما يقوم عليه الأمر ، أو الشيء . (٢) الخنساء : صفة من الخنس ، وهو تأخر أرنبه الأنف . الفرير : ولد البقرة الوحشية ، وجمعه الفرار . فلم ترم : فلم تبرح . عرض الشقائق : ناحية الشقائق ، والشقائق : الأرض الغليظة مفردتها شقيقة . الطوف : الطواف والجولان . البغام : الصوت الرقيق الناعم . (٣) للمعفر : الملقى على التراب ، وهو صفة للوليد . القهد : الأبيض . تنازع : تجاذب . شلوه : عضوه ، والجمع أشلاء كأعضاء . غبس : جمع أغبس وغبساء ، وهو مالونه كلون الرماد وهو صفة لموصوف محذوف هو ذئاب . لا يمن : لا يقطع ، ومنه قوله تعالى : « ولا تمنن تستكثر » .



صَادَفْنَ مِنْهَا غِزْرَةً فَأَصَبْنَهَا      إِنَّ الْمَنَائِلَ لَا تَطِيشُ سِيَاهُمَا<sup>(٤)</sup>  
بَاتَتْ وَأَسْبَلَتْ وَآكَفٌ مِنْ دِيمَةٍ      يُرْوَى الْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا<sup>(٥)</sup>  
يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنَهَا مُتَوَاتِرًا      فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا<sup>(٦)</sup>  
تَجْتَاغُ أَضْلًا قَالِصًا مُتَنَبِّدًا      بِعِجُوبِ أَنْقَاءِ يَمِيلُ هَيَامُهَا<sup>(٧)</sup>  
وَتُضَى فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً      كَجَمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سُلِّ نِظَامُهَا<sup>(٨)</sup>  
حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ      بَكَرَتْ تَزَلُّكَ عَنِ الثَّرَى أَزْلَامُهَا<sup>(٩)</sup>  
عَلَيْهِ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صَعَائِدٍ      سَبْعًا تُوَامَا كَامِلًا أَيَّامُهَا<sup>(١٠)</sup>

- (٤) الغرة : الغفلة . فأصبنا ، فاتهزتها . لا تطيش : لا تخطئ . سياهما : جمع سهم ، وهو النبل ، وما يرمى به .
- (٥) أسبل : أرسل وأسال . الواكف : المطر المنهل . الديعة المطرة التي تدوم نصف يوم على الأقل . الخمائل : جمع خميلة ، وهي كل رملة ذات نبت وشجر . التسجام : الانصباب .
- (٦) طريقة متنها : خط ظهرها من الحارك إلى الكفل . متواترا : متتابعاً . كفر النجوم غمامها : ستر ضوء النجوم الغمام ، والكفر : هو الستر .
- (٧) تجتاف : تدخل في جوف ، والضمير يعود على البقرة الوحشية . أضلا : جذع شجرة . قالصاً : مرتفع الفروع . متنبدا : متنحيا . بعجوب أنقاء : العجوب جمع عجب بسكون الوسط : وهو أصل الذئب ، والأنقاء : جمع نقي وهو الكثيب من الرمل . والمراد أطراف الرمال المتجمعة . الهيام : الرمل ما يزال ينهال ولا يتأسك .
- (٨) وجه الظلام : أوله ، لأن الوجه أول ما يستقبل الرائي . الجمانة : القطعة من الفضة ، أو اللؤلؤة ، وهي المرادة هنا لنسبتها إلى البحر ، ومنه يؤخذ اللؤلؤ ، لا الفضة . البحري : للنسوبة إلى البحر أو البحرين ، إذ كان أهل إقليم البحرين مشهورين بالفوس على الملاكي . سل نظامها : نزع خيطها .
- (٩) انحسر : انكشف . أسفرت : أضاءت وظهرت . بكرت : غدت مبكرة . تزل : تزلق . أزلامها : قوائمها مفردا زلم .
- (١٠) علعت : هلعت وفزعت . نهاء : جمع نهي وهو الغدير . صعائد : اسم مكان . سبعا : أي سبع ليال . تواما : جمع توأم أي بأيامها .

حَتَّىٰ إِذَا يَتِيَسْتُ وَأَسْحَقَ خَالِقٌ      لم يُبَيْلِهِ إِرْضَاعُهَا وَفَطَامُهَا<sup>(١١)</sup>  
فَتَوَجَّسَتْ رَزًّا الْأُنَيْسِ فِرَاعِمَا      عَن ظَهْرِ غَيْبِ وَالْأُنَيْسِ سِقَامُهَا<sup>(١٢)</sup>  
فَفَدَّتْ كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهَا      مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا<sup>(١٣)</sup>  
حَتَّىٰ إِذَا يَنْسُ الرَّمَاةُ وَأَرْسَلُوا      غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا<sup>(١٤)</sup>  
فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ      كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا<sup>(١٥)</sup>  
٢٩٨ : لِتَذُودَهُنَّ وَأَيَقَنْتُ إِنْ لَمْ تَذُدْ      أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْحَتُوفِ حِمَامُهَا<sup>(١٦)</sup>

(١١) أسحق خالق : أخلق ضرع ممتلي ، وليس ذلك هو المراد ، وإنما المراد ضرع مرتفع منضم إلى البطن لجفاف لبنه ، وقد استشهد اللسان على هذا المعنى بيت لبيد هذا .  
لم يبيله : لم يخلقه .

(١٢) فتوجست : فتسمعت خفي الصوت . رز الأنيس : الرز الصوت الخفي ، ويقصد بالأنيس الناس . فراعها : فأزعها . عن ظهر غيب : عن عدم رؤية لأصحاب الأصوات .  
سقامها : سبب سقامها وضعفها .

(١٣) ففدت : فصارت . كلا الفرجين : الفرج الواسع من الأرض وموضع الخفاة ، وما بين قوائم الدواب ، فما بين اليدين فرج ، وما بين الرجلين فرج ، وهو المقصود هنا . مولى الخفاة : أولى بالخوف ، فمولى بمعنى أولى ، وذلك كقوله تعالى « مأواكم النار هي مولاكم » .

(١٤) الرماة : الصيادون . غضف : جمع أغضف ، وهي الكلاب المسترخية الأذان .  
دواجن جمع داجن ، وهي المعودات على الصيد . قافلا : يابسا . أعصامها : جمع عصام ، وهي سيور الجلد توضع في أعناق الكلاب .

(١٥) اعتكرت : رجعت وعطفت . المدرية : طرف القرن . السمهرية : الرماح النسوية إلى سمهر ، وهو رجل من قرية خطأ إحدى قرى البحرين عرف بتثيف الرماح وكانت له زوجة تسمى ردينة تنسب إليها الرماح كذلك .

(١٦) لتذودهن : لتدفعهن . أحم : حان اللوت . الحتوف : جمع حتف وهو اللوت حمامها : موتها .

فَقَصَدَتْ مِنْهَا « كَسَابٍ » فَضُرِّجَتْ

بدم ، وَغُودِرَ فِي الْمَكْرِ « سُخَامُهَا » (١٧)

فَبِتَلَّكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَا وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا (١٨)

٣٠١ : أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرَطُ رِيْبَةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَامُهَا (١٩)



(١٧) فقصدت : فقصدت . كساب : اسم كلبة الصيد . فضرجت : خفضت بالدم . غودر : ترك . المكر : مكان السكر . سخامها : اسم كلب الصيد، ويظهر أنه كان أسود ، إذ السخام السواد .

(١٨) فبتلك : الإشارة إلى الناقة التي تشبه البقرة الوحشية . رقص اللوامع : اهتزت . الفيافي اللوامع ، فاللوامع صفة لموصوف محذوف . اجتاب : لبس . أردية : جمع رداء ، وهي الأثواب . الإكام : جمع أكمة المرتفعات .

(١٩) اللبانة : الحاجة . لا أفرط : لا أقصر . ريبة : خوف . اللوام : الكثير العتب

واللوم .

## تحليل الأبيات :

هذه الأبيات من معلقة ليبيد بن ربيعة ، وقد أظهر الشاعر في معلقته ضروبا من الافتنان في جميع فنون الشعر ، ولا سيما الوصف ؛ فقد تناول بالوصف الرائع الديار المقفرة ، والمنازل الدارسة ، والأمطار الواكفة ، ثم تغزل غزلا قصيرا ، وكأني بليبيد كان رجلا جادا كزهير ، إذ لم يلبث أن عاد إلى الوصف ، فوصف الناقة وصفا صافي النبعة ، غزير المادة ، وهذا الجزء أحد تلك التشبيهات ، فهو يشبهها بالبقرة الوحشية فيقول :

أفتلك الأتان « التي كان قد شبه بها ناقته قبل » أم البقرة الوحشية التي قد نكبتها السبع في ولدها ، حين غيبتها عنه ؟ إذ ذهبت ترعى مع صويحباتها من القطيع والصيران ؛ لتعود إليه وقد حفل باللبن ضرعها .

لقد خذلها زعيم القطيع وقائده ؛ إذ لم يستطع عن ولدها دفعا ، فهي هائجة نائرة ، تطلب ولدها ، فلن يستقر لها من دونه قرار .

تلك البقرة الجميلة الخنساء ، المضيفة للفرير ، المفقودة الصغير ، لا تريم عن تلك الأرض الغليظة ، ولا تبرح عرض الشقائق طائفة صائحة صياحا رقيقا حزينا ، وكأنها تناديه فلا يجيبها ، فهي تبكي ذلك الفرير الذي طواه الرغام ، وغطاه التراب ، فعفر حسنه ، وغيب جماله ، تبكي ذلك الأبيض الناصع البياض الذي تنازعت الذئاب أشلاءه ، وتجادبت القبس أعضائه ، فقد صادفن من البقرة غفلة فانهزنها ، وأصبن منها غرة فاقتنصن فريرها ، ولو لم يكن القضاء نافذا ، والقدر مبرما ما صادفن الغفلة ، ولا أصبن الغرة ، ولكن « إن المنايا لا تطيش سهامها » .

ها قد ولى النهار ، وأقبلت جحافل الظلام ، فباتت باكية نائمة ، تشاركها في بكائها ديمة واكفة ، ويشاطرها عبراتها مزنة ماطرة ، تروى الحنائل بمائها المنسكب ، ودمعها المنهمر ، وهي في ليلها المكفهر يغطى طرائق ظهرها ، وخطوط متنها ذلك المطر المتواتر للنتابع ، لا يقيها منه كن ، ولا يحجبها عنه كناس ، وقد ستر الغمام ضوء النجوم ، وكفر الركام نور الكواكب ، فكانت ليلة ليلاء اجتمع فيها هلى الخنساء الحزن والبرد والمطر ،

فإذا اشتد عليها التهطل جهدت أن تنقيه بالاستتار تحت جذع شجرة مستطيلة الفروع ، ممتدة الأفنان ، وهذه الشجرة نائية عن غيرها من الأشجار .

إنها وقعت في كثيب من الرمل ينهال ولا يتمسك ، ويتساقط ولا يقساند ، فهي تفقد فريها في حزن ، ومن الطبيعة في صرد ، ومن انهيار الرمل في فرع ، فما أشد ما نزل بها ! وما أعظم ما اتابها !

هذه البقرة بيضاء ناصعة ، فكأنها إذ تظهر في أول الليل ساطعة واضحة ، درة صدفية ، أو لؤلؤة بحرية ، قد وهى عقدها ، وانفرط نظامها ، فهي لا تستقر في مكان .

فإذا ما انكشف الليل ، وولى الظلام ، وتنفس الصبح ، وأسفر النور ، أصبحت مبكرة تنزع من الثرى قوائمها ، وتزل من التراب أزلامها ، ثم ظلت كما كانت هلمة فزعة ، لم يزابلها هلمها ، ولا جانبها فزعتها ، واستمر ذلك حالها في المكان المعروف بصعائد سبع ليال وثمانية أيام تبحث عن وليدها ، وكأنها تقدر أنه غائب وسيثوب :

وكل مسافر سيثوب يوما إذا منح السلامة والإيابا

وهي لم تر أحدا سلبه سلامته ، ولم تلاحظ عدوا انتهب من بين جنبيه روحه ، وإذن فلا بد من إياب .

وها هي ذى - وقد قضت ثمانية أيام سويا تبحث عنه فلا تجده ، وتهيب به فلا يفد عليها - تياس من عودته ، فيجف ضهعها ، ويسحق خلفها ، وقد كان امتلاؤه أول الأمر باللبن من أسباب لوعتها وأسائها ؛ إن ضرعها جف لاعن إرضاع بل عن غياب ، وها قد سمعت صوتا خفيا ، وتوجست من الناس شرا ، فارتاعت ولم تر ما يروعها ، وفزعت دون أن تتبين ما يفزعها ، ولكنها مع ذلك حقيقة بأن ترتاع وتفزع ، فالناس بسهامهم أسباب حتوفها ، وهم رسل منيتها ، فهي مضطربة محتاجة ، لا تدري من أين يجيئها حينها ، أمن الأمام فتتقيه أم من الخلف ؟ وهذا مالا حيلة لها فيه ؛ لأنها لا تبصره ولا تراه ، وليس لها إلى دفعه من سبيل .

إنها لا تتبين مصدر الصوت حتى تنقى المفاجأة ، وتتفادى المباغته ، وهي قد فوتت

على الرماة أغراضهم ، فلم يصيبوا منها غرضا ، ولم يسددوا نحوها سهما ، فأرسلوا عليها كلابهم المسترخية الأذان ، المضرة على الصيد ، قد جملت بالقلائد في الأعناق ، وزينت بالأعصام في الأجياد ، فلحقت بها الكلاب ، فأبت إليهن تدافعها عن نفسها :

وإذا لم يكن من الموت بدءاً فمن العجز أن تكون جباناً

كان ذلك منطلق تلك البقرة قبل أن ينطق به المتنبي ، وكان مستقياً ، فلها تلك المدرية التي هي أشبه بالرماح السميرية في حدة نصلها ، وطول قناتها .

عظفت عليهن ، لتذودهن عن نفسها ، وهي واثقة أنها إن لم تستمت في الدفاع عن حياتها ، فإن الحتف سيكون مآلها ، قصدها تلك الكلبة الكسوب حتى سميت كساب فقاجاتها بضربة بقرنها ، فضرجت بدمائها ، وأقبلت على سخام فتركته مجدلاً ، فكان لها النصر ، وحقاً قيل : « من طلب الموت وهبت له الحياة » .

بتلك الناقة القوية السريعة التي تشبه في قوتها وسرعتها البقرة الوحشية المسبوعة أقطع المغازات ، في ساعات الهجير ؛ إذ يلعب السراب ضحاً ، وإذ تلبس الآكام أردية الآل ، أقطعها لأقصى أوطاري ، وأدرك مآربي ، لا أفرط في طلبها خشية أوارتياها ، وما على أن يلومني اللأمون .

النقر :

تقد كان لبيد أطول الشعراء في وصف البقرة الوحشية نفساً ، وهذه الإطالة لم تهن من قوته ، بل جاء كالفرس الجواد ، كلما طال المدى ظهر كرمه ، وبدا عزمه ، ذلك شأن لبيد في وصفه يظهر قدرة فائقة ، ويبدى كفاية نادرة ، ويزجي فنونا من الافتنان ، ويسوق ضروبا من الإحسان ، لم يزجها شاعر جاهلي بعد امرئ القيس سواه ، ولا سياً في معلقته التي منها هذه الأبيات ، وفرق بينه وبين طرفه ، فإن طرفه وصف أعضاء الناقة وأجزاءها . أما لبيد فوصف شيئاً غير أعضائها ، وصف ما تمدح له الناقة ، فشبها بالغمامة الحمراء ، إذ يقول :

فلها هبابٌ في الزمامِ كأنها صهباء خفَّ مع الجنوبِ جهامُها

ثم شبهها بالأتان الوحشية ، ثم شبهها بالبقرة المسبوعة ، وغرضه من جميع هذه الأوصاف السرعة .

وللبيد صور شعرية ناطقة ؛ محيطة كل الإحاطة بما يصوره ، فهي تنفذ إلى الأعماق ، وتصل إلى اللباب ، فانظر تلك الصورة البارعة في وصف بياض البقرة :

وتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ منيرةً كجمانة البحرى سُلَّ نظامها

لم يكنه أن يصفه بالجمانة ، فوصف ضوءها في الظلام ، ونسبها إلى موطنها ، ثم فرط عقدها ، لأن ذلك يصور حركتها الدائمة ؛ إذ ليس هناك ما يمسك هذه الحركة ، وانظر إلى قوله في وصف قرنها :

فلحِقْنَ واغْتَكِرَتْ لَهَا مدريةٌ كالمهريَّةِ جُدُّها وتَمَامُها

وصف القرن بأنه كالرمح ، وليعطينا صورة كاملة ذكر أنه كان محمدا وطويلا ، وانظر إلى قوله يصف الفلاة يرقص فيها السراب :

فبتلكَ إِذْ رَقَصَ اللوامعُ بالضْحَاً واجْتَابَ أوديةَ الظَّلَامِ إِكَامُها

إنها صور لا يجيد رسمها إلا شاعر مصور كليد .

وميزة أخرى للبيد هي أنه يستطيع أن يجعل الوصف مجالا للحكمة والوعظ كقوله :

صَادَفَنِ مِنْهَا غِرَّةً . فَأَصْبَنَهَا إِنِ المَنَايا لَا تَطِيشُ سِهامُها

وقوله :

لَتَدُوْدَهُنَّ وَأَيَقَنْتُ إِنِّ لَمْ تَدَدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنْ الحُتُوفِ جِمامُها

أليست هذه قدرة أخرى امتاز بها لبيد ، ولم يشاركه فيها إلا زهير بن أبي سلمى ، ولم نجد

من الشعراء سواهما من هي له من التفوق في هذا الضرب ما هي زهير وللبيد .

٢ - وقال النابغة الذبياني\* من قصيدته التي أولها :

يادار مِيَّةٌ بِالْعِلْيَاءِ فَالسَّنْدُ أَقْوَتٌ وَطَالَ عَلَيْهَا سَأْفُ الْأَمْدِ<sup>(١)</sup>

كَأَنَّ رَحْلي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ<sup>(٢)</sup>

مِنْ وَحْشٍ وَجِرَّةٍ مَوْشَى أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ<sup>(٣)</sup>

سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَّةٌ تُرْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ<sup>(٤)</sup>

٣٠٦: فارتاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ

طَوَعُ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدِ<sup>(٥)</sup>

**ترجمة الشاعر:** هو زياد بن معاوية أحد الشعراء الثلاثة الذين حكم لهم بالسبق في الشعر ، وزعيم نقاده ، وذوى البصر به ، كانت تقام له قبة من جلد في سوق عكاظ : ليتحاكم إليه الشعراء ، وكان من سراة قومه ، فغض مدحه الملوك وأخذه منهم الصلات من ذلك السراء ، وأجود شعره ما قاله في الاعتذار إلى النعمان بن المنذر ، وما ساقه في الوصف ، وقيل إنه لقب بالنابغة ، لنبوغه في الشعر بعد أن كبرت سنه توفي سنة ٦٠٤ م .

**التفسير اللغوي:** (١) مية : حليلته . العلياء : المرتفع من الأرض . السند : ما يقابل الإنسان من الجبل ، ، وهو فوق السفح . أقوت : خلت أو أقفرت . سالف الأمد : ماضى الدهر . (٢) الرحل : ما يوضع على ظهر البعير ، فيشبه السرج للفرس . زال النهار : حل وقت الزوال ، وهو الوقت الذي تتوسط الشمس فيه السماء . يوم الجليل : بذلك المكان الذي ينبت الجليل وهو الثمام . المستأنس : الذي ينظر بعينه كأنه يطلب الأنيس . وحده : منفرد (٣) وجرة : فلاة بين مكة والبصرة ، وهي قليلة الماء لذلك لا يسكنها أحد . موشى : منقط . أكارعه : قوائمه ، ومفرده كراع كغراب . طاوى المصير : ضامر المصير ، وجمع المصير مصران ، وجمع الجمع مصارين . الفرد : الفريد الذي لا نظير له . (٤) سرت السارية : سارت السحابة ليلا . الجوزاء : نجم يظهر صيفاً . سارية سحابة تسير بالليل . ترجى : تسوق برفق . الشمال : الريح تهب من جهة الشام . جامد البرد : الماء المتجمد قطعاً صغار الشدة البرد . (٥) فارتاع : نزع ، والضمير يعود على الثور الوحشى . كلاب : صاحب كلاب . طوع الشوامت : مطيع القوائم ، الشوامت جمع شامته . الصرد : البرد الشديد .



فبهن عليه واستمر به  
 وكان «ضمران» منه حيث يوزعه  
 شك الفريصة بالمدري فأفذاها  
 كأنه خارجاً من جنب صفحته  
 مظل يعجم أعلى الروق منقبضاً  
 لما رأى «واشق» إقماص صاحبه  
 ٣١٣ : قالت له النفس: إنني لا أرى طمعاً  
 صمغ الكعوب بريات من الحرد<sup>(٦)</sup>  
 طمن المارك عند المخجر النجد<sup>(٧)</sup>  
 شك المبيطر إذ يشفي من العضد<sup>(٨)</sup>  
 سفود شرب نسوه عند مفتاد<sup>(٩)</sup>  
 في حالك اللوز صدق غير ذي أود<sup>(١٠)</sup>  
 ولا سبيل إلى عقل ولا قود<sup>(١١)</sup>  
 وإن مولاك لم يسلم ولم يصد<sup>(١٢)</sup>

- (٦) فبهن : فمرفهن ، والضمير يعود على الكلاب ، وإذا هناك غير ضمران وواشق ، ويظهر أن هذين كانا أمهر الكلاب . صمغ الكعوب : ضوامر ، ومفرد صمغ أصمغ ، وهو وصف للقوائم المدس . بريات من الحرد : برئات من الحرد . وهو ترهل في الفاصل .
- (٧) ضمران : اسم كلب . يوزعه : يفره ويحضه . الحجر : اللجأ . النجد : الشجاع من النجدة ، أو الذي يعرق من الكرب والشدة ، والأول هو المراد .
- (٨) شك الفريصة : طعنها وأفذاها فيها قرنه . والفريصة : قطعة لحم من مرجع الكتف إلى الحاصرة . المدري : القرن . المبيطر : البيطار . العضد : بالفتح داء يصيب العضد .
- (٩) كأنه : الضمير يعود على القرن . صفحته : جانبه . سفود شرب : السفود حديدة يشوى عليها اللحم ، والشرب جماعة الشاربين . نسوه : تركوه ومنه قوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم » أي تركوه فتركهم : إذ الله جل شأنه لا ينسى شيئاً . المفتاد : موضع النار التي فيها الشواء . (١٠) فظل : فاستمر اليوم كله وليس مراداً وإنما المراد فاستمر . يعجم : يمضغ . الروق : القرن . منقبضاً : منطويًا متجمعاً . الصدق : بالفتح الصلب . الأود : الاعوجاج .
- (١١) واشق : اسم كلب آخر ، وسمى بذلك لأنه يشق اللحم . إقماص صاحبه : الإقماص القتل السريع الذي نزل بصاحبه ضمران . لا سبيل : لا طريق ولا رجاء . إلى عقل : إلى دية ، ولا قود : ولا قصاص . (١٢) قالت له النفس : ناجته نفسه وحدثته . وله الضمير يعود على واشق . الطمع : الرجاء والأمل . مولاك : سيدك . لم يسلم : لم يسلم من الحسارة .

### كحلل الأبيات :

ناجى النابغة دار محبوبته مية متوجما متحسرا ؛ لأنه كان منها فى نعيم ، وبعد أن شفى قلبه بمناجاته إياها ، والتحسر عليها ، أخذ يصف ناقته فى بيتين انتقل بعدها إلى وصف الثور الوحشى ، والبيتان هما :

فمدُّ عما ترى إذ لارْتِجَاعَ لَهْ      وَاثْمِ الْقَتُودِ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجْدِ  
مَقْدُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَارْهُمَا      لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ  
كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا . . . . .

فهو يقول : كَأْنِي إِذْ أَضَعُ رَحْلِي سَاعَةَ الزَّوَالِ ، فَوْقَ ظَهْرِ ثُورٍ وَحْشِي غَيْرِ مَحْدُودِ النَّشَاطِ ، فِى ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمَوْحَشِ الَّذِى لَا أُنِيسُ لِي فِيهِ يَزِيلُ وَحْشَتِي ، وَيُؤْنَسُ وَحْدَتِي .

إنه من وحش وجرة القليلة الماء ، المعدومة الغذاء ، وهو ضامر كالسيف المصقول ، ليس له فى صقله نظير ، وهو إلى توجسه وخوفه ، وظمئه وجوعه قد أسرت إليه فى ليلة ضريرة النجم مزنة شمالية لاتمل البكاء ، ولا تترك النحيب ، فهى تحمل إليه البرد والبرد ، وتسوق له معها الخوف والحذر ، والجوع والظمأ .

لكل أولئك هو مضطرب الحس ، هلع النفس ، قد ضاعف ما هو فيه أنه سمع صوت صياد جاء يغزوه فى عقرداره ، ويطارده فى فلاته بقوائمه ، ولكنه قدر أن الله منحه أكارع ملساء ، وقوأم جرداء قد برئت من الصيب ، وسلت من الحرد ، فهى كفيلة بأن تدفع عنه هذه الكلاب المطاردة .

أقبل عليه زعيمها كما أراد منه سيده ، فإذا انصباب واندفاع ، وقفز ووثب ، ومداورة ومرادة ، ومخادعة ومخاتلة ، ثم معركة حامية الوطيس طعن فيها الثور ضمران فى شجاعة ونجدة طعنة أنفذ بها قرنه فى بطنه ، فكان كأنه ييطار يشق عن داء ليغسله بالدواء ، وظهر القرن من الجنب الآخر مضرجا بدم الكلب ، كأنه سفود تركه فوق النار جماعة الشارين ، فاحمر واشتمل ، فصار كأنه همود من النار ، وأخذ الكلب فى ثورة ويأس بعض أعلى القرن

الحالك الأسود ، القوى الصلد ، المستقيم الممتد ، وهو متقبض الجسم ، مكفه الوجه ، مما يشعر به من آلام الجراح والأوجاع .

وحين رأى واشق ما حل بأخيه من هزيمة وبوار ، واندحار وانكسار ، دون أن يحكم له أحد بدية يودى بها ، أو قصاص يقتص به من عدوه الفاتك ، حدثته نفسه ، وقد استولى عليها الفزع ، ونزل بها الجزع أنه لا يرى في ذلك الثور مطعما ، ولا يرجو من وراء منازلته مغنا ، فعليه أن يرضى من الغنيمة بالإياب ، فهاهوذا سيده يعود وقد خسر خسارة فادحة ، دون أن يكسب شيئا ، فما أشقى جده ! وما أتعس يومه !

### النقر :

كأنى بالناطقة الشاعر الوصاف القاص قد عمد إلى وصف قصة تخيلها ، وقص منظر تصوّره ، غنى بأن يصف الثور الوحشى فى معركة حامية ، وبأن يقص علينا قصة حربية ، والناطقة يجيد القصص ويحسن التصوير .

أتاح له الإجابة فى هذين النوعين خياله الواسع ، وشرفه الرفيع ، فقد هيات له حياته المتحضرة ، ورحلاته المتعددة ، ومنادمته الملوك ، ومصاحبتة الأقيال أن يتسع خياله ويجود تصوّره .

اختار لهذه المعركة أسلحتها ، وأعد لها عتادها : الثور الوحشى ، والكلاب المبتوثة ، والشك والفرائص ، والمدرى والروق ، والبيطر والعضد ، والسفود والمفتاد ، ثم رأى أن الصلح الشريف غير مستطاع فلا دية ولا قود ؛ فأى ألفاظ ميدان تنقص وصف ذلك الميدان ؟ وأي صورة للمعارك أدنى من تلك الصورة التى أعد لها ألوانها ، وهيا لها ميدانها ؛ إذ يقول :

وكان « ضمران » منه حيث يُوزعه طعن المارك عند الحجر النجد  
شك الفريصة بالمدرى فأنفذه شك البيطر إذ يشنى من العضد  
كأنه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد

فَظَلَّ يَعْجُمُ أَهْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ

لقد كانت معركة النابغة معركة أليمة أسال فيها الدماء ، وكأني به كان من تجار الحرب — كما يقال في الأساليب الحديثة — فعاش حياته داعياً إليها ، محرّضاً عليها ؛ حتى بين أنواع الحيوان .

تلك معاني النابغة تدلّ على بيئة حربية ، دلالتها على الخيال الحضري ، فليس جميع العرب يعرفون : « سَفُودَ شَرِبِ نَسُوءُهُ عِنْدَ مُفْتَأَدٍ » وإنما هذا خيال من ينادم الملوك والأمراء .

أما أسلوبه فمستقيم لا أمت فيه ولا عوج ، ولا تركيب ولا تعقيد ، وإنما هو يسير على نمط عال من القول ، وقوة محكمة من الرصف . وأما الألفاظ فإن النابغة السهل العذب يجزل ويصلب عند ما يتناول وصف معاني الحياة الجزلة الصلبة كالناقة والصحارى ، والأوابد والقيافي ، وكأني به يريد محاكاة تامة للطبيعة ، وهذه إحدى نواحي قدرته وجلاله .



٣ — وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري \* من يتيمته التي أولها :  
بَسَطَتْ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعُ (١)

فَكَأَنِّي إِذْ جَرَى الْآلُ مُضْمًا      فَوْقَ ذَبَالٍ بِمُخَدِّهِ سَفَعُ (٢)  
كُفَّ خُدَاهُ عَلَى دِيبَاجَةٍ      وَعَلَى الْمُتَنِينَ لَوْنٌ قَدْ سَطَعَ (٣)  
يَبْسُطُ الْمَشَى إِذَا هَيَّجَتْهُ      مِثْلَمَا يَبْسُطُ فِي الْخَطْوِ الذَّرْعُ (٤)  
رَاعَهُ مِنْ طِيءٍ ذُو أَسْهَمٍ      وَضِرَاءٍ كُنَّ يُبْلِينَ الشَّرْعُ (٥)  
: ٣١٩      فَرَاهَنَ وَمَا يَسْتَبِنُ      وَكِلَابُ الصَّيْدِ وَمِنْ جَشَعُ (٦)

\* ترجمته الشاعر : سويد بن أبي كاهل اليشكري ، شاعر مخضرم عمر طويل في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام ، فأسلم ، وقد عده نقاد الشعر من أجواد الشعراء ، وقصيدته التي منها هذه الأبيات من الرائع النفيس ؛ حتى كان العرب يسمونها باليتيمة لما تشتمل عليه من الحكمة الحكيمة ، والمثل الصادق ، ولا يحفظ التاريخ الأدبي للشاعر غير هذه القصيدة إلا القليل ، وإذن فإن يكن من المجيدين ، فقد كان من القليلين ، توفي سنة ٦١ هـ .

التفسير اللغوي : (١) بسطت : مدت . رابعة : اسم محبوبته . الحبل : يريد الوصل . فوصلنا الحبل : فأصلنا حبل الوصل . ما اتسع : ما أمكن اتساع الوصل لنا . (٢) الآل : السراب . الذبال : الطويل الذيل من أي حيوان ويقصد هنا الثور الوحشي . سفع : السفح السواد الشرب بالحجرة . (٣) كف : ضم ، ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أمرت ألا أكف شعراً ولا ثوباً » يعني في الصلاة . الديباجة : صفحة الحد . على المتنين . على جانبي الظهر . سطع : ظهر ووضع . (٤) يبسط المشى : يوسع الخطو ويمده . هيجته : أثره ، مثلما يبسط : مثل بسط . الذرع : الطلا ، وهو ولد البقرة الوحشية . (٥) راعه : أفزعه ، والضمير يعود على الذرع في آخر البيت السابق . لا على الثور . طيء : إحدى القبائل العربية المنسوبة إلى قحطان ، وكان أبناؤها معروفين بالمهارة في الصيد . ذو أسهم : وصف لموصوف محذوف أي صياد صاحب أسهم ، والأسهم جمع سهم النبال . الضراء : الكلاب الضراء على الصيد ، ومفرد لها ضار . يبلين : يخلقن . الشرع : الأوتار ، مفرد لها شرعة . (٦) فرأهن : ضمير النسوة عائد على الضراء ، والضمير الفاعل عائد على الثور : لما يستبن . لما يتحقق ويتبين . الجشع : الطمع وشدة الحرص على الصيد .

ثُمَّ وَلِيَّ وَجَنَابَانِ لَهُ مِنْ غُبَارِ أُكْدَرِيٍّ وَاتَّدَعَ (٧)  
 فَتَرَاهُنَّ عَلَى مَهَلَّتَيْهِ يَخْتَلِينَ الْأَرْضَ وَالشَّأَةَ يَلْعَ (٨)  
 دَانِيَاتٍ مَا تَلْبَسْنَ بِهِ وَإِثْقَاتٍ بِدِمَاءٍ إِنْ رَجَعَ (٩)  
 يُرْهَبُ الشَّدَّ إِذَا أَرْهَقْنَهُ وَإِذَا بَرَزَ مِنْهُنَّ رَبَعَ (١٠)  
 ٣٢٤ : سَاكِنُ الْقَفْرِ أَخُو دَوِيَّةٍ فَإِذَا مَا آنَسَ الصَّوْتِ امْصَعُ (١١)



- (٧) ولي : مضى وفر . جنابان له : جانبان له . الأكدري : للنسب إلى الأكدري وهو وصف من الكدرة وهي القفرة . اتدع : تراخى في جريه ، ولم يجهد نفسه في عدوه ، لاطمئنانه إلى بعده .
- (٨) مهلته : تمهله وتباطؤه . يختلين : يقطعن ، ومنه اختلى العشب : جزه وقطعه . الشاة : اسم للثور الوحشي . يلع : يستخف بهن ، ولا يجحد في بعده عنهن .
- (٩) دانيات : قريبات : ماتلبسن : لم يختلطن به . وإثقات : موقنات . بدماء : بجريان دماء أو بحركة تسيل فيها السماء . إن رجع : إن عاد إليهن وقرب منهن .
- (١٠) يرهب الشد : يخيف العدو السريع فيطيعه . أرهقنه : أتعبه وأعجلنه . برز منهن : بعد عنهن ، ومنه برز الفرس إذا سبق الخيل في الميدان وبعد فلم يدركه . ربع : اطمأن فأقام ، يقال « اربع على نفسك » أي توقف مطمئناً على نفسك .
- (١١) ساكن القفر : كناية عن الثور الوحشي ؛ لأنه يمشي في القفار ، ومثلها أخودوية . أنس : سمع وأحس . امصع : ولي ، يقال : مصع الفرس : مر صرا خفيفاً .

### تحليل الأبيات :

بدأ سويد قصيدته بالغزل ، فأخبر أن حبيبته قد بسطت له حبل وصلها ، ومدت له في مرضاتها ، فبادلها شعورها ، ثم سار بعد الغزل في أفانين من الوصف حتى بلغ وصف ناقته ، فشبها بالثور الوحشى ، فقال :

كأنى في تلك الفلاة القفرة — وقد برق فيها السراب ، ولمع أمام السائرين ، وتألقت وسطع في عيون الناظرين ؛ إذ الشمس مشرقة ، والأشعة متألثة — أركب ثوراً ضافى الذيل ، أسيل الخد ، نبيل الصفحة ، نخداه أسفمان في سوادها حمرة تمنحهما حسنا ، وتكسوهما رونقا ، قد ضما على صفحة سوداء ، وجما على ديباجة سفاء . أما جانباً ظهره فخاصما البياض ، ساطعاً الإشراق ، يبسط المشى ، ويوسع الخطو إذا ظهر له ما يهيجه ، أو لمح ما يثيره ، حينئذ يبدو للرأى ، وكأنه الطلا سرعة عدو ، وشدة ركض .

وهاهوذا يظهر له ما يحتاجه ويثيره ، ظهر له صياد ماهر ، من قبيلة طي المشهورة بالرمية ، المعروفة بالتسديد ، أسهمه لديه موفورة ، وكلابه معه مضراة ، فهي لكثرة استخدامها توهى أوتار الأسهم .

لقد رأى الثور هذه الكلاب ، وكم قد رآها من قبل ، وكم عرف صراوتها وقوة مراسها ؛ إنه يراها على مدى بعيد ، ومن بعد سحيق ، يعرفها حريصة على صيده ، طموحاً في قنصه ، فولى دونهن مدبراً ، وقد اغبر جانباه ، واكدر متناه من الغبار المنتشر من كره وفره ، ومن شدته وعدوه ، وإذ وثق بنأيه عنهن ، وأيقن عدم قدرتهن على لحاقه سار في تراخ وتباطؤ ؛ كأنه يشمت بهن ، ويسخر منهن ، فهن يقطن الأرض عاديات ، ويمختلين المفازة مسرعات ، أما هو فيسير متمهلاً ، « فكأنه آس يجس عليلاً » إنها تدنو ولكنها لا تلحقه ، وتقرب من مكانه ولكنها لا تدانيه ، حينما يزداد قربها منه يخيف العدو فيطبعه ، ويهيب بالشد فيجيبه ، فإذا هو عاد راكض حين يرهقنه لحاقاً ، ويمجلنه إدراكاً ، فإذا ما أبعدهن ، وقف ينظر إليهن مطمئناً إلى قوته ، مغتبطاً بسبقه وتفوقه .

إن هذا الثور ابن الصحراء ، وأخو المفازات شديد الإحساس ، متوفز الإدراك ،

فإذا ما أحس نأمة ذهب عدوا ، وإذا شعر بمحركة راح ركضا ، فإذا هو عن الشر بعيد ، ومن عدوان المدو أمين .

النقر :

في هذه الأبيات صورة واضحة لطرد الكلاب للثيران الوحشية ، فهي تحاول أن تختلها عن نفسها ، وتجاهدها لتقتنصها ، ولكن الأخرى دائماً اليقظة ، شديدة الحرص على ألا تقع في أيدي أولئك المعتدين .

انظر إلى الحركات في تلك الصور الشعرية : يراها عن بعد ، فيترقبها ، ثم يبتعد عنها عدوا ، ثم يقف متراخيا ناظرا إليها ؛ ليراه إلى أين تسير وإلى أي جهة تقصد ؟ فهو يعرف في الكلاب الدهاء والحداع ، والمواربة والمناورة ، فإن سارت الكلاب يمينا سار هو شمالا ، وإن أقبلت تلك أدبر ذلك حتى ييأس الصياد من الصيد ، وتعجز الكلاب عن الطرد . إن الثور لا يطرف له طرف ، ولا يغمض له لحظ ، فذو الأسهم من ورائه حريص ، فإذا غفل عنه أصابه البوار .

كل هذه الصور رسمها سويد في أسلوب واضح قوى جميل ، فأى وضوح وقوة وجمال ينم عنها الشعر وتبدو في الصور يبرز قوله ؟

رَاعَهُ مِنْ طِيءٍ ذُو أُسْهُمٍ      وَضِرَاءٍ كُنَّ يُبْلِيْنَ الشَّرْعَ  
فَرَأَهُنَّ ، وَلَمَّا يَسْتَبِينَ      وَكِلَابُ الصَّيْدِ فِيهِنَّ جَسَعُ  
ثُمَّ وَلِيَّ وَجَنَابَانَ لَهُ      مِنْ غِبَارٍ أَكَدَرِيٍّ وَاتَّدَعُ  
مَتْرَاهُنَّ عَلَى مُهَيْتِهِ      يَخْتَلِينَ الْأَرْضَ وَالشَّاةُ يَلْعُ

أى تصوير لساكن الصحراء أروع من ذلك التصوير ؟ وأى معان لمركة باردة « على حد تعبير رجال السياسة في هذا العصر » أوفر من هذه المعانى ؟ وأى ألفاظ مؤدية لهذه المعانى أدق من هذه الألفاظ ؟

الألفاظ مؤدية للمعاني أتم الأداء لولا أن القافية فيها غرابة حيناً ، وثقل حيناً ،



ولعل ذلك لطول القصيدة ، ولقلة الألفاظ التي تناسب الوزن ، فن الألفاظ الثقيلة  
« اتدع ، امصع » .

ويختلف سويد عن النابغة في أن النابغة أحال الحرب الباردة إلى حرب حارة، فسويد  
يكتفي عن المنازلة بالمخاتلة ، فحين يقول النابغة :

كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ سَفُودٌ شَرِبَ نَسُوهَ عِنْدَ مُفْتَأَدِ  
يقول سويد :

دَانِيَاتٍ مَاتَلَبَّسْنَ بِهِ وَاقْتَاتِ بِدِمَاءِ إِنْ رَجَعْ

لقد سلك كل منهما مسلكا أراداه ، ولكن النابغة كان أوعر مسلكا، وأجمل صورا،  
وهذا أمر عرف عن النابغة ، فقد كان أميل شعراء عصره إلى المبالغة وإلى التصوير .



٤ - وقال امرؤ القيس \* يصف الحمار الوحشى :

كأَنَّ وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِحٍ      بشربةٍ أَوْطَاوٍ بَعْرَنَاتٍ مُوجِسٍ<sup>(١)</sup>  
 تَعَشَّى قَلِيلًا ، ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ      يُثِيرُ التُّرَابَ عَن مَبِيتٍ وَمَكْنَسٍ<sup>(٢)</sup>  
 يَهِيلُ وَيُذْرِي تُرْبَهَا وَيُثِيرُهَا      إِثَارَةَ نَبَّاشِ الْهَوَاجِرِ مُخْمِسٍ<sup>(٣)</sup>  
 فَبَاتَ عَلَى خَدِّ أَحْمٍ وَمَنْكَبٍ      وَضِجَعْتُهُ مِثْلُ الْأَسِيرِ الْمُكْرَدَسِ<sup>(٤)</sup>  
 وَبَاتَ إِلَى أَرْطَاةٍ حِقْفٍ كَأَنَّهَا      إِذَا التَّقَّتْهَا غَبِيَةٌ بَيْتُ مُغْرَسٍ<sup>(٥)</sup>  
 ٣٣٠ : فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غَدِيَّةً      كِلَابُ ابْنِ مُرٍّ أَوْ كِلَابُ ابْنِ سِنْبِسٍ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الفرس ص ١٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) الأحقب: الحمار الوحشى الأبيض مكان الحقيبة . القارح: الذى شق

نابه . شربة: اسم عين ماء . طاو: جائع غرثان . بعرنان: عرنان : اسم جبل . موجس : حذر خائف .

(٢) أنحى ظلوفه : عدل أطفاره استعدادا للنبتش والنبت . يثير : يسقى ويذرى :

المبيت : اسم مكان من بات مكان البيات . المكنس : الكناس والسكن .

(٣) يهيل : يسقط . يذرى : يطير ويثير . نباش الهواجر : النباش فى أوقات الظهيرة ،

وهذا الوصف يلب للضبعة . مخمس : خامس خمسة .

(٤) أحم : أسود أو أبيض فهو من أسماء الأضداد ، والوصف بالياض هو المراد ، إذ

وصفه فى أول بيت بأنه أحقب . المنكب : مجتمع الكتفين . المكردس : المقيد ،

والمكردسة التقييد .

(٥) إلى أرتاة : إلى جانب شجرة أرتاة ، وثمر هذا الشجر يشبه الصاب . الحقف :

الرمال المجتمع . ألتقتها : بللتها وندتها . غبية : الغبية الدفعة الشديدة من المطر . العرس :

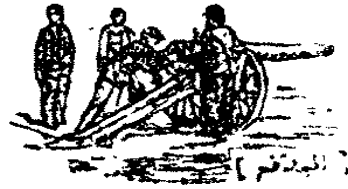
المتخذ له عرسا .

(٦) فصبحه : جاءه عند الصباح . غدية تصغير غدوة ، ويصح غدية بفتح الغين ، فتكون

من غير تصغير . ابن مروان بن سنبس : صيادان ماهران من قبيلة طي ، وقد قدمنا أن هذه

القبيلة معروفة بحسن الرماية ، وسداد الإصابة .

مُغْرَثَةٌ زُرْقًا كَأَنَّ عِيُونَهَا      من الذَّمْرِ والإِيْحَاءِ نُورًا عَضْرَسِ (٧)  
فَأَدْبَرَ يَكْسُوها الرِّغَامُ كَأَنَّهَا      على الصَّمَدِ والآكامِ جَذْوَةٌ مُقْبِسِ (٨)  
وَأَيْقَنَ إِنْ لَأَقِينَهُ أَنْ يَوْمَهُ      بِذِي الرِّمْتِ إِنْ مَاوْتَنَهُ يَوْمَ أَنْفُسِ (٩)  
فَأَدْرَكَنَّهُ يَأْخُذُنِ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا      كما شَبَّرَقَ الْوَلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ (١٠)  
٣٣٥: وَغَوْرَنَ فِي ظِلِّ الْفَضَا وَتَرَكَنَهُ      كَقَرَمِ الْهَيْجَانِ الْفَادِرِ الْمُتَشَمِّسِ (١١)



**التفسير اللغوي :** (٧) مغرثة : مجاعة لتكون أشد فتكا ، وأقوى عدوا . الذمر : الإثارة واللوم والتحريض . الإيحاء : الإيحاء والإشارة . نوار : زهر النبات . العضرس : شجر له نور أحمر . (٨) فأدبر . فرجع . يكسوها الرغام : يغطيها الغبار ، حتى كأنه لها كالكساء . الصمد : المكان المرتفع . الآكام : جمع أكمة وهي كالصمد في المعنى . جذوة : شجرة . مقبس : طالب قبس من نار . (٩) أيقن : وثقن ، والضمير عائد على كلاب ابن مرو ابن سنبس . بذى الرمت : كناية عن مكان به من شجر الرمت الكثير . وهو شجر يشبه الفضا ، وترعاه الإبل . ماوتنه : صابرته وجالده حتى الموت . يوم أنفس : يوم زهاق أنفس . (١٠) يأخذن : يعضضن . الساق : ما بين الكعب والركبة . النسا : عرق من الورك إلى الكعب . شبرق : مزق . الولدان : الغلمان . المقدس : الرجل المطهر نفسه من الأدناس . (١١) غورن : سرن في الأرض المنحدرة . كقرم الهيجان : كالفحل الكريم . الفادر : الناقة المنفردة . المتشمس : الشموس النفور .

## تحليل الأبيات :

في هذه الأبيات صور نابضة بالحياة ، وصور ساكنة هادئة أحيانا ، فهي تمثل الحياة أروع تمثيل ، أليست الحياة حركة وسكونا ، وحياة وهمودا ؟

إنك إذ تقرأ هذه الأبيات تتمثل البادية بجمرها الوحشية ، وشجرها المنبت في أطرافها ونواحيها ، ورمالها الصفراء ، وصحرائها الفيحاء ، وكلابها المضراة ، وصياديهما الخاتلين ، فهي صورة مرتبة واضحة ، أجزاءها متناسقة ، وألوانها متألقة ، لا تجد في بعضها نبوا عن بعض ، ولا تسمع في حركة من حركاتها نشوزا ، وذلك هو الحس والخيال ، والروعة والجمال .

شبه امرؤ القيس ناقته من فوقها رحله بالحمار الوحشى الفتى ، ثم انصرف عنها إليه ، فهو ممتلئ نشاطا وعراما لأنه قارح ، أو لأنه طاوى الكشح ، أو لأنه قارح طاوى الكشح معا ، وهو قبالة عين ماء ، أو فوق جبل متباعد الأنحاء ، إنه هنا وهناك ؛ لأنه لا يسكن ولا يهدأ ، فهو خائف متوجس ، حذر متربص ، لم ينل من الطعام في أمسيته ما يسد جوعته ، أو يمسك صلبه ، إنه جامع أظلاله يهيل بها التراب ، كأنه يبحث عن مكس أو مسكن ، مثله إذ يهيل الثرى ويذريه كمثل الضباع تنبش التراب ساعة الظهيرة ، فإذ هيا له مناما هدا عزمه ، وفتر نشاطه ، ونام على خد ومنكب أبيضين ، وهو في ضجعته الهادئة كالأسير المقيد لا يبدى حركة ولا يحدث ضجيجا .

قد اتخذ كناسه إلى شجرة تجمع حولها الرمل ، فكأنها إذا بللتها دفعة من المطر ، أوندتها مزنة من سحب ، بيت رجل أعرج ، فهو هادئ ساكن ، ولكنه إذ ينفجر الفجر ، ويتنفس الصبح تصبغه كلاب مضراة على الصيد كأنها في ضراوتها ودربتها « كلاب ابن مرأو كلاب ابن سنيس » .

وهي إلى هذه الضراوة مغرثة مجاعة ؛ لتكون أشد فتكا وأقوى عراما ، فعيونها لقسوة ذمرها وحرصها ، وشدة ثورانها وهياجها حمراء مشتعلة كأنها نوار عurus .  
رأى الحمار هذا الكلاب يذمر كلابه ، فشد يخلف من ورائه سحابا من الغبار ،

يكسو هذه الكلاب فكأنه- إذيعلو الأصماد والآكام ، ويرتفع إلى الربا والنجاد ، ويختلط الغبار المتطاير ببياضها ، فتغير لونها - جذوة من نار .

وكما أيقن أنه إن لاقى هذه الكلاب في وادي الرمث ، فإن نفوسا ستهلك ، ودماء ستهرق ، قد تكون نفسه إحداها ، وقد يكون دمه هو الدم المهرق سابق الريح ، وأمعن في شدة ؛ لا يبقى من عدوه على شيء .

ثم إنه يتصور أنها إن أدركته فستأخذ بساقيه ووركيه ، فتمزقها تمزيقا ، تمزيق الغلمان الأغرار ألقين الراهب المطهر ذا التقوى والبركات آثبا من بيت المقدس ، فهم يتبركون به ، فيمزقون ثيابه التماسا للبركة ، وطلبا للمغفرة .

هذه الكلاب انحدرت إلى ظل أشجار الغضا بعد أن يثسن من لحاقه ، وأيقن عدم القدرة على إدراكه ، وتركه قويا نشيطا لم يمسه نصب أولنوب ، فهو كالنحل المهجان ، المنفرد في حظيرته ، الشموس لا يقوى أحد على مواجهته .

#### النقر :

في معاني امرئ القيس وسويد بن أبي كاهل تشابه كثير ، وليس عظيما على سويد أن يقبس من امرئ القيس ، فإننا لا نكاد نجد شاعرا لم يكن عالما على امرئ القيس في معانيه ، فإذا قال امرؤ القيس :

وأيقنَّ إن لاقينَه أن يومَه      بذى الرَّمثِ إن ماوتنَه يومُ أنفُسِ

ألقينا سويدا يقول :

دائِماتِ ما تلبَسنَ به      واثقاتِ بدماءِ إن رَجَعِ

ومع أن واجب الأخذ أن يزيد الأخذ عن أخذ منه في المعنى أو في الأسلوب ، فإن هذا الواجب لم يؤده سويد ، فبيت امرئ القيس أدق في المعنى ، فقد حدد المكان الذي يكون فيه التماوت ، وهو أجمل في الأسلوب ، وإذا قال امرؤ القيس :

فباتَ كلِّيَ خَدِّ أَحَمَّ ومنكبِ      وضجعتَه مثل الأسيرِ المكرَّدسِ

حاول سويد أن يتابعه ، فقال دون أن يبلغ تصوير امرئ القيس :  
كُفَّ خُدَّاهُ عَلَى دِيبَاجَةٍ وَعَلَى الْمَتْنَيْنِ لَوْنٌ قَدْ سَطَعَ  
فبيت امرئ القيس فيه وصف وفيه صورة : الوصف في الشطر الأول والصورة في الشطر  
الأخير ، أما بيت سويد فليس فيه غير الوصف .

وقد وصف امرؤ القيس الكلاب ، وهي عماد الصورة ، ولكن سويدا مر عليها  
عدوا ؛ كأنه خشي إن تريت ليصفها أن تلحقه ، « وأدركته يأخذن بالساق والنسا »  
أو يشبرقنه « كما شبرق الولدان ثوب المقدس » وتصور امرئ القيس الهدوء والسكون  
بأنه كهدوء الرجل المعرس يرسل لنا شعاعا عما كانت عليه بيوت المعرسين بعد أن  
ينفض السامرون .

لانبالغ فنقول : إن امرأ القيس أعظم شاعر عرفه العالم ، فقد نجد من يتعصب عليه ،  
أو يرمينا بالتعصب له ، ولكننا نقول : إنه أعظم شاعر عرفته الأمة العربية ، ونحن على  
ثقة أننا لن نجد معارضين ، حتى ولا أولئك الذين يقولون : « إن الشعر الجاهلي كان جناية  
على الأدب العربي » .



٥ — وقال علقمة الفحل \* يصف الظليم من قصيدته التي أولها :

هل ما علمت وما استودعت مكتومٌ أم حبلها إذ نأنتك اليوم مصرومٌ؟<sup>(١)</sup>

كأنها خاضبٌ زُعرٌ قوادمُه أجنى له باللوى شرى وتنوم<sup>(٢)</sup>

يظلُّ في الحنظلِ الخطبانِ ينقفه وما استطف من التنومِ مخدوم<sup>(٣)</sup>

فوهٌ كشقِّ العصا لأيا تبينه أسكٌ ما يسمع الأصوات مصلوم<sup>(٤)</sup>

حتى تذكر بيضاتٍ وهيجه يومٌ رذاذٍ عليه الريحُ مغيوم<sup>(٥)</sup>

٣٤١ : فلا تزيدُه في مشيه نفقٌ ولا الزيفُ دوينَ الشدِّ مشوم<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الناقة ص ٩٨ .

التفسير اللغوي . (١) استودعت : أومنت . نأنتك : هجرتك . مصروم : مقطوع .

(٢) الخاضب : الظليم احمر ساقاه وجلده ، وخاضب صفة لموصوف محذوف : هو الظليم ،

وهو ذكر النعام ، وهو يشبه ناقته به لسرعتها . زعر : جمع أزعر ، قليلة الشعر . قوادمه : جمع

قادمة ، وهي الريشات الكبار في مقدم الجناح ، وفي رواية قوائمه . أجنى النبات : نضج وتمهياً

للجنى . اللوى : ما انعطف من الرمل . الشرى : شجر الحنظل . التنوم : شجر يشبه ورقه

ورق الآس ، يسقط ورقه صيفاً ويترعرع شتاء . (٣) الحنظل الخطبان : هو الحنظل

فيه خطوط تضرب إلى السواد ، وهو أشد ما يكون مرارة . ينقفه : يستخرج حبه . استطف :

ارتفع وأمكن . مخدوم : مقطوع لياً كله . (٤) فوه : فم . لأيا : شدة وبطأ . تبينه :

تراه . أسك : أصم ، وأذن سكاء : صماء صغير الأذن لاصقها بالرأس : مصلوم : مقطوع .

(٥) هيجه : أثاره . يوم رذاذ : يوم مطر خفيف ، عليه الريح : فيه الهواء . مغيوم :

مليء بالغيوم . (٦) التزيد : السير السريع . النفق : بكسر الفاء السريع الانقطاع من

كل شيء ، يقال فرس نفق أى لا يطيل الركض . الزيف : نوع من السير دون الشد . دوين :

تصغير دون . الشد : المدو السريع . مشوم : مملول .

\* هذا البيت منسوب في لسان العرب لذي الرمة ، ولكنه منسوب في شعراء النصرانية

وفي المفضليات لعلقمة ، ثم إن لذي الرمة قصيدة من هذا الوزن والقافية ولكن البيت ليس

فيها ، فلعل وزن القصيدة هو الذي خلط الأمر على صاحب اللسان .

يَكَادُ مَنَسِمَهُ يَمُخَّلُ مُقْلَتَهُ	كَأَنَّهُ حَازِرٌ لِلنَّخْسِ مَشْهُومٌ (٧)
وَضَاعَةٌ كَعَصِيٍّ الشَّرْعِ جَوْجُوهٌ	كَأَنَّهُ بِنْدَاهِي الرَّوْحِ عُلْجُومٌ (٨)
يَأْوِي إِلَى حِسْكَ زُغْرِ حَوَاصِلِهِ	كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَّ كُنَّ جُرْثُومٌ (٩)
حَتَّى تَلَافِي وَقَرْنَ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ	أُدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ (١٠)
يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَقْنَقَةٍ	كَأَنَّ تَرَاظِنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ (١١)
صَعْلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُجُوهٌ	بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاءُ مَهْجُومٌ (١٢)
تَحْفَهُ هِقْلَةٌ سَطْمَاءُ خَاضِعَةٌ	تُجْبِيهِ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ (١٣)

(٧) منسمة : ظفره ، والنسم خاص بالبعير والنعام والفيل ونحوها . ومختل مقلته : يصيب عينه . حاذر : متأهب مستعد . النخس : غرز عود أو نحوه في جنب الدابة ، أو مقدمها أو مؤخرها لاستفزازها إلى الجري . المشهوم : الفزع المروع ، وأصله من شهم الفرس زجره ، وأيضا المشهوم الذكي الفؤاد وليس مقصودا .

(٨) وضاعة : صيغة مبالغة من الوضع ، وهو نوع من عدو الإبل السريع ، والتاء في وضاعة للمبالغة لأنه وصف للظلم . الشرع : الأثار مفردا شرعة . جوجوه : صدره . التناهي جمع تنهية ، وهي الأماكن المطمئنة ينتهي إليها الماء . علجوم العلجوم البعير الطويل المطلى بالقطران ، والوعل ، والثور المسن ، والشديد السواد ، ولعله يقصد الوعل .

(٩) يأوى : يلجأ . حسكل : الحسكل الصغار من ولد كل شيء ، وخص بعضهم بالحسكل ولد النعام أول ما يولد وعليه زغبه الواحدة حسكلة ، ورواية اللسان « يأوى إلى حسكل زغب حواصلها » والحواصل جمع حوصلة معدة الطائر . بركن . استنخن . حرثوم : جمع جرثومة وهي أصل الشجر . (١٠) تلافى : تدارك قرن الشمس : أول ما يبدو من قرصها .

الأدحى : مبيض النعام . عرسين : يقصد الظلم ونعامته . مركوم : مجمع متراكم بعضه فوق بعض . (١١) يوحى إليها : يشير إليها ، ويصوت لها . الإنقاض : التصويت ، أنقضت العقاب صوتت ، ومثله النقنقة ، فهي صوت الظلم . التراطن : تفاهم الأعاجم . الأفدان : جمع فدن بفتح الفاء والدال ، وهي القصور . (١٢) الصعل : الدقيق الرأس والعنق من النعام أو النخل أو الناس ، والأول هو المراد . أطافت به : أحاطت به ، ودارت حوله . خرقاء : وصف لموصوف محذوف يقصد لامرأة خرقاء غير حازمة . مهجوم : ساقط مهدوم .

(١٣) تحفه : تحيط به . الهقلة : النعامة . السطماء : الطويلة العنق . الخاضعة : التي تميل برأسها عند الرعى . الزمار : صوت أثنى النعام . الترنيم : الغناء والتنغيم .



## تحليل الأبيات :

هذه الأبيات تكلمة للأبيات التي اخترناها لعلقمة في وصف الناقة ، فإنه بعد أن قال :

تلاحظُ السَّوْطَ شَزْرًا وهي ضامِزةٌ كما توجَّسَ طاوى الكَشْحِ مَوْشُومٌ

سار في وصف ذلك الطاوى الكشح ، فكان هذا البيت تمهيداً لوصف الظليم .

ذلك الظليم الأحمر اللون ، حتى لكأنه قد خضب بالحناء ، قواده قصيرة الشعر ، إذ ذهبت أصولها ، وبقي شكيرها ، له في المكان الذي يعيش فيه نوعان من الطعام قد استوى نضجهما أو كاد ، هما : الشرى والتنوم ، فهو يظل يومه الأطول في استخراج حب شجر الحنظل ، فوق أنه يقطف ما يرتفع من شجر التنوم ليكون له غذاء .

م ذلك الظليم ضيق رقيق الشفتين لا يكاد يُرى ، فكأنه شق في عصا ، وهو أصم الأذنين لا يكاد يسمع ، أو هو مصلومهما ، وهو بهذا الوصف يشعرنا بأن أذنه صغيرة لاصقة برأسه ، وكأنه لم تخلق له أذن ، وفي المثل عن الظليم : « ذهب يطلب قرنين ، فإد بلا أذنين » .

إذا تذكر بيضه في أدحيه ، وهو يرعى الشرى والتنوم تاروهاج ، ويزيده احتياجاً سقوط الرذاذ تزجيه الريح ، ويسوقه الهواء الملبد بالغيوم ، وهو إذ يتزيد ليدرك بيضه ويرف ، لا يستمه طول التزيد ، ولا دوام الزفيف ، فلا ينقطع سيره ، ولا تنفق سرعته ، حتى يبلغ غايته ، يكاد خفه يصيب عينه ، وذلك عند ما يشتد عدوه ، فيرفع خفه وينخفض رأسه ، وهو في خفض رأسه كأنه متأهب للنخس ، فهو مروع فزع .

هذا الظليم وضاعة سريع ، صدره في تقوسه كعصى الأوتار ، كأنه في الأماكن الآنسة بالسكان ، المنتهية بالماء بين الرياض وعل قد أنس ، فهو يلجأ إلى فراخه الصفار الزغب الحواصل ، التي تشبه - وقد برك بعضهن بجانب بعض - أصل النخيل ، فما زال يوضع حتى تدارك أدحيه ، وقد برز قرن الشمس ، وارتفعت أشعتها ؛ أدركه - ومعه عرسه - مجتمعا متراكما لم يكسره أحد ، ولا سطا عليه كائن ، فشرع عندئذ ينقض

لها فتفهم إنقاضه ، وينقنق فتجيب على نقنقته دون أن يفهم أحد من إنقاضه ونقنقته شيئاً ، فكأنه وإياها روميان يتراطنان في أحد قصور الروم .

ذلك الظلم دقيق الرأس والعنق ، تراه عند ما ينشر جناحيه حول صدره بيتا من الشعر تقيمه امرأة غير صناع ، فكلمها أقامته سقط ، وهو بهذا يشير إلى أن الظلم ينشر جناحيه ثم ما يلبث أن يضمهما ، يصنع ذلك الصنيع مرات في أويقات .

إذا سار ذلك الظلم حفت به عرسه المديدة العنق ، الميالة الجيد ، ذات الصوت الرخيم ، والتنظيم الجميل .

### النقر :

هذا نوع فريد في تشبيه الناقة ، فقد رأينا أكثر الشعراء يشبهونها بالثور أو البقرة أو الحمار ، أما أن أحداً شبهها بالظلم ، فلا ، نغنى ممن اخترنا لهم من الشعراء ، وإذن فلن نتاح لنا الموازنة بينه وبين من تقدموه .

وعلقمة حينما شبه ناقته بالظلم وصف الظلم بأوصاف حسية ، وبأخرى عاطفية ، والناحية العاطفة قليلة في الشعر العربي ، فنعت الظلم بالتوجس ، والوشم ، والخضب ، وبالزغب والرعى ، وبضيق الفم ورقة الشفتين ، وصفر الأذنين ، وبالسرعة والصبر على الشد والعدو ، وكل هذه صفات منتزعة من الحس .

أما الأوصاف العاطفية فهي هياجه وثورانه عند ما يتذكر وهو في مرعاه بيضاته ، فإنه ينسى كل شيء إلا أن يصل إلى ذلك البيض ليتفقده بعد أن يمر بحسكته الذي يشبهه جرثوم النخل في تراكمه ؛ إنه لتصوير للعاطفة الرؤوم جميل :

حَتَّى تَذَكَّرَ بِيضَاتِ وَهِيَجِهِ	يَوْمُ رَدَاذِ عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغْيُومُ
فَلَا تَزِيدُهُ فِي مَشِيهِ نَفَقُ	وَلَا الزَّفَيْفُ دُوَيْنَ الشَّدِّ مَسْثُومُ
يَكَادُ مَنَسِمِهِ يَخْتَلُّ مُقْلَتَهُ	كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخْسِ مَشْهُومُ
وَضَاعَةٌ كَصِيِّ الشَّرْعِ جُوجُوهُ	كَأَنَّهُ بِنْتَاهِي الرِّوَضِ عُلْجُومُ

يأوى إلى حِسْكَلي زُعر حواصلهُ كأنَّهنَّ إذا برَّكنَ جُرثومَ

وأنت ترى إلى جانب الناحية العاطفية أوصافا وصورا كاملة ، كالصورة الأخيرة التي يشبه فيها صفاره وقد بركن مجتمعات متراكبات في أصل النخل .

ثم إن وصف مناجاة الظلم عرسه تصوير لا يصدر إلا عن عاشق متيم حديث للنساء ، يعرف لغة القلوب ، ويفهم ومضات العيون :

يُوحى إليها بِإِنقاصِ وَتَقَنُّةٍ كما تراطن في أفدائها الرُّومُ

ولكن الذى لا أجد له مكانا في الصورة التى رسمها لتخاطب الظلم وعرسه قوله :  
- فى أفدائها - فهل الروم لا يتخاطبون إلا فى الأفدان ؟

ولولا أن من ألفاظ القافية ما هو ثقيل الوقع على السمع لبلغت القطعة النفاية فى الجودة ، مثل تنوم ، وعلجوم ، على أن هذا الثقل ينسبه جمال الصور .



## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف الأوابد

كان العرب يأنسون إلى أوابد صحاريهم ، ولكنها لم تكن تأنس إليهم ، ويعجبون بها ، وهي لا تعجب بهم ، بل لا تحبهم ولا ترضى عنهم ، يعجبون هم بجمالها وحسنها ، وتكره منهم بغيرهم وعدوانهم ، ولا عجب أن نرى هواها مختلفا ، فيرون فيها الجمال ، وترى منهم العدوان ، ويشاهدون في شياتها الحسن ، وتشاهد في طباعهم الجحود والكفران ، فكلفوا بها وبمحتوا عنها ، وركبوا الصعب في صيدها ، ونأت دونهم وأعرضت ، فهم وإياها في نضال مستمر ، وعراك متصل .

وصفوا جمالها ، وكانهم بتصوير هذا الجمال يُعذرون ، ثم طاردوها بكلابهم ، وحاولوا صيدها بقتيلهم ، وهم جميعا يكادون يتفوقون في هذه المعاني .

ومنهم من وصف طريقه إليها ، فوصف الصحراء وما يحف بها من عين جارية ، أو نبت ناجم ، أو سراب خادع ، فكانت معينا يستقون منه ، ومنها لا يصدرون عنه ، فسويد يصف الصحراء ، فيقول :

فكأني إذ جرى الآلُ ضحا فوق ذئالٍ بخديهِ سَقَعُ

ويقول :

ساكنُ القفرِ أخُو دويِّةٍ فإذا ما آنسَ الصوتُ أمصَّعُ

والنايفة ينسب الوحوش إلى مواطنها التي نشأت فيها فيقول :

من وحشٍ وجرة موشى أكارِعُهُ طاوي المصيرِ كسيفِ الصئقلِ الفردِ

ولبيد يقول في وصف الصحراء ووصف سراها :

فبتلك إذ رقص اللوامعُ بالضحَا واجتابَ أُرديَّةَ السَّرابِ إكامُها

ثم تراهم جميعا يصورون المارك أدق تصوير ، فيثيرون الغبار ، ويسيلون الدماء ، ويصفون الأوراق ، وقد نفذت في الأحشاء ، وقل منهم من ارتضى بأن ينهى الطراد بدون أن

يكون هناك طعن وقتل ، وكلهم يصفون صيادهم بالمهارة ، وينسبونهم إلى قبيلة ،  
فيقول سويد :

رَاعَهُ مِنْ طِيءِ ذُو أَنَّهُمْ وَضِرَاءِ كَنْ يُبَلِّغُ الشَّرْعَ

ويقول النابغة :

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعُ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدٍ

ويقول امرؤ القيس :

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشَّرُوقِ غُدِيَّةً كَلَّابٌ ابْنُ مَرٍّ أَوْ كَلَّابٌ ابْنُ سِنْبِسٍ

وقد قدمنا أن ابن مروان سنبس صيادان طائيان اشتهرا بالحذق والمهارة . ويقول لبيد  
يصف الذئاب والرماة والكلاب والقرون :

لَمُعْرِ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِـلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يُمِنُّ طَعَامُهَا

حَتَّى إِذَا يَتَسَّ الرَّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا

فَلَجِحْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ كَالسَّمْهَرِيَّةِ حُدَّهَا وَتَمَامُهَا

أما تصويرهم للمعارك فتصوير بارع لا نكاد نحكم لأحدهم بالفضل على الآخر ، ولعل  
سويداً كان رجل سلام ؛ لأنه أنهى المعركة دون أن تجرى دماء ، فقال :

فَرَأَاهُنَّ وَلَمَّا يَسْتَبِينُ وَكِلَابُ الصَّيْدِ فِيهِنَّ جَشَعُ

ثُمَّ وَلَّى وَجَنَابَانِ لَهُ مِنْ غُبَارِ أَكْدَرِيٍّ وَاتَدَعُ

فَرَأَاهُنَّ عَلَى مَهَلَّتِهِ يَخْتَلِينَ الْأَرْضَ وَالشَّأَةَ يَلْعُ

أما النابغة فيثير الحرب عنيفة ، والمعركة حامية الوطيس تنتهي بفرائص تشك ، وبدماء  
تسيل ، وبروق يعجم ، فيبلغ بتصويره مبلغاً رائعا ، وذلك إذ يقول :

وَكَانَ (ضُرَّانُ) مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ طَعْنَ الْمَعَارِكِ عِنْدَ الْمَحْجَرِ النَّجْدِ

شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرِي فَأَنْفَذَهَا شَكَّ الْمَبِيظِرِ إِذْ يَشْنِي مِنَ الْعَضْدِ

كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ      سَفُودُ شَرْبِ نَسْوِهِ عِنْدَ مَفْتَأِ  
فَظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا      فِي خَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقِ غَيْرِ ذِي أَوْدِ  
أَمَا امْرُؤُ الْقَيْسِ فَأَوْقَدَ نَارَ الْحَرْبِ ثُمَّ أَطْفَأَهَا ،      وَكَتَفَى بِالْجُرْحَى دُونَ الْقَتْلِ ، فَقَالَ :  
فَأُدْرَكَنَّهُ يَأْخُذُنِ بِالسَّاقِ وَالنَّسَاءِ      كَمَا شَبَّرَقَ الْوَلْدَانُ ثُوبَ الْمُقَدَّسِ  
وَعُورُونَ فِي ظِلِّ الْفَضَا وَتَرَكَنَهُ      كَقَرَمِ الْهَجَانِ الْفَادِرِ الْمُتَشَمِّسِ  
وَلْيَبْدِ يَجْرِي دِمَاءُ كَسَابٍ وَسَخَامٍ ،      فَيَقُولُ :

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا « كَسَابٍ » ضُرِّجَتْ      بِدِمٍ ، وَعُودِرَ فِي الْمَكْرِ « سُخَامُهَا »  
وَيُظْهِرُ أَنَّ أَحْلَاقَ كُلِّ شَاعِرٍ تَنْطَبِعُ فِي مَعَانِيهِ ،      وَتَتَضَعُ مِنْ أَمْكَارِهِ ، فَالشُّعْرَاءُ الْمُرْمُونُ  
بِسَفْكَ الدِّمَاءِ ، وَالتَّمَتُّعُ بِرُؤْيَا الْأَشْلَاءِ ،      وَشَهْوَةُ أَكْلِ لَحُومِ الْأَعْدَاءِ يَثِيرُونَ الْمَارِكُ ،  
وَالَّذِينَ طَبَعُوا عَلَى الرَّحْمَةِ ، وَأَشْرَبَتْ قُلُوبَهُمُ الْعَطْفَ وَالْحَنَانَ ،      تَنَأَى بِهِمْ نَفُوسَهُمْ عَنِ الْقَتْلِ ،  
فَيَنْهَوْنَ مَعَارِكَهُمْ دُونَ قَتْلِ أَوْ مَصَابِينِ .

وَبَعْدَ بَإِنْ أَجْلَى الصُّورِ تَظْهِرُ فِي وَصْفِ هَذِهِ الْمَارِكِ الَّتِي تَتَعَدَّدُ أَسْلِحَتُهَا ،      فِيهِ الْقَسَى  
وَالرَّمَاخُ ، وَالْحَنَابُ وَالْأَنْيَابُ ، وَالْأُرُوقُ وَالْمُدَارَى ،      وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ لَهَا فِي الصُّورِ  
الشُّعْرِيَّةِ مَكَانٌ أَيْ مَكَانٌ .



## ( د ) صور متنوعة لمظاهر الطبيعة الحية

١ — قال زهير بن أبي سلمى \* يصف معركة مع الجر الوحشية من قصيدته التي أولها:

صحا القلبُ عن سَلَى وأَقصرَ باطِلُهُ      وعَرَّيَ أفراسُ الصَّبا ورَواحِلُهُ<sup>(١)</sup>

إِذَا ما غَدونا نَبْتغِي الصَّيْدَ مَرَّةً      متى نَرَهُ ، فَإِننا لا نُخاتِلُهُ<sup>(٢)</sup>

فبينا نُبغِي الوحشَ جاء غُلامنا      يدبُّ ويُخفي شخصه ويضائلُهُ<sup>(٣)</sup>

فقال : شياهُ رانعاتُ بِقَفْرَةٍ      بمسأئِدِ القُريانِ حُورٍ مسائلُهُ<sup>(٤)</sup>

ثلاثُ كأقواسِ السَّراءِ ، وناشِطُ      قد اخضَرَ من لَسِّ الغَميرِ جَحافلُهُ<sup>(٥)</sup>

٣٥٤ : وقد خرمَ الطرادُ عَنه جِحاشُهُ      فلم يَبقَ إلا نَفْسُهُ وحلائلُهُ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الناقة ص ٨٨ .

التفسير اللغوي : (١) عرى أفراس الصبا : مثل ، ويريد أن يقول : عرى أفراس قد

كنت أركبها في صباي ، فلم يعد هناك ما يدعوني لإسراجها بعد أن كبرت سنى .

(٢) غدونا : بكرنا . نبتغي : نطلب . لا نخاتله : لا نحاده لثقتنا من إدراكه .

(٣) يدب : يمشى على هيئته كشيء الطفل والضعيف والنمل . يضائله : يصغره لتلايفزع الصيد .

(٤) الشياهُ : الجر الوحشية . رانعات : راعيات لاعبات . بمسأئد القريان : المسأئد

من النبات الذي طال وتم ، والقريان مجارى الماء إلى الرياض الواحد قرى . الحو : النبات

يضرب إلى السواد لشدة خضرته . مسائله : يقصد مسایل الماء ، والأصل عدم المحمزة لأن

الياء أصلية ، ولكنهم توهموها زائدة ، فهمزوها كما همزوا مصائب . (٥) أقواس

السراء : السراء شجر تتخذ منه القسى ، فهو يصف الثلاثة بالضمور . ناشط : يخرج من بلد

إلى بلد . اللس : الأخذ بمقدم القدم . الغمير : نبت يطول ثم يصيبه مطر ، فيخرج تحته نبت

أخضر ، فيكون غميرا لهذا الطويل أى مغمورا . الجحافل : جمع جحفلة ، وهى لدى الحافر

كالشفة للإنسان .

(٦) خرم : فرق . الطراد : الصيادون : جحاشه : صفاره : حلائله : آتته .

- وقال أميرى : ماترى رأى ما نرى أنختله عن نفسه أم نساوله؟ (٧)  
فبتنا عرأة عند رأس جوادنا يُزاولنا عن نفسه وزاوله (٨)  
فنضربه حتى اطمأن قذاله ولم يطمئن قلبه وخصائله (٩)  
وملجمنًا ما إن ينال قذاله ولا قدماء الأرض إلا أنامله (١٠)  
فلا يا بلاى قد حملنا غلامنا على ظهر محبوبك ظمء مفاصله (١١)  
فقلنا له : سدّد وأبصر طريقه وما هو فيه عن وصاتى شاغله (١٢)  
وقلت : تعلم أن للصيّد غرّة وإلا تضيعها فإنك قاتله (١٣)  
فأتبع آثار الشياہ وليدنا كشوئوب غيث يحضن الأكم وابله (١٤)  
نظرت إليه نظرة فرأيت على كل حال مرّة هو حامله (١٥)

(٧) أميرى : الذى يؤمرنى ويستشيرنى . نساوله : نجاهره الحرب .

(٨) عرأة : مؤترين . يزاولنا وتزاوله : يعالجا ونعالجه .

(٩) قذاله : موضع العذار من رأسه ، وهو أعلى جزء فيه . اطمأن : سكن

خصائله : جمع خصيلة وهى كل لحمة فى عصب .

(١٠) ملجمنًا : واضع اللجام فى قذاله . أنامله : أطراف أصابعه .

(١١) فلايا بلاى : فبطئا بعد ببطء ، وجهدا بعد جهد . محبوبك : مدمج . ظمء مفاصله :

عطاشا مفاصله ، والفصل جمع كل عظيمين ، وإذا كان ظمآن كان أيبس له .

(١٢) سدّد : قوم صدر فرسك . أبصر طريقه : تبين خطة صائبة . وصاتى : وصيتى .

(١٣) تعلم : اعلم . غرّة : غفلة ، وأن يؤتى من حيث لا يشعر . وإلا تضيعه : وإن لم

تضيع ما أوصيتك به من أن لاصيد غرة فعليه أن ينتهزها .

(١٤) فأتبع : فتبع غلامنا . كشوئوب غيث : كدفعة من المطر . يحضن : يقشر .

الأكم : جمع أكمة المرتفعات . وابله : مطره الغزير .

(١٥) إليه : الضمير يعود على الفرس . حامله : الضمير يعود على الغلام .



يُثْرَنُ الحَصَى فِي وَجْهِهِ وَهُوَ لَاحِقٌ      سِرَاعٌ تَوَالِيهِ صِيَابٌ أَوَائِلُهُ (١٦)  
فَرْدًا عَلَيْنَا الْعَيْرَ مِنْ دُونِ إلفِهِ      عَلَى رَنْغِهِ يَدْمَى نَسَاءُ وَفَائِلُهُ (١٧)  
وَرُحْنَا بِهِ يَنْضُو الجِيَادَ عَشِيَّةً      مُخْضَبَةٌ أُرْسَاغُهُ وَحَوَائِلُهُ (١٨)  
٣٦٧ : بَدِي مَيْعَةٌ لَا مَوْضِعَ الرَّمْحِ مُسَلِّمٌ      لِبِطْءٍ ، وَلَا مَاخَلْفَ ذَلِكَ خَاذِلُهُ (١٩)



---

(١٦) يثرن: الضمير يعود على الحجر. وجهه: الضمير يعود على الفرس. تواليه: أواخره، يريد رجليه وعجزه. صياب: قاصدة مفردا صائب كصاحب وصحاب. أوائله: يدها وصدرة.  
(١٧) فرد علينا العير: فقطعه عن إلفه، ورجمه إلينا. من دون إلفه: من غير أمانه. يدمى: يسيل دمه. النساء: عرق من الورك إلى الكعب. فائله: الفائل عرق في الفخذ.  
(١٨) ورحنا به: وأمسينا بذلك الفرس. ينضو: ينسلخ وينخلع. مخضبة: ملطخة بالدم. أرساغه: جمع رسغ وهو القدم. حوائله: قوائمه، مفردا حاملة.  
(١٩) الميعة: النشاط، وهي هنا الدفعة من السير. موضع الرمح: الكائبة، وهي قدام القربوس. قال النابغة «إذا عرض الخطى فوق الكوائب» معناه أن مقدمه لا يخذل مؤخره، ومؤخره لا يخذل مقدمه.

## تحليل الأبيات :

هذه القصيدة من جواد شعر زهير ، قالها يمدح بها حصن بن حذيفة الفزاري لامتناعه على عمرو بن هند ، ولكن المدح أضعف أدواتها ، وأقل أسباب جودتها .

فطلمها أبرع مطلع تبدأ به قصائد في الثناء على الأبطال ، وتحدث الرجال عن الرجال . عزف عن اللهو والهوى ، وصحا القلب عن سلمى ، وأقصر عن امتطاء باطل الصبا والشباب ، وعريت أفراس كنت أركبها في الصبا .

وبعدئذ عرض للأطلال عرضا يسيرا ، ثم أخذ يصف فرسه ، يخرج به للصيد ، وكان وصف الصيد هو غايته الأولى من القصيدة ، إذ صورته في ثمانية عشر بيتا ، فقال :

حينما نغدو مبكرين نطلب الصيد ، نظاهره الصيال ، ونجاهره الفضال ، لانعرف مخاتلة ؛ لأن المخاتلة ضعف ، ولا نرتضى لأنفسنا الخادعة فالتداع لؤم ، هذا إلى ثقتنا أن فرسنا كريم لا يفوته الصيد ، وإذا نبحت عن الوحش نصيده أقبل خادمنا يمشى على هينته ، ويضائل جسمه ، ويخفي شخصه ، خوف أن تراه الشياه ، فتعطى ساقها العنان ، فأنبأنا أن شياها ترتع وتلعب ؛ فهي تعيش في مرعى خصيب ، قد استأسد نبتة ، وطال عشبه ، واسودت مسایل مائه ، مسایل القرىان إلى الرياض .

إنها ثلاث شياه ضامرات كالقسي تصنع من شجر السراء ، منطويات ، لأنهن اجتزأن بالرطب عن الماء ، فلم يضحخن وتمدد كدتهن ، وناشط لا يستقر في مكان ، ولا يقيم في بلد ، قد اخضرت جحافلها من أكل النبت الغمور ، وقد فرق الصيادون عنه جحاشه ، وأخذوا منه صفاره ، فهم يطردونه فيدعها ، فيقنصونها ، فلم يبق من حوله إلا نفسه وآتته .

وقال صديقه وأميره يؤامره ويشاوره : ألا ترى الرأي الذي نراه ؟ أنخذعه ونختله أم نساوله ونناضله ؟ فبتنا عراة مؤتررين عند رأس فرسنا الصعب الذي يحاول الجموح ؛ لما هو فيه من حدة ونشاط ، فيجذبنا ونجذب به ، ويمالجننا ونعالجه ، فضر بناه حتى سكن

رأسه ، دون أن يطمئن قلبه ، أو تسكن خصائله ، وإذا ما أقبل خادمنا ليلجمه ؛ لم يتبها له ذلك إلا إذا وقف على أنامله ، فهو فرس نهدي ، هيكل ضخيم .

فبعد جهد ومشقة حملنا وليدنا عليه ، حملناه على فرس مدمج محبوبك ، لم يكتنز أو يترهل ، ومفاصله عطاش ظماء ، فهن صلد صلاب ، فقلنا لفارسه ناصحين : قوم صدر فرسك ، ولا تمل يمناة أو يسرة ، وتبين طريقك الذي تسير فيه ، ولا يشغلك عن وصاتي التي أوصيك بها نشاط الفرس وعلاجه ، وحدته ومراسه .

قلت له : اعلم أن للصيد غرة فاهتبلها ، وفيه - أحيانا - غفلة فاتتهزها ، فإذا لم تضيعها فإنك دون ريب قاتله .

فتتبع الوليد آثار تلك الحمر ، مثله في اندفاعه إليها ، وانصبابه عليها كمثل دفعة المطر يقشر وابل هذه الدفعة الأكم ، ويزيل ترابها فيظهر نباتها ، نظرت إلى الفرس نظرة تأمل ، فألفيت الوليد يحمل الفرس على الأمر الذي يريد ، فأخذت الحمر الوحشية تثير في وجه ذلك الفرس الحمى ، وهو لاحق بها مدرك لها ، وأواخره سراع ، وأوائله صياب ، فلا مقدمه يخذله ، ولا مؤخره يسلمه ، فأمكننا من العير ، ورجعه إلينا من غير أليفه ، رده علينا مرغما مقهورا ، قد سال الدم من عرق النساء والفائل ، فقد طعنه فسد الطعنة ، فرحنا بذلك الفرس يتقدم الجياد وينسأخ منها عشية ، وقد خضبت من دماء المير أرساغه ، وضرجت بدماؤه قوائمه ، فلم يكسر من حدة نشاطه مطاردته ، ولم ينل من شدة عرامه مناصلته .

كان ذلك الطرد بفرس ذي ميمعة ونشاط لايسلم كآبته مؤخره ، ولا تمخذل مؤخره كآبته ، فأجزاؤه يسند بعضها بعضا .

النقد :

بدأ زهير وصفه بطريقته في الصيد ، فهو لا يخادع لأن فرسه كريم يقيد الأوبد ،  
ثم وصف خروجهم ، وفي هذا الوصف صور غلامهم تصويراً ناطقاً ، فهو يدب ديباً ،  
ويخفي شخصه إخفاءً ، ويضائل جسمه ضئلاً ، وهو مصور بارع ، فذلك شأن كل من  
يريد أن ينال شيئاً على غرة ، ويدركه في غفلة . ولكنه لا يتفق مع البيت الأول ، إلا إذا  
قيل : إن الفارس لا يخاتل ، ولكن غلامه يخاتلون ، وهو عذر واه ، فالغلمان يأتمرون  
بما يؤمرون ، ثم وصف المكان أدق وصف ، وفي وصفه إياه إغراء بالصيد ، فالشياه  
في مرعى خصيب ، فهي من غير شك سمينة غير مترهلة ، على أنه أكد هذا المعنى في البيت  
الثاني إذ يقول :

ثلاث كأقواس السراء ، وناشط قد اخضر من آس الغمير جحافل

ثم سار في وصف الناشط ، فقال :

إنه قد فرق الطراد عنه صفاره ، وحرموه جحاشه ، فلم يبق إلا هو وأتفه ، وأخذ  
يشاور أميره ، والأمير يؤامر غلامه في صيده ، أيخاتلونه أم يجاهرونه ؟ ويظهر أن الغلام  
رأيا غير رأى الأمير ، فالأمير من طبعه أنه إذا رأى صيدا مرة ، فإنه لا يخاتله ، ووصف بعد  
التشاور فرسه القوى النشط بأنه لا يسكن من حدته ، ولا يهدأ لشدته ، فقال :

فَبِتْنَا عُرَاةً عِنْدَ رَأْسِ جَوَادِنَا      يُرَاوِلُنَا عَنْ نَفْسِهِ وَرُؤُولُهُ  
فَنَضْرِبُهُ حَتَّى اطمأنَّ قَدَاهُ      ولم يطمئن قلبه وخصائله

وتلك صورة لما بين الفارس والفرس أتمها بأن الفرس مع أنه قد اطمأن قذاه  
إلا أن سائسه أقصر من أن يبلغ قذاه ، فهو لا يلجمه إلا إذا وقف فوق أنامله ، ثم وصف  
بعدئذ الصيد ، والحديث الذي جرى بينه وبين الغلام ، وهذا الحديث يؤيد التناقض  
الذي وقع فيه زهير في أول بيت من أبيات الوصف ، فوصاته هي :

وقلتُ : تعلم أن للصيدِ غرّةً      وإلا تضيّعها فإنك قاتله

ثم وصف الطراد ، فوصف الغلام وصفا يدل على قوته ، وينبئ عن منته ، وصوره صورة  
تمّ عن حنكته وحكمته ، فهو يندفع على الشياخ : كَشُوبِوبِ غَيْثٍ يَحْضِنُ الْأَكْمَ وَابِلُهُ ،  
وأحكم وصف المطاردة ، فالشياخ تثير التراب في وجه الفرس ، وهو لاحق لها ، فمؤخرتاه  
تلحق مقدمتيه أو أواخره - يقصد الرجلين والعجز - تلحق أوائله يعنى اليدين والصدر  
وأدرك الغلام ما كان يرجو فقد أبلغه حصانه غايته :

فردّ علينا العَيْرَ مِنْ دُونِ إِلْفِهِ عَلَى رَغْمِهِ يَدْمَى نَسَاءُ وَفَائِلُهُ  
وَرُحْنَابَهُ يَنْضُو الْجِيَادَ عَشِيَّةً مَحْضَبَةً أَرْسَاغُهُ وَحَوَامِلُهُ

في هذه الأبيات جمال مبعثه حسن التصوير ، وروعة التعبير ، فقافية الأبيات ذات جرس  
موسيقى صاف هادي ، ولكن أيناسب هذا الهدوء الصيد والطرْد ؟ إنه يناسب لأن  
المخاتلة التي نفاها في أول بيت هي التي اعتمد عليها في الصيد ، وترى هذا الجمال في تلك  
الدقة في تصويره « يدب ، ويخفي شخصه ، ويضائله » لم يكتب بالديب ، ولم يكتب به  
مع إخفاء شخصه بل لا بد من تمام الصورة بالمضائلة ، كما تراه في قوله :

ثلاث كأقواسِ السَّراءِ ، وَنَاشِطٌ قَدْ اخْضَرَ مِنْ أَسِّ الْغَمِيرِ جِحَافُهُ

ثلاث متشابهات ، وواحد منفرد بصورة ، فلا بد أن يصفه ، فهو لا يقيم في بلد ، وهو  
كثير الرعي ؛ حتى قد اخضرت جحافله من أكله بمقدم فه ؛ وذلك لأنه لا يستقر  
عند ما يأكل .

٢ — وقال امرؤ القيس \* يصف حربا ناشبة بين عقاب وذئب :

كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ الْمَاءُ وَاحْتَمَلَتْ      فِتْخَاهُ لَاحَ لَهَا بِالْقَفْرِ الذَّيْبِ (١)  
فَأَبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ فَوْقِ مَرْقَبَةٍ      وَدُونَ مَوْعِيهَا مِنْهُ شَنَاخِيبٌ (٢)  
فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ فِي الْجَوِّ كَاسِرَةً      يَحْتَمُّهَا مِنْ هَوِيٍّ اللُّوحُ تَصْوِيبٌ (٣)  
صُبَّتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ أُمٍّ      إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبٌ (٤)  
: ٣٧٢ كَالدَّلْوِ بَتَّتْ عُرَاهَا ، وَهِيَ مُثْقَلَةٌ      إِذْ خَانَهَا وَذَمُّ رِنَاهَا وَتَكْرِيْبٌ (٥)

\* ترجمته الشاعر : انظر ترجمته في وصف الفرس ص ١٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) كأنها : الضمير يعود على الفرس التي كان يصفها قبل بقوله :

وَالْيَدُ سَابِجَةٌ ، وَالرَّجْلُ ضَارِحَةٌ      وَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ ؛ وَالْمَنْ مَلْحُوبٌ  
وَالْمَاءُ مُنْهَمِرٌ ، وَالشَّدُّ مُنْحَدِرٌ      وَالْقَصْبُ مُضْطَمِرٌ ، وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ

الاحتمال : الانتقال . فتخاء : لينة الجناحين عريضتهما ، وهي وصف للعقاب قال الشاعر :

كَأَنِّي بِفِتْخَاءِ الْجُنَاحَيْنِ لِقْوَةً      دَفُوفٍ مِنَ الْعِقْبَانِ طَأْطَأَتْ شِمَالِي

وفي رواية : « واحتفلت صقعاء » في رأسها بياض .

(٢) المرقبة : المكان المرتفع يعلوه الرقيب . الشناخيب : مفردها : شنخاب أو شنخوب

أعلى الجبل ، وأعلى الكاهل ، وققر الظهر ، والأول هو المراد .

(٣) كاسرة : منقضة تكسر جناحها ، أو تكسر ما تصيده كسرا . يحتمها : يدفعها .

هوى : يسقوط . اللوح : بضم اللام الهواء بين السماء والأرض . تصويب : انحدار .

(٤) صبت عليه . اندفعت إليه . من أم ، من قرب .

(٥) بتت عراها : قطعت مقابضها ، وهي جمع عروة . مثقلة : ممتلئة ثقيلة . الوزم :

سيور بين آذان الدلو ، ويجمع على وذوم ، وأوذام ، وأوذم . التكريب : جعل الكرب وهو

الجبل في الدلو .

لا كالتى فى هواء الجو طالبةٌ      ولا كهذا الذى فى الأرضِ مطلوبٌ (٦)  
 كالبرقِ والريحِ مرآتاها عجبٌ      ما فى اجتهادِ على الإصرارِ تغيبٌ (٧)  
 فأدركته ، فنالتهُ محالِبُها      فأنسلَّ من تحتِها ، والدَّفُّ منقوبٌ (٨)  
 يلوذُ بالصَّخرِ منها بعد ما فترت      منها ومنه على الصَّخرِ الشَّايِبُ (٩)  
 ثم استغاثتِ بِمَتْنِ الأرضِ تفرُّه      وباللسانِ وبالشدِّقينِ تتريبٌ (١٠)  
 ما أخطأته المنايا قيسِ أنمُلةٌ      ولا تحرَّزَ إلا وهو مكثوبٌ (١١)  
 ٣٧٩ : يظلُّ منججراً منها يراقبُها      ويرقبُ الليلُ إنَّ الليلُ محبوبٌ (١٢)

(٦) كالتى فى هواء الجو : كناية عن العقاب . طالبة : باغية صيدا وحرما . كهذا : اسم الإشارة عائد على الذيب . مطلوب : مرغوب صيده . رويت هذه الأبيات لامرئ القيس رواها الجوهري ، ووهه ابن برى ، وزعمها لإبراهيم بن عمران الأنصارى ، ولكن صاحب كتاب شعراء النصرانية نسب بعضها لامرئ القيس .  
 (٧) كالبرق : يقصد العقاب . الريح : يقصد الذئب ، وهو يكنى عن وصفهما بالسرعة فى الطيران والإرخاء . مرآتاها تثنية مرآة بمعنى منظراها . عجب . عجب غريب . الإصرار . التصميم . التغيب : التقصير . وفى حديث هشام : كتب إليه يغيب عن هلاك المسلمين أى لم يخبره بكثرة من قتل منهم مأخوذ من الغب الورد ، فاستعاره لموضع التقصير فى الإعلام بكنه الأمر . (٨) محالِبها : جمع محلب أظفارها . فأنسل : فززع نفسه برفق . الدَّفُّ منقوب : الجنب منقوب . (٩) يلوذ : يلجأ ويحتمى . فترت : تراخت . منها ومنه : من العقاب ومن الذئب : الشَّايِب : جمع شؤبوب : يريد شدة اندفاع كل منهما .  
 (١٠) استغاثت : استعانت ، والضمير يعود على العقاب ، وهى رواية الحيوان تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ولعلها استغاث ليعود الضمير على الذئب فهو المغلوب المحتاج إلى العون ، وهو أقدر على إثارة الغر ، والشطر الأخير من البيت يؤكد هذا ، تريب : تراكم التراب فوق الشيء . (١١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . قيس : مثل قيد يعنى قدر أعملة ، والأعملة : رأس الأصبع . تحرز : تحصن . مكثوب : مكروور عليه ، مهجوم نحوه من كتب إذا كر . (١٢) يظل : يبق طوال يومه . منججراً . مختبئاً فى الجحر . يراقبها : يلاحظها . يرقب الليل : ينتظره . محبوب : مرغوب فيه لأنه منقذ له .

## تحليل الأبيات :

سواء أصحت هذه الأبيات لامرئ القيس أم لم تصح فإنها شعر جاهلي ، وإن كنا نكاد نثق أنها لامرئ القيس ، فإن روحه ظاهر فيها ، فهو أقدر من سواه على وصف مثل هذا المنظر لكثرة ما شاهد في الصحارى ، ولأن في الأبيات كثيرا من خصائصه التي تبدو في تسلسل الصور ، وتنوع التشبيهات والكنائيات ، وجمال التقسيم .

وصف فرسه بأنها عند انهماك الماء ، وانحدار الشد ، وانضمام الحصر ، ولحوب المتن كالعقاب ظهر لها في الأرض القفر ذئب ، ثم تأكد رؤيتها إياه بعد أن تأملته من قفة لا يحجب الناظر منها حاجب ، ولكن بينها وبينه ربا ونجادا ، فلم تخش قطعها ، بل أقبلت نحوه منقضة ، تكسر في انقضاضها إليه جناحها ليشتد طيرانها ، يُضاعف هويها في ذلك الجوانح تنقض منحدرة ، اندفعت إليه من مكان بعيد ، وهوت عليه من مرقب سحيق ؛ لتنزل عليه سخطها ، وتنشب فيه مخالها ، فما أشقاء ! إن الشقاء ليفد عليه من حيث يدرى ولا يدرى ، وحقا : « إن الشقاء على الأشقيين مصبوب » أو « إن الشقى بالشقاء مولع » .

هوت عليه قوية دافقة ، وانصبت نحوه عازمة عارمة ، كأنها الدلو المثقلة بالماء قد انبنت عراها ، وخانها وذمها وتكريبها ، فسقطت كجلود الصخر ، ليس كهذه التي تهوى من الجو تطلب صيدا في قوتها وعرامها طالب ، ولا كذلك الذي يرعى فوق الأرض خوف ذلك الطالب مطلوب .

ما أشبه الطالب والمطلوب بالبرق والريح ، فالريح يعصف من ورائه البرق يلعب ، فنظرهما عجيب ومرآتهما غريبة ، إذ كلاهما يصر على الاجتهاد دون تقصير فيه ، ويعزم على أمر لا يجيد عنه ، هي تعزم على الفتك ، وهو يصر على الخلاص منها ، فإني عزميها تعقيب . ولكنها أنفذت إصرارها ، وأدركت ما عزمتم عليه ، فنالته مخالها ، وأنشبت فيه أظافيرها ، ولكنه استطاع أن ينسل من تحتها ، وأن يتخلص من برائتها ، وقد نقب جنبه ، وثقب دقه ، وأخذ يلجأ إلى الصخور يخفي تحتها ليحتمى بها منها ، وكان الصراع



قد ثبت من همتيهما ، والنضال قد أوهى من قوتيهما ، فانتقل الهجوم والدفاع ، والكر والفر فوق ذلك الصخر الذى لجأ إليه ، ولأذبه ، فلجأ إلى غير الصخر ، فاستمان بمتن الأرض يثير غباره ، ويهيج غفره ليحجب بذلك التراب عن العقاب شخصه ، فترب لسانه وشذقيه ، دون أن تخطئه المنايا ، أو يغلط الموت فى معرفة مكانه ، لم يخطئ الموت قيد أملة ، ولا نفعه التحرز والتحصن وهى كاراة عليه ، مندفة إليه ، فهو يظل يومه مختفيا فى الأجرار ، مختبئا بين الصخور ، مترقبا الليل المحبوب ليحميه من ذلك العدو الجبار .

### النقر :

وقفت العقاب على إرم ، فرأت الذئب بينها وبينه قمم الجبال والربا والنجاد ، فاندفعت إليه تهوى « يحثها من هوى اللوح تصويب » تلك أول الصور التى رسمها امرؤ القيس فى هذه الأبيات .

انصبت عليه كما تسقط الدلو المفعمة بالماء قد انبتت عراها ، وخانها وذمها وتكرىبها ، وهذه صورة أخرى ، وأجمل من هاتين الصورتين تشبيهما بالبرق والريح ، وحقا إن حراآتاها عجب ، وبلوغ هذه الصورة وتكوينها فى كلمتين أغرب وأعجب ؛ ووصف المعركة ، وأن العقاب قد أنشبت فى الذئب مخالبا ، وأنه ينسل من تحتها منقوب الجنب لاثدا بالصخر ، وصف بلغ القمة فى تصوير الحقيقة ، وصدق الوصف .

إنك واجد فى هذه الأبيات صورا خلاية متسقة ، كما أنك واجد فى هذه الصور حياة دقاقة ، وأى صورة تتدفق بالحياة أوضح من هذه :

فأدر كته ، فنالتـه مخالبا      فانسـل من تحتها ، والدف منقوب  
يلوذ بالصخر منها بعد ما قرت      منها ومنه على الصخر الشايب

أدر كته ، تصور عدوها وملاحقتها إياه ، فنالتـه مخالبا ، تصور قبضها عليه وإنشاب مخالبا فيه ، فانسـل من تحتها ، تصور محاولته الإفلات من مخالبا حتى استطاعه ، والدف منقوب

تصور الحال التي أفلت عليها ، يلوذ بالصخر ، تصور اختباءه بين الصخور ، بعد فتورها  
ونمود تدافهما .

أما جمال الأسلوب فيبدو في أكثر الأبيات بل في جميعها ، فمن الجمال الفتان قوله :  
صبت عليه ، ولم تنصب من أم إن الشقاء على الأشقين مصبوب

يمجبك دون شك هذا الطباق السلبي ، كما يمجبك ذلك الاحتراس في قوله من أم .  
أما الحكمة ، فهي أخذ الحكم « إن الشقاء على الأشقين مصبوب » وأجل ما فيها كلمة  
مصبوب ، لأنها توحى باندفاع الشقاء إليه ، وسقوط البلاء عليه ، ومن جمال الأسلوب  
قوله :

كالبرق والريح مرآتاها عجب ما في اجتهاد على الإصرار تغيب  
وبعد فالأبيات جميلة من جميع النواحي ، وكلما زدتها تأملا زدت شعورا بجمالها .



٣ - وقال عبيد بن الأبرص \* يصف العقاب تصيد ثعلبا :

كَأَنَّهَا لَقْوَةٌ طَلُوبٌ      تَيَبَسُ فِي وَكْرِهَا الْقُلُوبُ<sup>(١)</sup>  
بَاتَتْ عَلَى إِرْمٍ عَذُوبًا      كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ<sup>(٢)</sup>  
فَأَصْبَحَتْ فِي غُدَاةٍ قَرِيٍّ      يَسْقُطُ عَنْ رِيَشِهَا الضَّرِيبُ<sup>(٣)</sup>  
فَأَنْصَرَتْ ثَعْلَبًا سَرِيعًا      وَدُونَهُ سَبَبٌ جَدِيدُ<sup>(٤)</sup>  
فَنَفَضَتْ رِيَشَهَا وَوَلَّتْ      وَهِيَ مِنْ نَهْضَةٍ قَرِيبُ<sup>(٥)</sup>  
٣٨٥ : فَاشْتَالَ وَارْتَاعَ مِنْ حَسِيسٍ      وَفَعَلَهُ يَفْعَلُ الْمَذْءُوبُ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو عبيد بن الأبرص بن حنتم بن مالك بن زهير الأسدي أحد فحول الشعر في العصر الجاهلي ، ويقال : إنه لم يكن يقول الشعر إلى أن هجاء وهجا أخته شاعر ، فرفع يديه إلى السماء مبتهلا ، وهو يقول : اللهم إن كان فلان ظلمي ورماني بالبهتان ، فأدلى منه ، وانصرتني عليه ، ثم نام ، فأناه آت في المنام بكبة من شعر ، وألقاها في فمه ، فقام وهو يرتجز هجاء في خصمه ، وقد مات قتيلًا ، قتله المنذر بن ماء السماء سنة ٦٠٥ م .

التفسير اللغوي : (١) كأنها : الضمير يعود على الفرس التي كان يصفها في الأبيات السابقة . اللقوة : العقاب ؛ سميت بذلك لأنها سريعة التلقى لما يطلب . طلوب : كثيرة الطلب ، تيبس : تجف من الخوف والفرع . القلوب : يعني قلوب الطير في أوكارها عند سماع خفيف جناحها .

(٢) الإرم : العلم من الأرض ، العذوب : التي لا تأكل شيئا ولا تشرب ماء . الشيخة : المعجوز . الرقوب : التي لا يبقى لها ولد .

(٣) القر . البرد . الضريب : الجليد .

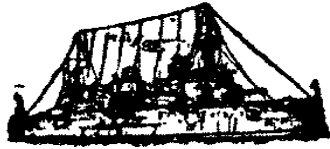
(٤) دونه : أمامه . سبب جديد : فلاة قاحلة مجدبة .

(٥) نفضت : حركت وهزت . ولت : طارت مبعدة . هي من نهضة : من طهران .

(٦) اشتال : رفع ذنبه . ارتاع : فزع . حسيس : صوت . المذءوب واللزءود : الخائف

المزع .

فنهضت نحموه حثيثا وحرادت حرده تسيب<sup>(٧)</sup>  
فدب من خلفها ديبا والعين حلاقها مقلوب<sup>(٨)</sup>  
فأدر كته فطر حته والصيد من تحتها مكروب<sup>(٩)</sup>  
فجدلته مطر حته فكدحت وجهه الجبوب<sup>(١٠)</sup>  
يصفو ومخلبها في دفه لا بد حيزومها منقوب<sup>(١١)</sup> : ٣٩٠



- 
- (٧) حثيثا : سريعة . حرادت : قصدت . تسيب : تنساب على الرمل .  
(٨) فدب : فسار في خفاء وحذر . الحلاق : باطن الجفن أو عروق العين .  
(٩) فطرحته : فرمته . الصيد : يقصد الثعلب . مكروب : مصاب بالكرب والشدة  
(١٠) جدلته : فقتلته ، وأصله طرحته بالجدالة وهي الأرض . فكدحت : فخدشت  
الجبوب : الأرض الصلبة .  
(١١) يصفو : يصيح . مخلبها : ظفرها . دفه : جنبه . حيزومها : صدرها .

## تحليل الأبيات :

شرح عميد يصف فرسه ، فلم يطل ؛ إذ لم يتجاوز في وصفه إياها هذه الأبيات :

فذاك عصرٌ وقد أراني      تحملني نهدةً مرحوبٌ  
مضبرٌ خلقها تضييراً      ينشقُّ عن وجهها السببُ  
زيتيةٌ نائمٌ عروقتها      ولينٌ أشرها رطيبٌ

ثم انتقل إلى تشبيه فرسه في شدة عدوها ، وسرعة شدها بعقاب خفيفة ، سريعة التلقى لما تطلب ، إذا أبصرتها الطيور في أوكارها أدركها حينها ، وبلغها حتفها ؛ إذ تيبس قلوبها الرطبة ، وتجف أفئدتها الطرية ، لأن الدماء لا تجرى فيها ، وذلك لكثرة ما تصيد منها .

قد باتت هذه العقاب فوق رابية عالية ، ومرقبة مرتفعة ، وإرم مستطيل ، عذوبا عن الأكل ، عزوفا عن الطعام ، كأنها شيخة عجوز ، بلغ منها اليأس كل مبلغ ، فلا رجاء لها في عقب ، فقد أدركتها سن الإياس ، لقد ثكلت تلك الشيخة وليدها ، وأصابها الدهر في وحيدها ، فلم يقر لها في ليلها الأطول قرار ، ولا مس جفنيها هجوع ، فأصبحت مبكرة في جو بارد ، وبرد قارس ، تجمد له الماء ، فصار جليدا متساقطا عن ريشها .

وإذ هي على تلك الحال من انقباض النفس وجود الحس ، أبصرت ثعلبا يستحث قوائمه ، وبينه وبينها فلاة قاحلة ، ومفازة مجدبة ، فنسيت ما كانت فيه من انقباض وخمود ، ونفضت ريشها نفضا ، ووثبت وثبة قوية ، إذ رأت الصيد مواتيا ، وطارت تجاهه ، فأصبح منها جد قريب ، فشال ذنبه ليهم بالفرار ، بعد أن أفعم قلبه بالارتياح والفرح من ذلك الزيف المفاجئ ، والصوت المباغت ، وصنع ما يصنع الخائف المذعوب ، والفرع المزعوز ، فأقبلت عليه مسرعة حثيثة ، وانسابت إليه انسياب الماء الدافق ، فتحول من خلفها حذرا ينظر إليها شزرا . ليتبين ما قدهم به ، فكان حلاق عينه مقلوب ؛ لأنه ينظر في اتجاه العقاب .

ولكن هذا الديقب الخفى لم ينفمه ، والدوران من حولها لم يجده شيئا ، والتوجس والحذر لم يدفع عنه قضاء ، فقد أدركته فطرحته على الأرض ، وهى من فوقه جائمة ، وهو من تحتها فى كرب وقنوط ، فقتلته بعد أن طرحته بالجدالة لا يقوى على دفاع ، ولا ينهض بمقاومة ، وخذشت وجهه بمخالبا الحادة ، وبالأرض الصلبة التى رمته فوقها ، وأخذ قبل أن يودى به يصيح ، وكأنه يتضرع ويستغيث فمخالبا فى جنبه تثقبه ، وأظفارها فى صفحته تثقبها ، ولكن من ذا يستمع للضراعة ، وأنى يجد المغيث ؟ وأعياء الصياح ، فقد نقت عن صدره ، فثلت به أسوأ تمثيل .

### النقر :

فى هذه الأبيات دقة وصف ، وجودة تصوير ، وعلم بطبائع جوارح الطير ، فهى تبدو ساكنة هادئة ؛ حتى إذا أتاحت لها الفرصة فريسة نفضت عنها غبار الهمود ، وخلعت ريش الهدوء ، ونهضت فى وثبة المرح النشيط ، وليس كل إنسان يعرف ذلك الطبع فى العقبان ، وإنما يعرفه رجل البيداء ، وأخو الصحراء .

كما أجاد الشاعر تسلسل العرض ، وأبدع فى تصوير خطوات كل من العقاب والثعلب ؛ فالعقاب ينهض طائرا ، ويشد فى الطيران ، ويقف على مرقبة من الثعلب ، وكأنه يرسم طريق الهجوم عليه ، ويراها الثعلب فيدبر لنفسه مخلصا ، ويقدر له منفذا فيهم بالفرار ، فيفر ، يتلفت ذات اليمين وذات الشمال .

ولكها وقد قاست الطرق إليه ، وقدرت أقربها نحوه ، تنساب انسياب الأنفى فتدركه فتطرحة فتجدله ، فتثقب جنبه وصدره .

صور حية ، وتمثيلية كاملة لا ينقصها منظر ؛ ولا تحتاج إلى مزيد ، كل ذلك فى أسلوب منسق ، فبعض الألفاظ يصور معانيه ، ويشعر باختيار الشاعر إياه ، فسبب أفضل من غيرها من الألفاظ الدالة على الصحارى ، ويظهر أنه آثر الإكثار من بعض الحروف للعلام

الموقف من هذه الحروف السين والباء ، فتييس ، ويسقط ، سريعا ، وتسيب وحسيس كلها  
ألفاظ مقصودة لذاتها، ومن الألفاظ الموحية بالمعاني: فاشتال وارتاع فإن زيادة التاء في الفعلين  
تشعرك باشتداد اشتياله ، وقوة ارتياعه .

والذي لانكاد نستريح إليه البحر الذي اختاره عبيد لقصيدته ، ويشاركنا في نظرنا  
إلى ذلك البحر المضطرب الأمواج ، المختل الأوزان أو العلاء المعرى ، فيقول :

وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم كما اختل في وزن القريض عبيد

على أن مما يغفر له هذا الاضطراب أنه كان ذا نفس شاعرة ، وإن لم تكن وازنة ؛  
فالشعر كما قدمنا في أول هذه الفصول إثارة الشعور ، وإهاجة الوجدان ، لا ترتيب الألفاظ ،  
وتنسيق الأوزان .



٤ - وقال زهير\* يصف صقرا يطارد قطاة :

كأنها من قطا الأجابِ حان لها      ورِدْ وأفردَ عنها أختها الشَّبَثُ<sup>(١)</sup>  
جُونِيَّةٌ ، كحصاةِ القَسَمِ مرتعها      بالسِّيِّ ما يُنْبِتُ القَفْعاءَ والحَسَكُ<sup>(٢)</sup>  
أهوى لها أسفعُ الخدَّينِ مُطَرِّقُ<sup>(٣)</sup>      ريشَ القوادِمِ لم يُنصَبْ له الشَّرْكُ<sup>(٤)</sup>  
لاشيءَ أجودَ منها وهى طيِّبَةٌ      نفساً بما سوفَ يُنجيها وتتركُ<sup>(٥)</sup>  
دون السماءِ وفوقَ الأرضِ قدرُهما      عندَ الذَّنابِي فلا فوتٌ ولا دَرَكُ<sup>(٥)</sup>  
عندَ الذَّنابِي لها صوتٌ وأزْمَلَةٌ      يكادُ يخطفُها طورا وتهتلكُ<sup>(٦)</sup>  
حتَّى إذا ما هوت كَفُّ الغلامِ لها      طارتُ وفي كفه من ريشها بَتَكُ<sup>(٧)</sup>

\* ترجمته الشاعر : تقدمت في وصف الناقة ص ٨٨ .

التفسير اللغوي : (١) كأنها : الضمير يعود على الفرس في الأبيات قبل ، إذ يقول :

وصاحبي ورده نهـد مراكلها      جرداء لا فحج فيها ولا صكك  
الأجاب : جمع جب مواضع الآبار . حان لها . ظهر لها . ورد : الورد القوم يردون  
الماء ، أو هو ورود الماء ، وهو أنسب . (٢) القطا : الجوني والكدرى . وفي كليهما  
سواد ، والعطاط عبرها ، أو هو ما اسود جانب أجنحته وطالت أرجله ، واغربت ظهوره غبرة  
ليست بالشديدة ، وعظمت عيونه . حصاة القسَم : الحصاة التي يقسم عليها الماء إذا قل مع  
المسافرين ، فيصبون عليها الماء حتى يغطيها ولا تكون إلا ملساء مجتمعة ، ولذلك تشبه القطاة  
بها في شدتها واحتجاج خلقها . السى : ما استوى من الأرض . القفعاء : بقلة ذات نور أحمر .  
الحسك : ثمر الفل تشبه القث ولها نور أصفر . (٣) أهوى : انقض . أسفع الخدين :  
أسمر الخدين يشوبهما حمرة . مطرق : مجتمع الريش . القوادِم : ريش مقدم الجناح ، وهو ريش  
كبير . لم ينصب له الشرك : كناية عن أنه وحشى لم يؤخذ ولم يذل . (٤) أجود : أسرع :  
طيبة نفسا : راضية مطمئنة . تترك : تترك وتدع . (٥) دون السماء : تحت السماء .  
الذَّنابِي : الذنب . فلا فوت : فلا بعد عن الصقر . ولا درك . ولا لحاق منه لها .  
(٦) عند الذَّنابِي : عند الذنب . لها صوت وأزمله : لها صوت مختلط مضطرب من الفرع .  
تهتلك : تجهد في الإسراع . (٧) هوت : سقطت . بتك : قطع وزنا ومعنى .



ثم استمرت إلى الوادى فألجأها منه وقد طمِيعَ الأظفارُ والحنكُ<sup>(٨)</sup>  
حتى استغاثت بماء لا رشاء له من الأباطيح في حافاته البرك<sup>(٩)</sup>  
مكَلَّلٍ بأصولِ النَّجْمِ تَنسِجُهُ رِيحٌ خَرِيقٌ لُضاحِي مائه حُبُكُ<sup>(١٠)</sup>  
كما استغاث بسبيُّ فَرْزُ غَيْطَلَةٍ خافَ العيونَ فلم يُنظَرَ به الحشكُ<sup>(١١)</sup>  
٤٠٢ : فزلَّ عنها ، وأوفى رأسَ مَرَقَبَةٍ كَنُصِبِ العِثْرِ دَمِي رأسَه النَّسِكُ<sup>(١٢)</sup>



- (٨) استمرت . أى فى الطير والهيب . فألجأها : حملها على الوادى خوفها منه ، لأن بالوادى شجرا يمكن أن تختفى فيه . الأظفار : الخالب . الحنك . المنقار .
- (٩) استغاثت : استعانت والتجأت . لا رشاء له : لا جبل ينزح به الماء ، وفيه كناية عن أنه تز . الأباطيح : جمع أبطح ، الأرض المستوية . فى حافاته : على شواطئه . البرك : جمع بركة وهى طيور من طيور الماء ، أو هى الضفادع .
- (١٠) مكَلَّل : محيط به النبات كالإكليل . النجم : النبات الذى يقال له التيل ، قيل : إنه لا ينبت إلا على ماء ، أو فى موضع تحته ماء . ريح خريق : ريح شديدة . لُضاحِي مائه . لبارز مائه . الحُبُك : طرائق ، مفردها حبيك .
- (١١) السبيُّ : اللبن الذى فى الضرع قبل أن يدر . الفز : ولد البقرة . الغيطة : الشجر الملتف أو القرة وهو المراد . خاف العيون : خاف الناس وخشيمهم . الحشك : احتفال الضرع باللبن .
- (١٢) فزلَّ عنها : فسقط الصقر عن القطة . أوفى : بلغ . المرقبة : المكان المرتفع ينظر منه الرقيب . المنصب : الحجر يعثر عليه . العثر : والعثيرة الديدحة تدبج تعبدا ونسكا . أو العثر الصنم . دمى : أسال دمه . النسك : جمع نسيكة ما يدبج عليه .

## تحليل الأبيات :

كأن فرسى تلك من قطا أرض ذات عيون وآبار ، فيفد عليها الواردون ، فهي منهم حذرة وجلة ، ولا سيما وقد قنص أختها شبك الصائد ، وحبالة القانص ، تلك القطاة جونية الشكل ، مستوية الخلق ، فظهرها أكدر ، وباطن جناحها أسود ، وریش حلقها أصفر ، واستواء خلقها يحكى استواء حصة القسم ، يتقاسم عليها السفر ماءهم ، وقد أوشك أن ينفد ، وهي تحيا في خصب ، وتعيش في رتاع ، فلها في سياتها نوعان من الغذاء : بقلة من أحرار البقل ، وثمره من ثمر النقل .

وإذ هي سعيدة بوطنها ، متمتعة برغد عيشها انقض عليها صقر ذو خدين أسفعين ؛ أشربت حرتهما بسواد ، وانضم ريش قوادمه بعضه على بعض ، وهو صقر كاسر ، لم يذله قانص ، ولا قنصه أسر ، فهو قوى مخيف .

وبدأت المطاردة ، فليس أجود من القطاة سرعة ، وهي ليقينها بسرعة طيرانها طيبة النفس ، مطمئة الفؤاد ، عالمة أن جناحها سيهبان لها النجاة ، فهي تترك بعض ما تستطيعه ؛ لقد حلقت في الجو ، بين السماء والأرض ، فهي أمامه ، وهو من خلفها ، يكاد يبلغ ذنبا ، ولا هو يدركها ، ولا هي تفوته ، وحينما تركت طيرانها أهوت إليها كف الغلام لتقبض عليها ، فاستجمعت قوتها ، وتخلصت من كفه ، وقد بقي فيها قطع من ريشها ، حتى بلغت الوادي ذا الشجر ، فهي تقدر على الاختفاء في أغصانه ، أو الاختباء بين جذوعه وأفنائه ، بمد أن طمع ظفره في القنص ، ومنقاره في الخمش والنقر ، ولم تزل تجتهد في الطيران ؛ حتى استغاثت بماء مجل يجري على سطح الأرض ، فليس له غور ، ولا يحتاج إلى رشاء ينزح به ، لأنه في أبطح مستو يتجمع حول حافات البرك ، هذا الماء يكلله النجم ، وتحوطه أصول النبات الذي لاسوق له ، فإذا مرت به ربح الشمال الشديدة جعلت في ظاهر ذلك الماء طرائق وأمواجا كأنها أجزاء النسيج ، وكانت استغاثتها بذلك الماء كاستغاثته ولد البقرة بالضرع الذي لم يحتفل بمد باللبن ، وهو يخاف أن ينظره الراعي ، فلا يدعه يشرب حتى ذلك السوء .

قد أجهد الصقر ، واختفت عن عينيه القطاة ، فسقط عن مطارقتها مرغماً ، ولكنه وقف فوق مرقبة ينتظر أن تبدوله مرة أخرى كحجر العتر الذي يدمى رأسه بدم ذلك العتر .  
النقر .

يمتاز زهير بتصوير كثير من مناظر البيئة العربية الدقيقة ، وبرسم عديداً من عادات العرب التي لا ترد على خواطر أكثر الشعراء ، ولعل مصدر هذا أمران : أولهما تجويد شعره ، فذلك التجويد يبعث على التأمل الطويل ، والتدبر فيما يقول ، والآخر طول عمره ، واستمداده حكيمته من حياته وحياة أمته ، انظر إلى قوله يصف القطاة باستواء الخلق ، واملاس الظهر :

جونية كحصاة القسم مرتعها بالسي ماتنبت القفعاء والحسك

لقد ذكر لنا عادة من عادات العرب في أسفارهم ورحلاتهم ، هي قسمهم الماء بينهم ، وذكر هذه العادة يوحى إلينا بقلة الماء في بلاد العرب ، وقلة الماء يتبعها قلة العشب ، وندرة النبات . ولكنه في هذا البيت بالذات أشعرنا أن من بلاد العرب أرضا ذات مراعي خصبة ، ومزارع نظرة .

ثم هذه صورة أخرى من الصور الجميلة التي تستطيع أن ترسم منها مصورا لجزء من بلاد العرب دون أن تخاف الخطأ أو توصف بالتجاوز في الرسم ، تلك هي :

حتى استغاثت بماء لا رشاء له من الأباطح في حافاته البرك  
مككل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك

وصف الماء الذي استغاثت القطاة به بأنه لا يحتاج إلى رشاء ؛ وإذن فهو نجل وأنه ينز في أرض مستوية ؛ ليس فيها أغوار ؛ وأن على حافاته ذلك الطير الأبيض من طيور الماء ؛ أو الضفادع وهو أنسب في هذا المقام ، ثم إن النبت الصغير يلف ذلك الماء ويحوطه ، وقد تنسج الرياح فوق الماء الظاهر طرائق وحبكا .

ثم هذه النظرة الدينية التي صور لنا فيها إحدى عاداتهم في عبادتهم ، وهي الذبح في شهر رجب للأصنام تنسكا وتعبدا ، وتلك النظرة في قوله :

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمي رأسه النسك

أما أسلوب زهير فهو الأسلوب المصنفي الذي قل أن تجد فيه ما يسيبه ، فقد كان من عبيد الشعر ، فكيف يخون سيده ، أو يهمل شأن أميره ؟

٥ - وقال أبو ذؤيب الهذلي \* يصف صيد الجر الوحشية :

فوردنَ والعَيوقُ مَقْعَدُ رَأْيِي الضُّضْرَبَاءِ خَلْفَ النَّجْمِ لَا يَتَتَلَعُ (١)

فَشَرَعَنَ فِي حَجَرَاتِ عَذْبٍ بَارِدٍ حَصْبِ الْبَطَاحِ تَغْيِبُ فِيهِ الْأَكْرَعُ (٢)

فَشَرِبْنِ ، ثُمَّ سَمِعْنَ حَسًّا دُونَهُ شَرَفُ الْحِجَابِ وَرَيْبُ قَرَعٍ يُقْرَعُ (٣)

وَعَيْمَةٌ مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ فِي كَفِّهِ جَشٌّ أَجْشٌ وَأَفْطَعُ (٤)

٤٠٧ : فَفَكَرْنَهُ ، فَفَعْرَنَ فَاْمَتْرَسَتْ لَهُ سَطْعَاهُ هَادِيَةٌ ، وَهَادٍ جُرْشَعُ (٥)

\* ترجمته الشاعر : أبو ذؤيب كنية اشتهر بها الشاعر ، واسمه خويلد بن خالد بن محرت الهذلي ، كان شاعراً حلاً ، أدرك الإسلام فأسلم ، سئل حسان بن ثابت عن أشعر الناس ، فقال : حيا أم رجلا ؟ قال سائله : بل حيا ، فقال : حيا هذيل ، ورجلا أبو ذؤيب ، وهذه الأبيات من قصيدته التي يرثي بها بنيه الخمسة الذين اغتالهم الطاعون في عام واحد بعد أن صاروا رجال بأس ونجدة وأول القصيدة هو :

أمن النون وريها تتوحد ؟  
والدهر ليس يعتب من يحزع

التفسير اللغوي : (١) فوردن : نون النسوة تعود على الجر الوحشية . العيوق : كوكب يظهر بإزاء الثريا . رأيء الضرباء : الرأيء الرجل فوق الضرباء ينظر ما يفعلون ، والضرباء : جمع ضريب الصاربون بالقداح . لايتتلع : لايتقدم ولا يرتفع . (٢) فشرعن : ضمير النسوة يعود على الجر ، فمددن أعناقهن ليشرين . الحجرات : النواحي ، مفردها حجرة . الحصب : الماء فيه الحصباء ، وهو أصفى ما يكون . البطاح : بطون الأودية ، مفرده أبطح . الأكرع : جمع كراع مستدق الساق ، ويريد أكرع الحمير . (٣) حسا : صوتا . دونه : بينه . شرف الحجاب : منقطع أرض الحرة ، وقيل : إنما يريد حجاب الصائد ؛ لأنه لا بد أن يستر بشيء . ريب قرع : قرعا يريب ويفزع ، ويريد قرع القوس وصوت الوتر . (٤) نيممة : يريد نيممة القانص ، وهي ما نم عنه ، المتلبب : المتقلد كنياته . الجشء : القضيب من النبع تصنع منه القسي . الأجش : الغليظ الصوت . أقطع جمع قطع ، وهو النصل العريض القصير .

(٥) ففكرنه : فأنكره . فامترست له : فأقبلت عليه ولصقت به . السطعاء : الطويلة العنق . الهادية : المقدمة . الجرشع : الغليظ المتلى الجنين .

فرى ، فَأَنْقَذَ مِنْ نَجْوَدٍ عَائِطٍ سَهْمًا نَجْرًا ، وَرِيشَهُ مُتَصَمِّعٌ (٦)  
فَبَدَا لَهُ أَقْرَابٌ هَادٍ رَائِعًا عَنْهُ فَعَيْثَ فِي الْكِنَانَةِ يَرْجِعُ (٧)  
مَرَى ، فَأَلْحَقَ صَاعِدِيًّا مُطَحَّرًا بِالْكَشْحِ ، فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَضْلَعُ (٨)  
فَأَبْدَهْنَ حَتُوفَهْنَ : فَهَارِبٌ بِذِمَائِهِ ، أَوْ بَارِكٌ مُتَجَمِّعٌ (٩)  
٤١٤ : يَعْثُرْنَ فِي عَلَقِ النَّجِيعِ كَأَنَّمَا كُسَيْتُ بَرُودَ بَنِي تَزِيدِ الْأَذْرُعِ (١٠)



- 
- (٦) النجود : العيلة الطويلة . العائط : التي اعتاطت رحمها فبقيت أعواما لا تحمل .  
متصمع : منضم بعضه فوق بعض من الدم المتجمد عليه .  
(٧) الأقرباب : الخواصر ، والذي بدا له قرب واحد جمعه بما حوله . رائعا : مصرفا  
مائلا . عيث : مديده إلى كنانته ليأخذ سهما . يرجع : يمديه .  
(٨) الصاعدي : نسبة إلى بنات صعده على غير قياس وهي الحجر الوحشية ، وقيل الأسهم ،  
والأول رأى اللسان . مطحرا : سهما بعيدا . الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف .  
(٩) فأبدهن حتوفهن : فأعطاهن حتفهن وهلاكهن . بذمائه : ببقية نفسه . المتجممع :  
الساقط على الأرض .  
(١٠) علق النجيع : متجمد الدم . بنو تزيد : بطن من قضاة تنسب إليه البرود .

## تحليل الأبيات :

وردت الحر الوحشية الماء وكوكب العميق يبهو خلف الثريا ، كما يظهر الرقيب خلف لاعبي الميسر بنظر ما يفعلون ، فإذا نهى قدح حفظه خشية التبديل ، ولا يكون العميق كذلك إلا آخر الليل في شدة الحر ، فشرعت الحر تشرب من جميع نواحي الماء ، تشرب ماء عذبا خصرًا ، حصب البطاح ، جاريا ليس نجلا ، بل هو فياض تقيب فيه أكرع هذه الحر ، فما زان يشربن هادئات هائثات ، حتى أزال هدوءهن ، وأفقدن هناءتهن ، صوت بينه وبينهن شرف مرتفع ، فهن لا يتبين مصدره ، فاشتد منه ريبن ، وعظم فزعهن ، فهو يريب كما يريب قرع القوس أو صوت الوتر ، سمعن صوت وتر ذلك الصياد المتقلد كنانته ، المتليب بأسهمه ونباله ، الحامل في يده قوسه ، وهو إلى كل هذا ذو صوت أجش ، ونصل عريض قصير .

فأنكرن هذا الصوت ، وكان إنكارهن له سبب نفورهن منه ، وبعدهن عنه ، وأخذ بعضهن يمترس بالآخر ، فتنضم السطماء الطويلة العنق إلى الجر شع الغليظ الجنين ، كأنها تطلب حمايته ، ويمترسها هو كذلك ؛ كأنه يلتمس حمايتها .

وكان هذا الامتراس قد أضرَّ بهن ، فقد رمى الصياد سهمه ، فأنفذه في أتان عبله طويلة ، قرية مكنتزة ، إذ لم تحمل ولم تلد فتفى قوتها ، فسقط السهم المرش فيها ، وقد انضم ريشه وتجمع ، فكان أقتل وأمتك .

وظهر لذلك الصائد الماهر خاصرة حمار رائغ عن إخوانه ، منصرف عن رفاقه ، فأمال يده إلى كنانته يستخرج منها سهمًا ليرمى به ذلك النافر الشارد ، ورمى فأدرك سهمه البعيد الرمي حماراً صاعدياً ، أصابه في خصره ، فاشتملت على ذلك السهم المسدد أضلاع ذلك الحمار ، وفرَّق الموت عليهن ، ووزع المنون ميهن ، فمنهن من أصيب إصابة غير قتالة فهو هارب بذمائه ، ومنهن من إصابته قاتلة فهو برك في مكانه لا يستطيع حراكا ، وهذه الأتان الهاربات تتمثر في طريقها ، والسهم في أذرعها ، والدم المتجمد يملوها ، فطرائق الدم في تلك الأذرع كطرائق برود بني تزيده ، كلاهما يشتمل على خطوط حمر تضرب إلى السواد .

### النقر :

الناظر في أبيات أبي ذؤيب يجد صوراً متتابعة متعاقبة ، يأخذ بعضها بأعناق بعض ؛ فالحر ترد الماء سحراً ، فيشرعن يشرن من نواح مختلفات ، وبعد أن شر بن سمن حسا يحجبه عنهن شرف الحجاب ؛ ونعيمة قانص متقلد كنفاته ، فنكرن الصوت والهميمة ، فنفرن فتلاصقن ، وهكذا يسير في تصويره كأنه قطار إبل .

وتلك الصور صادقة صدقا واضحا ، ليس للغلو فيها نصيب ، فالحر ترد الماء سحراً إذ العيوق يتخذ له مرقبة خلف الثريا التي تقف دون أن تسير ، وتثبت لا تتلعب ، ثم صورها ترد الماء ملتفات حول شاطئه ، دائرات عند حجراته ، وليس هذا الماء نزا بل تغيب فيه الأكرع .

وكأنك تتأمل الصائد ، وهو يرمى سهمه ، فيصيب هدفه ، فيخر ذلك الهدف ، وقد تصمع ريش السهم من آثار الدم ، وذلك في قوله :

رمى ؛ فأفخذ من محود عائط سهماً ، نخر ، وريشه متصم

وها هو ذا يصف لك الصيد ، فهو أتان عبلة طويلة حرمت الحمل ، فهي فتية قوية ، ويظهر أن فقد أبي ذؤيب بنه الخمسة جعله يستهين بالحياة ، ويستخف بالبقاء ، فهو في أبياته يصف الصائد بأنه تابع الرمي حتى كاد يفنى الحر ، وينوع مواطن الإصابات ، وهاك قوله يثبت ما نقول :

رمى ، فألق صاعديا مطحرا بالكشح ، فاشتملت عليه الأضلع

فأبدمن حتوفهن : هــارب بذمائه ، أو بارك متجمع

ولا بد أن الصورة في آخر الأبيات ستمجيبك ، فهي صورة حقيقية صادقة ، إذ ذلك شأن كل ما يطارده الصائدون ، هروب وإلا فحتوف .

أما الأسلوب فجزل قوى ملائم لموضوعه تشيع فيه حروف تسكبه هذه الجزالة مفردة أو مركبة مع غيرها كحرف الشين مثلاً ، وهناك حروف تتابع ، فلا تحدث تنافراً كقوله : فنكرنه فنفرن ، فقد تكررت في هاتين الكلمتين الفاء ، والنون والراء ، دون أن يشعر القارئ بثقل ، بل لعله شعر برضا عن الشاعر .

وبعد فالأبيات من قصيدة حكم لها بالجمال ، وهذه الأبيات من أروع أسباب جمالها .

٦ — وقال تأبط شرا\* يصف الغول ، وقد تقاطلا :

- ألا من مبلغ فتیان فهم<sup>(١)</sup> بما لا قیت عند رخی بطن<sup>(١)</sup>  
 بأنی قد لقیتم الغول تهوی<sup>(٢)</sup> بسهب كالصحيفة صحیحان<sup>(٢)</sup>  
 فقلت لها : کلانا نضوؤا<sup>(٣)</sup> أخو سفر ، نفلی لی مکانی<sup>(٣)</sup>  
 فشدت شدة نحوی فأهوی<sup>(٤)</sup> لها کفی بمصقول یمانی<sup>(٤)</sup>  
 فأضربها بلا دهش ، فخرت<sup>(٥)</sup> صریعاً للیدین وللجیران<sup>(٥)</sup>  
 فقالت : عد ، فقلت لها : رویدا<sup>(٦)</sup> مکانک إنی ثبت الجنان<sup>(٦)</sup>  
 فلم أنفک متکثراً علیها<sup>(٧)</sup> لأنظر مضجعاً ماذا أتانی<sup>(٧)</sup>  
 إذا عینان فی رأس قبیح<sup>(٨)</sup> کرأس المر مشقوق اللسان<sup>(٨)</sup>  
 ٤٢١ : ساقاً مخدج ، وشوأة کلب<sup>(٩)</sup> وثوب من عباء أو شنان<sup>(٩)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو ثابت بن جابر بن سفيان التيمي ، ولقب بتأبط شرا ؛ لأنه تأبط سيفه وخرج ، فسئت عنه أمه ، فقالت : تأبط شراً وخرج ، وهو من صعاليك العرب القتاكين ، ومن لصوصهم العدائين ، هذا إلى أنه كان أسمع العرب وأبصرهم ، وأكيدهم وأعداهم ، قيل عن عدوه : إن الخيل لم تكن تدركه ، والظباء لم تكن تفوته ، وله شعر جيد ، توفي سنة ٥٣٠ م .

التفسير اللغوي : (١) فهم : أبوحى وابن عمير بن قيس بن عيلان . رحي بطن : أرض بالبادية ، (٢) الغول : حيوان لا وجود له ، تخيله العرب فوصفوه ، ومن معاني لعظ العول الحية . تهوى : تنقض . سهب : بفلاة . الصحصحان : الأرض المستوية الجرداء . (٣) نضوؤا : سقيم نصب . أخو سفر : كثير الأسفار . نفلي : فارتكي . (٤) فشدت شدة : فوثبت وثبة فأهوى : فأسقط . بمصقول یمانی : بسيف محدد مرهف منسوب إلى اليمن . (٥) دهش : تحير واضطرب . فخرت : سقطت . صريعاً : مصروعة مقتولة . للجيران : لمقدم عنق البعير . (٦) عد . ارجع للقتال . رويدا : تمهلا . مکانک : الزمى مکانک . ثبت الجنان : ثابت القلب . (٧) متکثراً : معتمداً . مصبحاً : عند تنفس الصبح . (٨) المر : القط . (٩) ساقاً مخدج : ساقاً حيوان ناقص الخلق لم تتم أيام حمل أمه به . الشوأة : قحف الرأس وجلدته . العباء : العباءة . الشنان : السحاب .



## تحليل الأبيات :

انتصر تأبط شرا على الغول . قال الجاحظ عنها : إنها اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار ، ويتلون في ضروب الصور والوثاب ، ذكرأ كان أو أتى إلا أن أكثر كلامهم على أنه أتى ، وإذا كان ذلك أمره ، فهو فيما يرى لا ينتصر عليه إلا الأبطال الأشداء ، فمن حق تأبط شرا إذن أن يذيع نصره لا في قبيلة بنى فهم فحسب ، بل له أن يذيعه في الآفاق ، فهو نصر مؤزر ، وفوز مظفر .

لاقي نأط شراً - في فلاة مستوية جرداء ، لاماء فيها ولا نبات ولا حيوان - غولا تنقض عليه انقضاض الصاعقة ، ومنتفض إليه انتفاض الجنان ، وتهوى نحوه هوى الصخرة من شاهق الجبل ، فلم يأخذه انقضاضها وهويها ، بل قال لها باغيا لنفسه ولها السلامة : لا عليك بأس ، فكلانا نضو أين ، وسقيم نصب ، وأخوسفر ، فخلي عنى أخلى عنك ، واتركينى لشأنى أتركك لشأنك ، ولكن كيف لها أن تدعه ؟ وأنى لها أن تخلى عنه ؟ لم تصخ إليه ، ولم تستمع له ، ومتى استمع القوى للضعيف أو لمن ظنه ضعيفا ؟

لقد شدت عليه شداً شديداً ، وعدت نحوه عدوا بعيداً ؛ حتى دانت فصارته منه قاب قوسين أو أدنى ، فهوى عليها بسيفه المصقول دون أن يصيبه من هجومها دهش ، أو يلحقه من انقضاضها خور ، فسكانت الضربة حاسمة ، فخرت على الأرض مصروعة إخائرة ، سقطت على يديها وجراها ، وأثارتها الضربة التي لم تعرفها من قبل ، وأزعجتها الوثبة التي لم تكن تتوقع لها ذلك الأثر .

كيف تهزم ، وقد تعودت الانتصار ؟ لقد صاحت به أن عد ، فسأريك كيف يكون القتال ، فأجابها ، وقد أفرخ روعه ، واطمأن لضربه مؤاده ، مهلا ورويداً ! قفى مكانك ، وأنا منك حيث تشائين ، إننى ثبت الجنان ، لا أفر من ميدان .

واتكأت عليها بظبة سيفي حتى لانهرب بجراحها متنجو منه ، بعد أن التمت إليها المسألة فأبتها ، وطلبت إليها المهادنة ، وكللنا في حال تدعو إليها فعصتني ، اعتمدت عليها

بسينى إلى أن يتنفس الصبح ، لأتحقق من ذلك العدو الباسل ، ولأتبين فى الصباح ماذا  
أحمد من سُرأى .

فإذا حيوان غريب ليس له فى أنواع الحيوان ضريب ، إن عينيه مختلفتين مختلفتين  
فى رأس مستدير كأنه رأس الهر ، وهو مشقوق اللسان ، وذو ساقين قصيرتين ، كأنهما  
الحيوان لم يتكامل خلقه ، ولم يتم تكوينه ، وشوأة رأسه كشوأة رأس الكلب ، وجلده  
ناعم أزرق كأنه فى نعومته عباءة ، وفى زرقته قطعة من سحاب .  
فذلك الحيوان الصريع قد أخذ من كل حيوان أقبح ما فيه ليكون بشع المنظر ،  
قبیح الشكل ، مخيفاً لكل ناظر إلا إذا كان تأبط شراً .

### النقر :

لا يشعر الناقد البصير بقوة هذه الأبيات ، ولو أنه زعم أنها أبيات موضوعة لمساعد  
مجاوزا الصواب ، فليست فيها القوة التى يمتاز بها الشعر الجاهلى ، فهو قد هوى تهويلاً عظيماً  
فى عجز البيت الأول بذلك الإيهام « بما لاقيت عند رحي بطن » ولكن هذا التهويل  
مالبث أن توارى ، ولو أنه أراد الاستمرار فيه لبالغ فى وصف الغول ، وفى تصوير اعتدائها  
عليه ، واسكنه لم يزد على أن قال : « بأنى قد لقيت الغول تهوى » وليس من اللازم  
اللازم أن يكون هويها إليه ، ثم إنه أخذ يحاورها ، فقال لها ولم تقل له ، وايس مثل  
هذا من الأسلوب الجاهلى .

بقى أنه انتظر إلى الصباح حتى يعرف ما هى ، ويتبين حقيقتها ، وإذن فقد كان قتله  
إياها عن جهل بها ، وعدم معرفة لها ، وهذا المعنى يهون من شأنها .

أما الأسلوب فلا تكاد نجد فيه الجزالة البدوية ، ولا القوة الجاهلية ، ولا سيما فى مثل  
هذا الغرض ، وشعر تأبط شراً فى غير هذه الأبيات يفيض بالجزالة ، ويفعم بالقوة .

ويكاد البيتان الأخيران من الأبيات يشهدان بالصنعة ، وهو إذ يصف فيهما الغول  
يصفها وصفا لا ينبي بقبح ، فيتم الوصف بالقبح ، وكأنى به لم يستطع أن يحدد لون الجلد  
بقوله : وثوب من عباء ، فعطف عليه بقوله أو شنان .

٧ - وقال الشنفرى \* يصف الذئب من قصيدته المعروفة بلامية العرب ، وأولها :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّتِكُمْ فإني إلى قومٍ سِوَاكُمْ لِأَمِيلٍ<sup>(١)</sup>

وَأَغْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أزلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ<sup>(٢)</sup>

غَدَا طَاوِيَا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيَا يَحُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّمَابِ وَيَعْسِلُ<sup>(٣)</sup>

مَلَأَ لَوَاهُ الْقُوتِ مِنْ حَيْثُ أُمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نَحْلِ<sup>(٤)</sup>

٤٢٦: مهلهلة شيب الوجوه ، كأنها قَدَاحٌ بَكَتِي يَاسِرٌ تَتَقَلَّقَلُ<sup>(٥)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو من بنى الحرث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر من الأزدي ، شاعر

من أهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل ، وكات فيه شجاعة وحنق ، والشنفرى اسمه ، وقيل لقبه ، وهو ابن أخت تأبط شرا الشاعر السابق ، وقيل عن قتله : إنه حلف ليقتلن مائة رجل من بنى سلامان ، فقتل تسعة وتسعين ، ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منهم اسمه أسيد بن جابر ، ثم قتله ، فمر به رجل من أعدائه . فرفس حمجمة الشنفرى ، فدخلت شظية منها برجله فمات فتمت القتلى مائة ، وهي أسطورة طريفة ، توفى سنة ٥١٠ م .

التفسير اللغوي : (١) أقيموا : ارفعوا . بنى أمي : كناية عن الإخوة ، والنداء به

يشعر بالمعطف والرحمة . صدور مطيكم : صدور المطايا هواديتها وحراسها .

(٢) أغدو : أصبح مبكراً . القوت : الطعام . الزهيد : القليل اليسير . الأزل : القليل لحم

الوركين : تهاداه : تتدافعه . التنايف : جمع تنوفة ، وهي القلاة . الأطحل : الذئب في بياضه عبرة .

(٣) طاويا : خميصا جائعا . هافيا : مسرعا . يحوت : ينقض . الشاماب : جمع شهاب ،

وهي النحنيات في الجبال . يعسل : يسرع باهتزاز . (٤) لواه القوت : أماله البحث

عن الطعام وأعجزه . أمه : قصده . دعا : عوى . نظائر : جمع نظير انداد . نحل : جمع ناهل . المهزلي .

(٥) مهلهلة : قليلة اللحم . شيب الوجوه : كناية عن بياضها . الياسر : اللاعب بسهام

لليسر يحركها بين يديه ، وقداح الليسر سهامها ، مفردها قدح ، وهو أيضا للسهم قبل أن يراش .

أو الخشرمُ المبعوثُ حثَّحتَ دَبْرَه <sup>(٦)</sup> محابيضُ أرادَهْنُ سامٍ مَسَّسِلٌ <sup>(٦)</sup>  
مُهْرَتَهٗ ، فـوَهْ كَانَّ شُدُوْقَهَا شقوقُ العِصَى كالحاتٌ وِبُسَلٌ <sup>(٧)</sup>  
فضجٌ وضجتُ بالبراح ، كأنها وإياهُ نُوحٌ فوقَ علياءِ نُكَلٍّ <sup>(٨)</sup>  
وأغضى وأغضتُ ، وآتسى وآتستُ به مراميلُ عزَّاهَا وعزَّتُهٗ مَرْمِلٌ <sup>(٩)</sup>  
شكا وشككتُ ، ثم ازعوى بعدُ وازعوتُ وللصَّبْرُ إن لم ينفَعِ الشَّكْوُ أَجْلٌ <sup>(١٠)</sup>  
٤٣٢ : وفاء وفاءتُ بادراتٍ ، وكأبا عَلَى نَكَطٍ مِمَّا يُكَاثِمُ مُجْمِلٌ <sup>(١١)</sup>



- (٦) الخشرم : رئيس النحل . المبعوث : المبعث للسير . حثحت : حث وحض . الدبر : جماعة النحل . المحابيض : جمع محبض ، وهي عيدان يتخذها مشتار العسل ، فيثير بها النحل . أرادهن مخفف أرادهن أي ثبهن وركهن : سام : رجل عال مرتق . معسل : مشتار العسل .
- (٧) مهرة : مشقوقة الأفواه . فوه : جمع أفوه المفتوح الفم . كالحات : عابسات الوجوه . البسل : جمع باسل وهو الكريه المنظر .
- (٨) البراح : الأرض الواسعة لا نبت فيها . نوح : جمع نائحة باقيات صائحات . نكل : جمع ناكل ، وهي الفاقدات الأولاد .
- (٩) آتسى : امتثل واقتفى . مراميل : جمع مرميل ، وهو الذي لا زاد معه . عزاهَا : سلاها ، وأصل التركيب : عزاهَا مرميل ، وعزته مراميل .
- (١٠) ارعوى : رجع . الشكو : الشكوى . أجل : أحسن وأفضل .
- (١١) فاء : رجع . بادرات مسرعات النكط : شدة الجوع . المجميل : المحسن حاله .

### تحليل الأبيات :

بنى أمى : أقيموا صدور مطاياكم للرحيل ، واستنفضوها من مناخها للسفر ، أما أنا فدعوني أبحث عن قوم سواكم أعيش بينهم ، وأقضى بقية أيامي معهم ، فإني إلى غيركم أميل . ثم انتقل بعد أغراض عدة إلى وصف الذئب متخذاً من تشبيه نفسه بذئب تمهيداً لوصفها . قال : إني أعيش على أيسر الطعام ، وأحيا على أزهد القوت ، شأى شأن الذئب الأزل الأطحل ، تتقاذبه التناثف ، وتتهاداه المفاوز ، يغدو طاوى المصير ، خيمص البطن ، يسابق الريح ، ويعارض العاصفة ؛ ينقض في مؤخرات الشعاب ، ويهوى في طرق الجبال ، باحثاً عن طعامه ، ساعياً إلى قوته ، وإذا امتنع عليه الطعام حيث قصد ، وعز عليه القوت في مسعاه عوى بأثسا ، وناح يائسا ، فأجابته ذئب نحل ، ونظائر هزل ، ذئب خفيفة اللحم ، هزيلة الجسم ، بيضاء الوجوه ، شيب الرءوس ، كأنها نلقتها قداح يحركها ياسر ، ويقلقها قامر ، وكأنه يعسوب النحل قد انبعث للسير ، ودعا جماعات النحل للطيران معه عيدان<sup>١</sup> أثارت تلك الجماعات قد ركزها مشتار العسل .

تلك الذئب مشقوقة الأفواه ، مفتوحتها ، كأن أشداقها في اتساعها شقوق العصي ، وهي عابسات الوجوه ، كريهة المنظر ، بشعة المرأى ، فضج الذئب البائس ، وأجابته الذئب البائسات في أرض واسعة لا يسمع فيها إلا الصدى ، ولا يرى إلا السراب ، فسكأن الذئب معه نساء فوق مرتقى من الأرض ، تكن أبناءهن ، فهن ينحن عليهم ويعولن .

وأغضى على الجوع والقذى وأغضت معه ، وامثل ما أريد عليه ، وامثلت ، واتخذت منه أسوة ، وجعلته لها قدوة ، فكلها مراميل سلاها عن فقدان زادها أخ مرمل ، وعزاها عن جوعها أخ جائع .

لقد شكا وشكون ، وانصرفنا عن العواء وانصرف ، ورأين أن الصبر أجل بهن ، والتجلد أحسن منهن ، ورجع إلى العدو ورجعن إليه بعد أن لم تجد صيداً تطعمه ، ولا قوتا تأكله ، وهن على شدة جوعهن يكتمن أمرهن ، ويتجملن بالصبر .

### النقر .

في هذه الأبيات جمال من وجوه عدة ، فمعانيها واضحة تدل على أن الشاعر عالم بما

يقول ، متمكنا مما يصور ، فالشاعر الذى يعيش فى البادية هو الذى تبهره صورة الذئب ، يعوى من الجوع ، ويصيح من الغرث ، فما تمضى هنيهة على عوائه وصياحه ، حتى تجاوبه ذئاب أخرى هى أيضا غرثى جياع ، فأى جمال أبدع من قوله ؟

غدا طاويا يعارض الريح هافيا      يخوت بأذئاب الشباب ويعسل  
فلما لواه القوت من حيث أمه      دعا فأجابته نظائر نحل

ثم من هذا الذى يستطيع وصف الذئاب ذلك الوصف الدقيق لإلراجل عاش فى التنايف وعاشر الأطالس ، ولاحظ أعضاء جسمها عن قرب ، فأعجب بها ، أو نفر منها ؟ وأى دقة وصف تملو دقته ، إذ يقول ؟

مهلهلة ، شيب الوجوه ، كأنها      قد داح بكفى ياسر تتقلقل  
أو الخشرم المبعوث حثث دبره      محاييض أرداهن سام معسل  
مهرته فوه كأن شـدوقها      شقوق العصى ، كالحات وبسل

هذه بعض معانى هذا الشاعر أفاضتها عليه حياته البدوية فأجاد عرضها ، وأبدع فى تصويرها ، فأى عرض أجود من عرضه ، وأى تصوير أبدع من تصويره إذ يقول ؟

فضج وضجت بالبراح كأنها      وإياه يوح فوق علينا شكل  
وأغضى وأغضت ، واتسى واتست به      صراميل عراها وعزته مرمل  
شكا وشكت ، ثم ارعوى بعد وارعوت      وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل  
وفاء وفاءت بادرآت ، وكلها      على نكظ مما يكاتم مجمل

إن الأسلوب ليفرع أقوى الأساليب الجاهلية ، وقد كساه جمالا ذلك التسيق والتتابع ،

فضج وضجت ، وأغضى وأغضت ، واتسى واتست ... الخ .

لقد نالت القصيدة التى منها هذه الأبيات عناية الأدباء فى القديم والحديث ، فى الشرق والغرب ، وهى جديرة بتلك العناية ، وأجدرها بها تلك الأبيات التى لم يعرف الشعر العربى لها نظيرا فى وصف الذئاب ، وقد روى عن الرسول الكريم أنه خاطب أصحابه بقوله : « علموا أولادكم لامية العرب ، فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق » .

٨ - وقال المرقد الأكره يصف ذئباً نزل به فأطعمه :

ولمّا أضأنا النارَ عند شِواننا      عرانا عليها أطلسُ اللّونِ يابسُ<sup>(١)</sup>  
نَبذتُ إليه حَزّةً من شِواننا      حياءً، وما فُحشى على من أجالسُ<sup>(٢)</sup>  
٤٣٥ : فأضَ بها جذلانَ ينفُضُ رأسه      كما آبَ بالنَّهبِ الكميِّ المُحالسِ<sup>(٣)</sup>

تحليل الأبيات :

أوقدنا ناراً ، وأرسلنا ألسنتها تطاول السماء ، وتنسأى إلى الجوزاء ، وتدعو الجياع الغرثى ، والسابلة الخناص ، ليشاركونا في شواننا ، ويقاسمونا زادنا ، فنزل بنا ضيف أطلس اللون ، بأس الحال ، خميص البطن ، فرق له قلبي ، وإن يكن هو غليظ القلب ، ورث لبؤسه نفسى ، وإن يكن هو خبيث النفس ، فرميت إليه بقطعة من الشواء حياء أن يقال: بخل عن حيوان جائع ، وإن يكن ذلك الحيوان ذئباً ، وخشية أن يتحدث الناس عنى أنى ضننت على طارقى ، وإن يكن ذلك الطارق من ضوارى الوحوش .

لست بالبذئء على الجليس ، وإن لم يكن لى بالأئيس . فرجع بهذه الحزة جذلان فرحا ، ينفض رأسه من الفرح ، ويهزه من الغبطة ، مثله فى غبطته وسروره كمثل الكمى المقاتل لا يترك الميدان ؛ حتى يقضى على خصمه ، ويعود بالفى الكثير .

النقد :

هى أبيات تصور كرم العربى ، وأنه فى سبيل حسن الأحدثة ، وجميل السيرة ، لا يفرق فى إساءة معروفه بين الإنسان والحيوان .  
ولا أرى فيها من الجمال الفنى ما يبهى الناظر إلا فى تصويره لجذله ، فإن ذلك التصوير يوحى بأن الشاعر من كآة الحرب ، وأحلاس الجياد .

\* ترجمه الشاعر : هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة البكرى ، والمرقد لقبه ، وهو عم المرقد الأصغر ، ولكن الأصغر أشعر منه ، وهو مع ذلك شاعر فحل مجيد فى غزله وحماسه ، توفى حوالى سنة ٥٥٢ م .

التفسير اللغوى : (١) أضأنا النار : أوقدناها . عرانا : نزل بنا . أطلس اللون : أغبر ، والطلس : الغبرة إلى سواد . (٢) نبذت له : رميت إليه . الحزة . القطعة . فحشى . عيبى وبذأئى . (٣) فأض : فصار . جذلان : فرحان . ينفض رأسه . يهزه مظهراً جذله . آب : رجع . الكمى : الفارس فى كامل عدته . المحالس : الشديد الذى لا يبرح مكانه فى الميدان

٩ - وقال النابغة \* يصف أثر سم الحية ، ويصف خبثها :

فبتُّ كأنِّي ساورتنِي ضئيلةٌ من الرُقشِ في أنيابها السَّمُّ ناقِعٌ (١)  
يُسهدُ من ليل التَّامِ سَليمُها لِحلي النِّساءِ في يديهِ قَعاقِعٌ (٢)  
٤٣٨: تناذرها الرّاقون من سوءِ سُمِّها تُطلِّقه طوراَ وطوراَ تراجعُ

### تحليل الأبيات :

يصف النابغة ما نزل به من هم وأسى، حينما علم ما بوعده به أبو قابوس، وما أذره إياه؛ إذ بات ليله الأطول مسهداً كما لما لدغته أفعى دقيقة الجسم، رقصاء اللون، السم الزعاف في أنيابها. يسهر الليل الأطول، ليل التمام ملدوغها، لا يتقابل جفناه، ولا تعرف طريق النوم عيناه، قد جعل الحلي والخلاخل في يديه، دأمة الجرس، مستمرة الصوت؛ حتى لا ينام لديغها، فيسرى السم في أجزاء جسمه، ويدب الموت في مفاصله. يخاف الرفاة منها، ويتناذرون عقبها؛ إذ ليست لهم بمطواعة دائماً، فحينما تجيبهم، وحينما تعصيمهم، وطوراً تطلق الراقى، فليس له بها شأن، وطوراً تراجعهم، فتذعن لأمره.

### النقد :

أجاد النابغة تصوير حال الرجل المهدد، يندره من يقدر على صره، كما أجاد في تصوير حال السليم عند العرب، وفي رسم تطبيهم سليمهم، فهم يلبسونه الحلي ويحكونها؛ لسمع جرسها فلا يقلب عليه النوم، فيدب السم في جسمه، وتناذر الرفاة إياها، ينبئ أنها رقصاء قتل. أما الأسلوب؛ فيبدو جماله في اتساق ألفاظه، وانتظام حروفه، وملاءمة بعضها لبعض؛ فالسين في البيت الثاني يشعر تكرارها بوسوسة الحلي، وجرسها، على أن السين أكثر من سواه في البيتين الآخرين، وجعل خبرات الجملة الاسمية التشبيهية قوى المعنى وجملة.

ترجمه الشاعر : انظر الترجمة في وصف الأوايد ص ١٥٤ .

التفسير اللغوي : (١) ساورتنى : واثبتنى ، أو وثبت على . ضئيلة : رقيقة الجسم . الرقش : جمع رقصاء . وهى الحية فيها نقط سود وبيض . الناقع : البالغ القاتل . (٢) يسهد : يمنع من النوم . ليل التمام : أطول ليالى الشتاء ، والتمام مثلث التاء والفتح أكثرها . السليم : اللسوع ، وسمى كذلك تهاؤلا بسلامته . القعاقع . الأصوات مفردتها قمقعة .



١٠ - وقال عنتر بن عمرو بن شداد العبسي \* يصف الثعبان الأسود :

أترجو حياةً يا بن بشرٍ من مسهرٍ      وقد علقت رِجلاك في نابِ أسودا<sup>(١)</sup>  
أصمَّ جِباليّ إذا عَضَّ عَضَّةً      تزأبِلَ عنه جِلْدُهُ فتَبَدَّدَا<sup>(٢)</sup>  
بِسلعٍ صفاً لم يَبْدُ للشمسِ بدوة      إذا مارآه صاحبُ اليمِّ أرْعِدَا<sup>(٣)</sup>  
له رِبْقَةٌ في نَمَقِهِ من قَمِيصِهِ      وسائرُهُ عن مَقْنِهِ قد تَقَدَّدَا<sup>(٤)</sup>  
رَقودٌ ضَحِيَّةٌ كأنَّ لسانه      إذا سَمِعَ الأجراسَ والكحالُ أرْمَدَا<sup>(٥)</sup>  
٤٤٤ : يُفِيَتُ النّفوسَ قِبالَ أرْ تَمَعِ الرِّقَى      وإن أْبْرَقَ الحاوِيّ عليه وأرْعَدَا<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر انظرها في وصف الفرس ص ١٢٢ .

التفسير اللغوي : (١) ابن بشر بن مسهر : لم تقع له على ترجمة . وهو كما يبدو أحد أعداء عنتر . علقت رجليك : قيدت . أسود : يقصد نفه . وهو يصف نفسه ثعبان أسود . (٢) أصم : لا يسمع ، وهو وصف للذكر من الحيات غالباً . جبالى : نسبة لاجل . ورواه اللسان أصم قطارى ، والقطارى : الدخول . زين : نساظ . فتبدد : فترق ، ورواه اللسان « تزبل أعلى جلده فتزبدا » (٣) السلع : بالكسر : الشق في الجبل الصفا : جمع صفاة : الحجارة الصلدة . صاحب اليم : الراقى . اليم : الحية كما ورد في لسان العرب . أرعد : أصابه الرعدة . (٤) الربقة : بالكسر الحبل . قميصه : يعنى به جلده المنسلخ عنه . سائرُهُ : جميعه أو باقيه . متنه : ظهره . مُتَدَّد : تفرق أو جفّ ويس . (٥) رعود ضحيات : كثير الرقاد في الضحى . الأجراس : جمع جرس إذا فتحت الهمزة الأصوات ، وكسر الهمزة التصويت . المكحال : ما يكتحل به ، وهو طبعاً أسود من أثر الكحل . الأرمد . الوجوع العين . ومن طريق ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت » .

(٦) يفيت النفوس : يميتها فجأة . تمع الرقى : تحدث الرقى التي ترقى بها جروحه .

أبرق الحاوِي وأرعد : تهدد وتوعد بما يتلو من العزائم .

## تحليل الأبيات :

يهدد عنقراً أحد أعدائه بأن حياته صارت مما يرجى ، وأن بقاءه عاد مما يتمنى ، ولكن هل يجاب الرجاء ، وتحقق الأمانى ؟ أتتحقق الأمانى وقد اتصلت رجلاك بنباب ثعبان أسود ؟ إنه لن يستمع إلى ندائك ، ولن يلبي دعائك .

والشاعر يقصد بذلك الأسود نفسه ، ثم انصرف إلى وصف الثعبان شأن غيره من الشعراء ، فإذا في أذنيه وقر ، وفي مسمعيه صم ، وإذا هو أسود جبلي ، استمد من الجبل غلظته ، وأخذ عنه خشونة طبعه ، وإن يكن ناعم الملمس ، إذا عض مساوره عضه تساقط عنه جلده ، وتبدد منه لحمه ، يعيش ذلك الأسود في سلوع الجبال ، وشقوق الصفا ، ينام نهاره ، ويصحو ليله ، فلا يبدو للشمس إلا قليلاً ، فإذا مارآه الحواوى صديق الحيات ارتعد جسمه ، واصطكت أسنانه ، لأنه لم ير من قبله مثله ، ولا عرف له نظيراً ، فيملاً قلبه بالخوف ، ويستولى على فؤاده الرعب ، وإن كان هو الذى يخيف الأفاعى ، ويرعب الأسود .

هذا الثعبان مطوق العنق ، فكأن له في عنقه حبلاً صنع من جلده المنسلخ عنه ، وثوبه الأبيض الذى يخلمه بين الحين والحين ، لقد خلع سائر هذا الثوب عن ظهره ، ولم يبق منه إلا ما نطق به عنقه ، وهو كثير الرقاد في الضحا إذ تسطع عليه أشعة الشمس فتسرى الحرارة في جسمه ، وتدب الحياة المتدفقة بالسّم في أجزائه ، فإذا أيقظه جرس ، أو نبهه صوت أخرج لسانه الأسود الذى يشبه في شدة حلكته مكحّال الأرمد ، الذى لا يفتأ يذّر به الكحل على عينه الرمداء .

يقضى على النفوس ، ويقبض الأرواح في مثل سرعة البرق ، أو ومضة الطرف ، قبل أن يبلغ الراقى برقيته غايته من الشفاء ، وقبل أن يبذل الطيب لسليمه الدواء ، وسيان عنده بعدئذ أن يبرق الحواوى ويرعد ، وأن يتهدد ويوعد ، فقد قضى لباتته ، وبلغ غايته .

### النقد :

ليست الأبيات من الناحية الفنية في قوة شعر عنتره ، حينما يصف الخيل أو الحرب ، فهي أولا غير مترابطة الأجزاء إذا تجاوزنا البيت الثاني ، فالشطر الأول من البيت الثالث لاتناسب بينه وبين الشطر الآخر ، فالشطر الأول يذكر فيه أن وطن ذلك الثعبان سلع صفا ولم يبد للشمس في حين أن الشطر الآخر « إذا مارآه صاحب اليم أرعدا » والعلاقة بين الشطرين معدومة أو تكاد ، وهذا نفسه يقال عن البيت الخامس .

أما الأسلوب فمستقيم واضح ، وإذا كان فيه جمال فإنه يستمد من البيت الثاني والرابع والسادس ، فالبيت الثاني استخدم في الشرط إذا المفيدة لليقين ، أي أنه يتبدد جلد من يلدغه إذا لدغ دون أن يرجى لللدوغ شفاء ، أو ينتظر له دواء ، وقد مهد لهذا الشرط بالوصف « أصم جبالي » .

وجمال البيت الرابع في وصف الثوب المنسلخ عن جلد الثعبان ، وأنه يتفرق عن سائر ما عدا عنقه ، وهي ملاحظة لا يتنبه إليها إلا أبناء التنايف والمفاوز .

وجمال البيت الأخير في قوله : يفيت النفوس فهو تعبير بليغ بإيجازه ؛ وفي استخدام إن الشرطية التي تفيد الشك فقد لا يبرق الحاوى ولا يرعد خشية أن تكون عاقبة الإبراق والإرعاد الثورة والعصيان ، وكذلك في ذلك الطباق الوهمي بين أبرق وأرعد .

وعلى أي فعنتره أقدر من يصف الأسود ، فله من صفاتها حظ أي حظ .

١١ - وقال عروة بن الورد العبسي \* يصف الأسد :

تَبَغَّيْنَا الأَعْدَاءَ إِمَّا إِلَى دَمٍ  
وَإِمَّا عُرَاضُ السَّاعِدِينَ مُصَدَّرًا<sup>(١)</sup>

يَظَلُّ الأَبَاءُ سَاقِطًا فـوق مَتْنِهِ  
لَهُ العُدُوَّةُ الأُولَى إِذَا القَرْنُ أَضْحَرَ<sup>(٢)</sup>

كأن خوات الرغيد رزقه زئيره : ٤٤٧  
مِنَ اللّاءِ يَسْكُنُّ العَرِينَ بَعَثَرًا<sup>(٣)</sup>

---

\* ترجمه الشاعر : هو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم العبسي ، شاعر فحل ، وفارس صنيدي ، وصعلوك معدود ، وجواد معروف ، كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ، وقيل لقب بهذا اللقب لقوله :  
لحى الله صعلوكا إذا جن ليله مصافى المشاش آفا كل مجزر  
قال عبد الملك بن مروان في حديث عنه : « ما سمرني أن أحد العرب ممن ولدني لم يلدني إلا عروة بن الورد » .

التفسير اللغوي : (١) تبغاني الأعداء : تبغى كابتغى : طلب وتمنى . إما إلى دم : إما إلى قوم أصبتهم بدم ، فلهم عنى ثأر . عراض الساعدين : عريض الساعدين ، وهي كناية عن موصوف هو الأسد . المصدر : من نعوت الأسد العريض الصدر .  
(٢) الأباء : القصب واحده أباءة . المتن : الظهر . العدووة الأولى : الوثبة الأولى . القرن : النظير . أضحر : خرج إلى الصحراء المبارزة .  
(٣) الخوات : الصوت والدوى . الرزء : بضم الراء وكسرهما : المصيبة . العرين : بيت الأسد في الأجمة . عثر : مأسدة قبل تبالة .

## تحليل الأبيات .

تمنى أعدائي أن يثأر منى سوامم ، وأن ينزل بي الحين من غيرهم ؛ لأنهم أضعف من أن يدركوا منى ثأرا ، أو ينالوا منى ترة ، فإن لم يبلغوا هذه الأمنية فأمنيتهم الأخرى أن يلقاني أسد غضنفر عريض الساعدين ، منبسط الصدر ، يسكن أجمة كثيفة الأشجار ، يغطي متنه قصبها ، ويستر ظهره أبواؤها ، فلا تتحرز منه قافلة ، ولا تحترس من فتكه جماعة ، فإذا رز منها إلى الصحراء كانت له الوثبة الأولى على عدوه فيدعه مجذلا .  
هذا الأسد دوى صوته كدوى الرعد ، أو أن الرعد من زئيره ، وخواته رزء يصاب به سامعه ، فهو يكاد يصم الآذان ، وهو يسكن مأسدة عثر التي عرفت أسودها بالعرامة ، وشهرت بالشراسة والفظاظة .

### النقر :

البيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة جميل بإشاراته ، رائع بكناياته ، إذ أشار الشاعر إلى أن أعداءه لا يتطاولون إلى سمائه ، ولا يتسامون إلى مصاولته ومعاداته ، فناية قوتهم أن يتمنوا أن يخلصهم الله منه بأعداء يقتلونه بعد أن قتل منهم ، أو بأسد قوى غشوم يستطيع أن يصرعه ، فالبيت يجمع بين الفخر والهجاء والوصف ، وتلك قدرة أي قدرة ، والإيجاز لم يبعث فيه غموضا ، فالقرائن الموحية بالمعنى بارزة واضحة .  
وكذلك البيت الثاني جميل ، وإن لم يبلغ جمال البيت الأول ، فقد وصف خلق الأسد وأنه يمكن حتى يتمكن ، وحينئذ يثب وثبته فتكون القاضية ، والبيت الأخير أقل الأبيات جمالا ، فوصف صوته أنه كالرعد معنى تنقصه الطرافة ، وكذلك نسبته إلى مأسدة عثر ، وإن يكن أوحى بهذه النسبة إلى أنه ضيفم جبار ، فإن القارىء قد يحمله الوهم إلى أن الشاعر اختار هذه المأسدة بالذات لتستقيم له القافية فحسب .

١٢ — وقال النابغة \* يصف الحية أيضا :

صِلُّ صَفًا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ      طَوِيلَةُ الْإِطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ خَفَرٍ (١)  
دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ      كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْرُ (٢)  
٤٥٠ : مَهْرُوتُهُ الشُّدَقَيْنِ حَوْلَاءِ النَّظَرِ      تَفَتَّرُ عَنْ عُوجِ جَدَادٍ كَالْإِثْرِ (٣)

### تحليل الأبيات :

وحية خبيثة عاتية تتخذ من الصخر الصلد لونا لها ؛ حتى لا يتبينها الراى ،  
ولا تلتوى على نفسها ؛ لقصر جسمها ، تطيل الإطراق ، وتمن في التهويم دون أن يكون  
إطراقها لحياء أو طأطأة رأسها لجل ، وإنما هو لاهتيال الفرصة ، والاستعداد للعدوة .  
وهى داهية دهياء ، ومصيبة نكراء قد طال أجلها ، فمظم خبيثها ، وإن صغر جسمها ،  
حتى لكان كثرة الفكر هى سبب سقمها ، وأصل ضآلتها ، ولم لا ؟ أليست تفكر  
في العدوان ، وتنطوى على الغدر والخيانة ؟  
وهى واسعة الشدقين حولاء العينين ، تفتح شديقها الأهرتين عن أسنان عوج حداد  
كأنها الإبر .

### النقد :

أجاد النابغة وصف الحية حتى إنها لتخيف دون أن ترى ، فالصورة التى رسمها لها  
صورة نكراء ، وكذلك أبدع فى وصف خلقها فهى خبيثة داهية « طويلة الإطراق من  
غير خفر » .  
وأسلوب النابغة هو أسلوبه الجميل الرائع ، العذب السائغ ؛ فالحية : « لا تنطوى من  
القصر » وهى « طويلة الإطراق » وهى « قد صغرت من الكبر » .

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته فى وصف الأوابد ص ١٥٤

التفسير اللغوى : (١) الصل : الحية الخبيثة جداً ، الصفا : الحجر الصلد مفرد صفاة .  
الإطراق : إرخاء العينين إلى الأرض . الخفر : الحياء . (٢) داهية : مصيبة . ذهب  
بها الفكر : كناية عن صفة هى السقم . (٣) مهروثة الشدقين : واسعة الشدقين .  
تفتتر : تكشف . جداد : الجداد بالفتح والكسر صرام النخل .

## نظرة في شعر الطبيعة الحية عند العرب

عرضنا فيما تقدم صوراً متنوعة لوصف الطبيعة الحية في الشعر العربي ، وقد تناولت هذه الصور أكثر ما خص الله به البيئة العربية من حيوان ، سواء في ذلك الأنس منها والمستوحش ، وإذا كنا قد تركنا من حيوان الجزيرة العربية بعضه ، فليس ذلك لأن الشعراء أهملوه ، وإنما لأننا لم نقصد استقصاء مآلوه ، ولو قصدناه لبلغ الأمر منا حد الإطالة ، ثم إن بعض ما تناولوه بالوصف عبوه عبراً ، فلم يتجاوزوا فيه البيت أو البيتين أو الثلاثة ، وقد رمينا في هذا الكتاب إلى عرض نماذج كاملة وصور تامة ، إلى أن بعض هذا الذي تركناه ليس بذى أثر عظيم في حياتهم ، فاستمددنا قلة عنايتنا به من ضالة احتفالهم له ، فلم نذكر من الأوانس غير الناقة والفرس والكلاب ، وإن كنا قد ذكرنا الهرّ فقد جاء ذكره عرضاً لا عمداً ، وذلك لأن الهرّ ليس له عندهم من نفع ، وإذا كان فهو قليل لا يؤبه له ، وإذا كان بينهم من وصف غير الناقة والفرس ففي بيت أو بيتين ، وذلك كقول امرئ القيس يصف المعز :

إذا ما لم تكن إبل فعزى كأن قرون جلّتها العمى

٤٥٢ : فتملاً بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري

ولكننا ذكرنا من الأوابد أكثر ما في بلاد العرب ؛ وذلك لأن الشعراء أكثروا

القول في وصفها ، حسياً وعاطفياً وإن لم يرض قولنا هذا زعماء الأدب في هذا العصر ، وإلا فبماذا نفسر وصف متمم بن نويرة حزنه حين يشبهه بوجد الأظار الروائم في قوله :

وما وجد أظار ثلاثِ روائمُ أصبن مجراً من حوارٍ ومصرعا

يذكرن ذا البثّ الحزين بيثه إذا حنت الأولى سجعن لها معاً

إذا شارف منهن قامت فرجعت حيننا فأبكي شجوها البرك أجمعا

٤٥٦ : بأوجد منى يوم قام للمالك مُنادٍ بصير بالفراق فأسمما

أليس هذا الشعر من أروع ما يمكن أن يكون عليه الوصف العاطفي ؟ وإن كان هذا الضرب من الوصف قليلا نادرا .

وتركنا القليل من حيوان الصحارى وأوابدها ؛ إما لأن الشعراء لم يعيروه اهتماما ، وإما لأننا لم نجد فيه الروعة التي تحملنا على اختياره وتحليله ونقده ، وإما لغير هذا وذلك ، لأننا رأينا من أوصافه ما يمكن أن يندرج تحت غيره ، أو لأننا وجدنا القدر الذي قيل لا يحتمل التحليل ، فلم نقف عند الضبعة لفضالة شأنها عندهم ، وإن كانوا قد وصفوها ، من هذا قول متمم بن نويرة حين تذكر أنه سيموت ، وأن الضبع ستأكله دون أن يدفع عنه سيفه :

يا لهفَ من عرفاء ذاتِ فديلةٍ      جاءتُ إلىّ على ثلاثِ تخمَعُ  
ظلتُ تُراصدني وتنظر حولها      ويُرِيها رمقُ وأنى مطمِعُ  
وتظلُّ تنسِطني وتلجِمُ أجريا      وسطَ العرينِ وليس حتى يدفَعُ  
لو كان سيني باليمين ضربتها      عني ، ولم أوكلُ وجنبي الأضيعُ

ومن هذا الذي لم نذكر أوصافه لأن غيره من فصيلته يغني عنه الوعل ، وقد أجاد وصفه في قصيدة رثاء المرقش الأكبر فقال :

لو كان حتىّ ناجياً لنجّنا      من يَوْمِهِ المزلَمُ الأَعْصَمُ  
في باذخاتٍ من عمّاية أو      يرفعه دون السماء خيمُ  
من دونه بيضُ الأثوق وفوق      قه طويلُ المنكبينِ أشمُ  
يرقاهُ حيثُ شاء منه وإم      ما تنسه منيةٌ يهزمُ

وسنورد بعد أن نعرض صوراً للطبيعة الساكنة صوراً للطبيعة المختلطة الجامعة بين المتحركة والساكنة ، لتكون قد بلغنا غاية ما نبغى من كمال لهذا الفن .



ولعل من الخير لنا أن نبدي ملاحظات عن الصور الكثيرة التي عرضناها للطبيعة الحية ، نلمّ بها إماما لتكون مفتاحا لمفاتيح هذا الفن ، فيعبره من شاء أن يتبسط فيه :  
١ — أكثر الصور التي أوردتها الشعراء الجاهليون صور حسية خالصة ، والقليل منها عاطفي متصل بالحسي ، وتعليل ذلك عندي هو أن كثرتهم كانت تعتمد على حواسهم أكثر مما تعتمد على إحساسهم الباطني ، وشعورهم الداخلي ، إلا في الرثاء فالعاطفة فيه متحكمة .

٢ — أغلب هذه الصور واضح التصوير ، كامل التكوين ، وإذا وجدنا في خلال قراءتنا صوراً غير واضحة أو غير كاملة حكمنا بأن رغبتهم في الإيجاز ، وشغفهم بالإكثار من الصور والمعاني هي سبب ذلك الغموض أو القصور .

٣ — كل شعرهم خال من التكلف ، وهو فطري كطبيعتهم ، صادق كفطرتهم ، بعيد عن الغلو والمبالغة إلا قليلا ، ومن أولئك الذين كانوا يعمدون إلى المبالغة المحدودة النابغة ، وقد ذكرنا ذلك عنه عند تحليلنا شعره

٤ — كانوا يرسلون أنفسهم على سجيئتها فلا يرعون في أوصافهم ترتيبا ، وإعما يجيء كما يفد على خواطرهم ، فقد يبدؤون بالتأفة ، ويتركون الجليل الشأن ، وقد ينظرون إلى الذنب ويتركون الرأس ، لأن ذاك ورد على خواطرهم دون الآخر ، أو لأن له في نفس أحدهم شأنا أقوى من شأن ذلك الذي أخره أو أهمله ، وعليك أن تنظر وصف طرفه لناقته لتؤمن بهذا الرأي ، فمع أنه لم يترك من دقائق أعضائها شيئا فقد أهمل وصف سنامها ، مع أن السنام من أعظم أجزاء الناقة نفعا وقيمة .

٥ — نكاد معانيمهم تتفق فيما يعرضون له ، وإن اختلفت الصور ، وذلك لأنهم — كما قدمنا — يعتمدون على الحواس أعظم الاعتماد ، فإذا قال الشنفرى في وصف أشدق الذئب :

مَهْرَةٌ مَوْهٌ ، كَأَنَّ شُدُوقَهَا شُقُوقُ الْعِصِيِّ كَالْحَاتِّ وَبُسْلُ

قال علقمة بن عبدة الفحل :

فَوْهٌ كَشَقُّ الْعَصَا لِأَيَّا تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومِ

وإذا قال النابغة الذبياني :

سرت عليه من الجوزاء ساريةٌ تُزجي الشمال عليه جامد البردِ

قال لييد بن ربيعة :

باتت وأسبل واكف من ديمةٍ يُروى الخمائل دائماً تسجأها

وما قدمناه من ذلك التشابه يغني عن عديد الأمثلة .

٦ — لبيتهم عليهم أعظم الفضل إذ استمدوا منها جميع صورهم وتشبيهاتهم ، وقد قدمنا الكثير من هذه الأنواع ، أليس صفاء سمائمهم ، ورقابتهم نجومها وكواكبها هو الذي أوحى إلى أبي ذؤيب الهذلي قوله ؟

فورذن والمعيق مقعد رابي الضُ ضرباء خلف النجم لا يتتلع

وأليست طبيعة بلادهم ، وما فيها من مجاد ووهاد ، وصخور ورمال ، وجذب وخصب

هي التي هيأت لامرئ القيس أن يقول ؟

يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت منها ومنه على الصخر الشائب

ثم يقول :

يظل منججاً حراً منها يراقبها ويرقب الليل ، إن الليل محبوب

وأن يقول زهير :

حتى استغاثت بماء لأرشاء له من الأباطح في حافاته البرك

مكلاً بأصول النجم تنسجه ریحٌ خريقٌ لصاحي مائه حُبك

٧ — كانوا حينما يصفون ينتقلون من المشبه إلى المشبه به ثم ينصرفون إليه ، ولا يعودون

إلى المشبه ، وقد تقدمت لنا في هذا الأمثلة الكثيرة في الانتقال من وصف الناقة إلى وصف

البقرة الوحشية ، ومن وصف الفرس إلى وصف الصيد والطرود أو العقاب أو سواها

مما يشبه الفرس في عدوه وشده .

٨ — كان وصفهم لأوانس الحيوان ، أطول من وصفهم لأوابده لإلفهم إياه ، وعشرته

لهم ، ومقامه بينهم ، وعظم استفادتهم منه ، وكان نعتهم للناقة أحفل من وصفهم للفرس ، وقد عللنا ذلك قبل بأنهم كانوا ينظرون إلى القيمة النفعية للحيوان ، ولو أنهم نظروا إلى الجمال والحسن دون غيره لكان وصفهم للفرس أكثر .  
على أنهم ليسوا جميعا كذلك ، فالشعراء الفرسان احتفلوا بنعت الفرس أى احتفال ، ونظروا إليه نظرة الحب يرى في كل حركة من معشوقه حسنا وجمالا .

٩ - للتشبيه عندهم المنزلة الأولى بين ضروب البيان ، وأكثر ما يستخدمون من أدواته « كان » فهي أول ما ينظرون إليه عند إرادة التشبيه ، على أنهم لجأوا إلى المجاز والاستعارة حيناً ، وإلى الكناية الجميلة ، والإيماء الطريف أحياناً ، فمن الاستعارة قول الشنفرى :

فلما لواه القوتُ من حيث أمه دَعا ، فأجابته نَظائرُ نَحْلُ  
مُهلهةٌ ، شيبُ الوجوهِ ، كأنها قِداحٌ بكنى يَاسرٍ تَتَقَلَّبُ  
ومنها قول عنتره :

له رِبْقَةٌ في عُنُقِهِ من قِيصِهِ وسائرُهُ عن مَتْنِهِ قد تَقَدَّدَا  
ومن الكناية البليغة قول المرقش الأكبر :

نبذتُ إليه حَزَّةً من شوائِنَا حياءُ ، وما غَشِي على من أُجالِسُ  
فَاضَ بها جَدْلانٌ يَنْفُضُ رأسَهُ كما آبُ بالنَّهَبِ الكَمِيُّ المَحالسُ  
ومنها قول زهير :

أهوى لها أَسْفَعُ الخَدَّينِ مُطَرِّقٌ ريشَ القوادِمِ لم يُنصَبْ له الشَّرِكُ  
لاشئٍ أجودُ منها وهى طيِّبَةٌ نفساً بما سوف يُنجيها وَتَتَرَكُ

١٠ - كانوا يؤثرون في هذا الفن بالذات الألفاظ الجزلة ، والكلمات الضخمة التي تستمد جزالتها من صخور صحاريهم ، وتقال ضخامتها من جلاميد جبالهم ، فإذا انصرفوا عن هذا الفن إلى سواه رقت الألفاظ ، ولانت الكلمات ، فاستمع إلى هذه الأبيات من قصيدة النابغة يصف بها الناقة :

فمدّ عما ترى إذ لا ارتجاع له  
مقدوفة بدخيس النخض باز لها  
وأنهم القتود على غير أنة أجد  
له صريف صريف القعو بالمسد  
يوم الجليل على مستأنس وحيد  
طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد  
من وحش وجرة موشى أكارغه

فاذا ما انتقل إلى غير ذلك الفن رق وعذب ، فقال :

فتلك تُبْلِغُنِي النعمان إن له  
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه  
ولا أحاشي من الأقوام من أحد  
قم في البرية فاخذها عن الفند  
إلا سليمان إذ قال الإله له :  
: ٤٦٨ وحيس الجنّ إني قد أذنت لهم  
بينون تدمر بالصّفّاح والعمد

١١ — كانوا يؤثرون مطالع القصائد وأوائلها بهذا الفن ، فهم إذا أرادوا الغزل بدءوا بوصف الأطلال ، ومنهم القليل الذي يعدو وصف الأطلال إلى النسيب ، وهذا قلما يطيل في نسيبه ، وهالك المثال :

بات سعاد فأمسى القاب معمودا  
كأنها ظبية بكر أطاع لها  
وأخلفتك ابنة الحرّ المواعيدا  
من حومل تلعات الجو أو أودا  
قامت ترك غداة البين منسدلا  
وبارداً طيباً عذبا مقبلاً  
مخيفاً نبتة بالظلم مشهّدا  
أعملتها بي حتى تقطع البيدا  
: ٤٧٣ وحرّة حرج تدمى مناسمها

١٢ — قلما تخلو قصيدة من الوصف عمناه الخاص أي وصف الطبيعة الحية أو الهامدة ، وقدما أجزاء من الوصف هي بعض قصائد الباعث عليها الرثاء ، وفي ذلك الدليل على عنايتهم به ، والحجة على احتفالهم له ، وأنه يكاد يبلغ ثلث شعرهم ، وقد قدمنا في الفصول ما يثبت ذلك .

١٣ — كانوا يسمون الأشياء بأسمائها مهما تكن تلك الأسماء مستهجنة مستقبحة ،

ولا يعدلون إلى الكناية لأنهم لا يعدون ذلك خروجاً على الآداب ، ولا مجافاة للأذواق السليمة ، وليس عليهم في ذلك عاب ، فإن الذي يحملنا الآن على الكناية والإيماء والإشارة عاملان : الدين الذي أدبنا بأدب القرآن ، وأخذنا بأسلوبه العفّ الرفيع ، والمدنية التي علمتنا التحرز في الأقوال دون التحفظ في الأعمال .

وقد تجنبنا عرض شعر فيه الصريح من هذه الألفاظ ، بل قد عدلنا عن نماذج بالغة الروعة تجنبنا لهذه الصراحة المقيتة في هذا العصر .

١٤ — قل الوزن القصير في شعر العصر الجاهلي ، ولعل من أبرز الدوافع إلى اختيار البحور الطويلة من الوصف ، لتكون الصور التي يصورونها كاملة التكوين في البيت ؛ إذ أنهم كانوا يكرهون التضمن ، ولا يعدون إليه إلا مضطرين ، ومعلقة عبيد بن الأبرص — وهي من مخرج البسيط ، وبعضها مضطرب الوزن — على الرغم من روعة بعض صورها منظورة فيها إلى تلازم بعض الصور لبعض ، وإن لم يكن ذلك تضميناً ، فانظر إلى قوله :

فَأَذَرَ كَتَمَهُ فَطَرَّحَتْهُ وَالصَّيْدُ مِنْ تَحْتِهَا مَكْرُوبُ  
فَجَدَلَتْهُ فَطَرَّحَتْهُ فَكَدَّحَتْ وَجْهَهُ الْجُبُوبُ  
يَضْفُو وَمِخْلَبُهَا فِي دَفِّهِ لَا بَدَّ حَيْرَومُهُ مَنقُوبُ

١٥ — لم ياجئوا إلى الزخرفة اللفظية متممدين . ولم يريدوها متكلفين ، ولكن ذلك لا ينفي أنهم جعلوا أساليبهم بالطباق ، وبغير الطباق مثل قول امرئ القيس :

مِكرٌ مِفرٌ ، مُقبِلٌ مُدبرٌ معاً كجلمودٍ صخرٍ حطه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ  
ومثل قول الشنفرى :

مُهرَّتُهُ فوهٌ ، كَأَنَّ شُدوقَهَا شقوقُ العِصِي كالحاتٍ وَنِسلُ

وقد لفتنا النظر إلى كثير من تقسيماتهم التي تروع بحسنها ، وتخلب بفنها ؛ مثل :

وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ ، وَأَتَسَى وَأَتَسَتْ بِهِ مَرَامِيْلُ عَزَّاهَا ، وَعَزَّتُهُ مَرِمِلُ  
شَكَاَ وَشَكَتْ ، ثُمَّ أَرْعَوَى بَعْدُ وَأَرْعَوَتْ وَلَلصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوْ أَجَلُ  
وفاء وفاءتُ بادِرَاتٍ وَكُلُّهَا عَلَى نَكْظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مَجْمِلُ

وبعد فهذه نظرة لنا بعدها نظرة أخرى في نهاية الكتاب إن شاء الله .

## إفصيل السائس

### الطبيعة الساكنة

الطبيعة الساكنة تنتظم جميع الأشياء التي يجري فيها ماء الحياة في السماء والأرض ،  
فتشمل أجرام السماء وأفلاكها ، ونجومها وكواكبها ، وسحبها وغيوثها ، ورعودها وبروقها ،  
كما تشمل صحارى الأرض ورياضها ، ووهادها ونجادها ، وجدبها وخصبها ، وبحارها  
وأنهارها ، وكل ما تبتكره عقول العلماء ، وتصنعه يد الإنسان .  
وإذن فإنها تنقسم إلى قسمين : الظواهر الطبيعية ، والآثار الإنسانية .

#### الطبيعة الساكنة عند العرب :

لم يول العرب الطبيعة الساكنة العناية التي أولوها الطبيعة المتحركة ، وليس فلك  
معناه أنهم قصروا فيها أو صدوا عنها ، فإن لهم في تصويرها ونقنها ما يخلد به أدب أى أمة  
فى أى عصر ، ولكننا نقيس هذه بتلك فحسب .  
كانت حياة العرب قائمة على الانتجاع والارتحال ، والتحمل والانتقال سمياً وراء  
الكلاً ، وبجثا عن الماء الذى ينبت الكلاً ، فيقيمون حيث يحلون خيامهم ، وينصبون  
أثافيهم ، ويوقدون نيرانهم ، ويجمع فتيانهم بفتياتهم ؛ إذ لم يكن هناك حجاب  
مضروب ، ولا شرك منصوب ؛ فالقلوب - فى أغلب أمرها - نقية ؛ والنفوس سامية عن  
الصنائر أبية ، فتنشأ صلات ودوح ، أكثره حب عفيف عفيف ، وبمضه حب ماجن  
هازل ، ثم يكون عود إلى الأوطان بعد أن جف الزرع ، وامتلاً الضرع ، واشتد القيظ ،  
ورمضت الأرض ، فيذكر الشعراء تلك الساعات السعيدة ، والذكرى تهيج لدى الهوى ،  
يذكرون ما كان بينهم من لقاء وفراق ، وقرب ونأى ، ثم يصفون الأماكن التي نزلوا بها ،

والديار التي رحلوا عنها ، والملاعب التي لعبوا فيها ، ويبيكون الأطلال التي خلفوها ، والآثار التي تركوها ، يصلون هذه النعوت بالنسيب ، ويربطون الوصف بالتشبيب ، وقل أن تجد نسيبا ليس مسبوقا بوصف للأطلال ، ومشفوعا بوصف للظمآن .

لذلك كان وصف الأطلال أم أوصاف الطبيعة الساكنة ، وأكثرها في شعرهم تناولاً ، وقد يدفعهم الشوق إلى الحبيب ، والوله بالمعشوق إلى وصف الليل وطوله ، والسهد وأثره ، والنجوم ووقوفها ، والشهب وثباتها .

وإذن فإننا نستطيع أن نحكم بأن النسيب ، وهو من الأغراض الأولى في الشعر العربي كان أحد بواعث وصف الطبيعة الساكنة .

والعرب يعيشون على الغيث ، فهو منبت كلهم ، وباعث زروعهم ، وحياة ضرعهم ، بل الغيث حياة بلاد العرب ، إذ ليس فيها أنهار جارية ، ولا عيون ثرور ، فإذا ومض البرق ، أو قصف الرعد ، أو سقط الغيث ، أو كسا السحاب السماء عباءته السوداء آذنتهم السعادة ، وواتاهم رغد العيش ، ففاضت قرأح الشعراء ، وجرت خواطرهم بنعت هذه الظواهر ، فكان وصفهم لها أقوى من وصف مظاهر الأرض عدا الأطلال .

أما وصف الصحراء ، وما تشتمل عليه ، وما يظهر فيها فإنه بجيء تبعاً لوصف الطبيعة الحية التي تسكن الصحارى ، وتعيش في التناثف ، فهم يصفونها حيناً يعرضون لوصف حيوانها ، فيصفون امتدادها ، أو رمالها ، أو سرابها ، وقد يصفون جوها : بردها وحرها في أبيات قليلة ، ومعان محدودة .

ولأن بلاد العرب ليس فيها أنهار ولا بحار ، فوصف هذين القسمين من أقسام الطبيعة الساكنة ضئيل أو يكاد يكون معدوماً إلا إذا جاء عارضا ، كوصف الليل بموج البحر ، أو كوصف نهر الفرات في شعر النابغة ، وقد كان من الشعراء الرحالين ، أو النيل في شعر الأعشى .

فإذا ما انتقلنا إلى وصف الآثار الإنسانية الفينام أو ألقينا أكثرتهم أهل قصف ومجون ، وهو وعبت ، فرأينا المجرأهم ما عنوا به من وصف هذه الآثار ، يصفونها ، ويصفون

كثوسها ، ويصفون سقاتها ، وندمانها ، بل يصفون آثارها في شاريها ، ويولونها  
الحظ الكبير من العناية والتقدير .

والعرب شعب حربي أوتي أبناؤه صلابة وجلدا ، وعرامة وعزما ، ومنحتهم بيثهم  
شراسة ونخوة ، وحرية ومروءة ، فهم لا يقيمون على ضيم ، ولا يرضون بالهون ، فلا تهدأ  
سواكنهم ، ولا تخمد خواطرم ، فحروبهم مشتعلة ، وغارات بعضهم على بعض متصلة ،  
وأيامهم متلاحقة ؛ وعدوانهم على جيرانهم مستمر ؛ فلا غرو أن يصفوا أسلحتهم ؛ وأن  
يتغنوا بعتادهم ؛ بل أن ينسبوا إلى أوطانها ؛ أو إلى صياقلتها ومثقفها اعتزازا بها ؛  
وافتخارا بصنعها .

ولا غرو كذلك أن يصفوا الجيوش وكتائبها ؛ والأبطال وأيامها ؛ والحروب وآثارها ؛  
سيان في ذلك من يدعو إليها ؛ ومن ينفر منها .





## صور الطبيعة الساكنة

### ( ١ ) وصف الأطلال

قال امرؤ القيس \* في مطلع معلقته :

فَمَا نَبَيْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ      بَسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فِجْوَمِلِ (١)  
فَتُوضِحَ فَالْمَقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا      لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشِمَالِ (٢)  
تَرَى بَعَرَ الآرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا      وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلُفْلِ (٣)  
كَأَنَّ غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا      لَدَى سَمَرَاتِ الْحَى نَاقِفٌ حَنْظَلِ (٤)  
وَمُقَوِّفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطْمِئِنِّهِمْ      يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ (٥)  
٤٧٩ : وَإِنَّ شَيْئًا مِثْلَ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ      فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلٍ ؟ (٦)

\* ترجمته الشاعر : اقرأ الترجمة في وصف الفرس ص ١٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) قفا : يحاط رفيقيه . دكرى : نذكر . سقط اللوى : منقطع الرمل . الدخول وحومل : موضعان ، وكان الأصمى يروي البيت «الدخول وحومل» ويقول : لا يقال المال بين زيد فعمرو ، إنما يقال بين زيد وعمرو . (٢) توضح والمقراة : موضعان ، وهذه المواضع الأربعة ما بين إمرة إلى أسود العين وأسود العين جبل ، منازل كلاب . لم يعف رسمها : لم يبح أثرها . نسجت الريح : أسفت الرمل ، الجنوب والشمال : ريحان متضادتان تهب الأولى من الجنوب ، وتهب الأخرى من الشمال . (٣) الآرام : جمع رسم ، وهو الظبي الأبيض الخالص البياض ، والآرام مقلوب آرام . عرصات : ساحاتها مفردها عرصة . الصيغان : جمع قاع وهي الأرض المستوية لا بناء فيها . (٤) غداة البين : صبيحة الفراق . يوم تحملوا : يوم ارتحلوا . لدى سمرات الحى : عند أشجار الطلح التي لأهل حى ناقف حنظل : حانى حنظل ، والناقف هو الذي يستخرج الحب ، وناقف الحنظل تدمع عيناه لحرارة الحنظل . (٥) صحبي : جمع صاحب أصحابي . مطيهم : إبليهم ، مفردها مطية . أسى : حزنا . تجمل : تزين بالصبر . (٦) عبرة : دمعة . مهراقة : مسالة . ومهراقة لغة بني أسد يقولون بدل أراق هراق . رسم دارس : أثر زائل . من معول : من معتمد أو من اعتاد .

## تحليل الأبيات :

أيها الخليلان الوفيان : قفا فأسعداني بالبكاء ، من تذكر حبيب عزيز عليّ ،  
ومنزل كريم لديّ ، لقد تذكرت حبيبا تساقينا معا أفويق الهوى ، ومنزلا تبادلنا فيه  
أسباب اللهو ، ذلك المنزل الكريم عند منقطع الرمل بين الدخول وحومل ، وتوضيح  
والمقراة. تلك الدار لم يفتح أثرها ، ولم يعف رسمها لنسيج الرياح السافيات فحسب ، ولكنها  
انمحت لمرّ الدهور ، وعفت لكر الأيام ، ترى في مكان تلك الدار بحر الظباء الصافية  
البياض يملاً عرصاتها ، كأنه في سواد لونه ، واستدارة شكله ، وصغر حجمه حب الفلفل .  
كأنى صبيحة احتمالهم وغداة ارتحالهم عند شجر الطلح الذي يستنبتة أهل الحى أنقف  
الحنظل ، وأستخرج منه حبه ، فتسيل مآقيّ ، وتجري عبراتي ، لقد وقف أخلاى مطاياهم  
على تلك الدار يشاركونني في أساى ، ويسلونني عن وجدى ، قائلين : صبوا وجلدا ، وتحملا  
وتجملا ، لا يهلكك الأسى ، ولا يقض عليك الوجد ، وتجمل بالصبر وتحمل بالجلد .  
إن دوائى مما ألقى من وجد دمة تراق ، وشفائى مما أجد من أسى عبرة تصب ،  
ومع ذلك فما جدوى البكاء على الرسوم ؟ وما فائدة إراقة الدموع على الأطلال ؟ .

## النقر :

عدّ النقاد هذه القصيدة أروع ما قال الجاهليون ، وعدوا مطلعها أروع المطالع في الشعر  
العربى ، وكانوا صادقين ، وقالوا عن امرئ القيس : « إنه وقف واستوقف ، وبكى  
واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في شطر واحد ، وهذا يمجز جميع فحول الشعر ، وقد حدد  
الشاعر دار المحبوبة تحديدا جغرافيا دقيقا ؛ لأن قلبه معلق بها ، فكيف ينسى دارها ؟ .  
ثم جاء تصويره لأرامها وبعرها تصويراً صادقا لامبالغة فيه ولا غموض ، وتصويره  
لساعة الرحيل إذ وقف لدى شجرات الطلح يسفح الدمع تصوير جميل ، وقد أخذ معنى  
البيت الأخير الشعراء بعده ، فقال ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى شجى البلابل  
ويت امرئ القيس أجمل من وجوه : تأكيد شفاء الدمع للنفس ، ونفى المعول على الرسم  
الدارس في حين أن ذا الرمة جعل انحدار الدمع مرجواً منه الراحة ، وهذا هو كل معناه .

٢ — وقال زهير بن أبي سلمى \* في مطلع معلقته :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ . بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَلَمْتَسَلِمُ ؟<sup>(١)</sup>  
 ودار لها بالرقمتين كأنها . مَرَّاجِعُ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ<sup>(٢)</sup>  
 بها العين والآرامُ يمشين خلفة . وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَمِ<sup>(٣)</sup>  
 وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً . فَلَأَيَّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ<sup>(٤)</sup>  
 أنافي سَفْعًا فِي مُعْرَسِ مِرْجَلِ . وَنُوؤَيَا كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَلَمَّ<sup>(٥)</sup>  
 ٤٨٥ : فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قَلْتُ لِرَبِّعِيهَا . أَلَا انْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبِيعُ وَأَسْلَمُ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الناقة ص ٨٨ .

التفسير اللغوي : (١) أم أوفى : زوج زهير طلقها ، وأراد مراجعتها فأبت ، فكان يذكرها في شعره . الدمنة : ما أسود من آثار الديار . لم تكلم : لم تتكلم ، وترد على من يخاطبها . الحومانة : الأرض الغليظة . الدراج فالتمس : موضعان بالعالية . (٢) بالرقمتين : بين الرقتين ، والرقمتان إحداها قرب البصرة ، والأخرى قرب المدينة ، وهما متباعدتان . مراجع : أو مراجيع جمع مرجوع وهو المحدد . الوشم : الفرز بالإبر حتى يسيل الدم ، ثم يذر عليه الكحل ليسود . النواشر : جمع ناشرة عروق المعصم . والمعصم : موضع السوار من اليد . (٣) العين : جمع عيناء ، وهي البقرة الوحشية الواسعة العينين . الآرام : الطباء الخالصة البياض : خلفه : متتابعة يخلف بعضها بعضا . الأطلاء : جمع طلا وهو ولد الظبي . مجمم : مكان الجثوم . والجثوم : التلبد بالأرض . (٤) بها : بالدار أو يقصد بمكانها إذ هي قد زالت . حجة : سنة . فلايا : فجهداً ومشقة . بعد توهم : بعد تفرس وطول تأمل . (٥) أنافي : جمع أنفية ، والأنافي ثلاثة أحجار توضع عليها القدر ، ويقال : رماه الله بثلاثة الأنافي أي بدهاية عظيمة كالجبل ، لأنهم كانوا إذا لم يجدوا أنفية جعلوا الثلاثة الجبل يسندون عليه القدر . المعرس هنا : موضع الرجل ، والأصل مكان النزول ليلا . النوى : حاجز من تراب يرفع حول البيت لتلايدخله الماء . الجذم : الأصل . لم يتلم : لم يتهدم . (٦) الربع : مكان الإقامة في فصل الربيع ، ثم أطلق على كل منزل . انعم صباحا : طب صباحا ، ومثله عم صباحا وتقدير الماضي منه وعم يعم ولا ينطق به ، وكان دعاء للولوك ، ويخص الدعاء بالصباح ، لأن الغارات كانت تبدأ صباحا . اسلم : من النكبات والنوازل .

## تحليل الأبيات :

أمن دمن زوجي الغالية التي قلتني عن حب ، وهجرتني عن ودّ ووجد ، دمنة أسألها  
فلا تجيب سؤلي بعد طول العهد ، وأناجيبها فلا تبادلني النجوى مع حرقة البعد ؟ تلك  
الدمنة في حومانة هذين الموضعين .

كان لأم أوفى أكثر من دار ، فلها أخرى بين الرقتين : رقتي البصرة والمدينة ،  
قد انمحت أعلامها ، ودرست آياتها ، فصارت الرسوم والآثار بعد أن جرى عليها السيل  
والطر كالوشم المجدد في عروق المعصم ، بعد أن كانت تحمل هذه الدار الزوجة الغالية ، والحبيبة  
الغانية صارت مرتع البقر الوحشي الواسع العيون ، والآرام الخالصة البياض ، ينتقلن فيها  
من مكان إلى مكان ، ويتبع بعضها بعضا من مناخ إلى مناخ ، وأطلاء هذه البقرات  
والظبيات ينهضن من مجاثمن مرحات نشيطات . وقفت على تلك الدمن أتعرف موطن  
الحبيبة ، وأتبين دار الغائنة الغالية بعد فرقة طالت دون أن أنسى ذكراها ، إنها فرقة  
عشرين عاما ، فبعد جهد ومشقة ، وطول تفرس وتأمل عرفت موقع الدار ، وموطن الأحباب .  
ماذا رأيت ؟ رأيت أثافي سودا ، قد اختلطت الحجرة بسوادها في مكان الرجل منها ،  
وتبينت النوى الذي كان يحجز عنها الماء عندما يفيض السيل ، كأنه أصل الحوض لم يتهدم ،  
وإذ كانت هذه الأشياء هي التي دلتنى على آثار الدار ، فقد أخذت أدعو لها بالخير والسلام .

## النقر :

بدأ زهير قصيدته بذلك الاستفهام التحسري ، فكان قويا في مطلعها ، وإن ضاقت  
ألفاظ البيت عن معناه ، وفي بيته الثاني أشعرنا أن أم أوفى من ذوات الثراء والسراء ، فلها  
أكثر من دار تنتقل بها كلما أرادت النقلة ، وكذلك جاءت ألفاظ البيت أضيق من معناه ،  
وإن تكن الصورة التي صور بها فعل الأمطار والسيول في ذلك المكان صورة واضحة ،  
دلت فيما دلت على أن عادة الوشم عادة بعيدة القدم ، وأوضح من هذه الصورة وأجمل ،  
الصورة في البيت الثالث فهي صورة كاملة لا ينقصها من أسباب الحسن والجمال شيء ، أما  
الصورة في البيت الخامس فصورة غير دقيقة وإن حاول الشاعر أن يهب لها الدقة بذلك  
الاحتراس في آخر البيت ، ولم يفت الشاعر أن يدعو للدار بالنعمى ، وأن يتمنى لها السلامة  
من الغارات والنكبات .

٣ — وقال لبيد بن ربيعة العامري\* في مطلع معلقته :

عفتِ الدِّيارُ محلَّها فقامها      بِمَنى تَأبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها<sup>(١)</sup>  
فدافعُ الرِّياتِ عُرِّيَ رَسْمُها      خَلَقًا كما ضَمِنَ الوَحى سَلامُها<sup>(٢)</sup>  
دِمَنٌ تَجَرَّمُ بَعْدَ عَهْدِ أُنيسِها      حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلاها وحِرامُها<sup>(٣)</sup>  
رُزقتِ مَراييعَ النُّجومِ وصابِها      وَدَقُّ الرِّواعدِ جودِها فَرُهامُها<sup>(٤)</sup>  
مِنَ كُلِّ ساريةٍ وَغادٍ مُدجِنِ      وَعِشِيَّةٍ مُتجاوِبِ إرازِامُها<sup>(٥)</sup>  
٤٩١ : فَمَلا فروعَ الأيهقانِ وَأَظفلت      بِالجَلهَتينِ ظِباوُها ونَعامُها<sup>(٦)</sup>

\* ترجمته الشاعر : انظر الترجمة في وصف الأوابد ص ١٤٦ .

- التفسير اللغوي : (١) عفت الديار : درست وزالت معالمها . المحل : الموضع يحل به القوم أياما ، ثم يرتحلون . المقام : ما طالت الإقامة به فهو ضد المحل . منى : موضع في ديار بني عامر . غولها فرجامها : موضعان . تأبَّد : توحش .
- (٢) مدافع : مجارى الماء جمع مدفع بفتح اليم . الريان : اسم جبل . الخلق : البالى . الوحى : الكتانة ، وجمعه بضم الواو . سلامها : حجارتها جمع سلة .
- (٣) دمن : جمع دمنة ما اسود من الآثار . تجرم : انقضى بتمامه . حجج : سنوات . خلون : مضين . حلالها وحرامها : أشهر الحل والحرم .
- (٤) مراييع النجوم : الأنواء الربيعية مفردها مربع . الودق : المطر . الجود : الغزير من المطر . الرهام : المطر اللين .
- (٥) السارية : السحابة الممطرة ليلا . الغادى : السحاب المطر غدوة . المدجن : السحاب المطبق يغطى آفاق السماء . الإرزام : الصوت ، ويقصد صوت الرعد .
- (٦) الأيهقان : نبت يطول عريض الورق أحمر الزهر يؤكل واحده أيهقانة ، أو هو الجرجير البرى . أظفلت صارت ذوات أطفال . الجلهتان : منى الجلهة وهى جانب الوادى .

والعينُ ساكنةٌ على أطلائِها      عُوذًا تَأَجَّلُ بالفِضَاءِ بِهَامِهَا (٧)  
وجلا الشَّيُولَ عن الطَّلُولِ كأنَّها      زُبُرٌ تَجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا (٨)  
أَوْ رَجَعُ وَاشْمَةٍ أَسْفَ نَثُورِهَا      كَيْفَ تَعْرِضُ فَوْقَهُنَّ وَشَامُهَا (٩)  
٤٩٠ : فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا ، وَكَيْفَ سُوءُ أَلْنَا      صَمًّا خِوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا؟ (١٠)



- 
- (٧) العين : البقر الوحشي الواسع العيون ، مفردها عيناء . الأطلاء : أولاد البقر الوحشي . العوذ : جمع عأذ الحديثة النتاج . تأجل : تصير آجلا جمع إجل ، وهو القطيع من بقر الوحش . البهام : جمع بهمة بفتح الباء ولد الضأن ، والمقصود هنا ولد البقرة الوحشية .  
(٨) جلا : كشف . زبر : جمع زبور الكتاب . تجد : تجدد . المتون : الظهور جمع متن .  
(٩) الرجع : التريد . أسف نثورها : ذركلها . الكفف : جمع كفة . تعرض : ظهر .  
الوشام : الوشم .  
(١٠) الصم . الصلاب الواحد أصم . خوالد : بواق . الدارات .

## تحليل الآيات .

عنت ديار أحبابي ومحيت آثارها ، لافرق بين ديار يحل فيها للاستراحة والاستراحة ، ثم يرحل عنها ، وبين ديار يقام فيها ، ويطول السكن إليها ، تلك الديار بمنى قد توحشت وتوحش ما يجاورها ، فتوحش غولها ورجامها ومجارى المياه في جبل الريان ، عرت رسمها السيول ، وكشفت آثارها الأمطار ، حتى أصبحت تلك الرسوم بالية ، وهذه الآثار خلقة ، وإن كان لا يزال للرسوم بقية ضئيلة تشبه الكتابة فوق الأحجار .

هذه الدمن السود انقضى عليها من يوم رحيل أهلها عنها حجج كثيرة ، وسنوات عدة ، اشتملت هذه وتلك على الأشهر الحلال والحرم ، وهذا تأكيد للمعنى ، إذ السنة الواحدة تشتمل عليهما ، ولقد رزق الله تلك الآثار من أنواء الربيع المطر الغزير ، الذى يصحبه الرعد القاصف ، فأمرعت تلك المحلة وأعشبت ، وكيف لا تمرع وتعشب ، والأمطار تنسكب عليها بالليل والنهار ، فى المساء والصباح ، تتجاوب رعودها ، ويتسامع الناس قصفها ، فاستطال النبات ، وأطلقت الطيأء ، وباض النعام فأفرخت فى جانبي الوادى ، إذ خلا المكان من السكان ، فأمن على أطفالهن وفراخهن ، والأبقار الوحشية ساكنة إلى أطلالها ترضعها ، إذ هى حديثة عهد بالنتاج ، وأولادها تصبح قطعانا فى تلك الفلاة التى أصبحت مرتع الأوابد بعد أن كانت مرتع الأوانس .

وكان من آثار هذه الأمطار الغزيرة ، والسيول الممطرة أن كشفت السيول عن تلك الطلول ، التى غطاها التراب ، حتى لكانها كتب خفيت سطورها لطول عهد كتابتها ، فجاء كاتب فجددها بأقلامه ، أو كأن هذه السيول فى كشفها الآثار امرأة واشمة عمدت إلى وشم قد وهى أثره فى اليد ، وضعف ظهوره ، فأعادته بالفرز وبذر الكحل عليه ، فمادت داراته واضحة كما كانت .

وقفت أتفرس هذه الرسوم وأتأملها ، ثم أخذت أناجيتها وأسائلها ، وكيف لى بمناجاة الصم الصلاب ؛ وكيف بمساءلة أحجار لا يبين كلامها ، ولا يظهر حديثها ؟ أسأل من لا يجيب عن أولئك الأحباب ؟ أناجى من لا يبين بحديث الحب والشوق ، والوجد والهوى ؟ إن الوجد يذهل العقل ، وإن الهوى يسلب اللب .

النقد :

ألقى الشاعر الخبر دون تأكيد كأن المخاطب مؤمن بصدقه ، موقن بصحة حديثه ، لذلك كان هذا الخبر أوثق من الإنشاء حديثاً ، وزاد الكلام حسناً ذلك التفصيل بعد الإجمال ، عملها فقامها ، وغولها فرجامها ، وإذن فالبيت الأول قوى كل القوة ، وتشبيهه ما بقى من الآثار بما بقى من الكتابة فوق الأحجار تشبيه بديع غريب على الشعر العربي لم نقرأه لشاعر آخر غير ليبيد ، قرأنا تشبيه زهير وطرفة وهما :

ودار لها بالرفقتين كأنها \* \* \*  
مراجع وشم في نواشر معصم \* \* \*  
لخولة أطلال ببرقة ثمهد \* \* \*  
وقد أورد هو هذا المعنى في قوله .

أورجع واشمة أسف نشورها كنفنا تعرض فوقهن وشامها  
أما البيت الثالث :

دمن تجرم بعد عهد أنيسها حجج خلون حلالها وحرامها  
فيشبهه قول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلاياً عرفت الدار بعد توهم  
وبيت زهير أجمل ، وعندى أن « حلالها وحرامها » حشولاً أن كل سنة تشتمل على هذه  
الأشهر ، وجميل منه ذلك الطباق « من كل سارية وغاد مدجن » أو ذلك التقسيم  
في البيت نفسه :

من كل سارية وغاد مدجن وعشيمة متجاوب إرزامها .  
إن هذه الأبيات أوفى معاني ، وأكثر صوراً ، وأدق تصويراً من قطعتي امرئ  
القيس وزهير ، ولعل ذلك أنه كان أشد منهما تأثراً بموضوعه ، ولولا بعض كلمات فيها ثقل  
كقوله : الأيهقان ، وبالجلهتين ، واجتماعهما في بيت واحد لقلنا إنه بلغ غاية الكمال .



٤ - وقال النابغة الذبياني\* في مطلع معلقته :

يادارَ مِيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ      أقوتُ وطلالَ عليها سالفُ الأمدِ<sup>(١)</sup>  
 وَقَفْتُ فيها أُصَيْلاَ أُسائلُها      عيَّتُ جوايا، وما بالرَّبْعِ من أحدِ<sup>(٢)</sup>  
 إلَّا أوارىَ لآيا ما أبيتُها      والنَّوى كالحوضِ بالمظلومةِ الجلدِ<sup>(٣)</sup>  
 رَدَّتْ عليه أقاصيه ولبده      ضَرَبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّادِ<sup>(٤)</sup>  
 خلتُ سبيلَ أتى كانَ يحبسُه      ورَفَعَتْه إلى السَّجْفينِ فالنَّضدِ<sup>(٥)</sup>  
 ٥٠١: أضحتُ خلاءً ، وأضحى أهلها احتملوا      أخنى عليها الذي أخنى على لُبْدِ<sup>(٦)</sup>

ترجمة الشاعر : انظر ترجمته في وصف الأوابد ص ١٥٤ .

التفسير اللغوي : (١) مية : اسم محبوبته . العلياء : مكان مرتفع من الأرض . السند : ما قالك من الوادي ، وعلا من السمع . أقوت : أفقرت من أهلها . سالف الأمد : ماضى الدهر . (٢) أصيلا : الأصيل الوقت قبيل المغرب ، وأصيلا البدل ، إذ تصغيره على أصيلان ، فأبدل بالنون اللام ، وأصيلان أصلها أصلان الذي هو جمع أصيل كرغيف ورغفان ، وخطثوا من قال بهذا ؛ لأن الجمع لا يضر إلا إذا كان من جموع القلة ، وهي :

أفعلة أفعال ثم فعله      تمت أفعال جموع قله

وقالوا بل هو مصدر مثل التكلان والغفران . عيت : عجزت .

(٣) الأوارى : مفردا آرى ، وهو معلف الدابة ومحبسها . لآيا : جهدا ومشقة . أبيتها : أستبينها . النَّوى : الحاجز من التراب يجعل حول البيت والخيمة لينع وصول السيل . الظلم : وضع الشيء في غير محله ، والمظلومة : الأرض التي قد حفر فيها في غير موضع الحفر . الجلد : الأرض الغليظة الصلبة من غير حجارة . (٤) أقاصيه : جمع أقصى ، وهو ما بعده ، وضده أدنى . لبده : ألصق التراب ببعضه ببعض . الوليدة : الخادم الشابة . الثَّاد : المكان الندى التراب . (٥) خلت : تركت . الأتى : السيل يأتي من بلد إلى بلد . يحبسه : يمنعه . السجفين : مثنى سجع ، وهو الستر يكون في مقدم البيت . النضد : مانض ونسق من متاع البيت .

(٦) أمست : يريد صارت . خلاء : خالية من السكان . احتملوا : ارتحلوا . أخنى عليها : غيرها وأفسد آياتها . لبد : آخر نسور لقمان بن عاد ، وهو غير لقمان الحكيم الوارد في القرآن الكريم سماه لبدا لأنه ظن أنه أبد فلا يموت ، ولا يذهب ، وزعموا أنه حين كبر ، قال له : انهض لبدا فانت نسر الأبد .

## تحليل الأبيات :

يناجي الشاعر الديار ، ويتمنى أن تشاطره المناجاة ، تلك الديار الواقعة بين العلياء فالسند ، أقفرت من أهلها ، وطال إقفارها ، وبعد العهد بسكانها ، لقد وقفت في رسوم هذه الديار ساعة الأصيل ، وقد تزاخت في نفسى الذكريات ، وتجاوبت العواطف والأفكار ، وقفت أسئلتها عن الأحباب الذين كانوا يسكنونها ، والأصدقاء الذين تساقينا وإياهم كثوس الهوى ، فلم تحر جوابا ، فمجزت عن التعبير ، وكيف تعبر وقد خلت من الأنيس ؟ ليس في رسوم هذه الدار إلا محابس الدواب ومعالف الحيوان ، وحتى هذه لا يكاد الرأى يتبينها ، وإلا النوى الذى كانوا يقيمونه مانعا للسيل ، فهو كالحوض فى الأرض الصلبة السماء ، لبد ترابه ، حتى يستقر بعضه على بعض .

خلت الخادم السبيل للسيل المنهمر ، والأنى المنسكب الذى كان ذلك النوى يجبسه عن الدار ، وبلغ سجفا البيت ، بل تجاوزها إلى متاعه المنضد ، وأساسه المنسق ، فليس ما يدعو إلى حجز الماء عنها ، فقد أضحت خالية من قاطنيتها الذين احتملوا عنها ورحلوا منها ؛ فغيرها ، وأذهب آياتها القادر على تغيير كل شيء ، وإزالة آثار كل حى ، «أخنى عليها الذى أخنى على لبد»

## النقد :

النابعة فى هذه الأبيات دون قدره ، وقد دفعه الإيجاز إلى تحميل شعره معانى أكثر مما تحتمل ، فقد نادى الدار ثم لم يذكر سبب النداء ، إنه يريد أن يتحدث إليها عن حبيبته ، أين ذهبت بها الأيام ؟ وكيف كان حالها عند احتمالها ؟ إلى آخر هذه المعانى التى ترد بخاطر من يريد إلى الدار خطابا ، وكأنى بالنابعة ناقض نفسه ، فقد نادى الدار ، وأخذ يسألتها ففيت بالجواب ، وما بال ربع من أحد ، فهو يعلم هذا قبل سؤالها إذ يقول : « أقوت وطال عليها سالف الأمد » وإذن فما كان ينتظر الجواب من السكان بل من الدار ، والأبيات الثلاثة الأخيرة ليس فيها جمال إلا ذلك الذى يدل على شرفه وسرانه ، فالوليدة تضرب بالمسحاة فى الثأد ، ورفعته إلى السجفين ، وليس كل الناس لديارهم سجوف ، والشطر الأخير جماله أنه جرى مجرى المثل .

٥ — وقال المرقش الأكبر\* من قصيدة أولها :

هل تعرف الدارَ عفاً رسمها      إلا الأثافي ومبني الخيم<sup>(١)</sup> ؟  
أعرفها داراً لأسماء فالذ      دمع على الخدين سع سجيم<sup>(٢)</sup> .  
أمنت خلاء بعد سكانها      مقفرة ما إن بها من إرم<sup>(٣)</sup> .  
إلا من العين ترعى بها      كالفارسين مشوا في الكمم<sup>(٤)</sup> .  
٥٠٦ : بعد جميع قد أراهم بها      لهم قبابٌ وعليهم نعم<sup>(٥)</sup> .

\* ترجمته الشاعر : انظر ترجمته في وصف دثب أطعمه ص ٢٠٩

التفسير اللغوي : (١) عما رسمها . زال أثرها . الأثافي : جمع أنفية ، وهي ثلاثة أحجار نوضع فوقها القدر . الخيم : جمع خيمة وهي بيت يبني من عيدان الشجر ، فإذا كان من صوف أو شعر فهو بيت ، وقيل : تطلق الخيمة على جميع ذلك .

(٢) أسماء : هي معشوقته ، وكانت ابنة عمه عوف بن ضبيعة . سع : مصبوب . سجم : سائل .

(٣) أمنت : صارت ويصح أن يراد بها معناها الحقيقي ؛ إذ كانوا يرحلون ليلاً ؛ ليكون ذلك أطيّب للسفر ، وأيسر على الظمآن . خلاء : خالية . من إرم : من أحد ، أو من إرم من علم يدل عليها .

(٤) العين : جمع عيناء البقر الوحشي ، واقتب بهذا السعة عيونه . ترعى . ترعى ، والتشديد يزيد الفعل قوة ، فكأنه يقول ترعى كثيراً . الكمم : جمع كمة القلانس .

(٥) بعد جميع : بعد حي . قد أراهم بها : قد كنت أراهم بها . قباب : جمع قبة وهي بناء سقفه مستدير مقعر . عليهم النعم والرغد وهناءة العيش .

## تحليل الأبيات :

يناجي الشاعر قلبه ويسأله : أهو يعرف الدار التي محيت آثارها ، ودرست رسومها ، وطمست معالمها ، ولم يبق منها إلا الأتافي ، وما أضال شأنها وأهون أمرها ، وإلا أصل الخيام ؟ وقد أجابه قلبه الجياش بالحب الفياض بالحس ، إنه يعرفها ؛ لأنها دار أسماء العزيزة عليه ، الأثيرة لديه ، فشعوره الباطني يوحى إليه بمكانها ، وإن لم يبق من تلك حتى الأتافي ، ولذلك قدموعها على خديها منصبة ، وعبراتها من مقلتها منهمرة .  
وأسفاه ! لقد أمست تلك الدار خالية من سكانها ، مقفرة من قطانها ، فليس بها من أحد ، لقد احتملوا ليلا ؛ لأنهن منعمات مرفهات لا يهتمن سفر النهار ، ولا يستطعن الظن في حرارة الشمس .

أقترت تلك الدار من الإنس فعمرها الوحش ، كانت تسكنها أسماء الحسناء ، فأضحت تسكنها البقرة العيناء ، ترعى عشها ، وتمرع في مراعيها ، فالبقر لاختياهن بجمالهن ، ولبياضهن ، واستدارة قروهن حول رؤوسهن يشبهن الفرس يختالون في قلائسهم .  
بعد حى أقنأ فيه حيناً ثم تركناه قد أرامم يجتمعون بهذه الدار مرة أخرى ، لهم قباب مرفوعة ، وخيام منصوبة ، وعليهم نعمة سابعة ، وفيهم هناة صافية .

## النقر :

معاني المرقش فيها جدة وطرافة لم ترد في شعر من عرضنا بعض أوصافهم للأطلال ، من ذلك مناجاته قلبه ، وادعاؤه أن قلبه هو الذي عرف دارها ، هو لم يذكر قلبه صراحة ، ولكن السياق يعينه ، ثم هذا التشبيه في البيت الرابع فيه صورة جميلة :

إلا من العين ترعى بها كالفارسيين مشوا في السكم

فتصوير القرون تتلاقى فوق رؤوس البقر بالقلانس فوق رؤوس الفرس تصوير لم يقع لشاعر سواه ، وإذا كان لنا ما نأخذه عليه ، فهو القموض في البيت الأخير ، وقد شرحناه كما هدانا إليه فكرنا ، وشرحه غيرنا غير هذا الشرح ، ولعلنا أن نكون أقرب إلى الصواب .

٦ - وقال بشامة بن الغدير \* من قصيدته التي أولها :

لَمِنَ الدِّيَارِ عَفَوْنَ بِالْجَزْعِ      بالدَّوْمِ بَيْنَ بُحَارَ فَالشَّرْعِ<sup>(١)</sup>  
دَرَسَتْ وَقَدِ بَقِيَتْ عَلَى حَجَجٍ -      بعدَ الأنيسِ عَفَوْنَهَا - سَبَعِ<sup>(٢)</sup>  
إِلَّا بَقَايَا خَيْمَةٍ دَرَسَتْ      دَارَتْ قَوَاعِدُهَا عَلَى الرَّبْعِ<sup>(٣)</sup>  
فوقفتُ في دارِ الجُمُيعِ وَقَدْ      جالتُ شَثُونُ الرَأْسِ بالدَّمْعِ<sup>(٤)</sup>  
كعُرُوضِ فَيَاضٍ عَلَى فَلَجٍ      تَجْرِي جَدَاوُلُهُ عَلَى الزَّرْعِ<sup>(٥)</sup>  
٥١٢ : فوقفتُ فيها كى أسائلها      غَوْجَ اللبَانِ كَطَرَقِ النَّبْعِ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الناقة ص ٧٤ .

- التفسير اللغوي : (١) عفون : درسن وزلن . الجزع : منعطف الوادى حيث انحنى .  
الدوم ، وبحار ، والشرع : أسماء أمكنة .  
(٢) درست : زالت . حجج : جمع حجة سنوات . بعد الأنيس : بعد السكان المؤنسين .  
عفونها : محونها . سبع : صفة لحجج ، والفصل بين الموصوف والصفة قبيح .  
(٣) تقدم أن قلنا : إن من رجال اللغة من يقول الخيمة بناء من شجر ، فإذا كان من صوف  
أو شعر سمى بيتاً ، وقد يطلق على الجميع . دارت قواعدها : مالت قوائمها وأسسها . الربع :  
دار الربيع ، ثم أطلقت على كل دار .  
(٤) دار الجميع : الدار التي يجتمع فيها الحى . جالت : دارت واضطربت . شتون : جمع  
شأن ، وهو العرق الذي يجرى منه الدمع .  
(٥) العروض : النواحي . الفياض : الماء الكثير الفيضان . الفلج : النهر العظيم .  
الجداول : النهيرات الصغيرة مفردتها جدول .  
(٦) غوج اللبان : اللبان الصدر ، وغوج واسع الجلد ، فهو يضرب لسعته . كطرق النبع :  
كالتضيب من شجر النبع .

## تحليل الأبيات :

يتساءل الشاعر في لهفة الفزع الجزع عن أصحاب هذه الديار المقامة بمنعطف الوادي من الدوم بين بحار والشرع فقد عفون ، وزال أثرهن ، وطمست آياتهن ، درست واستمر دروسها سبع سنوات ، ليس بها أنيس تسكن النفس إليه ، وتقرّ العين به ، ويطمئن القلب له .

لم يبق من هذه الديار شيء ، حتى البقية الباقية من جذوعها درست وعفت ، ومالت قواعدها ، ودارت قوائمها التي كان يقوم عليها ذلك الربيع ، فوقفت في الدار التي كانت مجتمع الحى ، ومنتدى القوم ، فأخذتني المبرات ، وجالت في شثوني الدموع ، فإذا دموعي تجرى في مجارى الدمع فياضة غزيرة ، فتمتدّ وتتفرق كالنهر يفيض بمائه الغزير في نواحيه وعروضه ، فتجرى منه جداول ذات اليمين وذات الشمال فوق الزرع .

وقفت في آثار هذه الديار أمتطى فرسا قد ضمّر جسمه ، واتسع جلد صدره لأساطلها أحاديثها عن ساكنيها ، ولأبادلها النجوى عن كان يحمل بها من أولئك الداهيين .

## النقد :

لا أظن بشامة بن الغدير وهو يسأل عن أصحاب الديار العافية يجهل هؤلاء الأصحاب ، وإنما هو تجاهل العارف بعثه في نفسه أنه لا يرى أولئك الأصحاب الأخلاء ، كما لا أظن أنه يعنى بهؤلاء الأخلاء صاحبة أو خلية ، فقد أعفاه الله من المشق ، ولكنه يعنى الأخلاء والخلصاء ، أولئك الذين كان يجتمع بهم في حيهب ومنتدياتهم ، أليس قوله ؟

موقفت في دار الجميع وقد جالت شثون الرأس بالدمع

دليلا على هذا ؟

وليس في الأبيات من المعانى ما يبهر ، ولا من الصور ما يسحر ، وأحسب أن تشبيهه الدفع بالنهر الكبير يتفرع إلى جداول تسقى الزروع تشبيه ليس فيه دقة الصور ، ومراماة أجزاء الصورة .

٧ - وقال الحارث بن حلزة اليشكري \* :

لَمِنَ الدِّيَارِ عَفُونَ بِالْحَبْسِ ؟ آيَاتُهَا كَهَارِقِ الفُرْسِ (١)  
 لاشيءَ فِيهَا غَيْرُ أَصْوَرَةٍ سَفَعِ الخُدُودِ يَلْحَنُ كَالشَّمْسِ (٢)  
 أَوْغَيْرُ آثَارِ الجِيَادِ بِأَغْـرَاضِ الجِمَادِ وَآيَةِ الدَّعْسِ (٣)  
 فَبَسْتُ فِيهَا الرِّكْبَ أَحَدِسُ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدَسِ (٤)  
 حَتَّى إِذَا التَّفْعُ الطَّبَّاءِ بِأَطْرَافِ الظَّلَالِ وَقَلْبِنَ فِي الكُنْسِ (٥)  
 وَيُسْتُ مِمَّا قَدْ شُفِّتْ بِهِ مِنْهَا وَلَا يُسْلِكُ كَالْيَاسِ (٦)  
 أُنْمِي إِلَى حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ تَهِيصُ الحَصَى بِمَوَاقِعِ خُنْسِ (٧) : ٥١٩

\* ترجمه الشاعر : هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك اليشكري من شعراء العراق ، وهو شاعر فحل يضرب به المثل في الفخر ، فيقال أنخر من الحارث بن حلزة ، وهو من أصحاب المعلقات ، وزعموا أن معلقته ارتجلها بين بدى عمرو بن هند ، وقال الأصمعي إنه ارتجلها وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة وقد توفي حوالي سنة ٥٧٠ م .

التفسير اللغوي : (١) عفون : درسن . الحبس : اسم موضع . آياتها : علاماتها وأعلامها . مهارق : جمع مهرق بضم الميم وفتح الراء ، قال في اللسان وهي الصحيفة البيضاء تكتب فيها ، فارسي معرب ، والجمع المهارق قال حسان :

كَمَ لِلنَّازِلِ مِنْ شَهْرٍ وَأَحْوَالِ لآلِ أَسْمَاءِ مِثْلَ المَهْرَقِ البَالِيِ  
 وقال الحارث بن حلزة : « آياتها كهارق الحبس » وهو خطأ من ابن بري إذا الروي  
 السين كما ترى . (٢) الأصورة : جمع صوار بضم الصاد وكسرهما قطعان البقر .  
 سفع : جمع أنسع وهو الأسود المشرب بالحمر . يلحن : يظهرن .  
 (٣) الأعراض : جمع عرض بضم العين النواحي . الجماد : مفردة جمد مثل رمح ورمح  
 المرتفع من الأرض ، واستشهد اللسان بقول امرئ القيس :

كَأَنَّ الصَّوَارِ إِذْ يَجَاهِدُنْ غَدْوَةً عَلَى جَمْدِ خَيْلٍ تَجُولُ بِأَجْلَالِ  
 الدَّعْسِ : الوطء . وآيته : أثره ، علامته . (٤) أحدس : أظن . (٥) قلن :  
 من القيلولة ، وهي نوم نصف النهار . الكنس : جمع كناس ، وهي بيت الطي يحفره في أصل  
 الشجرة ليستريح بها . (٦) شففت به : أغرمت به . لا يسليك : لا يخفف عنك .  
 (٧) أنمي : أرتفع . الحرف : الناقة الماضية المذكورة : التي تشبه الفحل في صلابتها .  
 تهيص الحصى : تدق الحصى فتكسره . المواقع : المطارق مفردها ميقعة . الخنس : القصار  
 الأنوف ، مفردها خنساء .

## تحليل الأبيات :

لمن هذه الديار التي عفت آثارها ، واحمت أعلامها بالحبس ؟ إن أعلامها البيض ، وآياتها الواضحات كانت تبدو كالصحف البيضاء التي تنسب إلى أبناء الفرس ، أضحت وليس فيها إلا قطمان البقر الوحشى السفع الخدود ، البيض الظهور ، التي تبدو كأشعة الشمس سطوعا ، وليس فيها غير آثار الجياد ، تبدو في نواحي تلك الديار ، وفي جِدادها ومرتفعاتها ، فترى آثار وطنها ، ومظاهر ركضها .

لقد وقفت عند تلك الديار أحس وأخن ، وأتفرس وأنجم ، أين أولئك الذين عمروها ؟ أين الخنس الجوارى الكنس اللأنى ملأنها جمالا وفتنة ؟ أين ملاعبهم وملاعبين التي كنا نقضى فيها أوقات الهوى ، وسويغات الالهو ، أين وأين ؟ وماذا ينفع التساؤل ؟ إنه يجدد الحسرات ، ويبعث دفان الهموم والأحزان . وحين توسطت الشمس كبد السماء ، وفاءت الطباء إلى الظلال ، وقلن في الكناس ، ويئست من بعث الذكريات التي شغفت بها ، وأيقنت أنها لا ترد ماضيا ، ولا تعيد ذاهبا ، كان ذلك اليأس سلواتي ، « ولا يسليك كاليأس » وإذن فلأرفع رحلى فوق ناقة جمالية ترق الحصى بمناسمها .

## النقد :

اتفق بشامة بن الغدير والحارث بن حلزة في المطلع ، والتساؤل عن أصحاب الديار ، والاستفهام عن كان يقطنها ، معنى تواردت عليه خواطر الشعراء ، فليس هناك بينهم آخذ وماخوذ منه ، ويظهر فضل الحارث على بشامة في أنه شبه آثار الديار وأعلامها بصحف الفرس وهو تشبيه جميل يدل على اتساع ثقافة ، وبعد خيال ، كما تظهر حكمته في قوله :

« ولا يسليك كاليأس » . وجميل من الحارث كذلك وصف الأصورة بأنهن يلحن كالشمس ، فمن من الشعراء منحها هذا الجمال ، والجناس قليل في الشعر الجاهلي ؛ وقلته تصنفي عليه الحسن ، وقد أبدعه الحارث في قوله :

أو غير آثار الجياد بأعراض الجاد وآية الدعس

وكذلك حبسه الركب ليحدث ويخمن ، وتركه إياك لتحس فيما كان يحدث به ، وتخمن ما كان يخمنه جمال أى جمال ، وبعد فالأبيات جميعها من رائع الشعر .



٨ - وقال عميرة بن جميل \* من قصيدته التي أولها:

ألا ياديارَ الحَيِّ بِالْبَرْدَانِ      خَلَّتْ حَجَجٌ بَعْدِي لَهْنٌ ثَمَانٍ <sup>(١)</sup>  
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ نُؤْيٍ مُهَدَّمٍ      وَغَيْرُ أَوَارٍ كَالرَّكِيِّ دِفَانٍ <sup>(٢)</sup>  
وَغَيْرُ حَطُوبَاتِ الْوَلَائِدِ ذَعْدَعَتْ      بِهَا الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ كُلَّ مَكَانٍ <sup>(٣)</sup>  
قِفَارٌ مَرُورَاتٌ يَحَارِبُهَا الْقَطَا      يَغْلُظُ بِهَا السَّبْعَانِ يِعْتَرِكَانِ <sup>(٤)</sup>  
يُثِيرَانِ مِنْ نَسْجِ التَّرَابِ عَلَيْهِمَا      قِصَصِينَ أَسْمَاطًا وَيَرْتَدِيَانِ <sup>(٥)</sup>  
وَبِالشَّرْفِ الْأَعْلَى وَحُوشٍ كَأَنَّهَا      عَلَى جَانِبِ الْأَرْجَاءِ عَوْدٌ هِجَانٍ <sup>(٦)</sup>

: ٥٢٥

\* ترجمته الشاعر : هو عميرة بن جميل بن عمر بن مالك بن الحارث بن حبيب التغلبي شاعر جاهلي يعد من الشعراء البرزين ، وهو فيما يظهر من الشعراء المقلين كذلك ، توفي حوالي سنة ٥٧٠ م .

التفسير اللفوي : (١) الحى : البطن من بطون العرب . البردان : اسم موضع . خلت : مضت .

(٢) النؤى : الحاجز من التراب يقام لمنع السيل عن البيت . الأوارى : جمع آرى وهي معالف الدواب ومحابسها . الركى : جمع ركية ، وهي البر . دفان : جمع وفين ، مندفئات .

(٣) الحطوبات : جمع حطوبة ، وهي ما احتطب الإماء وجمعه . الولائد : جمع وليدة الإماء . ذعدعت : فرقت .

(٤) قفار : جمع قفر ، وهي الأرض القاحلة الخالية من الزرع . المرورات : التي لا تنبت شيئاً لانعدام الماء فيها . السبعان : مثنى سبع وهو كل ما يفترس من الحيوان : يعتركان : يلتمس كل منهما أكل الآخر لما هما فيه من جذب دفع غيرها من الحيوان إلى ترك ذلك . (٥) أسباطاً : غير محشوة ، وهو أن يكون القميم طاقاً واحداً .

(٦) الشرف : المرتفع من الأرض . الأرجاء : النواحي مفرداها رجا . العوذ : الإبل أو الخيل أو الظباء الحديثة التاج مفرداها عأند ، وجمعه عوذ وعوذ وعوذان ، وجمع الجمع عوذات . الهجان : الكرام يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والجمع .

## تحليل الأبيات :

ألا ياديار قومي وخيام أهلى بالبردان ، لقد مضى على تركهم إياك ونزوحهم عنك ثمانى حجج ، وهو زمن طويل يغير الأحوال ، ويبدل الأوضاع ، وإذن فليس غريبا ألا يبقى منك غير نوى مهدم ، وحاجز مثلم ، وغير معالف الدواب ومحابسها التى صارت لطول العهد وبعد الأمد كالآبار المطمورة ، وغير الخطوبات التى جمعته الإماء من بقايا الجذور ومتساقط الأغصان ؛ ليجمعن منها وقودهن فى قارس البرد ، لقد فرقها الرياح السافيات ، وجرت بها الأمطار الغزيرة كل مجرى .

واحرّ قلباه ! لقد أصبحت تلك الديار التى كانت تقيه بأعز الناس ، وأكرم الأجناس قفارا لانبت فيها ولا ماء ، ولا إنس فيها ولا وحش ، فهى تنائف يضل فيها القطا ، فلو أن بها سبعمين لأخذا يقتتلان حتى يتفانيا فى سبيل الطعام .

وهما فى تقاتلهما يثيران التراب فينسج فوق ظهريهما ثوبين رقيقين ، لو هبت عليهما الريح لأزالتهما .

ولكنّ بأعلى هذه الصحراء وحوشا ضارية كأنها لاستيحاشها فى مختلف النواحي وجوانب الأرجاء إبل هجان من خلفها سقابها ، أوظباء خنس من ورائها أطلاؤها .

## النقد :

جرى الشاعر على ماجرى عليه غيره من الوقوف بالديار بعد حجج يعدها ، ثم غير الأشياء التى لاتزال دالة على أنه كان فى المكان ديار ، وكان فى هذه الديار سكان وقطان ، ولكنه ذكر فيما بقى من الآثار ما لم يذكره سواه ، ذكر الخطوبات ، والحق أن بقاء الخطوبات بعد حجج ثمان أمر غير منظور ، فالوحوش التى لاتجد غذاء من حق نفوسها عليها أن تأكل كل ماتجد ، ثم إنه وقع فيما يكاد يكون تناقضا : السبعان يعتركان فيتفانيان ، لأنهما لا يجدان الغذاء ، وبالشرف الأعلى وحوش كأنهما عوذ هجان . أليس هذا تناقضا ؟ إنه كذلك .

وعلى أى فالأبيات معانيها كمعاني أى شعر آخر فى وصف الأطلال .

٩ — وقال ثعلبة بن عمرو العبدى \* في مطلع قصيدته :

لَيْنٌ دِمْنٌ كَأَنَّهَا صَحَائِفُ      قِفَارٌ خَلَامِنِهَا الْكَثِيبُ فَوَاحِفٌ<sup>(١)</sup>  
فَمَا أَحَدَّتْ فِيهَا الْعُهُودُ كَأَنَّمَا      تَلَقَّبُ بِالسَّمَانِ فِيهَا الزَّخَارِفُ<sup>(٢)</sup>  
أَكَبَّ عَلَيْهَا كَاتِبٌ بِدَوَاتِهِ      يُقِيمُ يَدَيْهِ تَارَةً وَيُخَالِفُ<sup>(٣)</sup>  
: ٥٢٩ رَجَا صُنْعَهُ مَا كَانَ يَصْنَعُ سَاجِبًا      وَيَرْفَعُ عَيْنِيهِ عَنِ الصَّنْعِ طَارِفُ<sup>(٤)</sup>



\* **ترجمة الشاعر** : هو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة العبدى ، وهو شاعر قصير النفس فيما يبدو ، مغمور بين الشعراء ، وإن كان له من القصائد قصيدتان اختارهما المفضل الضبي . كما اختار له البحترى في حماسته ، وشعراء الجاهلية .

**التفسير اللغوي** : (١) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الناس وما سودوا بالرماد . صحائف : جمع صحيفة يقصد ما فيها من النقش . قفار : جمع قفر ، الأرض المجذبة . الكثيب وواحف موضعان .

(٢) العهود : جمع عهد يقصد الأمطار التي يعهد بعضها بعضها . السمان : الأصباغ التي يزخرف بها في السقوف وغير السقوف ولا واحد لها .

(٣) أكب : أقبل . تارة : مرة .

(٤) ساجباً : ساكناً هادئاً . الطارف : ما يطرف العين .





## تحليل الأبيات :

يسائل حاتم قلبه ، أتعرف هذه الأطلال الدوارس ، والآثار الطوامس ، والنوى المهدم ، والجذم المثلث ؟ إن الأرض تبدو كالرق ، وهذه الآثار فوقه كالخط المزخرف ، والرسم المزركش ، لقد نشرت الأرواح في هذا المكان عواصفها بعد أن فارقه قاطنوه ، وتركه ساكنوه ، تركوه أياما طويلا ، وشهوراً عدة ، هذه الأرواح تنقلت من مكان إلى مكان ، ودرجت من موضع إلى موضع ، فغيرت ظاهر تربه ، وكسته ترابا غير ترابه الذى كان له ، وأزالت الأيام معالنه ، وطمست أعلامه .

ليست الرياح فحسب هى التى غيرت المعالم والأعلام ، ولكنه طول البلى ، وقدم العهد ، حتى أصبحت لا أعرف الأطلال إلا بالوهم والظن ، ولا أتبين الآثار إلا بالحس والشعور .

## النقد :

المعاني التى أوردها حاتم فى أبياته تلك معان قليلة ، وليس فيها معنى يمكن أن يقال إنه انفرد به ، ولا أحسب أن الحول يفعل فى الديار هذا الذى صوره حاتم ، فقد استقصرنا ثمانى حجج فى قصيدة عميرة بن جمل ، ورأينا أن تأثيرها لا يبلغ تصويره ، فكيف بالعام الواحد ؟ هل نقول : إنهم قلدوا زهيراً لم يجيدوا التقليد ؟ وذلك فى قوله :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فـلأيا عرفت الدار بعد توم

وكذلك قال حاتم :

وغيرها طول التقادم والبلى فما أعرف الأطلال إلاتوما

ولكن بعدكم كان ذلك التقادم والبلى ، إنه بعد :

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً وأياماً وح—ولا محرماً

قد يقال إنه لا يقصد حولا واحدا ، ونقول بل يقصده ، فلو أراد غير ذلك لاستبدل بأيام أعواما .

## المعاني المشتركة وغير المشتركة في وصف الأطلال

يكاد الشعراء يتفقون في وصف الأطلال ، ولهم في هذا عذرهم ، فالبيثة التي توحى إليهم بأفكارهم واحدة ، والمعين الذي يمتحون منه واحد ، والمصر الذي يعيشون فيه واحد ، وكل هذه عوامل توجب اتفاق الأفكار .

إذا قال امرؤ القيس محددًا دار محبوبته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
قال زهير مراعيًا ذلك التحديد :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثـلم ؟  
وقال لبيد :

عفت الديار محلها فقامها بمنى تأبد غولها مرجامها

وعلى هذا النمط سار أكثر الشعراء بعدهم ، لم يحيدوا عنهم إلا قليلا .

ثم إذا قال امرؤ القيس إن هذه الدور بعد أن كانت ملعبا للأوانس أصبحت مرتعا للآرام . في قوله :

ترى بحر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل  
قال زهير :

بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم  
وقال لبيد .

والعين ساكنة على أطلائها . عودا تأجل بالفضاء بهامها  
وقال المرقش الأكبر قبلهم :

إلا من العين ترعى بهم كالفارسيين مشوا في الكم

وكلهم أسكنوا هذه الدور العين والظباء والوحوش ، حتى وإن تكن هذه الدور قد

صارت إلى فناء وبلى ، وأصبحت صحارى جرداء ، كقول عميرة بن جمل :

قفار مرورات يحاربها القطا      يظل بها السبعان يعتركان  
يثيران من نسج التراب عليهما      قيصين أسماطا ويرتديان  
وبالشرف الأعلى وحوش كأنها      على جانب الأرجاء عوذ هجان  
وأكثرهم وصف فعل الأمطار بها ، وأثر الودق والساريات فيها ، ولكنهم أوردوه  
في صور مختلفة ، كلها صور قوية جميلة ، وبخاصة صور لبيد والنابعة ، كما وصفوا فعل الرياح  
في تلك الآثار فأجادوا التصوير .

ولكن لبعض هؤلاء الشعراء معاني سبقوا إليها فاتبعوا فيها ، أو لم يتبعوا لشهرة  
نسبتها إلى أصحابها ، فمن هذه المعاني قول امرئ القيس :

فما نيك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
فكثير من الشعراء جرى في غباره ، ولكنهم لم يبلغوا شيئا وإن أجادوا ، ومن سبقه  
منهم جاء بجزء من المعنى ، لم يسقه مساق امرئ القيس في إحاطته وشموله ، وحسنه وجماله ،  
قال بشامة بن الغدير :

فوقفت في دار الجميع وقد      جالت شئون الرأس بالدمع  
وقال المرقس الأكبر :

أعـرفها دارا لأسماء فالد      مع على الخدين سح سجم  
ومن المعاني التي انفرد بها الحارث بن حنزة تشبيه ظهور البقر الوحشى بالشمس في قوله :  
لا شيء فيها غير صورة      سفع الخدود يلحن كالشمس  
حقا إنه لم يجدد هذا الذي بلوح ، ولكن التأمل يدفع إليه ، فأول ما يلوح الظهور . ومنها  
حبسه الركب ليحدث ويخمن ، وذلك في قوله :

فحبست فيها الركب أحدس في      كل الأمور ، وكنت ذا حدس  
وقد أجاد ثعلبة بن عمرو المبدى في وصف المصور ، ولم يشاركه أحد في معناه وهو قوله :  
فما أحدثت فيها العهود كأما      تلعب بالسمان فيها الزخارف  
أكب عليها كاتب بدواته      يقيم يديه تارة ويخالف



رجا صنعه ما كان يصنع ساجيا ويرفع عينيه عن الصنع طارف  
ومنهم من دلت تشبيهاته وصوره على بيئته وثقافته ، ومن هؤلاء النابغة في قوله :  
خلت سبيل أتى كان يجسه ورفته إلى السجين فالنفد  
وقول المرقس الأكبر :

إلا من العيين ترعى بها كالفارسيين مشوا في الكمم  
وقول الحارث بن حنظلة :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كهارق الفرس  
وقول حاتم الطائي :

أعرف أطلالا ونؤيا مهدما كخطك في رقّ كتابا منعما

وبعد فحسب الشعراء قدرة وتفوقا أنهم حببوا إلينا الأطلال ، وإن تكن ظاهرة فراق ،  
وشففونا بالآثار ، وإن تكن رمز جذب وقحط وإفقار ، وهذه عبقرية هي الغاية عند  
المباقرة والنابعين .



## (ب) وصف الليل

١ - قال مهلهل بن ربيعة \* :

أَلَيْتَنَابَذِي حُسْمٍ أُنْـيَرِي      إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَاحُورِي <sup>(١)</sup>  
 بَانَ يَكُّ بِالذَّنَابِ طَالَ لَيْلِي <sup>(٢)</sup>      قَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ <sup>(٣)</sup>  
 وَأَنْقَدَنِي بِيَاضُ الصُّبْحِ مِنْهَا <sup>(٤)</sup>      لَقَدْ أَنْقَدْتُ مِنْ شَرِّ كَبِيرِ <sup>(٥)</sup>  
 كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجَوَازِ عُوذٌ <sup>(٦)</sup>      مُعْطَفَةٌ عَلَى رَبْعِ كَسِيرِ <sup>(٧)</sup>  
 كَأَنَّ الْفَرَقْدَيْنِ يَدَا بَغِيضِ <sup>(٨)</sup>      أَلْحَ عَلَى إِفَاضَتِهِ قَيْرِي <sup>(٩)</sup>  
 أَرِقْتُ وَصَاحِبِي بِجَنُوبِ شَعْبِ <sup>(١٠)</sup>      لَبِزَقِي فِي تِهَامَةٍ مُسْتَطِيرِ <sup>(١١)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو أبو ليلي عدى بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر

التغلي شاعر نجدى مجيد ، قيل عنه إنه أول من قصد القصائد وهلهل الشعر ، وحسبه فخراً أن يكون امرؤ القيس وارث شاعريته ، وقابس عبقريته ، ولقب مهلهلا لقوله :

لما نوعل في الكراع هجينهم      هلهلت أنار مالكا أو صنلا

وحدثوا عنه أنه كان من أصبح أهل زمانه وجها ، وأفصحهم لسانا ، وأشدهم بأسا ، وقد لقبه أخوه كليب بزير النساء لأنه كان صاحب لهو ، كثير المحادثة للنساء ، وفي هذه القصيدة يقول :

ولو نشر المقابر عن كليب      لأخبر بالذناب أي زير  
 توفي حوالي سنة ٥٠٠ م

التفسير اللغوي : (١) حسم : موضع بالبادية ، ويظهر أنه أقام به في أحد أيامه .

لا تحوري : لا ترجى . (٢) الذناب : موضع بنجد على يسار الطريق إلى مكة .

(٤) كواكب الجوزاء : أحد أبراج السماء ، واسم نجم يعترض في جوز السماء ، والأول

هو المراد . عوذ : جمع عائد ، وهي الناقة يعوذ بها ولدها ، وكل أثنى إذا وضعت لمدة سبعة

أيام لأن ولدها يعوذ بها . معطفة : منحنية مائلة . الربع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول

النتاج ، فإذا نتج في آخره فهو هبع ، يقال : « ملهم ربع ولا هبع » . كسير : مكسور .

(٥) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالي يهتدى بهما ، وأحدهما أقل نورا من

الآخر . بغيض : مبغض . إفاضته : دفعه إلى اللعب . قيرى : مقامر .

(٦) أرقط : سهرت . الشعب : الطريق في الجبل ، أو مسيل الماء ، أو الحى العظيم

أو الناحية ، والأول هو المراد . تهامة : أرض منخفضة ، وبلاد جنوبي الحجاز . مستطير : منتشر .

### تحليل الأبيات :

أيتها الليلة الليلية التي قدّر على أن أقضيها بذى حسم ، لينحسر ظلامك ، وليذهب سوادك ، وليسفر صبحك ، ولينفلق وضحك ، فإذا ما زلت من الأفق فلا تعودى مرة أخرى .  
لقد طال ليلي بالذنائب حيث قتل أخى ؛ إذ جافانى النوم ، ولازمنى السهاد ، وإن يسؤنى هذا فكم من ليال بكيت من قصرها ، وشكوت سرعة كرها ، وأنقذنى من بكأى عليها بياض صبحها ، وإشراق شمسها ، لقد أنقذت من شر كبير ، وأنجيت من ألم كثير .  
أما ليلتى تلك فقد وقفت بجومها ، فكان كواكب الجوزاء متجمعاتٍ متلبثات نياقٍ عائدات ، قد كسرر بعهن ، فهن لا يرمن دونه ، ولا يتحوان عنه ، أو كأن هذين النجمين المعروفين بالفرقدين يدا رجل مكروه ، مبعوض مقامر ، فهو يلح فى إفاضته ويبالغ فى دفعاته ، فيداه لا تفتثان تتحركان فى مكان بعينه .

لقد أرقّت وصاحبى الذى يشاطرنى آلامى وأوصابى بجنوب ذلك الشعب ، ابرق لمع من أرض تهامة ، وهو منتشر الضوء ، متباعد اللعان .

### النقر :

كان قتل كليب المعين الذى فاقت منه شاعرية مهلهل ، والمنبع الذى انبثق منه شعره ، فهو أول من وصف الليل بالطول هذا الوصف الذى جرى عليه الشعراء من بعده ، ومعانيه وإن كانت مكررة إلا أنها بالنسبة إليه مبتكرة ، فهو يقول من قصيدة أخرى ما يشبه أبياته فى هذه القصيدة :

وصار الليل مشتملا علينا كأن الليل ليس له نهار

وبت أراقب الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار

ويقول فى قصيدة أخرى :

بات ليلي بالأنعمين طويلا أرقب النجم ساهراً لن يزولا

وهكذا فتح الطريق لمن جاء بعده من الشعراء ، وعلى رأسهم امرؤ القيس وارث

شعره ومعانيه .

٢ — وقال امرؤ القيس \* في وصف الليل :

وليلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَى بَأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي<sup>(١)</sup>

فَقَلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكَلْكَلِ<sup>(٢)</sup>

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ<sup>(٣)</sup>

فِيَاللَّكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُفَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ<sup>(٤)</sup> ! : ٥٤٣



\* ترجمه الشاعر : انظر الترجمة في وصف الفرس ص ١٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) وليل : ورب ليل طويل قضيته مسهداً . أرخى : أسبل وأسدل .

سدوله : جمع سدل ستوره ، ليبتلي : ليختبر ويمتحن .

(٢) لما : حين . تمطى : تمدد . بصداه : بظهره . وأردف أعجازا : وأطال مآخيره ،

من قولهم أردف الراكب غيره أركبه وراهه على مطيته ، والأعجاز جمع عجز مؤخر الدابة . ناء بكلكل : تهاياً لينهض صدره فيثقل مقدمه .

(٣) ألا : حرف تنبيه . انجلى : انكشف . الإصباح : ظهور الصباح . بأمثل :

بأفضل وأحسن .

(٤) يالك : أسلوب تعجبي ، فهو يتعجب من طوله وامتداد ساعاته . مفار الفتل : محكم

الفتل موثق البرم . شدت : ربطت وربطاً محكماً . بيذبل بذلك الجبل الراسخ من جبال نجد .

## تحليل الأبيات :

يشكو امرؤ القيس من ليله الذى طال أمده ، فزاد فيه ألمه ، فيقول :  
رب ليل كموج البحر المتلاطم أسدل على ظلمته ، وسط فوق وحشته ، وأرسل إلى  
ألواناً من الهموم ، وأسدل على أنواعا من الأحزان ، ليختبر منتى ، ويمتحن قوتى ، ويتبين  
جلدى وصبرى ، فقلت له وقد رأى منى صبرا وعزما ، وقوة ومنة :  
أيها الليل الطويل أتمنى عليك بعد أن عرفت عزيمتى أن ينفلق صبحك ، وينكشف  
ضوءك ، وأن تزول غياهبك ، وتهتك أستارك ، وإن يكن ذلك الصبح المأمول ليس بأوضح  
منك وجها ، ولا بأمثل منك حسنا ، فكللا كما مبعث هم ، ومصدر غم و كرب ، ولكنه  
التغيير قد يشعر ببعض الراحة .

ما أعجبك ليلا ثابتاً لا يتزحزح ! راسخا لا يتزعزع ، حتى لكان نجومه السائرات شدت  
إلى راس من الجبال ممغار القتل من الأمراس والجبال ، فليس لها مسير وإن طال  
بها الأمد .

## النقد

امرؤ القيس أقدر من وصف الليل ، وهذه الأبيات أروع ما قاله في وصفه ، ومبعث  
روعتها تصويره الليل في نكره ووحشته ، وهوله ورهبته ، بأموج البحر تطوى ما يصادفها ،  
وكذلك مناجاته الليل مناجاة تم عن الصبر مع اليأس ، وهذه قدرة لا يؤتاها إلا امرؤ القيس  
« وما الإصباح منك بأمثل » وتصوره الليل بالجلل يمتطى بصلبه ، ويردف بأعجازه ،  
وينوء بكله تصوير جميل لتشبيهه المعنوى بالحسى ، وتصوره النجوم قد ثبتت في السماء  
لا تريم عن مكانها بأنها مشدودة بأمراس تصور مستمد من البيئة ، أخاذ ببراعته  
في التصور والتصوير .

هذا ومن القدماء من عاب على الشاعر التضمين ، بتعليق معنى البيت الثانى بالبيت  
الثالث ، ولا نرى في ذلك عيبا ، وإنما العيب أن نتكلف جمع معنى في بيت لا يتحمله .

٣ - وقال النابغة الذبياني \* في وصف الليل أيضا :

كَلَيْنِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ      وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ (١)

تطاوَلَ حتى قلت : ليس بِمُنْقَضٍ      وليسَ الذي يرعى النُّجُومَ بَأَثِبِ (٢)

٥٤٦ : وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللّيلُ عَازِبَ هَمِّهِ      تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنِ كُلِّ جَانِبِ (٣)



\* ترجمة الشاعر : انظر الترجمة في ص ١٥٤ .

التفسير اللغوي : (١) كَلَيْنِي : اتركيني ودعيني . أُمَيْمَةَ : ابنته ، يصح فيها الفتح والضم ، والضم أحسن ، والفتح أشهر ، قال الخليل بن أحمد : من عادة العرب أن ترخم عندما تنادي المؤنث ، فلما لم يرخم « بسبب الوزن » أجرى الترخم على لفظها ، فأتى بالفتح . نَاصِبٍ : متمب ، كقوله تعالى : « في عيشة راضية » أي عيشة مرضية ، أولهم ذى نصب . أَقَاسِيهِ : أكابده . بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ : كناية عن صفة هي الطول والامتداد .

(٢) تطاول : امتد وطال . ليس بِمُنْقَضٍ : ليس بمنته . يرعى النجوم : قيل أراد النجم الذي يتقدم النجوم ، فهو منها بمنزلة الراعى لها ، ويؤيد هذا المعنى رواية : « وليس الذي يهدى النجوم بَأَثِبِ » وإذا غاب الراعى ضل المرعى ، وقيل : أراد يرعى النجوم يقصد نفسه ، وقيل : أراد به الصبح . بَأَثِبِ : براجع .

(٣) وَصَدْرٍ : ورب صدر ، يقصد صدر نفسه . أَرَا حَ : أعاد ورد من راحت الإبل إلى مناخها عشياً إذا ارتدت . العازب : النائي البعيد . تَضَاعَفَ : تكاثر . من كل جانب : من جميع النواحي .

## تحليل الأبيات :

دعيني يا بنيتي لهومي وأوصابي ، دعيني لهم ناصب ، وأتركيني ليل قد طال ، حتى  
أمل ، وامتد إلى أن أثقل وأسأم ، فكواكبه بطيئة المسير ، ونجومه كأنها لا تحول .  
لقد استطل ذلك الليل لما نزل بي من الهموم والأوجاع ، حتى حسبت أنه لن ينتهي ،  
وظننت أنه مقيم لا يريد أن ينقضي ، وأن الراعي الذي يرعى النجوم ويهدها سواء السبيل ،  
ويسوقها إلى غايتها من الأفق البعيد ، قد ذهب إلى غير أوبة ، وتركها دون أن ترجى له  
رجعة ، وإذن فسنتقي تلك النجوم حيرى لا تعرف لها قراراً .  
دعيني يا أميمتى لصدر قد أثقلته الهموم ، ورد له الليل ما استطار منها في النهار ، فتضاعف  
حزنه ، وتكاثف شجنه .

## التقر .

هذه الأبيات من أروع ما نظمه في وصف الليل شاعر ، وهو فيها تابع لامرئ القيس ،  
وإن اختلف القدماء في تفضيل أيهما على الآخر ، فبالغ امرؤ القيس على غير عهد الأدب به ،  
فسوى بين النهار والليل في الهم ، فقال أنصاره : إن المبالغة هنا أجدى وأفضل ، وقصد النابغة  
على غير عهد الأدب به أيضاً في قوله :

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

واقتردى به الشعراء إيماناً بجمال معناه ، فقال أحدهم :

أقضى نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع

وقال أنصاره في سبب تفضيله : « إنه جعل صدره مراحاً للهموم ، وجعل الهموم كالنعم  
السارحة تسرح نهاراً ، ثم تأتي إلى مكانها ليلاً ، وهو أول من استثار هذا المعنى ، ووصف  
أن الهموم مترادفة بالليل لتقيد الأخطأ عما هي مطلقة فيه بالنهار ، واشتغالها بتقيد اللحظ عن  
استعمال الفكر » .

ومناجانه فتاته من آيات جماله ، فالبنيت أشد شعوراً بمصاب أيها ، وأوفر عاطفة نحوه ،  
يشجبها شجوه ، ويمحزنها هم ، فهي منه قلبه وكبدته .

## ( ح ) وصف السحاب والبرق والغيث

١ — قال امرؤ القيس \* يصف ديمة :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطْفٌ      طَبَقَ الْأَرْضِ تَحْرِيٌّ وَتَدْرُ<sup>(١)</sup>  
تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَذَتْ      وَتُوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيئًا مَاهِرًا      ثَانِيًا بَرُئْنُهُ مَا يَنْعَفِرُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَرَى الشَّجْرَاءَ فِي رَيْقِهَا      كَرُوءِ سِ قُطِعَتْ فِيهَا خُمُرُ<sup>(٤)</sup>  
سَاعَةً ، ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ      سَاقِطًا لَا كِنَافٍ ، وَاهٍ ، مُنْهَرٍ<sup>(٥)</sup>  
رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ، ثُمَّ انْتَحَى      فِيهِ شَوْبُوبٌ جَنُوبٌ مُنْفَجِرُ<sup>(٦)</sup>  
٥٥٣ : نَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَ آذِيهِ      عُرْضُ خَيْمٍ ، فَخُفَافٌ ، فَيْسُرُ<sup>(٧)</sup>

\* ترجمه الشاعر : اقرأها في وصف الفرس ص ١٠٩

التفسير اللغوي : (١) الديمة : المطر يدوم في سكون دون رعد ولا برق . الوطف : استرخاء السحابة ، وتدلى ذيلها ، ودنوها من الأرض . تحرى : تتحرى المكان وتثبت فيه . تدر : تمتلي .

(٢) الود : اسم جبل . أو هو الود في لغة أهل نجد ، كأنهم سكنوا التاء فأدعموها في الدال ، وكلا المعنيين ذكره اللسان . أشجذت : أقلعت وسكنت . تواريه : تخفيه . تشتكر : هطل بالمطر ، وفي رواية تعتكر .

(٣) الضب : حيوان زاحف يشبه الجرذون ذنبه كثير العقد ؛ حتى ضرب به المثل ، فقيل : « أعقد من ذنب الضب » . البرئن : الخلب . ما ينعفر : لا يصيبه العفر ، وهو التراب . (٤) الشجراء : الأرض ذات الشجر . ريقها : أولها . خمر : جمع خمار ، وهو للمرأة كالعمامة للرجل .

(٥) انتحاهها : قصدها . وابل : مطر شديد يصدر عنه السيل . ساقط الأكناف : ثابت النواحي . واه : ضعيف يتشقق منه الماء ، وينخرق عنه للمطر . منهمر : شديد الانصباب .

(٦) راح : سار عشياً . تمرية : تستدره . وأصله من مرى الضرع إذا مسحه ليدر ، الصبا : ريح باردة تهب من الشمال . شؤبوب : دفعة من مطر . الجنوب : ريح تهب من الجنوب . (٧) نج : سال وصب . آذيه : موجه . عرض : ناحية أو اتساع . خيم وخفاف ويسر :

أسماء أمكنة قريية من الدهناء ، أو في بلاد بني ربوع .



## تحليل الأبيات :

هذه مطرة دائمة التسكاب، ومزنة ماضية الانصباب ، غايتها ملء أطباق الأرض بدموعها الغزار ، فترى أوتاد الأخبية بادية ظاهرة عند ما تطلع عن السكب ، وخافية متوارية عند ما يحتفل المطر ، ويشتد الغيث ؛ فهي تبدو إذا هدأت ، وتتوارى إذا غضبت ، وترى الضب ؛ وقد أبرزه المطر من جحره سابجا ماهراً ، خفيفا نشيطا ، يثنى برثنه ويبسطه ، كما يثنى السابح ذراعه ويمده ، فلا ينغفر بالتراب ، فقد أذهب طول الانسكاب ، وترى الأرض ذات الأشجار ، وقد غطاها المطر أول دفعاته ، فليس يبدو منها إلا رهوس أشجارها ، فظهرت وقد علاها الزبد كرهوس انفصلت عن أعناقها ، وغطتها خمرها ، استمر هذا الغيث ساعة ، ثم اعتمدها وابل منهر ، وسيل منحدر ، يعم بواحيها ، ويفعم أكنافها ، فالسحاب متشقق بالماء .

راح ذلك السحاب عشيا - وقد استدرته ريح الصبا ، ومراه بردها - راح يتكاثف ويتراكم ، ثم قصده ريح الجنوب وافدة من بحر الهند مثقلة بالقطار ، فأضافت إليه دفعة أخرى ، فإذا هو ينصب انصبابا حتى ضاق عن آذيه المضطرب وموجه المصطخب عرض هذه الجهات مع اتساع آفاقها ، وامتداد أكنافها

## النقر :

في هذه الأبيات جمال تحدّث عنه القدماء ، فقالوا : « إن هذا أشعر ماجاء في وصف الغيث » وسأل أبو عمرو بن العلاء ذا الرمة : أيّ الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟ فقال امرؤ القيس وأنشد الأبيات .

ولكنهم تركوا حكمهم دون تحليل شأنهم في جميع تقديم ، ومواطن الجمال التي أجملوها هي تلك الصور المتعاقبة ، فالديمة مسترخية الذوائب ، والأوتاد عارية حينا ، ومغطاة حينا ، والضب سابح حاذق يثنى برثنه ويبسطه شأن السباح الماهر ، إذ يبسط ذراعيه ويثنيهما ، والأرض الشجراء غطيت ، فليس يبدو منها غير رهوس أغصانها يغطيها الزبد الأبيض ، كأنه الحجر ، وهي صور فيها الكثير من مظاهر البادية ، فيها وتد الخباء ، والضب ، والبرثن والحجر .

٢ - وقال الأعشى \* في معلقته يصف السحاب والمطر :

بل هل ترى عارضاً قد بت أرْمَقَهُ      كأنما البرقُ في حافاتِه شَمَلٌ<sup>(١)</sup>  
 له رِدَافٌ وجَوزٌ مُنْأَمٌ عَمَلٌ      مُنْطَقٌ بِسِجَالِ المَاءِ مُتَّصِلٌ<sup>(٢)</sup>  
 لَمْ يُلْهِنِي اللّهُوَ عَنْهُ حِينَ أَرْقَبُهُ      وَلَا اللّذَاذَةُ مِنْ كَاسٍ وَلَا شُغْلٌ<sup>(٣)</sup>  
 فقلتُ للشَّربِ في دَرْنَا وَقَدْ تَمَلُّوا:      شِيمُوا، وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ؟<sup>(٤)</sup>  
 قَالُوا: نُمَارُ فَبَطْنِ الخَالِ ، جَادُهُمَا      فَالْمَسْجِدِيَّةُ ، فَالأَبْلَاءُ ، فَالرَّجَلُ<sup>(٥)</sup>  
 فَالسَّفْحُ يَجْرِي ، فَخَزِيرٌ ، فَبَرَقَتُهُ      حَتَّى تَدَافِعَ مِنْهُ الرَّبْوُ ، فَالحَبْلُ<sup>(٦)</sup>  
 حَتَّى تَحْمِلَ مِنْهُ المَاءُ تَكْلِفَةً      رَوْضُ القَطَا، فَكثِيبُ الغَيْنَةِ السَّهْلُ<sup>(٧)</sup>  
 ٥٦١: يَسْقِي دِيَاراً لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضاً      زُوراً تَجَانِفُ عَنْهَا القُودُ والرَّسَلُ<sup>(٨)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل أحد أعلام الشعر في العصر الجاهلي وأقدر الوصافين للخمر ، وكان لشعره جرس جميل فغنى به ولقب بصناجة العرب ، أدرك الرسول الكريم ، وأراد الإسلام نخدعه عنه بالمال أبو سفيان فمات على غير دين سنة ٦٢٩ م .

التفسير اللغوي : (١) العارض : السحاب يعترض الأفق . أرمقه : أنظر إليه . حافته : جمع حافة أطرافه . شعل : جمع شعلة قطع الشرر .  
 (٢) رداف : سحاب قد ردفه من خلفه . جوز : جوز كل شيء وسطه . المنأم : العظيم الواسع . عمل : دائم : منطلق : قد أحاط به فصار بمنزلة المنطقه . سجال : جمع سجل وهو ملء الدلو ماء . (٣) لم يلهني : لم يشغلني . أرقبه : ألاحظه . اللذاذة : الاشياء . من كأس : يعني من خمر (٤) الشرب : جماعة الشاربين كالركب والسفر . درنا : أحد منافذ فارس ، وهي دون الحيرة ، وقيل : إنها باليمامة : ثملوا : انتشوا . شيموا : انظروا إلى البرق . (٥) عمار و بطن الخال : موضعان . جادها : أمطرها . العسجدية ، والأبلاء : موضعان . الرجل : مسایل الماء ، واحدها رجلة . (٦) السفح : منحدر الجبل . البرقة : الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين . الربو : ما نشز من الأرض ، وهو هنا اسم موضع . الجبل : موضع باليمامة . (٧) تحمل : احتمل . تكلفة : مشقة . روض القطا : اسم مكان ، قيل : إذا خرجت تريد البصرة فأول ما تطأ السفح ثم الحربة ، ثم قارات الجبل ، ثم بطن السلي ، ثم عيان ، ثم روض القطا ، ثم العرمة ، وهذه كلها من أرض اليمامة . الغينة . الأرض الشجراء ، وهي هنا اسم موضع . (٨) غرضا : هدفا . زورا : ميلا . تجانف : تباعد . القود : الخيل . الرسل : الإبل .

## تحليل الآيات :

أيها الخليل : هل تبصر عينك ذلك العارض الذي يمتد في الأفق ، لقد ملك عيناى ،  
فما تحولان عنه ، وأخذ قلبي فما ينصرف دونه ، فكأنه إذ يتألق برقه ، فيلتمع نوره  
ثم ينطفى شعله تومض ثم يذهب وميضها ، وشرارة تلمع وما يلبث أن يختفى لمعانها .  
لذلك السحاب العارض رداً متتابع ، وركام متكاثف ، ظلمات بعضها فوق بعض ،  
لا فرق بين أطرافه وأجوازه ، فجميع أجزائه عظيم ، وكل أقسامه مديد ، فهو دائم السح  
والتسكاب ، قد اتخذ من امتلائه بالماء في أطرافه ، واتصاله في أنحائه منطقة يتنطق بها .  
لم يشغلنى عن رقبته هو أقطع به صبحى ومسائى ، ولا لذاذة كأس أغتبق بها  
وأصطبح ، ولا أعباء فوادح تصرف من يرزح تحتها عن كل شىء سواها ، فكل ذلك  
دونه عندى منزلة وتقديرا .

لقد دعوت ندمائى فى درنا بعد أن ملك الشراب عليهم حواسهم ، واستولت الراح  
على ألبابهم ، دعوتهم أن ينظروا إلى ذلك العارض العريض ، وأن يتأملوا هذا السحاب  
المديد، وأن يشيموا برقه ، ولكن أنى للثمل أن يشيم ؟ وكيف للنشوان أن يتأمل ؟ وكأنى  
بهم قد أفاقوا من سكرتهم حين رأوا برق ذلك العارض ؛ فقالوا : لقد أجرى السحاب  
غيثه على مواضع ( نمار ، وبطن الخال ، والمسجدية ، والأبلاء ، والرجل ) وهو ذلك  
يجرى بالسفح وخنزير و برقة ، ولقد تجاوز الحد فتدافع الماء بالربو فالجبل ، وبلغ الغاية  
فى روض القطا وكثيب الغينة السهل .

إن هذا المطر يسقى دياراً فى هذه الأماكن قد أصبحت له هدفا ، ولما نه غرضا ، إنها  
أرض خشى المسير فيها الخليل والإبل ، والقود والرسل .

## النقد

وصف الأعشى السحاب وصف البصير ، وصوره تصوير القدير ، فى بيتيه الأولين ،  
فرض لنا صورة لا ينقصها تحبير ، ثم انصرف إلى بيان أثره فى محلته ، وإراز فضله على  
قرى اليمامة ، فبالغ فى ذكر القرى ، وكأنه عالم جغرافى يرسم لتلاميذه مسير السحاب  
فى تلك البلاد ، فأجاد الشرح وأحسن التفصيل . ولولا مبالغته فى ذكر البلاد لكان قد  
بلغ غاية الإحسان .

٣ - وقال عبيد بن الأبرص \* يصف السحاب .

إِنِّي أَرِقْتُ ، وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ صَاحٍ . لِمُسْتَكِفٍ بِعَيْدِ النَّوْمِ لَوَّاحٍ (١)  
يَا مَنْ لِيَرْتَقِ أَيْتُ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ ! فِي عَارِضٍ كَمُضِيءِ الصُّبْحِ لَمَّاحٍ (٢)  
دَانَ مُسِفٌ مُوَبِقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ . يَكَادُ يُمَسِّكُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ (٣)  
كَانَ رَيْقَهُ لَمَّا عَلَا شُطْبًا . أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْفِي الْخَيْلَ رَمَّاحٍ (٤)  
٥٦٦ : فَمَنْ بِحَوْزَتِهِ ، كَمَنْ بِعُقُوتِهِ . وَالْمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحٍ (٥)

\* ترجمه الشاعر : اقرأها في وصف العقاب ص ١٨٩ وهذه الأبيات منسوبة أيضا

لأوس بن حجر .

التفسير اللغوي : (١) أرقط : سهرت . صاح : مرخم صاحب . مستكف : لسحاب

مستدير كالكفة . بهيد : تصغير بعد . لواح : شديد الوميض والالوان .

(٢) العارض : السحاب المعترض في الأفق . كضوء الصبح : كناية عن الشمس

لماع : لماع .

(٣) دان : قريب . مسف : مار على وجه الأرض . هيدبه : خيوطه . بالراح : بالكف .

(٤) ريقه : أوله . لما علا : حين ارتفع . شطبا : جمع شطبة ، وهي الطريقة أو الخط في

متن السيف ونحوه . الأقراب : جمع قرب وهي الحاصرة . الأبلق : الأبيض فيه سواد . رماح :

صاحب رمح ، وينفي الخيل كناية عن سبقة إياها ، وتفوقه عليها .

(٥) الحوزة : الناحية ، وحوزة الملكة ما بين تخومها ، وفي رواية بنجوته . والنجوة

المكان المرتفع . العقوة : الساحة ، وما حول الدار والمهلة ، وكلها تصلح للمنى وجمع العقوة

عقاه . المستكن الساكن الختبي في مسكنه . بقرواح : بأرض بارزة للشمس ، قال في اللسان :

« والقرواح يكون أرضاً عريضة نحو الدعوة ولا نبت فيه ولا شجر ، بل طين وسالمق .

والقرواح أيضا : البارز الذي ليس يستره من السماء شيء ، وقيل هي الأرض البارزة للشمس »

ثم أورد البيت .

### تحليل الأبيات :

عرف عبيد بن الأبرص بالإجادة في وصف الطبيعة بنوعها : حيا وهامدها ، ومن الأدباء من ينسب القصيدة التي منها هذه الأبيات إلى أوس بن حجر ، ولكنها بشعر عبيد أشبه ، إذ أنه أورد معانيها تلك في غير هذه القصيدة . كقوله :

ودنا يضىء ربابه غابا يصرمه حريقه  
حتى إذا ما ذرعه بالماء ضاق فما يطيقه  
هبث له من خلفه ريح يمانية تسوقه

فاستمع إليه يقول : إني أرقّت وصاحبني السهاد ، ولكنك لم تشاركني أيها الصاحب في سهادي ، ولم تقاسمني أرقّي لتنظر معي ذلك السحاب الملتف ، وتشم ذلك البرق المضيء ، ما أجل هذا البرق الذي يهتك حواشي الظلام ، وأنا لذلك أقضى ليلي ألقظه إذ يلعب في سحاب يعترض وجه السماء ، فكأنه الشمس تبدو من الجانب الشرق فتبتدأ أسداف الظلام . لقد دنا دنوا شديدا ، وأسفّ إلى الأرض إسفافا عظيما ، فكان مطره حيوط تتساقط على الأرض يوشك الإنسان أن يدفعه براحتيه ، ويزيحه بكفيه ، كأن أوله حينما ارتفع في طرائق وخطط أصول لأفخاذ فرس أبلق قد غلب سواده بياضه يتقدم خيولا أخرى ، وينفي عن طريقه القود الجياد ، من فوق صهوته الفارس الرياح .

### التقر :

قلنا : إن عبيداً من أقدر وصفاء الطبيعة ، وشعره على قلته يزخر بوصفها ، وهو يعتبر زعيم الوصاف الواقعيين . فتصويره دقيق صادق ، لا تكلف فيه ولا مبالغة ، وصوره واضحة بارزة « يكاد يلمسها من شاء بالراح » وبيته « دان مسف . . . » رائع التصوير صادق التعبير ، وقد كرر معنى قوله : « كأن ريقه لما علا .. » في قصيدة أخرى فقال :

كأما بين أعلاه وأسفله ريط منشرة أو ضوء مصباح

إلا أن هذا البيت أوفر معنى ، وأدق وصفا ، وأصنى أسلوبا .

وبعد فعبيد شاعر معجب بالطبيعة ، فأولته آياتها ، ومنحت شعره محاسنها .

فالناس جميعا في خياله سواء ، لافرق بين من يقيم في حوزة أو بحوة ، ومن يلزم ساحة أو عقوة ، ومن يستكنّ في قرار مكين ، ومن يسير في أرض تسطع عليها أشعة الشمس ، فلا يحجبها عنها حجاب .

٤ - وقال حنظلة الطائي \* في وصف القمر :

ومهما يكن من ريبٍ دهرٍ فإنني أرى قمرَ الليلِ العذبِ كأنفتي<sup>(١)</sup>  
 يهله صغيراً ، ثم يعظمُ ضوءهُ وصورتهُ حتى إذا ما هو استوى<sup>(٢)</sup>  
 وقرب يخبو ضوءه وشماعةُ ويمصحُ حتى يستسِرَّ فما يرى<sup>(٣)</sup>  
 ٥٧٠ : كذلك زيدُ الأمرِ ، ثم انتقاصه وتكراره في إثره بعد ماضى

### تحليل الأبيات :

مهما ينزل بي من أحداث الزمان ، وصروف الحدثان ، فإنني صابره له ، راض به ، لأنني أعلم أن هذه سنة الكون حياة وموت ، وبقاء وفناء ، حتى القمر يعذب كما يعذب الفتى ، ويهنأ كما يهنأ ، فتصبيه النماء والبأساء ، ويلقى الهناء والشقاء ، أراه يهله صغيراً لا يكاد يرى ، ثم يتعظم ضوءه ، وتكامل استدارته شيئاً فشيئاً ، حتى يستوى على عرشه بدراً منيراً ، ويتألق في سمائه نوراً وضاءً ، ولكنه ما يلبث أن يعود إلى حاله الأولى ، فيأخذ ضوءه في الخبو ، وشماعه في الانطفاء ، ونوره في الانمحاء ، حتى يغيب عن الوجود ليلة أو ليلتين ، كما تغيب الحياة عن الإنسان فلا يرى ، ويطويه ما يطوى جميع الكائنات . ذلك شأن المرء يرتفع ثم يهوى ، ويكمل ثم ينقص ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

### القمر :

الأبيات تصوير دقيق لحال الخلائق في هذا الوجود ، فكل كأن يعتوره ما يعتور القمر ، وينزل به ما ينزل بالإنسان ، وفي الأبيات فلسفة غريبة عن العصر الجاهلي .

\* ترجمته الشاعر : هو حنظلة بن أبي عفران بن النعمان بن حبة بن سبعة الطائي ، ويروى عنه حديث مع النعمان وأنه كان السبب في تنصر النعمان وقومه ، وقصته طويلة ذكرتها كتب الأدب ، وهي إلى الأساطير أقرب منها إلى الحقائق التاريخية ، ولم يبق من شعره إلا القليل الذي لا يبل غليلاً ، وكانت وفاته حوالي سنة ٥٩٠ م .

التفسير اللغوي : (١) ريب الدهر : صرفه وحده .

(٢) يهله : يظهر . استوى : تكامل . (٣) يخبو : ينطق . يمصح : ينمحي ، يقال :

مصحت الدار انمحي أثرها . استسر القمر : اختفى ليلة أو ليلتين ، وهو من السرار بفتح السين .

## (د) وصف الصحراء والبرد والحر

١ - قال الأعشى \* من معلقته يصف الصحراء .

وبلدةٍ مثلِ ظهرِ الترسِ موحِشَةٍ      لِلجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَتِهَا زَجَلٌ<sup>(١)</sup>  
لا يَتَنَمَّى لَهَا فِي القَيْظِ بِرِكْبِهَا      إِلَّا الَّذِينَ لَهُمْ فِيهَا أَتَوَا مَهْلٌ<sup>(٢)</sup>  
٥٧٣ : قَطَعْتُهَا بِطَلِيحِ جَسْرَةٍ سُرْحٍ      فِي مِرْقَيْهَا إِذَا اسْتَعْرَضْتُهَا فَتَلٌ<sup>(٣)</sup>

تحليل الأبيات .

رب صحراء مستوية ملساء تشبه في استوائها وملوستها ظهر الترس ، موحشة مقفرة لانيات فيها ولا ماء ، ولا إنسان ولا حيوان ، فما يسكنها إلا الجان ، يبدون في الليل إذ يشمل الكون السكون ، فيلمبون ويصخبون ، ويلهون ويصيحون ، فرحابو وطنهم الذي لا يشاركهم فيه أحد ؛ لا يعتمد السير فيها إبان الهجير ، ولا يسمو إلى قطعها حين القيظ إلا القوم الفطاريق ، والسادة الأشراف الذين يقدمون على الهول ، ولا يعبثون بالخطر .

قطعت هذه البلدة جريثا مقداما بناقة قد أعيهاها المسير ، وأضناها الرحيل ، وهي مع هذا جسر ماضية ، لاتهن ولا تنى ، سيرها هين لين ، إذا تأملتها وجدت فيها جمالا وحسنا ، فهي بعيدة ما بين المرققين ، منفرجة الجانبين .

التقر :

تشبيه الصحراء بالترس تشبيه جميل ؛ إذ أن الترس فوق استوائه فيه لمعان يشبه لمعان السراب في الصحراء ، واستعارة عزيف الجن بالليل بالزجل معنى رائع .

\* ترجمه الشاعر : اقرأ ترجمته في ص ٢٦٠ .

التفسير اللغوي : (١) الترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه ، جمعه أتراس ، وتراس ، وتروس ، وترسة . حافاتها : جوانبها جمع حافة . زجل : الزجل : الصخب واللعب والصجيج والطرب .

(٢) لا يتنمى : لا يعتمد ، ولا يسمو . المهل : بالتحريك التقدم وفلان ذو مهل ذو تقدم إلى ما فيه الخير والشرف .

(٣) الطليح : العيا الذي أضناه السفر ، ويطلق على الذكر والمؤنث . الجسرة : الناقة الضخمة الطويلة القوية . سرح : لينة في سيرها . الفتل : تباعد ما بين المرققين عن الجانبين .

٢ - وقال سويد بن أبي كاهل\* في وصف الصحراء :

وفلاةٍ واضحٍ أقرابها      بالياتٍ مثلُ مرْفَتِ القزَعِ<sup>(١)</sup>  
يسبحُ الآلُ على أعلامها      وعلى البيدِ إذا اليومُ مَتَعَ<sup>(٢)</sup>  
٥٧٦ : فركبناها على تجهولها      بصِلابِ الأرضِ فيهن شَجَعَ<sup>(٣)</sup>

تحليل الأبيات :

رب مومة مقفرة ، وفلاةٍ موحشة ، قد وضحت أقرابها ، وظهرت جوانبها وأطرافها ، فطرقها باليات لكثرة السير فيها ، فهي لبلاها تشبه المرفت المحطم مما يبقى في الجوانب من شعر الرأس ، يجرى الآل على جبالها ، ويسبح السراب فوق أعلامها ، ويلعب في بيدها ، عند ما ترتفع أشعة الشمس ؛ وتنتشر في الآفاق خيوطها البيض ، فركبنا هذه الصحراء على جهلنا مسالكها دون أن نخشى فيها ضلالا ، فحسبنا بها علما أقرابها وجوانبها الظاهرة الواضحة ، ركبناها بنجيل صلاب الحوافر ، متوفزة النشاط ، متوافرة المراح .

النقد :

الأبيات الثلاثة فيها حسن وروعة ، وتشبيه الحصى المحطم المكسر بالشعر المتجمع في جوانب الرأس فيه عمق فكرة ، وإن لم يستو التشبيه كل الاستواء ، وملاحظته السراب فوق الأعلام ملاحظة الرجل البدوي الذي تخليه مناظر البادية .

\* ترجمه الشاعر : اقرأ ترجمته في ص ١٥٩ .

التفسير اللغوي : (١) الفلاة : الصحراء الواسعة ، وتجمع على فلات و دلا ، وفلى . أقرابها : خواصرها ، مفردها قرب بضم اللقاف وسكون الراء وضما ، والمقصود هنا الجوانب والأطراف . باليات : رثات خلقات . مرفت : محطم . القزَع : جمع قزعة بقايا الشعر في الرأس .

(٢) الآل : السراب . الأعلام : الجبال مفردها علم . البيد : الصحارى المقفرة مفردها يبداء . متع اليوم : ارتفعت شمس .

(٣) صلاب الأرض : كناية عن الحيل ذات الحوافر الصلبة . الشجع : جنون النشاط .



٣ — وقال المرقش الأكبر • يصف الصحراء أيضا :

ودويّة غبراء قد طال عهدُها      تهالكُ فيها الوردُ والمره ناعس<sup>(١)</sup>  
قطمتُ إلى معروفها منكراتها      بعينهامة تنسلُ والليلُ دامس<sup>(٢)</sup>  
تركتُ بها ليلاً طويلاً ومنزلاً      وموقدَ نارٍ لم ترمهُ القوابس<sup>(٣)</sup>  
٥٨٠ : وتسمعُ تزقاةً من اليوم حولنا      كماضربتُ بعد الهدوء النواقس<sup>(٤)</sup>



\* ترجمه الشاعر : اقرأ ترجمته ص ٢٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) الدوية : الصحراء . تهالك في مشيه : تمايل . الورد : مكان الورد ، وكفى به عن الإبل . ناعس : مخالطه النعاس .  
(٢) معروفها : طرقها للمهودة . منكراتها . طرقها المجهولة . العينامة : الناقة القوية . تنسل : تسير في هدوء . دامس : مظلم شديد الظلمة .  
(٣) تركتُ بها ليلاً طويلاً : قطعتُ بها . منزلاً وموقداً : مكان نزول السفر وإيقاد ناره . لم ترمه : لم تقصده . القوابس : طالبو القبس ، والقيس شعة من نار .  
(٤) التزقاة : الصياح . الهدوء : من الليل متصفه . النواقس : الأجراس .

## تحليل الأبيات :

وصحراء مقفرة قد اسودّ لونها لبعدها بالنبات والماء تنهالك فيها الإبل ، وتمايل  
في مسيرها من الأين ، وتأخذ السنّة السائر فيها ، ويخالط النعاس عابرها لموده وخود  
نفسه ، قطعت مجهولها إلى معروفها ، ومنكراتها الغامضة إلى مسالكها الواضحة بناقة قوية  
جريئة ، تنسل في جنباتها انسلال الأرقم ، والليل دامس ، والظلام طامس .  
تركت بهذه الدوية ليلا طويلا سهرته ، ومنزلا طيبا أقمته ، وأتاني نار لم يجرؤ على  
اقتباس النار منها القابسون ، وكنت تسمع في تسيارك ترقاء البوم وصياحه ، كأنه دق  
النواقيس بعد أن هدا كل كائن ، وسكن كل متحرك .

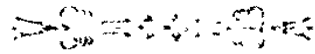
## النقد :

اتفق المرقش مع الأعشى وسويد في بعض المعاني ، وزاد عليهم معاني آخر ، فوصفه  
الإبل بالتهالك ، والسفر بالنعاس معنى استقل به ، ووصفه الليل بالطول ، والمنزل الذي نزل به  
والموقد الذي أوقد فيه ناره معنى آخر لم يشارك فيه ، ووصفه زقاء البوم وتشبيهه إياه بضرب  
النواقيس معنى ثالث ؛ وإذن فإن المرقش كان أقدر على وصف الصحراء من زميليه ،  
ومعانيه أجمل من معانيهما ، وصوره أكمل من صورهما ، ولا بد أنك مشاركي في الرأي .  
فوق أن في أسلوبه جمالا ملحوظا ، يظهر في ذلك الطباق في قوله :

« قطعت إلى معروفها منكراتها »

٤— وقال عمرو بن قبيثة \* يصف البرد :

ليس طُعْمِي طُعْمَ الأناملِ إذ قَلَصَ دَرُّ القَاحِ في الصُّنْبُرِ (١)  
 ورأيتَ الإمامَ كالجُنَيْنِ البَا لِي عُكُوفًا عَلَى قَرَارَةٍ قَدْرٍ (٢)  
 ورأيتَ الدُّخَانَ كالوَدَعِ الأَهْ جَزِينْبَاعٍ من وراءِ السُّتْرِ (٣)  
 ٥٨٤ : حاضرٌ شرُّكم ، وخيرُكم دُرٌّ زُخْرُوسٍ من الأرانِبِ بَكْرٍ (٤)



\* ترجمته الشاعر : هو عمرو بن قبيثة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، شاعر جاهلي عاصر امرأ القيس وصاحبه ، ودخل معه بلاد الروم ، وفيها هلك ، فلقب بعمرو الضائع ، وهو الذي يقول عنه امرؤ القيس .

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أن لا حقان بقيصرا  
 فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا

وقد توفي حوالي سنة ٥٣٠ م .

التفسير اللغوي : (١) الأنامل : هكذا وردت ، ولعلها الأرامل . الطعم : الطعام .

قلص در القاح : ارتفع لبن الناقة الحلوب . الصنبر : البرد الشديد .

(٢) الإمام : جمع أمة الرقيقات . الجعنين : أصل الشجر الواحدة جعنة . البالي : القديم .

عكوفًا : مستديرات حولها . القرارة : مالزق بأسفل القدر من مرق أو حطام تابل محترق ، أو سمن أو غيره .

(٣) الودع : حرز أبيض مشقوق كشق النواة . الأهجن : الأبيض . ينباع : ينثى ويتلوى .

(٤) الدر : اللبن . الخروس : النساء ، والبكر أول ولادتها .

## تحليل الأبيات :

ليس طعامي رديثاً دنيثاً كطعام الأرامل عند ما يقر البرد ، ويشد الصنبر ، وتتقلص اللقاح ، ويرتفع اللبن من الضروع ، وعند ما تبدو الإمام عظاما لا لحم فيهن ، فكأنهن جذوع الأشجار انقطعت من أصولها ، فنضب ماؤها ؛ وجف أصلها ، تبدوا أولئك الإمام مستديرات حول القدور يستخلصن ما لبق بها ، ولصق بقراراتها وحافاتهما من حطام محترق ، أو تابل ملتصق ، وعند ما ترى الدخان أبيض قد زال أثر وقوده فكأنه ودع الأصداف يتثنى وراء الأستار .

إنكم قوم شركم حاضر ، وحيركم ذاهب ، مثلكم في نضوب خيركم ، وجفاف مائككم كمثل لبن الأرنب النفساء البكر لما يدر لبنها ، ويمتلئ ضرعها .

## القدر :

الأبيات في الفخر بالكرم ، وهجاء أعدائه ووصفهم بالبخل ، ولكنه انحرف إلى وصف البرد وأثره في الكائنات فأحسن الوصف وأجاد التصوير . ولا سيما في وصف استدارة الإمام حول القدر ، فهو تصوير واقعي دقيق ، وتصويره الدخان بالودع الأبيض يتثنى ويتلوى تصوير جميل .



٥ — وقال النابغة الذبياني \* يصف الفرات :

فَمَا الْفِرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ      تَرَى أَوَاذِيهِ الْعَبْرِينَ بِالزَّبَدِ<sup>(١)</sup>  
يُمِدُّهُ كُفْلٌ وَادٍ مُتَرَعٍ لِحَبِّ      فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْحُضْدِ<sup>(٢)</sup>  
يُظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا      بِالخَيْرِزْرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ<sup>(٣)</sup>  
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ      وَلَا يَحُولُ عَطَاءَ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ<sup>(٤)</sup>



\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الأوابد ص ١٥٤

- التفسير اللغوي (١) الأوادي . الأمواج الفرد آذى . العبران : الشاطان .  
الزبد : رغاوى الماء .  
(٢) يمدّه : يزيد في مائه . المترع : الممتلئ . اللجب : دى الصوت : الركام : الحطام  
المتكاثف المتراكم . اليبوت : شجر الحشخاش واحده ينبوتة . الحضد : ما خضد وتكسر .  
(٣) يظل : يستمر طول يومه . الملاح : صاحب السفينة . معتصما : ممتعا . الخيزرانة .  
السكان ، وهو دفة السفينة ، ويروى الحيسفوجة ، وهو الشراع . الأين : التعب والإعياء .  
النجد : العرق والكرب .  
(٤) بأجود منه : بأكثر منه عطاء . السيب : العطاء . النافلة : الزيادة .  
لايحول : لا يمنع .

### تحليل الأبيات :

ليس نهر الفرات ، وقد هبت عليه الرياح العواصف ، فثارت أمواجه ، وتراعى آذيه على شاطئه بالزبد ، تمدد الوديان المترعة ، اللجة بالماء الغزير ، يقنأثر فيه الحطام ، ويتجمع من الينبوت والحضد الركام ، فيخشاه الملاح ، ويخافه النوتي ، فيتقيه بسكان سفينه ، ويعتصم منه بدفة مركبه بعد أن بلغ منه الأين والإعياء كل مبلغ ، ونال منه الكرب والشدة كل منال ، ليس الفرات وتلك حاله ، وهذا وصفه عند مايفيض فيروى ، ويطمو فيغنى ، بأجود منك يدا ، ولا بأكثر منك مدا ؛ إذ الفرات لايفيض في كل آن ، وفيضك لايمجد بزمان .

### النقد :

جاء وصف الفرات عرضا حين أراد النابغة أن يصف النعمان بالكرم والسخاء ، فصور فيضان الفرات حينما تهب عليه الريح ، وتتلاطم الأمواج ، ويصطخب الآذى ، وصوّر مده ، وما يحمله معه من حطام وركام ، كل ذلك في أسلوب قوى قوة الماء حين يشور ، والنهر عند مايفيض ، وقد اصطفى الألفاظ التي لاينوب عنها غيرها في معانيها . فالآذى ، والمبرين ، والزبد واللجب ، والركام والينبوت كلها ألفاظ تشرك بالروعة والقوة ، وبالغ كما كان ذلك شأنه ، فلم نشمر إلا أنه صادق فيما روى ، وهذا خير ما يرجى من شاعر .

## وصف الآثار الإنسانية

### ( ١ ) وصف السفينة

١ — قال طرفه\* في وصف السفينة من معلقته:

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غَدْوَةٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوْصِيفِ مِنْ دَدٍ<sup>(١)</sup>  
عَدُولِيَّةٍ أَوْ رِينَ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ      يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي<sup>(٢)</sup>  
: ٥٩١      يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا      كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمَفَايِلُ بِالْيَدِ<sup>(٣)</sup>

\* ترجمه الشاعر : اقرأ الترجمة في صفحة ٦١ .

التفسير اللغوي : (١) حدوج : جمع حدج وهو المركب من مراكب النساء . غدوة . صباحا . خلايا : جمع خلية ، وهي قرارة السفينة ، من خلية النحل ، وهي موضع غسلها ، أو هي السفينة العظيمة ، أو السفينة التي تسير بدون ملاح . النواصف . جمع ناصفة : وهي الرحبة الواسعة تكون في الوادي . دد : اسم موضع .

(٢) عدولية : وصف لموصوف محذوف هو سفينة ، وعدولية نسبة إلى عدولى إحدى جزائر البحر الفارسي ، وقيل إنها نسبة إلى قوم كانوا ينزلون بهجر . ابن يامن : ملاح من أهل هجر . يجور : يعيل . يهتدى : يمضى للقصد .

(٣) حباب الماء : طرائقه وأمواجه . الحيزوم : الصدر كالقيدوم . المفايل : الذي يلعب لعبة الفيال ، وهي تراب أو رمل يكومونه ، ثم يخبثون فيه خبيثاً ، ثم يشق المفايل تلك الكومة بيده ، فيقسمها قسمين ، ثم يقول : في أي الجانبين خبأت ، فإن أصاب ظفر ، وإن أخطأ قر .

## تحليل الأبيات :

كان مراكب تلك الخليفة الحسبية المنسوبة إلى بنى مالك - وهي تظمن صبحا في عظمتها  
وضخامتها تقطع ذلك الوادى الواسع من دد - سفان عظيمة ، كأنها سفينة عدولية أو من  
سفن ذلك الملاح الماهر ابن يامن ، فهى فى مسيرها تميل إلى الشاطئين حيناً ، وتهتدى  
فى مسيرها ، فتستقيم ولا تنحرف يمنة ولا يسرة حيناً .  
هذا الملاح الماهر يشق بصدرها طرائق الماء ، ويقطع أمواجه ، كما يقسم لاعب الفيال  
الرمل براحته .

## التقر :

تشبيه هواجس النساء بالسفن تشبيه دقيق ، فلهواجس كما للسفن قرارات و بطون يجلس  
فيها السفر ، والهواجس فى امتدادها تشبه السفن فى تقابعها ، والوادى الواسع تسير فيه مراكب  
النساء أشبه ما يكون بالبحر ، وانصرف عن حدود المالكية إلى وصف السفينة العدوية ،  
نقال : إن ملاحها يميل بها ويقصد على حسب الريح ، وهو حينما يقصد فى مشيه يشق  
حيزومها الماء يشبه المفايل عند ما يقسم الرمل ، وقد قال القدماء إن هذا التشبيه من أروع  
ما تخيله شاعر .





٢— وقال عنتره\* يصف الروضة من معلقته :

أورَوضةً أنفاً تَضْمَنَ نَبْتَهَا      غَيْثٌ قَلِيلٌ الدَّمَنُ لَيْسَ بِمُعْلَمٍ<sup>(١)</sup>  
جَادَتِ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرٍ حُرَّةٍ      فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدَّرَمِ<sup>(٢)</sup>  
سَحَاوَتَسْكَابًا فَكُلُّ عَشِيَةٍ      يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ<sup>(٣)</sup>  
وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِيَارِحٍ      غَرِدَا كَفَعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ<sup>(٤)</sup>  
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ      قَدَحَ الْمَكْبَ عَلَى الرَّنَادِ الْأَجْذَمِ<sup>(٥)</sup>      ٥٩٦



\* ترجمه الشاعر : اقرأ الترجمة في ص ١٢٢ .

التفسير اللغوي : (١) الروضة في الأصل : المكان المظمن يجتمع إليه الماء فيكثرنبته .  
الأنف : التام من كل شيء ، وقيل هو أول كل شيء ، وروضة أنف لم يرعها أحد . الدمن :  
جمع دمنة السرجين ، وقيل معناه قليل اللبث لم يدمن عليها . ليس بمعلم : ليس بمعروف .  
(٢) جادت : سحت . البكر : من السحاب الذي لم يعطر . الحرة : الخالصة ، وقيل الكثيرة  
للطر ، وفي رواية عين ثرة ، والثرة : الكثيرة الماء . القرارة : الموضع المظمن من الأرض  
يجتمع فيه السيل .

(٣) السح : الصب والانصباب ، والتسكاب : السكب . لم يتصرم : لم يتقطع .

(٤) غردا : مفردا . الشارب : السكران : المترنم : المتغنى .

(٥) هزجا : مصونا تصويتا مسرعا . المكب : القيل على الأمر . الأجذم : المقطوع اليد .

## تحليل الأبيات :

وصف عنقرة في بيت يسبق هذه الأبيات رائحة ثغر عبلة بأنه :

٥٩٧: وكان قارة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم  
أو أن رائحته كرائحة روضة تامة النبات ، موفورة الأزهار ، تسقى سقيا خفيفا ، فلا يضر  
الماء الدائم نباتها ، ولا ينال من جمالها ، ولا يقطف الزوار الكثيرون أزهارها ، فعبيرها  
محبوس عليها ، وزهرها يفوح في جنباتها .

جادت على هذا الموضع سحب بكر كثيرة الغيث ، سخية بالماء ، فتركت تلك السحب  
المطمئن من أرض ذلك المكان منعما بالماء ، فإذا به في استدارته ولمعانه كالدرهم ، وكأنى  
بالشاعر رجوع يصف الروضة قبل أن ينجم نباتها ، فوصف الموضع بأن الماء فاض عليه ؛  
حتى اشتملت أرضه نباتا .

ينصب المطر عليه انصبابا ، وينسكب الغيث في جميع نواحيه انسكابا ، ففي كل  
العشايا يقد عليه المزن ، فيجري بين جنباته ، ويفيض على حواشيه وطرقاته ، فهب لنبتة  
النمو والزكاة .

وحينا نظرت أزهاره ، وينعت أثماره خلا الذباب بتلك الروضة ، فهو يفرغ فيها  
تفريدا مستمرا ، مثله في تفريده وترنمه كمثل الشارب التمل قد أفاضت عليه النشوة السرور  
والمرح ، فأخذ في الغناء والتنغيم ، لا يقفه عن الغناء سبب ، ولا يمنعه من الترنم مانع .  
ذلك الذباب يغنى غناء متتابعا ، ويفرد تفريدا مستمرا ؛ فهو يحك ذراعا بذراع ؛  
ويقدح جناحا بجناح ؛ مثله في قدحه كمثل رجل ناقص اليد يقدح النار من الزندين .

## النقد :

هذه الأبيات في وصف الروضة وذبابها من أروع ما نظم شاعر جاهلي فوصفه قرارة  
الماء بالدرهم تصوير رائع جميل ؛ ووصفه الذباب في تفريده تصوير رائع جميل كذلك ؛  
ولقد حكم له زعماء الأدب القديم بأنه أجاد في تصويره كل الإجازة . ولولا الفصل بين  
الموصوف والصفة في البيت الأخير لكانت الأبيات آية الجمال

٣- وقال الأعشى \* يصف روضة من معلقته:

ماروضةٌ من رياض الحزن مُعشبةٌ      خضراء جادَ عليها مُسبلٌ هِطَلٌ<sup>(١)</sup>  
يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ      مُؤزَّرٌ بعميمِ النبتِ مُكْتَهَلٌ<sup>(٢)</sup>  
٦٠٠ : يوما بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ      ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأصلُ<sup>(٣)</sup>

تحليل الأبيات :

ضمن الأعشى غزله وصف الروضة فعبه عبرا كما فعل عنتره قبله ، فإنه ليصف محبوبته هريرة بطيب النشر ، فيقول :

٦٠١ : إذا تقوم يضوع المسك أصورة      والزنبق الورد من أردانها شمل  
إذ يرى أن الروضة دونها نشرًا ، وأقل منها عطرا ، فيقول :

ليست روضة مثناف من رياض الحزن والربا قد أعشبت فنضرت ، واخضرت فأزهرت ، بما جاد عليها المطر الهطل ، والغيث المنسكب ، فزهرها المبتسم ، ونورها الريان المتفتح يصاحك الشمس وتضاحكه ، يبدو لها في ثوب ضاف من النبت ، وإزار سابغ من الزرع . ليست روضة هذا شأنها بأطيب من محبوبته نشرًا ، ولا بأحسن منها ساعات الأصيل عطرا .

النقد :

الأعشى في وصفه الروضة أكثر دقة من عنتره ، ويظهر أن حياته أ كسبته معارف أوسع ، فعرف أن رياض الحزن أنضر من رياض الخفض ، وأن الزهر يفوح عبيره ويذكو أريجه في ساعات الأصيل عنه في غيرها من ساعات النهار لتباعد الشمس والنفي عنه ، كما أن تصويره الزهر يضاحك الشمس تصور يدل على حضارة ومدنية .

\* ترجمه الشاعر : اقرأ الترجمة في ص ٢٦٠ .

التفسير اللغوي . (١) الحزن : الأرض المرتفعة . وضدها الخفض . معشبة : منبته . مسبل : منسكب . هطل : كثير الانسكاب .

(٢) الكوكب : نور الروضة . الشرق : الريان : مؤزر : مؤزر بالنبات . مكتهل : متكامل .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . دنا : قرب . الأصل . جمع أصيل ، وهو من العصر إلى العشاء .

## ( ح ) وصف الخمر وسقاتها وندمانها

١ — قال الأعشى \* يصف المنادمة :

وأبيضَ مُختلطٍ بالكرِّ	م لا يتغطَّى لإِنفادِها <sup>(١)</sup>
أتانى يؤامرني في الشمو	ل لَيْلاً ، فقلت له : غادِها <sup>(٢)</sup>
فرُحنا نباكرُ جدَّ الصبو	ح قبلَ النفوسِ وحُسادِها <sup>(٣)</sup>
فقمنا ولما يصحُّ ديكنا	إلى جونةٍ عندَ حدَّادِها <sup>(٤)</sup>
تنخلها من بكارِ القطا	فأزيرقُ آمنُ أكسادِها <sup>(٥)</sup>
فقلنا له : هـذه هاتِها	بأدماءٍ في حبلٍ مُقتادِها <sup>(٦)</sup>
فقام ، فصبَّ لنا قهوةً	تسكننا بعدَ إرعادِها <sup>(٧)</sup>
كيتاً تكشفُ عن حمرةٍ	إذا صرَّحتْ بعدَ إزبادِها <sup>(٨)</sup>

:٦٠٩

\* ترجمته الشاعر : اقرأ ترجمته في ص ٢٦٠ .

- التفسير اللغوي : (١) مختلط بالكرام : مصادق لهم . لا يتغطى : لا يتساكر . لإنفادها : لإنهاؤها .  
 (٢) يؤامرني : يشاورني . الشمو : الخمر الباردة . غادها : باكرها .  
 (٣) الصبوح : الخمر تشرب صباحاً ، وضدها الفبوق .  
 (٤) لما : لم . ديكنا . أى ديك الفجر الذى يؤذن بالصبح . الجونة : الحايبة المطلية  
 توضع فيها الخمر . حدادها : سمي الخمار حدادا لمنعه الخمر وحفظه إياها وإمساكه لها حتى يبذل  
 له ثمنها الذى يرضيه ، وفى بعض الكتب جدادها بالجيم ، قال الأزهرى : هذا حاق التصحيف  
 الذى يستحي من مثله من ضعف معرفته ، فكيف بمن يدعى للمعرفة الثاقبة ، وصوابه بالخاء .  
 (٥) تنخلها : تخيرها . بكار القطاف : مباكرة القطف والجنى . أزيرق : تصغير أزرق  
 وهو صاحبها ، ويكنى به الرومى لأنه أزرق العينين ... أكسادها : بوارها .  
 (٦) بأدماء : بناقة يخالط يياضها حمرة . مقتادها : صاحب قيادها .  
 (٧) قهوة : حمرة . تسكننا : تهدئنا . إرعادها : يقصد إزبادها وفورانها .  
 (٨) كيتا : حمرة يغطي حمرتها سواد . صرحت : صفت . إزبادها : فورانها وانتشار  
 الحب فوقها .

فَجَالَ عَلَيْنَا بِإِيرِيقِهِ	مُخَضَّبٌ كَفٌّ بِفِرْصَادِهَا <sup>(٩)</sup>
فَرُحْنَا تَنَعَّمْنَا نَشْوَةً	تَخَوَّرُ بِنَا بَعْدَ قُصَادِهَا <sup>(١٠)</sup>
فَقَالَ: تَزِيدُونَنِي تَسْعَةً	وَلَيْسَتْ بِعَدَلٍ لِأَنْدَادِهَا <sup>(١١)</sup>
فَقُلْتُ لِمُنْصَفِنَا: أَعْطِهِ	فَلَمَّا رَأَى حِرْصَ شُهَادِهَا <sup>(١٢)</sup>
أَضَاءَ مِظْلَتَهُ بِالسَّرَا	جِ ، وَاللَّيْلِ غَامِرٌ جُدَادِهَا <sup>(١٣)</sup>
دَرَاهِمُنَا كُلِّهَا جَيِّدٌ	فَلَا تَحْبِسْنَا بِنَقَادِهَا <sup>(١٤)</sup>
فَبَاتَتْ رِكَابٌ بِأَكْوَارِهَا	لَدَيْنَا ، وَخَيْلٌ بِالْأَبَادِهَا <sup>(١٥)</sup>

:٦١٦

- 
- (٩) فجال : فطاف . مخضب كف : مصبوغ الكف بخضاب الحناء . بفرصادها : بصبغها الأحمر ، ويطلق على التوت الأحمر ، وهو شديد الأثير فيما يحسه .
- (١٠) تنعمنا : تبعث فينا الشعور بالنعماء . نشوة : أول السكر . تخور بنا : تذهب بقواتنا .
- (١١) تسعة : أي تسعة أباريق . بعدل : بمعادلة . لأندادها : لنظرائها .
- (١٢) لمنصفنا : لساقينا وخدامنا .
- (١٣) المظلة : الخيمة . غامر : مغط وشامل . الجداد : الأهداب .
- (١٤) تحبسنا : تؤخرنا في انتظار التنقاد : التنقاد النقد ، وتبين الجوهر السليم من البهرج الزيف .
- (١٥) ركاب : جمع رك الإبل . الأكوار : جمع كور القطيع منها أو أداتها . الألباد : جمع لبد وهو المجلس تحت السرج .

## تحليل الأبيات :

كان الأعشى زعيم المدمنين ، فلا غرو أن يكون للخمر زعيم الوصافين ، ولقد تأثره من جاء بعده من الشعراء في جميع العصور : العصر الجاهلي والأموي والعباسي ، وأبياته هذه قصة شرب كاملة ، فهذا صديقه المشرق الوجه ، النبيل الأصل ، المصادق للسكرام الذي لا يتساكر حتى إذا نفذت الخمرة ، قد أقبل يشاوره في الشراب ، ويؤامره على الراح ، أيعاقرها في المساء أم يعاقرها في الصباح ؟ فيشير عليه بأن يعاديه ، وحينئذ يذهبان لمباكرة الصبح قبل أن يصحو النيام ، ويستيقظ العذال والحساد . قبل أن يصبح الديك مؤذنا بانفلاق الفجر وتنفس الصبح ، يذهبان إلى خابية مترعة يحفظها من الشرب راع أمين ، وخار حريص ، فهو لا يقدمها إلا لمن يثق من وفائه ، ويطمئن إلى سرائه وثرائه ، ومن حقه أن يفعل هذا فقد تخير كرمها ، واصطفى قطعها رجل رومي خير بصناعته ، فهو آمن كسادها ، مطمئن إلى سرعة نفاذها .

قلنا له : هات كئوسك ، وأترع أباريقك ، ثمها تلك الناقة الأدماء يسوقها لك راعيها إذا لم ترض ثمها دراهم جيادا ، فقام إلى جونتته فصب لنا منها قهوة معتقة ، تهدي النفوس الثائرة ، وتسكن الأجسام المرعدة ، صب لنا خمرة كميता تبدو حمرتها عند ما تزول رغوتها ، ويتكشف صريحها عن زبدها ، وأخذ يجول علينا بإيريقه ، ويطوف بكئوسه فتى مخضب الكف ، مصبوغ الراحة ، كأنما قد خضبها بالفرصاد ، فصرنا ننعم بالنشوة ، ونهنا بأول السكره ، حتى خارت منا القوى ، وهمدت الأجسام بعد أن كثر في طلبها القاصدون ، ولكن ذلك الصديق لم تكن قواه قد خارت ، ولا جسمه قد همد ، فقال : تزيدونني تسعة أباريق وليست بمعادلة لمثيلاتها ، بل هي أعظم امتلاء ؛ وكأنه يخاطر ويراهن أنه أقدر الشرب على الشراب ، فراهناه على احتسائها ، وقلت لساقينا : أعطه إياها ، وحين رأى حرص الشاهدين على هزيمته أضاء خيمته ، وأشعل سراجيه ، فقد أقبل الليل شاملا الكون بظلامه ، مغطيا الدنيا بستاره ، قلنا للخمار هاك دراهمك ، وكلها جيد ، فلا تحبسنا حتى تنقدها فسا بها من زيف ، وما فيها من بهرج ، فباتت ركابنا من فوقها أكوارها ، وأمست خيولنا تعلوها ألبادها ، فقد شغلنا الشراب النهار ووهنا من الليل .

النقر :

هذه قصة شراب لا يستطيع ترتيب فصولها ، وتنسيق مناظرها إلا رجل عاقر الخمر ،  
وعشق الشراب ، فهو القدير على تأليف المناظر ، وتنظيم المشاهد ، فصديقه يؤامره  
في الشمول ، فيشير عليه بأن يشربها صبوحا ، ويرسم لك بعدئذ يوما كاملا للمدمنين ،  
فيحسن رسمه ، ويجيد الحوار ، ويصور لك أحاديث النشأوى ، حينما تتحكم فيهم الراح :

فقال تزيدوننى تسمية وليست بعدل لأبدادها  
فقلت لمنصفنا : أعطه فلما رأى حرص شهادها  
أضاء مظلتـه بالسرا ج ، والليل غامر جدادها

لقد ذهبت السكره ، وجاءت المفكرة ، فحسبه ما احتسى ، وكافيه ما استقى ؛ والأبيات مفعمة  
بالمعاني ، مترعة بالصور ، زاخرة بالجمال ، جمال الأسلوب ، وجمال النغم ، وجمال القافية ،  
فأى صورة يستطيع أن يصورها فنان قدير أصدق من تصوير الأعشى الخمر إذ يحتسيها  
المحتسى فتخور قواه بعد أن يعلوها الزبد ، وذلك في قوله :

فقام فصب لنا قهوة تسكننا بعد إرعادها  
كيتا تكشف عن خمرة إذا صرحت بعد إزبادها

وأى جمال في الطباق أوضح من « تسكننا بعد إرعادها » ؟  
وأليس يروق القارى ذلك الوزن الراقص الذى اختاره الشاعر لحريرته ؟ .  
ولا غرو فناظمها هو صناجة العرب ، وزعيم المدمنين .

٢ - وقال عمرو بن كلثوم \* في مطلع معلقته:

ألا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا      ولا تُبْقِي خَمْرَ الْأَنْدَرِينَا<sup>(١)</sup>  
مُشْعِشَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا      إذا ما الماءُ خالطها سَخِينَا<sup>(٢)</sup>  
تَجُورُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنِ هَوَاهُ      إذا ما ذاقها حَسْتِي يَلِينَا<sup>(٣)</sup>  
تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أَمْرَتْ      عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهِينَا<sup>(٤)</sup> : ٦٢٠

\* ر. ص. السَّاعِر: هو أبو عباد عمرو بن كلثوم بن عمرو بن مالك بن عتاب التغلبي، كان أبوه من سادات قومه، فتزوج ليلي بنت مهامل بن ربيعة، فولدت له عمرا، فهو شريف من ناحيته، فشب عمرو مزهوا بنفسه، مختالا بقومه؛ حتى قيل إنه سادهم وسنه خمس عشرة سنة، ولا يعرف الأدب له من الشعر غير هذه القصيدة إلا أبياتا قليلة ولكنه عد بها من فحول الشعراء توفي حوالي سنة ٥٧٠ م.

التفسير اللغوي: (١) هي: استيقظي. بصحنك: بقدحك الكبير. اصبحينا: اسقينا الصبوح، وهو شراب الصباح. الأندرين: قرية في جنوبي حلب على مسيرة يوم للراكب. (٢) مشعشة: ممزوجة، يقال شعشع الشراب إذا مزجه بالماء. الحص: نبت له زهر أحمر يميل إلى الصفرة يشبه الزعفران. سخينا: حال من الماء أي حارا، وهناك من يرى أن سخينا فعل وفاعل بمعنى جدنا، والأول أولى لوجهين الأول أن أندرين كانت للروم حينئذ ومن عادتهم أن يشربوا الخمر ممزوجة بالماء السخين، والآخر أنها فعلا وفاعلا تعيب الشعر بالسناد، وهو اختلاف الحركة قبل الروي.

(٣) تجور: تميل. بذى اللبانة: بصاحب الحاجة. عن هواه: عن حاجته ولبائته.

(٤) اللحز: الضيق الصدر السيء الخلق. الشحيح: البخيل. أمرت: أديرت.

مهينا: محقرا.



### تحليل الأبيات :

ألا استيقظي أيتها الساقية من غفوتك ، واحصي من سنتك ، فأديري علينا الراح ،  
وطوفي بالصبوح ، ولا تدخري من خر أندرين كأسا ، ولا تبقي من قهوتها صحنا ، أديريها  
علينا مشعشة ممزوجة ، فكأنها إذا ما مزجت بالماء السخين قد خلطت بالزعفران ،  
فهي حمراء صفراء ، هذه الخمر تنسى صاحب اللبانات لبانتته ، وتصرف ذا المهام عن مهامه ،  
فهو ينصرف عند ما يذوقها إليها ، ولا يفكر فيما سواها .

وهي القديرة على تغيير الشائل ، وتبديل الطبايع ، فتجعل الرجل الضيق الصدر ،  
السيء الخلق سمحا وديعا ، سهلا لنا ، وتصير من الرجل الكز الشحيح ، الضنين البخيل ،  
سخيا كريما ، لا يبقى على مال ، فإذا أديرت عليه كثوسها أسرف في إنفاق دراهمه  
ودنانيره ، ولم يقم لها وزنا ، ولا عرف لها صونا .

### النقر :

عمرو بن كلثوم هو الشاعر الأوحى الذي افتتح معلقته بوصف الخمر ، وخالف بذلك  
سنة الشعراء في عصره ، ولعله فيما صنع كان متأثرا بها ، مشغوبا بشرابها ، ومن الأدباء من  
يرى أن خلطا أصاب نظم القصيدة ، فقدم متأخرا ، وآخر متقدما ، ويزعم أن مفتتح  
القصيدة هو :

٦٢١ : قفي قبل التفرق ياظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

وأيا كان الأمر فقد وصف عمرو الخمر في إيجاز وصفا بارعا في بيته :

مشعشة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

ووصف أثرها في النفوس ، وفعلها في الندامى وصفا لانهاية الجماله ، ولا غاية لحسن تصويره :

تجور بندي اللبانة عن هواه إذا مذاقها حتى يلينا

تري اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا

وقد كشف لنا عن بعض عادات أهل الروم في معاقرتهم الخمر ، وأنهم لا يشربونها شمولاً ،  
بل يشربونها حارة كما ذكر ذلك أبو العلاء في رسالة الغفران .

٣ - وقال علقمة الفحل \* يصف مجلس شراب:

قد أشهدُ الشَّربَ فيهمِ مزهرٌ رنمٌ<sup>(١)</sup> والقومَ تصرعُهُمُ صهباءُ خرطوم<sup>(١)</sup>  
كأسٌ عزيزٌ من الأعنابِ عتقها<sup>(٢)</sup> لبعضِ أحيائها حانيةٌ حوم<sup>(٢)</sup>  
تشفى الصداعَ ولا يؤذيكِ صالِبها<sup>(٣)</sup> ولا يخالطُها في الرأسِ تدويم<sup>(٣)</sup>  
عانيةٌ قرقفٌ لم تطلعْ سنة<sup>(٤)</sup> يحنُّها مُدمجٌ بالطينِ مختوم<sup>(٤)</sup>  
ظلت ترققُ في الناجودِ يصفقها<sup>(٥)</sup> وليدٌ أعجمَ بالكِتانِ مفدوم<sup>(٥)</sup>  
كانَ إريقهم ظبيٌ على شرفِ<sup>(٦)</sup> مُقدمٌ بسبا الكِتانِ مرثوم<sup>(٦)</sup>  
أيضُ أبرزه للضحِ راقبه<sup>(٧)</sup> مُقلدٌ قصبَ الرِّيحانِ مفغوم<sup>(٧)</sup>

\* ترجمه الشاعر . انظر الترجمة في ص ٩٨ .

التفسير اللغوي : (١) الشرب : جماعة الشاربين . المزهر الرنم : العود المترنم الصهباء : حمر من عصير العنب الأبيض . الخرطوم : أول ما ينزل منها صافية .  
(٢) العزيز : الملك . عتقها : جعلها قديمة معتقة . حانية : قوم خمارون نسبوا إلى الحانة الواحد حانى . الحوم : الطائفون حولها من حام يحوم كدار يدور وزنا ومعنى .  
(٣) الصداع . وجع الرأس ، ومثله الصالب . التدويم : الدوران .  
(٤) العانية : المنسوبة إلى عانة ، وهي إحدى قرى الجزيرة . القرقف : الحجر ترعد الشارب . لم تطلع سنة : مكثت في خايتها سنة دون أن يكشف عنها . يحنُّها : يسترها . المدمج : الدن طين بالطين . مختوم . معلم عليه .  
(٥) ترقق : تضطرب وتهتز . الناجود : الباطية العظيمة . يصفقها : ينقلها من ناجود إلى ناجود . مفدوم : مغطى فمه عند السقي . وكان الأعاجم يغطون فم الساقى ، ومثلها مفدم .  
(٦) شرف : مرتفع من الأرض . مقدم : مغطى فم الإريق . بسبا الكِتان : بسبائب الكِتان ، حذف جزءا من الكلمة ، والسبائب الشقق . مرثوم : المكسور أنفه .  
(٧) أبرزه : أخرجه لتصيبه الريح . الضح : الشمس . راقبه : مراقبه وحافظه . مقلد : معلق . مفغوم : مسدود بالريحان .

## تحليل الأبيات :

يفخر علقمة بالخر ويزهو بشربها ، فيقول : إنه قد يشهد جماعة الندامى ومجلس  
الشراب والغناء ؛ إذ تصرع القوم الصهباء ، وتستولى على عقولهم الراح ، فتدار علينا  
كأس العزيز ، قد عصرت عقارها من الأعناب ، وعتقها خارون ماهرون ، فهم يطوفون  
حولها ، كأنها معبودهم ، ويدورون على بواطئها ، كأنهم يقدسونها ، هذه الخمر الممتعة  
تشفي الصداع ، وتزيل الدوار ، وإن يكن شأن الخمر غير ذلك ، فتأثيرها لنفاستها غير تأثير  
سواها ، وكيف لا يكون ذلك أثرها ؟ وهي المنسوبة إلى عانة ، وهي إن أرعدت الجسم  
فإنها تزن الرأس ، فقد بقيت في دنيا سنة كاملة ، لم يفضّ ختامها ، ولا رفع غطاؤها ،  
فهي مدحجة بالطين ، تضطرب في جوتها ، وتترقق في ناجودها ، ينقلها من باطية إلى  
أخرى فتى أعجمى ، ووليد روى برع في صناعة الخمر ؛ لأنه يسقى الملوك ، فهو يسقيهم مغطى  
الغم ، حتى لا يشاركهم في استنشاق عبيرها ، وهو أدب تأدب به في قصور الأمراء  
والملوك ، إبريق أولئك الشرب يشبه في بياضه وصفائه وطوله وامتداده ظيبا مستشرفا من  
أعلى ، مغطى بشقق من الكتان ، وقد كسر أنف ذلك الظبي .

أبرز الوليد الإبريق الأبيض ليرى أشعة الشمس ، وتصيبه ريح الشمال ، وهو يراقبه  
ويحافظ عليه ، فله عنده الإكبار والإعزاز ، فهو كالمغطى بأغصان الريحان ، وذلك لطيب  
ريحه ، وأرج عبيره ، يفعم الأنوف برأحتته العبقة .

## النقد :

وصف علقمة الشرب وقد صرعتهم الصهباء فأحسن وصفهم ، كما أنه صور تعتيق الخمر  
فأحسن التصوير ، ونفى عن الخمر أبرز ما تناب به وهو أنها تصدع الرأس ، وتذهب  
العقل ، ولكنه لم يوفق إلى دليل يقيمه على ذلك الأثر ، ثم إنه وصفها بأنها قرقف ، وهذه  
ترعد الجسم فوق أن اللفظ قبيح ثقيل ، ويظهر أن عانة كانت معروفة بالخمر في العصر  
الجاهلي إلى جانب بابل .

- ٤ — وقال الأسود بن يعفر النهشلي \* يصفها ويصف ساقها وندمانها :
- ولقد لموتُ وللشبابِ لذادةٌ      بسُلافةٍ مزجتُ بماءِ غوادي (١)
- من خمرٍ ذي نطفٍ أغنَّ منطقي      واتي بها لدرامِ الإسجادِ (٢)
- يسعى بها ذو تومتينِ مُشمرٌ      قنأتُ أنامله من الفِرصادِ (٣)
- والبيضُ تمشى كالبدورِ وكالدُمى      ونواعمٌ يمشين بالأرْفادِ (٤)
- والبيضُ يرمينَ القلوبَ كأنها      أدحى بين صريمةٍ وجمادِ (٥)
- ينطقنَ معروفًا ، وهنَّ نواعمٌ      بيضُ الوجوهِ رقيقةُ الأكبادِ (٦)
- ٦٣٤ :

\* ترجمته الشاعر : هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل ، أحد شعراء الجاهلية الفحول كان من ندماء النعمان بن المنذر ، قال عنه ابن سلام الجعفي : « كان يكثر التنقل في العرب يجاورهم فيدم ويحمد ، وله في ذلك أشعار ، وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر لو كان شفعها بثلمها قدمناه على أهل مرتته ، وهو يريد القصيدة التي منها هذه الأبيات . نوى حوالي سنة ٦٠٠ م .

- التفسير اللغوي : (١) اللذادة : اللذة . السلافة : خالص الشراب وأوله . الغوادي : جمع غادية السحب تنشأ غدوة .
- (٢) النطف : الأقراط مفردتها نطفة . الأغن : الذي يخرج صوته من خياشيمه . منطقي : لابس المنطقة . واتي بها : أقبل بها . درام الإسجاد : درام الأكاسرة كانت عليها صور يكفرون لها ويسجدون .
- (٣) التومتان : اللؤلؤتان . قنأت أنامله : اشتدت حمرة أنامله فضربت إلى السواد . الفِرصاد : صبغ أحمر أو هو التوت الأحمر .
- (٤) البيض وصف لموصوف محذوف يقصد الغانيات . الدحى : جمع دمية التماثيل المصنوعة من الرخام ونحوه . الأرْفاد : جمع رقد الأقداح العظيمة .
- (٥) الأدحى : المكان تبيض فيه النعام . الصريمة : القطعة من الرمل . الجماد : ما غلظ من الأرض وارتفع .
- (٦) معروفًا : قولاً لنا . رقيقة الأكباد : كناية عن حسن الخلق ولين الجانب .

## تحليل الأبيات :

يصف الشاعر نفسه بأنه من أهل اللهو والمجون ، فكم قد لها ومجن ، واللهو شهوة ،  
وللمجون لذة ، ومن أدوات لهوه سلافة ممزوجة بماء النوادي ، وشمول مشعشة بابن السحاب  
يديرها فتى اتخذ من الحسن كساء ، ومن الجمال لباسا ، فأذناه مشنفتان بالنطف ، وصوته  
محلّى بالفنة ، وخصره مزين بالمنطقة ، فهو يضم إلى جماله الطبيعي جميع أسباب الحسن  
والزينة ، أقبل هذا الفتى على جماعة أثرياء يدفعون ثمن الراح من دراهم الأ كاسرة التي  
نقشت عليها صور آلهتهم ، وزينت برسم معبوداتهم .

يطوف ذلك الساقى على الندامى وقد زين بألؤلؤتين ثمينتين ، مشمرا عن ساعدين  
كأنهما صيفا من العاج أو سويا من البلور ، وكأن أنامله وقد صبقتها الخمر مخضبة بالقرصاد .  
يدع الفتى دنه لتملأ منه الكؤوس قيان روائع يدرن كأنهن البدور جمالا ، والدمى  
قواما ، وفي أيديهن الأقداح المترعة ، والكؤوس المفعمة يدرنهما على الشرب ، فيرمينهم  
بمحاجرهن ، ويصبنهم بعيونهن ، فيشقن قلوبهم ، فكأنها وقد نقبتها هذه النظرات  
أداحى نعام بين صريم وجماد ، فهن ينطقن كلاما لينا ، ويسقن حديثا عذبا ، فى نعومة  
ورقة ، إلى أنهن « بيض الوجوه رقيقة الأكباد » .

## القر :

أجاد الشاعر وصف الساقى والساقيات ، وأحسن تصوير مجلس الشراب ، وصوره  
تصويرا كامل الأجزاء ، تام العناصر ؛ حتى إنه ليحجب إلى أولى الزهد والعبادة أن يشهدوا  
ذلك المجلس الذى يظهر فيه ذلك الساقى ذو التومتين و :

والبيض تمشى كالبدور وكالدمى ونواعم يمشين بالأرفاد

والبيض يرمين القلوب كأنها أدحى بين صريمة وجماد

وأسلوب الشاعر رقيق عذب ، وكأنه اقتبس رفته من راحه ، وأخذ عذوبته من رحيقه ،  
لا بل من بيضه ونواعمه .

٥ — وقال عدى بن زيد \* يصفها ويصف الساقية من قصيدة أولها :  
بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ يَقُولُونَ لِي أَمَا تَسْتَفِيقُ؟<sup>(١)</sup>  
وَدَعَوْا بِالصُّبُوحِ يَوْمًا ، فَجَاءَتْ قَيْنَةً فِي يَمِينِهَا إِثْرِيْقُ<sup>(٢)</sup>  
فَدَمَّتْهُ عَلَى عُقَارِ كَعْبِينَ الدَّيِّكِ صَنَى سُلَافَهَا الرَّاُوُوقُ<sup>(٣)</sup>  
مُرَّةٌ قَبْلَ مَزَجِهَا ، فَإِذَا مَا مَزَجَتْ لَدَّ طَعْمَهَا مَن يَذُوقُ<sup>(٤)</sup>  
وَطَفَا فَوْقَهَا قَقَائِعُ كَالِيَا قُوتِ حَمْرٍ ، يَزِينُهَا التَّصْفِيْقُ<sup>(٥)</sup>  
ثُمَّ كَانَ الْمِزَاجُ مَاءً سَحَابٍ لَا صَدَى آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقُ<sup>(٦)</sup> :٦٤٠

\* **نزهة الشاعر** : هو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب « وأيوب هذا أول من سمى بهذا الاسم من العرب » شاعر تيمى فصيح ، عاش أجداده بالحيرة وكان أبوه زيد أحدق العرب في الكتابة فتولاها لكسرى أنوشروان ، وتعلم عدى العربية والفارسية والكتابة بهما ، وبعد أن شب صار مقدما عند النعمان الثالث ، وندىما له ، ثم صار كاتباً في ديوان كسرى أنوشروان ، ورحل إلى الشام فأقام بدمشق زمناً ، ثم عاد إلى كسرى ، وخرج من عند كسرى إلى الحيرة ، فزوج هند بنت النعمان بن المنذر ، فبقيت زوجة له حتى قتله النعمان ، فترهبت في دير عرف باسمها حتى ماتت ، وكان قتل النعمان لعدى حوالي سنة ٥٨٧ م .

- التفسير اللغوي : (١) بكر : قاموا بكرة . العاذلون : اللأمون . تستفيق : تفيق من غيك .  
(٢) الصبوح : الحمر تشرب في الصباح . القينة : الجارية المغنية .  
(٣) قدمته : صفته بالقدم ؛ وهو مصفاة أو نحوها توضع فوق الإناء ليصفي ما فيه . العقار الحمر . السلاف : خالص الشراب وأوله . الراووق : المصفاة .  
(٤) مزجها : خلطها بالماء . لدد طعمها : التذ بطعمها .  
(٥) طفا فوقها : علا فوقها . التصفيق : نقل الشراب من إناء لآخر ليصفو .  
(٦) صدى : متغير . آجن : راكد فاسد . مطروق : مباح للناس .

## تحليل الأبيات :

بدأ عدى قصيدته بالغزل ، فذكر أن عاذليه بكروا يعذلونه على وجدته ، ويلومونه على جواه ، ويدعونه إلى أن يستفيق من هواه ، وليس هؤلاء العاذلون من الحساد المبغضين ، ولكنهم من الندامى المحبين ، فما إن انتهوا من عذلم إياه في ابنة عبد الله حتى دعوا بالخر ليصطبحوها ، فأقبلت ساقية فاتنة ، وقينة ساحرة في يمينها الإبريق مترعا بالمدام ، ممتلئابنت الحان ، فوقه قدامه على عقارٍ مصفى ، كمين الديك صفاء ولمعانا ، هي قبل أن نمزجها بابن السحاب مرة ، فلما مزجناها به راقنا ذوقها ، ولذنا طعمها ، راقنا جميعا ، ولذنا طرا ، لا فرق بين حديث الشراب ومدمنه ، وإذا هي بعد أن مزجناها تظفو فوقها الفقاعات كاللآلى ، ويعلوها الحبيب كالدرر ، هذه الفقاعات لها حمرة كحمرة الياقوت يزيد حسننها ، ويضاعف جمالها تنقلها بين الأكواب ، وتداولها في الأباريق والكووس .

ثم كان مزاجها ماء صافيا مسكوبا من المزن ، ومصبوبا من السحاب ، لا راكدا ولا فاسدا ، فهو غير متغير اللون أو الرائحة أو الطعم ، وليس كذلك مطروقا لكل وارد ، ولا مباحا لكل قاصد ، فيعكره كثرة الواردين ، ويغيره تعدد القاصدين .

## النقر :

عدى بن زيد أرق شعراء العصر الجاهلي ؛ لأنه عاش عيشة حضرية ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « من بداجفا » .

وعدى في هذه القصيدة أرق من الشعراء العباسيين ، تبدو رفته في أسلوبه ، وفي ألفاظه ، وتبدو الرقة في كثرة تداول الحرف الذي اختاره قافية لقصيدته وهو القاف ، فانظر إلى هذا البيت :

قدمته على عقار كمين الديك صنى سلافها الراووق

وقد أخذ بعض معانيه كثير من شعراء الخمر كالأخطل وأبي نواس وشوقي ، وأخذهم إياها دليل إعجابهم بها .

## نظرة في وصف الخمر ومجالسها

كانت الخمر في العصر الجاهلي من مظاهر السراء والثراء ومن دلائل المروءة والنبالة ، ومن أسباب العزة والفتوة ، فأقبل عليها كل من يريد أن يتسامع الناس عنه أنه سري ثري ، كريم نبيل ، ولم ينحرف عن معاقبتها إلا قلة ضئيلة رأت فيها غير ما يراه الآخرون ، ولعل أولئك الذين انحرفوا عنها قد شاركوا الآخرين في وصفها ، وأسهموا معهم في نعتها .  
وها قد عرضنا خمسة نماذج لوصفها ، وهي وإن تكن قليلة إلا أنها تشعرنا باحتفالهم لها ، واحتفالهم بها ، وجميعهم من ذوى المراكز الخطيرة في الجزيرة العربية سواء كان خطرهم ذلك مؤثلا أو مستحدثا ، وقد تفرعت بينهم أساليب الوصف ، فهذا الأعشى يصور لنا مجلسا تبارى فيه الشرب ، في حوار ممتع ، ونجوى رائحة . وفي تصوير بارع ، وتلوين دقيق ، من مثل قوله :

فقام فصب لنا قهوة تسكننا بعد إرعادها  
كيتا تكشف عن حمرة إذا صرحت بعد إزبادها

وهذا عمرو بن كلثوم يتحدث عنها حديث الأشراف النبلاء ، فلا يصف أثرها في الجسم ، أو فعلها في الرأس ، وإنما يصف أثرها في الأخلاق ، وفعلها في الخلال ، فهي :

تجور بذى اللبانة عن هواء إذا مذاقها حتى يلينا  
تري اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا

أما علقمة الفحل فيصف مجلس الشراب تدار فيه الراح على نغمات المزهرة الرنم ، « والقوم تصرعهم صهباء خرطوم » وينسب الكأس إلى أنها « كأس عزيز من الأعناب عتقها » ويصف الإبريق ويصوره تصويرا غير واضح فهو كالظبي المستشرف ، وقد وضحنا وجه الشبه في التحليل على النحو الذي ارتضيناه ، وعلى أى فالخمر معتقة قد :

ظلت ترقق في الناجود يصفقها وليد أعجم بالكتان مفدوم  
كان إبريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان مرثوم



وإذا كان للناقد ما يأخذه على علقمة فهو صلابة لفظه ، وجزالة كلمه التي لا تلتئم الخمر  
الرقيقة السلسة ، ونعتها بما لم يعهد فيها ؛ إذ لم يعرف إلا المدمنون - إن كانوا - أن الخمر  
تشفي الصداع ، « ولا يخالطها في الرأس تدويم » .

أما الأسود بن يعفر فقد انصرف عن الحديث في الخمر إلى الحديث عن سقاتها ، فأبدع  
في وصفهم ، وأجاد في تصويرهم ، فيقول :

والبيض تمشى كالبدور وكالدحى      وبواعم يمشين بالأرصاد  
والبيض يرمين القلوب كأنها      أدحى بين صريمة وجماد  
ينطقن معروفا وهن نواعم      بيض الوجوه رقيقة الأكباد

أى تصوير للجمال أوضح من ذلك التصوير ؟

أما عدى بن زيد فقد وصف الخمر بالصفاء ، فالساقية قد صفت الخمر بالقدم فقال :

قدمته على عقار كعين الديك صفي سلافها الراووق

ولعل قائلنا أن يقول : ما العقار وما السلاف ؟ فنقول : إن العقار غير السلاف في المعنى  
الدقيق ، فقد سميت الخمر عقارا لأنها عاقرت الدن ، أما السلاف فالخمر لأول عهدا ، وهنا  
تبدو دقة عدى في استعمال الألفاظ . وكأني بشوقي بك قد نظر إلى قول عدى :

وطفا فوقها فقاقيع كاليا      قوت حمر يزينا التصفيق

فتدارك مافيه من نقص ؛ إذ قال :

حرف كأسها الحبيب      فهى فضة ذهب

فالقاقيع لا تكون كالياقوت ، وأحسب أن قوله « حمر » هذه حشو فالياقوت لا يكون  
إلا أحمر ، فأما صدى في قوله : « لا صدى آجن ولا مطروق » : فلم نثر لها على معنى  
صريح يلائم البيت ، فعانى الصدى الصريح لا يؤدي المعنى المراد ، ففسرناها بتابعه ،  
وعلى كل فعدى من زعماء وصف الخمر ، وأسلوبه آية الرقة والسلاسة ، ولعل حياته  
في فارس والحيرة والشام منحتة من المعاني ما لم يمنحه شاعر سواه .

## ( د ) وصف الأسلحة

١ - قال أوس بن حجر\* من قصيدة أولها :

صَحَا قَلْبُهُ عَن سَكْرَةٍ وَتَأَمَّلًا      وَكَانَ بِذِكْرِي أُمُّ عَمْرٍو مَوْكَلًا<sup>(١)</sup>

وَإِنِّي أَمْرُؤٌ أَعَدَدْتُ لِلْحَرْبِ بَعْدَمَا      رَأَيْتُ لَهَا نَاتِبًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلًا<sup>(٢)</sup>

أَصَمُّ رُدَيْنِيًّا كَانَ كَمُوبَةٍ      نَوَى الْقَسْبِ عَرَّاصًا مَزْجًا مُنْصَلًا<sup>(٣)</sup>

عَلَيْهِ كَصَبَاحِ الْعَزِيزِ يَشْبُهُ      لِفِضْحٍ وَيَحْشُوهُ الذُّبَالُ الْمُفْتَلًا<sup>(٤)</sup>

وَأَمْلَسَ حَوْلِيًّا كَنَهْيِي ، قَرَارُهُ      أَحْسَّ بَقَاعِ نَفْحِ رِيحٍ فَأَجْفَلًا<sup>(٥)</sup>

كَأَنَّ قُرُونِ الشَّمْسِ عِنْدَ ارْتِفَاعِهَا      وَقَدْ صَادَفَتْ طَلْعًا مِنَ النُّجْمِ أَعْزَلًا<sup>(٦)</sup> : ٦٤٦

\* ترجمته الشاعر : هو أوس بن حجر بن أسيد بن عمرو بن تميم ، كان شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير ، واستقرت له شاعرية تميم ، ومن النقاد من يقدم عليه عدى بن زيد ولسنا على رأيهم . توفي سنة ٦١٠ م .

التفسير اللغوي : (١) تأمل : تدبر . بذكري : بتذكر . أم عمرو : خليلته . موكلا :

مشغولا . (٢) أعددت : جهزت . أعصل : ملتويا معوجا .

(٣) أصم : صلباً متيناً . ردينياً : منسوباً إلى ردينة المعروفة بتثقيف الرماح مع زوجها

سمهر . القسب : التمر اليابس . عراصاً : كثير اللعان . مزجاً : موضوعاً له الزج . منصلاً : مركباً له النصل . والزج : الحديدية في أسفل الرمح ، والنصل الحديدية في أعلاه .

(٤) العزيز : الملك . يشبه : يشعله . لفصح : بكسر الفاء من أعياد النصارى ، وبالفتح

الصباح ، والأول هو المراد . الذبال : فتيل السراج . المقتل : المقتول فتلاً محكماً .

(٥) أملس حولياً : درعاً ملساً قد مضى على نسجها حول ، والدرع تؤنث وتذكر

النهي : الغدير . القرار : القعر . بقاع : بأرض سهلة مطمئنة . فأجفل : نخاف وفزع .

(٦) قرون الشمس : أشعتها ، وقرون الشمس أول ما يبدو منها عند شروقها . الطلع

المكان المشرف . النجم : النبات الصغير . أعزل : منفرداً .

ترددَ فِيهِ ضَوْءُهَا وَشُعَائُهَا      فَأَحْصِنَ وَأَزِينِ لِأَمْرِي إِنْ تَسْرَبَلَا (٧)  
وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا كَأَنَّ غِرَارَهُ      تَلَالُؤُ بَرْقٍ فِي حَاجِي تَكَلَّلَا (٨)  
إِذَا سُلِّ مِنْ غَمْدِهِ تَأْكُلُ أَثْرُهُ      عَلَى مِثْلِ مِصْحَاةِ اللَّجِينِ تَأْكُلَا (٩)  
كَأَنَّ مَدَبَ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا      وَمَدْرَجَ ذَرِّ خَافٍ بَرْدًا فَأَسْهَلَا (١٠)  
عَلَى صَفْحَتَيْهِ مِنْ مَتُونٍ جَلَّائِهِ      كَفَى بِالذِّي أُبْلِي وَأَنْعَتُ مُنْضَلَا (١١)  
وَمَبْضُوعَةٍ مِنْ رَأْسِ فَرْعِ شِظِيَّةٍ      بِطُودٍ تَرَاهُ بِالسَّحَابِ مُجَلَّلَا (١٢)  
عَلَى ظَهْرِ صَفْوَانٍ كَأَنَّ مَتُونَهُ      عَلَانٌ بِدُهْنٍ يُزَلِقُ الْمَتَنَزَّلَا (١٣)  
يُطِيفَ بِهَا رَاعٍ يَجْشَمُ نَفْسَهُ      لِيَكْلَأَ فِيهَا طَرْفَهُ مُتَأَمَّلَا (١٤)

- (٧) فأحصن : أفعال تعجب من حصن ، أى فما أحصنه . سربل : لبس السربال .  
(٨) غراره : حده . حاجي : سحاب . تكلل : لبس الإكليل ، وهو شبهه عصاة  
زين بالجواهر .  
(٩) تأكل : توهج واشتد لمعانه . أثره : فرنده وجوهره . المصحاة : إناء للشرب ، وفي  
رواية مسحاة ، وهى أداة تشبه المرء ، ولعلها أنسب . اللجين : الفضة .  
(١٠) مدب : مصدر ميبى ، ديبب . يتبع الربا : يقصد المرتفعات . مدرج : درج .  
الدر : صفار النمل أو هو الهباء المنتشر فى الهواء . فأسهل : فنزل من الجبل إلى السهل .  
(١١) على صفحتيه : على جانبيه . متون : جمع متن ظهور . أنعت : حسن . المنصل :  
السيف .  
(١٢) المبضوعة : المقطوعة ويعنى بها القوس . الشظية الفلقة من الفصن أو نحوه .  
الطود : الجبل . مجللا : ملتفا بالسحاب .  
(١٣) الصفوان : الصخر الصلد . علان : سقين مرة بدمرة ، والعلل السقى للمرة الثانية ،  
وضده التهل . التنزل : النازل ببطء وحذر .  
(١٤) يطيف بها : يدور حولها . يجشم : يكلف . ليكلأ : ليردد . طرفه : عينه  
متأملا : متدبرا متمعنا .

فَلَا قَىٰ امْرَأً مِّنْ مَّيْدَعَانَ وَأَسْمَحَتْ قَرَوْتُهُ بِالْيَأْسِ مِنْهَا وَعَجَّلاً (١٥)  
 قَالَهُ : هَلْ تَذَكَّرْنَ مَحَبَّرًا يَدُلُّ عَلَى غُفْمٍ وَيَقْصُرُ مُعْجَلًا؟ (١٦)  
 عَلَى خَيْرٍ مَا أَبْصَرْتَهَا مِنْ بِيضَاعَةٍ لِمَلْتَمَسِ بَيْعًا لَهَا أَوْ تَبَكَّلًا (١٧)  
 فَوْقَ جُبَيْلٍ شَامَخِ الرَّأْسِ لَمْ تَكُنْ لَتَبْلُغَهُ حَتَّى تَكُلَّ وَتَعْمَلًا (١٨)  
 فَأَبْصَرَ أَلْهَابًا مِنَ الطَّوْدِ دُونَهُ يَرَى بَيْنَ رَأْسَيْ كُلِّ نَيْقِينَ مِهْبَلًا (١٩)  
 فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهُوَ مُعْصِمٌ وَأَلْسَقَى بِأَسْبَابِ لَهُ وَتَوَكَّلًا (٢٠)  
 وَقَدْ أَكَلَتْ أَظْفَارَهُ الصَّخْرُ، كَلَّمَا تَعْيًا عَلَيْهِ طَوْلُ مَرَقَى تَسَهَّلًا (٢١)  
 فَمَا زَالَ حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ مُشْفِقٌ عَلَى مَوْطِنٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ تَفْصَلًا (٢٢)  
 ٦٦٣ : فَأَقْبَلَ لَا يَرْجُو الَّذِي صَغُرَتْ بِهِ وَلَا نَفْسَهُ إِلَّا رَجَاءَ مُؤَمَّلًا (٢٣)

(١٥) ميدعان : عين . أسمعحت : سمحت . قروته : نفسه ، اليأس : انقطاع الأمل .

(١٦) غفم : ربح . يقصر : يقصر ويعيا .

(١٧) لملتمس : لطالب . تبكلا : عنيمة .

(١٨) جبيل : تصغير جبل ، والتصغير للتعظيم . تكل : تعب وتعيا . تعمل :

تجهد ومتصب .

(١٩) الألهاب : جمع لهب وهو الصدع في جانب الجبل . نيقين : ثنية نيق ، وهو

الكان المرتفع . مهبل : الهوة الناهية في الأرض .

(٢٠) فأشراط : فأعد وألزم نفسه . معصم : ممسك . أسباب : وسائل . توكل :

اعتمد على الله .

(٢١) تعيا : أعجزه . مرقى : رقى . تسهل : طلب السهل ، وفي رواية توصل .

(٢٢) مشفق : خائف . زل عنه : سقط عنه : تفصل : تقطع وتفرق جسمه .

(٢٣) لا يرجو : لا ينتظر نفسه التي صعدت به . رجاء مؤملا : رجاء متمنى منتظرا .

فَلَمَّا قَضَىٰ مِمَّا يُرِيدُ قَضَاءَهُ      وَحَلَّ بِهَا حِرْصًا عَلَيْهَا فَأَطْوَلَا<sup>(٢٤)</sup>  
 أَمْرًا عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا      رَقِيقٌ بِأَخْذِ الْمَدَاوِسِ صَنِيقًا<sup>(٢٥)</sup>  
 عَلَىٰ لِحْذِيهِ مِنْ بُرَايَةٍ عَوْدِهَا      شَبِيهُ سَفَا الْبُهْمِيِّ إِذَا مَا تَفْتَلَا<sup>(٢٦)</sup>  
 فَجَرَدَهَا صَفْرَاءَ ، لَا الطَّوْلُ عَابَهَا      وَلَا قِصْرٌ أَزْرَىٰ بِهَا فَتُعْطَلَا<sup>(٢٧)</sup>  
 إِذَا مَا تَعَاطَوْهَا سَمِعَتْ لِصَوْتِهَا      إِذَا أَنْبَضُوا عَنْهَا نَثِيًا وَأَزْمَلَا<sup>(٢٨)</sup>  
 وَإِنْ شَدَّ فِيهَا النَّرْعَ أَدْبَرَ سَهْمُهَا      إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ مِنْ عَجْسِهَا ثُمَّ أَقْبَلَا<sup>(٢٩)</sup>  
 وَحَشَوِ جَفِيرٍ مِنْ فُرُوعِ غَرَائِبِ      تَنْطَعَ فِيهَا صَانِعٌ وَتَنْبَلَا<sup>(٣٠)</sup>  
 ٦٧١ : تُخَيَّرْنَ أَنْضَاءَ ، وَرُكْبَنَ أَنْضَلَا      كَجَمْرِ النَّضَائِي يَوْمَ رِيحِ تَزْيَلَا<sup>(٣١)</sup>

(٢٤) حل بها : نزل بها . فأطول : فأطال المقام والحلول .

(٢٥) ذات حد : كناية عن السكين . غرابها : حدها . المداوس : جمع مدوس ككبر

آلة الصيقل يثقف بها القسي .

(٢٦) براية . بقايا البرى . السفا : من السنبل حسكه . البهمي : نبات يشبه الشمير .

تفتل : التف بعضه على بعض .

(٢٧) فجردها : نخلصها من قشرها . أزرى بها : عابها . فتعطل : فلا تعمل .

(٢٨) تعاطوها : تناولوها . أنبضوا عنها : حركوا وترها . نثيا : صوتا ؛ والنثيم صوت

القوس والأسد والظبي . أزملا : ريفنا .

(٢٩) أدبر : تحول . عجسها : مقبضها ومثله معجسها .

(٣٠) الجفير : الكنانة توضع فيها السهام . تنطع . تأنق ، ومثلها تنبل .

(٣١) أنضاء : جمع نضو هزالا ، ويقصد به السهم قبل أن يراش . الأنصل : جمع نصل ،

وهو الحد . النضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب ، وجره يبقى زمنا طويلا

لا ينطفيء ، تزيل : تفرق وتوزع .

فَلَمَّا قَضَىٰ فِي الصَّنْعِ فِيهِنَّ فَهْمَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُرَاشَ وَتُصَقَّلَا (٣٢)

كَسَاهُنَّ مِنْ رِيَشٍ يَمَانٍ ظَوَاهِرًا

سُخَامًا ، لُوْأَمًا ، لَسِيْنِ الْمَسِّ ، أُطْحَلَا (٣٣)

٦٧٤ : فَذَاكَ عَتَادِي فِي الْحُرُوبِ إِذَا التَّظَلَّتْ

وَأَرْدَفَ بَأْسٌ مِنْ خَطُوبٍ وَأَعْجَلَا (٣٤)



---

(٣٢) فهمه : حذقه ، وفي رواية همه . تراش : يركب فيها الريش . تصقل :

تحدد .

(٣٣) يمان : منسوب إلى اليمن . سخاما : ريشا ظاهرا . لواما : ريشا يلائم بعضه بعضا

أطحل : أغبر يميل إلى السواد .

(٣٤) التظلت : اغتمت وتلظت . أردف : تبع . بأس : شدة .

## تحليل الأبيات :

صحا القلب عن سكرته ، وأفاق الفؤاد من غوايته ، وكان من قبل مشفوقا بمحبوبته ،  
صحا ومن حقه أن يصحو ، فالعزة تنسى الإنسان ملاذها ، والمجد يصرف المرء عن هواه ،  
وهذه الحرب التي هي من أقوى أسباب العزة والمجد قد تكشفت ، فلنأخذ لها أهبتها ،  
ولنعد ليومها عتاها .

قد أعددت لها ربحاً صلباً ثقفته رديئة فأحسنت ثقافه ، فكعبه كنبوى التمر اليابس  
نعومة وملاسة ، ثم أزجته وأنصلته ، فبدا كأن عليه مصباح ملك يشعله في يوم عيد ،  
فيحشوه الذبال المقتل ، والفتيل المحكم ؛ ليكون ضوءه أسطع ، ونوره ألمع .

وأعددت لها درعا ملساء نسجها ناسجها في عام كامل ، فهي في تماوج نسيجها ، وبريق  
قتيرها كالغدير تلعب بمائه الريح الهادئة ، ويداعبه النسيم العليل ، فيلمع موجه ، ويظهر  
فوقه دوائر بيض ، أو كأن لمعانها أشعة الشمس صادفت مستشرقا من نبت ناجم ، فضوءها  
يتردد عليه ، ونورها ينبسط فوقه ، فكأنه الثوب يتردى به ذلك النجم الأعزل ، فما أعظم  
حصانته ، وما أجمل زينته !

وأعددت لها سيفاً مهندا ، وأبيض مرهفا كأن حده برق يتلألأ وسط سحب  
مستدير ؛ إذا سل من غمده توهج فرنده ، وتأكل رونقه ، مصار في توجهه ولمعانه كسحابة  
من اللجين ، وكان رونقه في التماع صفحتيه ديبب نعال تصعد في الربا يقابله درج هباء  
يسقطه إلى الأرض خشية البرد ، وكفى هذا الذى أبلى غمده ، وأحسن نغته منصلا !

وأعددت لها قوسا قد بضمت من فرع شجرة نبتت في جبل جلال بالسحاب ، فوق  
ظهر صخر أصم ، كأنه قد نهل وعلّ من دهن يزل منه الخذر ، ويزلق من مسيره على  
صخره البطيء ، فاكتسب من ذلك الصخر صلابته وملاسته ، يدور حول هذه الشجرة  
راع يكلف نفسه مالا يطيق ، ويحشمها مالا تستطيع ؛ ليمتع بمرآها طرفه ويردد فيها  
بصره ، وإذ هو يتأملها ، ويتمن فيها لاقى امرأ من « ميدعان » وقد يئست نفسه من

الوصول إليها ، وعجلت عن بلوغها ، فقال له ذلك « المبدعاني » أتعرف من يخبر بالخير ويقصر سنه ؛ ويأسر بالبر ولا يفعله ؟ إنه أنا ذلك الخبير الآسر ، إنها خير ما يبصر به المرء الذى لتمس بيما أو يرجو ربحا ، إنها فوق جبل شامخ القمة ، مستطيل القنة ، ولن تبلغه حتى تتعب وتنصب ، وتعمل فتجهد ، فرأى شقاً يستطيع أن ينفذ منه ، ومخرما قد يقدر أن يصعد فيه ، ولكنه يرى بين مرتفعين هوة قد يسقط منها فتودى به ، فألزم نفسه أن يبلغ قمته ممسكا بأسباب الحياة ، معتصما بالتوكل على الله ، لقد ناله فى مرقاه الضر ، فأكل أظفاره التى يتسلق بها الصخر ، فكلم أعياء المرقى ابتغى مرتقى أسير ، فما زال يعالج أمره : حتى بلغه وهو خائف وجل من موطن لو زلت فيه قدمه لتفرقت أوصاله ، فلما قطع مبضوعته ، وقضى لبانته ، وحل بالقمة أطال المقام حرصا على نيل بغيته .

وبعدئذ أسرى على الفرع شفرته ، وأرسل فوقه غراب سكينه ، يصقل به ما قد شقى فى الوصول إليه ، وإنك لتجد فوق فخذه براية غصنها ، ونفاية عودها تشبه شفا البهي إذا التف بعضه على بعض .

فجردها قوسا صفراء لا يعيها طول ، ولا يزرى بها قصر ، فهى معدة لحينها ، مؤدية أعظم ما يرجى منها ؛ إذا ما تناولها قواسوها ، وأنبضوا وترها سمعت لها صوتا حنوناً ، ونثيا ورنينا ، وهى لينة صلبة متى شد النازع فيها السهم عاد إلى مقبضها ، ثم ما يلبث أن يتركه فيذهب بعيداً لقوة دعمها ، وصلابة عودها .

وأعددت كنفانة محشوة بالسهم المصقولة من فروع أشجار غرائب فى صلابتها ، قد تأنق فيها صانعها ، وتمهل فى صقلها صاقلها ، فاختيرت ، ثم ركبت فيها النصال حمراً محددة كأنها جمر الغضا فى يوم ريح ، فتنفرق فى اليمين والشمال ، ثم تطاير فى كل مكان .

فلما أتم صنعها ، وأولاهما جميع فهمه وحذقه كساهن ريشا يمانيا سخاما ولؤلؤاما ، لينا مغبرا . ذلك عتادى عند تأجج الحرب ، وترادف البأس ، واشتداد الخطب .



النقد :

بلغ أوس بن حجر في قصيدته تلك من وصف العتاد عند العرب ما لم يبلغه شاعر ، وجاء في تصويرها وتحديد آثارها بما لم يجي به كى محارب ، فهو قد استقصى هذه الأسلحة لم يفاد منها سلاحا ، فهي : أصم رديني ، وأملس حولي ، وأبيض هندي ، ومبضوعة من رأس فرع ، وحشو جفير من فروع غرائب .

وقد منح كل سلاح من هذه الأسلحة عنايته ، فوصفه أدق وصف ، وصوره أروع تصوير ، وشبهها بما يلائمها أجل تشبيه ، فكان فارس الحلبة في هذا الميدان ، وأنا معيد جميع أبياته لو أردت أن أعرض جميل صورته ، وبديع رسمه ، فأى صورة أروع من تصوير درعه وقد لمع قتيورها ، وتلألأت في أشعة الشمس مساميرها ، فبدت مهتزة مضطربة كأنها غدیر تهز ماءه نسائم رفاق ، أو كأنها قرون الشمس ساطعة مرتفعة فصادفها نبت ناجم ، فضوءها يسطع فيه ، وأشعتها تتردد فوقه ، ما أجل هذا المنظر ! وما أزينه ! وما أقدر من رسمه وما أحسنه ! هل أقول لقد أوفيته حقه إذ عرضت صورته ؟ لا ، واسكني أكاد أوفيه ذلك إذا عرضت الأبيات التي تشتمل على الصورة لترى فيها الأجزاء واضحة القسمات ، بادية المحاسن ، مقسمة الظلال ، متلائمة الأجواء ، وما هي ذى :

وأملس حوليا كنهى ، قراره	أحس بقاع نفح ريح فأجفلا
كأن قرون الشمس عند ارتفاعها	وقد صادفت طلعا من النجم أعزلا
تردد فيه ضوءها وشعاعها	فأحصن وأزين لامرى إن تسربلا

ومع أنه وهب لكل سلاح عنايته إلا أنه آثر القوس إيثارا عظيما ، ولعله كان ذا تأثير في حياته أكثر من سائر عتاده ، فقد وصفها في ثمانية عشر بيتا ، ذكر فيها منبتها الذي نبت فيه ، وبضعت منه ، وباضعها الذي عرف أصلها ، فأطاف بها ، وصاحبه الذي شجعه على قطعها . . . وهكذا ما يزال يرسم خطواته ؛ حتى يصل إلى صوتها عند نزوعها فيقول :

إذا ما تعاطوها سمعت لصوتها إذا أنبضوا عنها نثيا وأزملا  
وإن شد فيها النزاع أدبر سهمها إلى منتهى من عجزها ثم أقبلها

ولست مبالغا إن قلت إن الشعراء الكفاة أخذوا جلّ معانيهم من ذلك الشاعر الذي لم يكن فارسا من الطراز الأول ، فقد كان يقع في الأسر كثيراً ، ويفر من ذلك الأسر ، وكأني به كان يحمس الفرسان والأبطال بوصف العتاد ، وتلك الطريقة إحدى طرق النصر ، فلو لم يكن له من أسبابه إلا وصف عتاده لكان قد أدى واجب قبيلته عليه ، فكيف وقد كان مشاركا فيه ؟

أوس بهذه الأبيات أقدر من وصف القوس ، ومنه اقتبس من وصفها بعده ، وعلى رأسهم الشماخ بن ضرار .



٢ - وقال الشماخ بن ضرار \* يصف قوساً :

تَخَيَّرَهَا الْقَوَاسُ مِنْ فَرْعِ ضَالَةٍ      لَهَا شَدَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَزَائِرُ<sup>(١)</sup>  
 مَتَّ فِي مَكَانٍ كَنَيْهَا فَاسْتَوَتْ بِهِ      وَمَا دُونَهَا مِنْ غَيْلِهَا مُتَلَاحِزُ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَا زَالَ يَنْحُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَاسِي      وَيَنْفَلُ حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزُ<sup>(٣)</sup>  
 فَأَنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ ، غَرَابِهَا      عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَاوِزُ<sup>(٤)</sup>  
 فَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ فِي يَدَيْهِ رَأَى غَنَى      أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزُورٌ عَمَّنْ يُحَاوِزُ<sup>(٥)</sup>  
 فَأَمْسَكَهَا عَامِنٍ يَطْلُبُ دَرَاهَا      وَيَنْظُرُ مِنْهَا مَا الَّذِي هُوَ غَامِزُ<sup>(٦)</sup>  
 أَقَامَ الثَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ مَتْنَهَا      كَمَا أَخْرَجَتْ ضِغْنِ الشَّمُوسِ الْمَهَامِزُ<sup>(٧)</sup>  
 ٦٨٢ : فَوَاقِي بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ فَأَنْبَرَى      لَهَا بَيْعٌ يُغْلَى بِهَا السَّوْمَ رَائِزُ<sup>(٨)</sup>

\* ترجمته الشاعر : هو الشماخ بن ضرار التغلبي من ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، والشماخ لقبه واسمه معقل أدرك الإسلام ، وقال عنه الخطيب : إنه أشعر غطفان ، ذكروا عنه أنه أوصف الناس للحمر الوحشية وللقوس ، وأرجز الشعراء على البديهة . توفي سنة ١٨ هـ .

التفسير اللغوي : (١) الضالة : شجرة السدر البرية . الشذب : العيدان المشذبة المقطوعة .

الجزائر : لم نجد هذا الجمع في القواميس ، وقد فسر في الجمهرة بأنها أصول الشجر العظام ، ولعلها الجزائر . وهي جمع حزة . ومن شأن الصوف التفرق .

(٢) كنها : سترها . الغيل : الشجر الملتف . متلاحز : متضايق .

(٣) ينحو : يقصد . ينفل : يدخل تحت الشجر ليتخير أقواها جذرا . بارز : ظاهر .

(٤) فأنحى عليها : فاعتمد عليها . ذات حد : كناية عن موصوف هو الفأس أو السكين .

غرابها : حدها . مشاوز : محارب .

(٥) اطمأنت : سكنت يعني القوس . ازور : مال وصد . يحاوز : يخالط .

(٦) درأها : بسطها . الغامز : السكان المطمئن فيها ، يعني الشق .

(٧) الثقاف : خشبة تقوم بها الرماح . الطريدة : القصة التي يعرف بها اعتدالها .

الشموس : الفرس الجوح . المهامز : جمع مهمز أو مهماز ، وهي حديدة في مؤخر خف الرائيض .

(٨) فواقي بها : فجاء بها . انبرى : اعترض . بيع : مبتاع . السوم : البيع .

رائز : مجرب .

- فقال له : بايع أخاك ولا يكن  
فظل ينجح نفسه وأميرها  
فلما شراها فاضت العين عبرة  
فذاق ، فأعطته من اللبن جانباً  
إذا أنبض الرامون فيها ترنمت  
هتوف إذا ما خالط الظبي سهمها  
كان عليها زعفراناً تميره  
٦٩٠ : إذا سقط الأنداء صينت وأشعرت
- لك اليوم عن ربح من البيع لاهز<sup>(٩)</sup>  
أياي الذي يعطى بها أم يجاوز<sup>(١٠)</sup>  
وفي الصدر حزاً ازمن الوجد حامز<sup>(١١)</sup>  
كفى ، ولها أن يفرق السهم حازز<sup>(١٢)</sup>  
ترنم شكلى أوجعتها الجنائز<sup>(١٣)</sup>  
وإن ريع منها أسلمته النواقر<sup>(١٤)</sup>  
خوازن عطار يمان كوايز<sup>(١٥)</sup>  
حبيراً ، ولم تدرج عليها المعاوز<sup>(١٦)</sup>

- 
- (٩) بايع أخاك : بعه . لاهز : الجبل ويقصد لا يكن لك مانع أو صاد .  
(١٠) ينجح نفسه : يسارها . يجاوز : يقبل متجاوزاً . أميرها : قلبه .  
(١١) شراها : باعها . حزاز : حزن يحز في قلبه . حامز : ممض محرق .  
(١٢) فذاق : فحربها . يفرق السهم : يضيع بإدباره .  
(١٣) أنبض الرامون : حركوا الأوتار . ترنمت : تغنت . شكلى : فاقدة ولدها .  
(١٤) هتوف : ذات صوت . ريع : أفزعه الرامى النواقر : قوائم الظبي الموائبة .  
(١٥) الزعفران : صبغ أصفر . تميره : تحركه فتطلى به . خوازن : جمع خاذنة ،  
وكوايز كذلك جمع كازة .  
(١٦) الأنداء : جمع ندى . صينت : حفظت . أشعرت : ألبست الشمار . حبيراً : برداً  
موشى . المعاوز : الأخلاق .

## تحليل الأبيات :

تخير هذه القوس قوَّاس عليم بجيادها ، بصير بأعوادها ، فاتخذها من فرع ضالة قد شذبت زوائدها ، وقطعت أطرافها ، فطالت وزكت ، ونمت في مكان سترها عن العيون ، فاستوت دون أن تمتد إليها يد ، أو يمتص غذاءها جذر ، إذ تباعدت عنها الأشجار التي يمكن أن تسهم معها في الغذاء ، في حين أن غيرها قد التف بعضه على بعض ، فغداؤه ضئيل ، وشرابه قليل .

ما زال هذا القواس يجس الأشجار ، ويتحسس نبعها : رطبها ويابسها ، صلبها ولينها ، وكلها لا ترضيه حينما يتبين جذرها ويتعرف أسها ؛ حتى نالها وهو ظاهر ، فقصدتها بفأسه المرفهة الحد ، المدوِّة لكل عضمة ، المحاربة لكل ضالة ، فلما سكنت في يديه توسم غنى ، قد نزل به ، فصد عنم يخالطه .

وأمسكها عامين كاملين يقومها ويبسطها ، وينظر أثر الشق فيها ؛ حتى أقام الثقاف ميلها ، وسوت الطريدة ممتها ؛ مثل الثقاف والطريدة في صقلها وتقويمها كمثل المهامز تخرج ضمن الفرس الشموس .

وأقبل القواس على الموسم مزهواً بها ، نخورا بثقافها ، فاعترضه رجل يحسن المساومة ، فأدرك ما فيها من حسن ، مبايعه إياها ، وأغلى له في ثمنها ، وأغراه الربح فهو يناجى نفسه ، ويؤامر قلبه ، أيأبى البيع أم يتجاوز عنها وقد ضمن الربح الكثير ؟

فباعها وعينه تفيض بالعبرات ، وقلبه يتقطع حسرات ، فاخترها شاريها ، فأعطته اللبان دون أن تضيع سهمه ، فلما من صلابتها عن إغراقه حاجز ، فإذا حرك الرامون وترها ترنمت كترنم الشكلى التي أكل قلبها الحزن ، تصوت صوتنا حزينا عند ما يمترق سهمها الظبي ، كأنها تواسيه وتناجيه ، وإن أجفل منها وفزع فحاول البعد عن سهمها لم تطاوعه النواقز .

كأن هذه القوس قد خضبت بالزعفران ، تحركه فيصيبها طلاؤه الحزون عند عطار ،

ويلحقها خضابه المكنوز عند يماني ، إذا سقط الندى صينت منه ، وألبست شعارا من  
الحبير الموشى ولم تفظ بانخلق من الثياب .

النمر :

قصد الشماخ إلى وصف القوس قصدا ، فلم يشرك معها سواها في وصفه إياها كما فعل  
أوس بن حجر ، ولكنه مع هذا كان أقصر من سلفه نفسا ، وكانت معانيه أقل من معاني  
أوس بداعة وحسنا ، وذلك أنهما كليهما وصفا منبت قوسه ، فقال أوس :

ومبضوعة من رأس فرع شظية بطود تراه بالسحاب مجللا  
على ظهر صفوان كأن متونه عللن بدهن يزلق المتنزلا  
يطيف بها راع يجشم نفسه ليكلأ فيها طرفه متأملا

فقوسه من رأس فرع شظية بطود مجلل بالسحاب على ظهر صفوان ناعم أملس ، فالوصول  
إليها يجشم باغيها ، ويؤلم قاصدها ، وهي معان بالغة الروعة في إعلاء شأن القوس ؛  
أما الشماخ فقال :

تخيرها القواس من فرع ضالة لها شذب من دونها وحزائر  
نمت في مكان كنها فاستوت به وما دونها من غيلها متلاحز  
فما زال ينحو كل رطب ويابس وينفل حتى نالها وهو بارز

فأين هذا من ذلك ؟ لقد كان عليه أن يستفيد من سلفه ، ولكنه قصر فحق عليه العتب ،  
وكلاهما وصف قطعها وتثقيفها ، فبالغ أوس في وصف شقاء قواسها وعلى قدر المشقة يكون  
الأجر ، فكان فضله على خلفه أكثر ، فعاود أبيات كل منهما لتحكم بما نحكم به

٣ - وقال راشد بن شهاب اليشكري \* يصف سلاحه :

فَهَلَا أبا الخنساء لَا تَشْتُمَنِي فَتَقْرَعُ بَعْدَ الْيَوْمِ سِنْتَكَ مِنْ نَدَمٍ (١)  
وَلَا تُوعِدُنِي إِنِّي إِنْ تَلَاقِنِي مَعِيَ مَشْرِفِي فِي مَضَارِبِهِ قَضَمٍ (٢)  
وَنَبْلٌ قِرَانٌ كَالشُّيُورِ سَلَاجِمٌ وَفَرَعٌ هَتُوفٌ، لَا سِقِيٌّ وَلَا نَشْمٌ (٣)  
وَمُطْرِدٌ الْكَعْبِينَ أَسْمُرُ عَاتِرٌ وَذَاتُ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا وَرَمٌ (٤)  
مُضَاعَفَةٌ جَدْلَاءُ، أَوْ حُطْمِيَّةٌ تُغَشَّى بِنَانَ الْمَرْءِ وَالْكَفِّ وَالْقَدَمِ (٥)  
٦٩٧ : لعاديةٍ من السِّلَاحِ اسْتَعْرَثَهَا وَكَانَ بِكُمْ فَقَرُّهُ إِلَى الْغَدْرِ أَوْ عَدَمِ (٦)

\* ترجمه الشاعر : هو راشد بن شهاب بن عبدة بن عصم بن ربيعة اليشكري ، شاعر جاهلي مقل ، لم تقع له على ترجمة واسعة ، وقصيدته هذه يخاطب بها قيس بن مسعود بن قيس ابن خالد الشيباني .

التفسير اللغوي : (١) فهلا : فترثا وانتظارا ، وفيها معنى الوعيد والتهديد . أبا الخنساء : يعنى قيس بن مسعود . تقرع سنك : كناية عن صفة هي الندم .  
(٢) توعدني : تتوعدني وتهددني . المشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف الشام . في مضاربه : في ظبته وحده . قضم : تكسر من كثرة ما أعملته .  
(٣) القران : التشابه . السلاجم : الطوال ، الواحد ساجم : فرع هتوف : كناية عن القوس المصوتة . السقي : ما شرب الماء من الأنهار . النشم : الشجر الخوار الضعيف .  
(٤) المطرد : كناية عن الرمح المصقول الذي اطرده كعباء ، وزال أثرها ، وقال الكعبين لأن اطراد كعبين دليل اطراد اباقي : العاتر : الصلب . ذات قتير : كناية عن الدرع ، والقدير رءوس مسامير الدرع . مواصلها : ما يتصل بالحلقة . الورم : الاستواء .  
(٥) مضاعفة : منسوجة حلقتين . جدلاء : مجدولة محكمة الجدل . حطمية : منسوبة إلى حطمة بن محارب ، وكان صانع دروع ، أو حطمية لأنها تحطم السيوف . تغشى : تغطى ، كناية عن أنها سابعة .  
(٦) العادية : المنسوبة إلى عاد ، كناية عن قدمها .

### تحليل الأبيات :

توعد قيس بن مسعود الشيباني شهابا اليشكري ، فأنشأ القصيدة التي منها هذه الأبيات  
يندره حربيه ، ويتوعده بطشه ، ويصف له سلاحه ، ويستوهن روحه المعنوية ، فقال :  
تريث ياأبا الخنساء ، فلا تشتمني ، ولا تلغ في عرضي ، فإنك إذا دأبت على شتمى ،  
واستمرأت أكل عرضى لم تلبث أن تفرع من الندم سنك ، وحذار أن تهدينى ، فإنك  
حين تلقانى سترى فارسا يقهر الفرسان، قد استكمل أهبتة ، وأتم عتاده وعدته .  
إن مى سيفا مشرفيا ثلمته كثرة الضراب، ولكنه قاطع حاسم، ونبلا يشبه بمضه بعضا؛  
لأنه معدّ لقوس واحدة تنزعها كف واحدة ، وهى طويلة لتنفذ إلى الأكباد ، وتصل إلى  
شغاف الفؤاد ، وقوسا ذات صوت حنون عند ما أنزع عنها سهمها ، صدقة النبع ، صلدة  
الغرب ، لم يربطها أن سقيت من ماء الأنهار ، فنبعها لم يسق بغير ماء السماء ، فليس فيها  
ضصف ولا خوار ، وريحها قد اطردت كمويه ، واستوت عقده ، واسمر لونه ، لشدة صلابته .  
ولدى درع يلمع قتيها ، وتبرق مساميرها ، قد استوت مواصلها ، وتضاعف نسجها ، وأحكم  
جدلها ، فهى من صناعة حطمة الذى وهب لها فنه ، ومنحها إحكامه ، فهى إذ يلبسها  
المفارس تغطى جميع أطرافه ، فتضفى عليه السلامة .  
هذه أسلحة استعرتها من الزمن عند مارأيتكم تفتقرون إلى الغدر ، وتحتاجون إلى العدم .

### النقد :

مع أن الشاعر أوجز فى وصف عتاده ، إلا أنه استطاع أن يصف كل قطعة منه وصفا  
دقيقا ، فجاء قديراً فى إيجازه ، قديراً فى دقة أوصافه ، فأى وصف أدق وأبلغ من قوله  
فى وصف الدرع ؟

مضاعفة جدلاء أو حطمية      تغشى بنان المرء والكف والقدم

لقد وصفها بالثخانة والإحكام ، ونسبها إلى صانعها ، وأنها سابغة لا تترك جزءا من صاحبها  
دون أن تغطيه ، وأو فى البيت بمعنى الواو ، وهذا سائغ شائع .

ثم أى جمال فى الوصف للرمح يبد قوله : « ومطرذ الكميين أسمر عاتر » إنه وصفه  
فى هذا الشطر بثلاث صفات هى : جودة الثفاف ، والملاسة ، والصلابة .



٤ — وقال ثعلبة بن عمرو العبدى \* يصف عتاده :

وَشَوْهَاءَ لَمْ تَوْشَمْ يَدَاهَا وَلَمْ تَذَلْ      قَقَاظَتْ وَفِيهَا بِالْوَلِيدِ تَقَاذِفٌ<sup>(١)</sup>  
وَتُعْطِيكَ قَبْلَ السَّوْطِ مِلءٌ عِنَانِيهَا      وَإِحْضَارَ ظَبِي أَخْطَاثَهُ الْمَجَادِفِ<sup>(٢)</sup>  
بَلَلَتْ بِهَا يَوْمَ الصُّرَاخِ ، وَبَعْضُهُمْ      يَنْجُبُ بِهِ فِي الْحَيِّ أَوْرُقُ شَارِفِ<sup>(٣)</sup>  
بِيضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ رِيحَ ، وَمَدَّهُ      شَائِبُ غَيْثٍ يَحْفَشُ الْأَكْمَ صَائِفِ<sup>(٤)</sup>  
وَمُطَّرِدٍ يُرْضِيكَ عِنْدَ ذَوَاقِهِ      وَيَمْضِي وَلَا يَنَادُ فِيمَا يُصَادِفِ<sup>(٥)</sup>  
وَصَفْرَاءَ مِنْ نَبْعٍ ، سِلَاحٌ أُعِدُّهَا      وَأَبْيَضُ قِصَالُ الضَّرِيْبَةِ جَائِفِ<sup>(٦)</sup>  
٧٠٤ : عَتَادَ امْرِيٍّ فِي الْحَرْبِ لَأَوَاهِنُ الْقَوَى      وَلَا هُوَ عَمَّا يَقْدُرُ اللَّهُ صَارِفِ<sup>(٧)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في ص ٢٤٥ .

- التفسير اللغوي : (١) الشوواء : القبيحة والجميلة ، فالكامنة تجمع في معناها بين الضدين ، والآخر هو المراد . لم تذال : لم تهين . ققاظت : فأتى عليها القيظ . الوليد : العبد . التقاذف : التدافع .
- (٢) ملء عنانها : عدوا ملء عنانها . الإحضار : العدو . المجادف : ما يجدف به ويرمي .
- (٣) بللت بها : ملكتها وكانت في قبضتي . يوم الصراخ : يوم الاستنجد بي . ينجب : يسير به خبياً ، والنجب ضرب من العدو . والأورق : الرمادي ، والورق ألام الإبل . الشارف : الهرم .
- (٤) البيضاء : كناية عن الدرع . النهى : الغدير . ريح : أصابته ريح . الشائب : جمع شؤبوب دفعات المطر . يحفش : يقشر . الأكم : جمع أكمة : صائف : في الصيف .
- (٥) مطرد : كناية عن الرمح لا طراد كعوبه بالتقيف . ذواقه : اختباره . يناد : يعوج .
- (٦) صفراء : كناية عن القوس . النبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام ، وهو ينبت في أعلى الجبال . وأبيض : كناية عن السيف . قصال : قطاع . جائف : يبلغ الجوف .
- (٧) عتاد امرئ : عدة رجل . واهن : ضعيف . يقدر : يقضى . صارف : منصرف .

### تحليل الأبيات .

رب فرس حسناء ليس فيها ما يشينها ، فلم توشم يداها لداء أصابها فيهما ، ولم تضعف لمرض نزل بها ، وهي - إذ يحمل بها القیظ - الشیطة المرحه شأنها في الشتاء تقذف بسائسها ، وتلعب بالوليد .

تهب لك كل قوتها ، وتمطيك ما يتسع له عنانها ، فتعدو بك عدو الظبي أخطاه الرامي ، ملكت عنانها يوم الاستنجد بي ، وبعض الأبطال تسير بهم النياق الورق خيبا ، وتسعى بهم الإبل الهرمة وثيدا .

ملكك عنانها في كامل عتادي ، فقد تسر بلت بدرع محكمة يلمع قتيورها ؛ كأنه النهي هبت عليه أرواح النسيم ، وأمدته دفعات المطر ، فأزالت عن الأكم الرمل والتراب ، وكانت تلك الشآبيب في يوم صائف .

وفي يدي رمح قد اطردت كعابه ، فهو يرضيك عند ما تجربه في الطعان ؛ إذ يمضي إلى رميته دون انحناء أو انحراف ، ومعى قوس من نبع نبت فوق الربا ، فهو صدق عند النزاع ، صلب لدى الرمي ، وإلى كل هذا العتاد سيف صقيل يقصل الضريبة ، ويبلغ جوف المضروب . ذلك عتاد رجل ليس واهن القوة ، ولا ضعيف المنة ، وهو إلى هذا مؤمن بقدر الله ، عالم أنه لا يصرفه صارف ، ولا يدفعه دافع .

### النقد :

أوجز الشاعر في وصفه إيجازاً بليفاً ، وإن كان وصف العتاد ركنا من أركان الفخر ، والفخر يستأهل الإطناب والاحتفال ، إذ الغرض منه بث الرهبة في نفوس الأعداء ، والإشادة بالهزة والمجد والكبرياء .

على أن الشاعر مع هذا الإيجاز قد أودع أبياته بعض الصور كاملاً رائعاً ، وذلك كقوله :  
بيضاء مثل النهي ریح ... .. ، وكقوله : ومطر د يرضیک ... ..

وترضينا منه تلك النزعة الحكيمة التي ختم بها أبياته ، وإن لم ترض أنداده من رجال الحرب والميدان ، « ولا هو عما يقدر الله صارف » إذ أولئك يحسبون أن الآجال في ظلمات سيوفهم ، وأن الحياة طى بلائهم وجهادهم ، وما بعدها دعوى لا يقيم لها في غير الشعر ميزان !

## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف السلاح

يكاد الشعراء يتفقون في المعاني التي تناولوها في وصف عتادهم ، ولهم في ذلك عذر ، فتادهم محدود ، وسلاحهم معدود ، لا يعدو السيف والرمح ، والقوس والدرع ، والسهم والنبل ، وحتى أصول هذا العتاد وأجزاؤه متشابهة بل متماثلة ، فهي لا تزيد على الحديد والشجر ، وصياقتها ومثقفوها معروفون منسوبون ، وإذن فلا عليهم أن يتفقوا ، وللمبدع منهم حينئذ الفضل كل الفضل .

ولعلني لم أتجاوز الحق حين حكمت لأوس بن حجر بالفضل ؛ لأنني حين حكمت له بهذا الحكم استعرضت كثيرا مما قاله الشعراء ممن لم اختر لهم ، لقصر أنفسهم فحسب ، كما استعرضت ما اخترته وأثبتته للشماخ بن ضرار ، ولراشد بن شهاب الشكري ، ولثعلبة ابن عمرو العبدى ، فما تجاوزته لقصر نفس الشاعر قول الجيـح بن الطماح ، وكان من الفرسان يصف نفسه :

فِي كَفِّهِ لَدَنَةٌ مُتَقَفَّةٌ فِيهَا سِنَانٌ مُحَرَّبٌ لَحِمٌ

\* \* \*

مُدْرَعًا رَيْطَةً مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ وَفِي سَرَارِهِ الرَّهْمُ

ولبشامة بن الغدير يحض قومه على الاستعداد للحرب :

وَحَشُّوا الحُرُوبَ إِذَا أُوقِدَتْ رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا فُجُولًا  
وَمِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تَرَى لِلِقَوَاضِبِ فِيهَا صَلِيلًا

ولعبد قيس بن خفاف البرجمي :

فَأَصْبَحْتُ أُعِدِدْتُ لِلنَّائِبَا تِ عَرِضًا بَرِيثًا وَعَضْبًا صَقِيلًا  
وَوَقَعَ لِسَانِ كَحْدِ السَّنَانِ وَرُمَحًا طَوِيلَ القَنَاةِ عَسُولًا  
وَسَابِقَةً مِنْ جِيَادِ الدُّرُو عِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلًا  
: ٧١٢ كَاءِ الغَدِيرِ زَفْتُهُ الدَّبُورُ يَجْرُ المَدَجِّجُ مِنْهَا فُضُولًا

ولربيعه بن مرقوم المضرى :

وبالكف زوراء حرمية  
: ٧١٤ وأعجف حشر ترى بالرصاص  
من القضب تعقب عزفا نثيا  
ف مما يخاطب منها عصيا

فنحن نرى أن المعانى التى تداولها من عرضنا بعض شعرهم هى المعانى التى تناولها من لم نعرض لهم ، ولا فرق بينهم إلا فى اعتماد بعضهم على الصور الشعرية دون بعض ، وفى هذا المجال يتفاضلون ، فأوس بن حجر يصف رحمه بقوله :

أصم ردينيا كأن كموبه نوى القسب عراصا مزجا منصلا  
عليه كصباح العزير يشبه تقصح ويحشوه الذبال المفتلا  
ويصفه الجميع بن الطماح فلا يزيد على أن يقول :

فى كفه لدنة مثقفة فيها سنان محرب لحم  
ويصف الشماخ بن ضرار صوت قوسه فيقول :

إذا أنبض الرامون فيها ترنمت ترنم تكلى أوجعتها الجنائز  
فى حين يقول ربيعه بن مرقوم :

وبالكف زوراء حرمية من القضب تعقب عزفا نثيا  
ويصف ثعلبة بن عمرو الدرع ، فيقول :

بيضاء مثل النهى ریح ومده شأيب غيث يخفش الأكم صائف  
ولا يبلغ عبد القيس بن خفاف غايته إذ يقول :

وسابفة من جياذ الدرو ع تسمع للسيف فيها صليلا  
كأء الفدير زفته الدبور يجر المدجج منها فضولا

وهو يشبه إلى حد كبير قول بشامة بن الفدير ، وقول بشامة أكثر معنى :

وحشوا الحروب إذا أوقدت رماحا طوالا ، وخيلا فحولا  
ومن نسج داود موضونة ترى للقواضب فيها صليلا

وبعد فلا أحسب إلا أن العرب لم تكن لهم بالآثار الإنسانية العناية العظيمة ، ودليلنا على هذا قلة ما قالوه فى نعمت عتادهم مع أنهم شعب حرب وجلاد ، ولعل تقديرهم لآثار الخالق أصغر فى نظرم آثار الخلق ، وصرّفهم عنها إلى ماملك أحاسيسهم ، وأسر مشاعرهم .

## نظرة شاملة في معاني الشعراء

### في وصف الطبيعة الساكنة

موضوعات الطبيعة الساكنة أكثر كثيرا من موضوعات الطبيعة المتحركة ، وإن يكن الشعراء قد احتفلوا بالطبيعة المتحركة أكثر من احتفالهم بالطبيعة الساكنة ، وهم فيما صنعوا لم يكونوا بدعا من الناس ، ولكنهم نهجوا النهج الذي نهجه سواهم ، وكأني بهم قد احتفلوا أعظم احتفال بما يتصل بالطبيعة المتحركة ، فأكثروا من وصف الأطلال ، وذكر الديار ؛ لأن الأحباب كانوا يقطنونها فحق عليهم أن يطيلوا الوقوف بها ، ويكثروا من رسمها وتصويرها ، وقل أن تجد شاعرا جاهليا لم يبك دارا ولم يندب على طلل ، وهم - وإن يكونوا متقاربين في تناول المعاني - متباعدون في الدوافع إلى هذه المعاني ، فمنهم من يبكيها كما يبكي ابن خدام ، ومنهم من يبكيها عن وجد وحرقة ، وأسى ولهفة ، وأنت تشعر كامل الشعور بحال الرجلين حتى وإن تماثلت المعاني وتساوت الصور ، تشعر به من اصطفاء اللفظ ، وتخير الموقف ، فأين من قول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قول ثعلبة بن عمرو العبدى ؟

لمن دمن كأنهن صحائف      قفار خلا منها الكتيب فواحف؟

ثعلبة يسأل عن أصحاب الدمن التي صارت كالصحائف ، قد خلا منها الكتيب فواحف ، ولو كان واجداً لشعر في طريقه إليها باللوعة ، ولهداه لها قلبه بالخفقان والحرقة ، وإذن فلا يمكن أن يكون تقارب المعاني ، بل تماثلها دليلا على تقارب الشعر أو تماثله ، بل لا بد أن يكون هناك عامل آخر هو الإحساس الباطني بأن هذا الشاعر يتدفق عن شعور .

ويجىء بعد هذا الغرض من وصف الطبيعة الساكنة وصف الليل وطوله ، وقد تناوله الكثير من الشعراء ، وأتوا فيه من المعاني بالغريب البديع ؛ حتى لقد صار له في النقد قواعد راسية ، وقد مر بك اختلاف النقاد في المفاضلة بين أبيات امرئ القيس ، وأبيات

النابهة ، وهناك غيرها وغير من اخترنا لهم لا يقولون عنهم في الإجابة والإبداع ، وهذا  
سويد بن أبي كاهل يجيد في وصف طوله ، فيقول :

فَأَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَرَقْدُهُ      وَبِمَعْنَى إِذَا نَجْمٌ طَلَعُ  
وَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلٌ قَدْ مَضَى      عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعُ  
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نَجُومًا ظُلْمًا      فَتَوَالِيهَا بَطِيئَاتُ التَّبَعِ  
وَيُرْجِيهَا عَلَى إِبْطَائِهَا      مُغْرَبُ اللَّوْنِ إِذَا اللَّوْنُ انْقَشَعُ

وهذا المرقش الأصغر يتصور أن ليلته تكررت ، ويتخيل أنها تعددت ، فيقول :

وَلَيْلَةٌ بِتَبَاهَا مُسْمِرَةٌ      قَدْ كَرَّرَتْهَا عَلَى عَيْنِي الْهُمُومُ  
لَمْ أَغْتَمِضْ طُولَهَا حَتَّى انْقَضَتْ      أَكَلُوْهَا بَعْدَ مَا نَامَ السَّلِيمُ

فوجده تركه يقظا في حين أن اللدبع قد أوى إلى فراشه ، فما أشد هذا الوجد ! ،

وما أروع ذلك الوصف !

ثم هم قد نظروا في السماء نظرة الرجاء ، فهي لهم معين الحياة وأصل البقاء ، فوصفوا  
سحبها وبروقها ، وعتوا شهبها ونجومها ، ولم ينسوا أن يذكروا رياحها : صباها ودبورها ،  
كما وصفوا آثار الطبيعة من حر لافح ، وبرد قارس ، مما يدل على طول تأمل ، وإن لم  
يطيلوا في آمار هذا التأمل ، وإذا كنا لم نذكر صوراً لجميع ما قالوه في الظواهر السماوية  
فلأن هذه الصور لا تعدو أن تكون لفتات عابرة ، أو أبياتا سائرة من مثل قول بشر  
ابن أبي خازم يصف كواكب بنات نعش في بيت واحد بأنها تدور وتنعطف ، كما تدور  
جماعة البقر الوحشي وتنعطف إذا أدركها ما يخيفها :

فَبِتُّ مُسَهَّدًا أَرِقًا كَأَنِّي      تَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِ الْعُقَارِ  
أَرَاقِبُ فِي السَّمَاءِ بَنَاتِ نَعَشٍ      وَقَدْ دَارَتْ كَمَا عَطَفَ الشَّوَارُ

ومن مثل قول علقمة الفحل يصف الحر وأثر الجوزاء فيه :

٧٢٢ : وَقَدْ عَلَوْتُ قَتُودَ الرَّاحِلِ يَسْفَعُنِي      يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ الْجُوزَاءُ مَسْمُومٌ

حَامٍ كَأَنَّ أَوَارَ النَّارِ شَامِلُهُ دُونَ الثِّيَابِ، وَرَأْسُ الْمَرْءِ مَعْنُومٌ  
ومن مثل قول المسيب بن علس يصف أثر البرد وقد ساقه في المدح :

إِذَا تَهَيَّجُ الرِّيحُ مِنْ صُرَادِهَا ثَلَجًا يُنْفِخُ النَّيْبَ بِالْجَمْعِ  
أَحَلَّتْ بَيْتَكَ بِالْجَمِيعِ ، وَبَعْضُهُمْ مُتَفَرِّقٌ لِيَحُلَّ بِالْأَوْزَاعِ

وقد كانوا في تأملهم مبالغين حتى عرفوا جميع صور السماء والكواكب عند ما تفضب الطبيعة أو تتغير ظواهرها ، فانظر إلى الصورة التي صوروا بها الشمس عند الجذب والبرد ، لقد صوروها بالورس خضب بالزعفران ، وذلك في قول متمم بن نويرة مادحا :

لَعَمْرِي لِنِعْمِ الْمَرْءِ يَطْرُقُ ضَيْفُهُ إِذَا بَانَ مِنْ لَيْلِ النَّامِ هَزِيعُ  
بَدُولٌ لِمَا فِي رَحْلِهِ غَيْرُ زَمَحٍ إِذَا أُبْرَزَ الْحُورَ الرَّوَاعِ جُوعُ  
إِذَا الشَّمْسُ أَضْحَتْ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا مِنْ الْمَحْلِ حُصَّ قَدْ عَلَاهُ رُدُوعُ

وانظر إلى تلك الصورة الرائعة التي رسمها سبيع بن الخطييم التيمي للمطر يسقط في غدير ، وقد ساق تلك المطرة ريح الجنوب التي تسير مبطئة مثاقلة ، في حين تكف الصبا سحابة ثقيلة :

وَمُسَيَّبٍ خَصِرٍ قَوَى بِمَضِلَّةٍ وَإِذَا تَحَرَّكَهُ الرِّيَّاحُ يَزِيْفُ  
حَلَّتْ بِهِ بَعْدَ الْهُدُوءِ نِطَاقَهَا مِسْعٌ مُمَسَّهَلَةٌ النَّتَاجِ زَاحُوفُ  
تَزَعُّ الصَّبَا رِيْعَانَهُ وَدَنَتْ لَهُ دُلُحٌ يَنْوُنُ عِظَامَهُنَّ ضَعِيفُ  
٧٣٣ : تَنَفَّى الْخَصَى حَجَرَاتُهُ ، وَكَأَنَّه بِرِحَالٍ حَمِيرٍ بِالضُّحَى مَخْفُوفُ

وإذا جاوزنا السماء وأجرامها ، والرياح وأنواءها ، والسحب وأمطارها إلى الأرض ألقيناهم وصفوا الصحراء فأطالوا وصفها ، ورسموها وما تشتمل عليه فأجادوا رسمها ، في أبيات قليلة ولكنها جامعة ، وفي نظرات قصيرة وإن تكن ممعنة ، وألما في خلال تصويرهم إياها بالسراب فأكثرنا من ذكره ، وأطالوا في وصفه ، وقد مر فيما عرضناه بعض رسمه ،

وهذه صور أخرى له ، قال المرقش الأكبر مصوراً الجبال يغطيها السراب حيناً ، ويرزها حيناً ، فكانها تطفو وتفرق في خليج من الماء :

وأعرض أعلامٌ كأنَّ رُءُوسَهَا رُءُوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيجِ تَغَامَسُ  
إِذَا عِلْمٌ خَلَفْتُهُ يُهْتَدَى بِهِ بَدَا عِلْمٌ فِي الْآلِ أَغْبَرُ طَامِسُ

وهي صورة رائعة لا يتصورها إلا من عبر الصحراء ، وتأمل جريان الآل فيها .  
وقال بشر بن أبي خازم يفخر بقطعه فلاة تعزف فيها الجن ، وتحن بها رياح السهام ،  
ويصور الآكام متخذة من اللوامع دروعا :

وخرقٍ تعزفُ الجنانُ فيه فَيَا فِيهِ تَحْنُ بِهَا السَّهَامُ  
ذعرتُ ظبَاءَهَا مُتَفَوِّراتٍ إِذَا ادَّرَعَتْ لَوَامِعَهَا الْإِكَامُ

وقال المثقب العبدى يفخر بقطعه البلاد إبان اشتداد الحر ، والتهاب الهجير ، وقد شبه  
السراب ببيض الثياب ، كما أنه في قلبه يشبهها في طيها :

أجْدِكَ مَا يُدْرِيكَ أَنْ رَبِّ بَلَدَةٍ إِذَا الشَّمْسُ فِي الْأَيَّامِ طَالَ رُكُودُهَا  
وَصَاحَتْ صَوَائِدِجُ النَّهَارِ وَأَعْرَضَتْ لَوَامِعُ يُطْوَى رَيْطُهَا وَبُرُودُهَا  
قَطَعْتُ بِفِتْلَاءِ الْيَدَيْنِ ذَرِيعَةٍ يَقُولُ الْبِلَادَ سَوْمَهَا وَبَرِيدُهَا

أما الآثار الإنسانية فكانت عندهم جد قليلة ، فلم تكن لهم قصور عالية ، ولا حصون  
منيعة ، ولا قلاع حصينة ؛ كما لم يكن لهم أناث ولا رياش يستولى على مشاعرهم ، ويستبد  
بعواطفهم ، فعذرهم واضح ، إذ كيف أصف شيئاً لا أجده ؟ وأنى لى أن أصور متاعاً  
لا أعرفه ؛ على أن منهم من دفعته معارفه إلى وصف أشياء رآها في غير محيطه ، من ذلك  
قول راشد بن شهاب اليشكري يفخر :

بَنَيْتُ بِشَاجٍ مِجْدَلًا مِنْ حِجَارَةٍ لِأَجْعَلَهُ عِزًّا لِي رَغْمَ مَنْ رَغِمَ  
أَسْمٌ طَوَّالًا يَدْحَضُ الطَّيْرَ دُونَهُ لَهُ جَنْدَلٌ مِمَّا أَعَدَّتْ لَهُ إِرَمَ  
وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْمُسْتَجِيرُ مِنَ الرَّدَى وَيَأْوِي إِلَيْهِ الْمُسْتَمِيعُ مِنَ الْعَدَمِ



والأبيات التي تنسب إلى السمور بن عاديا يفخر بقصره الأبلق عند ما لجأ إليه امرؤ القيس واستودعه أدرعه ، فضرب به المثل في الوفاء إذ أسلم ابنه للقتل دون أن يخون أمانته ، فيسلم أدرع من لجأ إليه :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِيَّيْ      إِذَا مَا ذُمُّ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ  
وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بِالْأَى      تُهْدَمُ يَا سَمَوْعُلُ مَا بَنَيْتُ  
بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا      وَمَاءَ كَلْمًا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

ولكنهم وصفوا من الآثار الإنسانية الخمر ، وأكثروا من القول فيها ؛ لأنها كانت عندهم مظهراً لكثير من أخلاق الفتوة كالشجاعة والسخاء والإتلاف ، وقد دفعهم شغفهم بشرابها وولعهم بمعاقرتها إلى الافتنان في المعاني ، والابتداع في الصور ، وقد مر بنا الكثير من تلك المعاني المقتنة المبتدعة ، وكلها يشهد بأنهم سامو الخيال ، ماهرو التصوير ، وما مر بنا ليس بأفضل ما قيل ، ولكنه من أفضله ، وإلا فأى حسن يفوق هذا الذي نسوقه للمرقس الأصغر يصف ريقَ محبوبته ؟ وأن الخمر التي من صفاتها أنها صهباء كالمسك ريحا ، المصفاة بالناجود ، أو المسكيلة بالأقداح التي بقيت في ذنها عشرين عاما يطان عليها القرمذ ، وتبرز للريح لتبرد ، قد اشتريت من قوم يهود لهم بمصرها خبرة ، وبيننا وبينهم شقة ؛ إلا أن حبنا لها قرب منا سوقها، فسمعنا إليها حتى حصلنا عليها ؟ وهاهي ذى الأبيات:

وَمَا قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا      تَعَلَى عَلَى النَّاجُورِ طَوْرًا وَتُقَدِّحُ  
تَوَتْ فِي سِبَاءِ الدَّنِّ عِشْرِينَ حِجَّةً      يُطَانُ عَلَيْهَا قَرْمَدٌ وَتَرُوحُ  
سَبَّاهَا رِجَالٌ مِنْ يَهُودَ تَبَاعَدُوا      لَجِيْلَانَ يُذْنِبَهَا مِنَ الشُّوقِ مُرْبِحُ  
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتُ طَارِقًا      مِنَ اللَّيْلِ ، بَلْ فَوْهَا أَلَدٌ وَأَنْصَحُ

وهذا عبدة بن الطيب يندو وقرن الشمس منفتح ، وكأنه مجلل بسواد الليل ؛ إذ الديك يدعو أعضاء أسرته ، يندو إلى التجار فأعداه شاب معجب بنفسه يجر من خلفه إزاره ، كأنه في حسنه صدر السيف ، له شمائل كريمة ، وأفانين في الخير ، هو رجل جد عند ما يجذ الأمر ويشدد ، ورجل لهو ومجون عند ما يلهو اللهو والمجون ، فاتكأنا عند

تاجرها على فراش مرقومة ، ونمارق منقوشة ، عليها زخارف وتهاويل ، فيها صور الدجاج والأسود ، بل فيها تماثيل لكل شيء ، في بيت يشبه الكعبة في شكله أو في قداسته ، شادها بان ماهر ، فزين أركانها وجمل مبانيها ، يضيئها ذبال مفتول ، لنا أصيص كأنه أصل الحوض هدمه تراحم الإبل عليه ، لدى ذلك الأصيص الزق مغلول مقيد ، والكوب أبيض ، في جيده إكليل من الزهر ، قد برد ذلك الكوب بالماء ، فبينه وبين الأصيص جرة ضخمة كأنها في شكلها وسط حمار وحشى قد ثقب جانبه ، والكوب مترع قد علاه الزبد ، وقد أعدت لنا قطعة عظيمة من لحم كبش ، مشكوكة في السفود ، يطوف بها علينا خادم مجل ، تنطق بمنطقته ، وبين يدينا صحفة فيها الأباذير ، ثم شربت صباحا خرا حراء ، لها في شاربها رعدة ، وهي خمر لم يسبقنى إلى معاقرتها إنسان ، شربتها صرفا وإن بدت لرقتها ممزوجة ، وقد يعلننا مغنّ بشعر كأنه الأصباغ المذهبة للسقوف يتناقله الرواة ، ويحملونه في الآفاق ، ترفع حواشى ذلك الشعر المذهب قينة طويلة الجيد ، تؤنس جلسها ، كأن صوتها للشاربين ترتيل ومزامير ، تمر علينا غدوة تلهينا بغنائها ، فنهب لها البرود والسراويل ، وهذه هي الأبيات :

وقد غدوت وقرن الشمس منفتق	ودونه من سواد الليل تجليل
إذا شرف الديك يدعو بعض أسرته	لدى الصباح ، وهم قوم معازيل
إلى التجار فأعدانى بلدته	رخو الإزار كصدر السيف مشمول
خرق يمجذ إذا ما الأمر جد به	مخاط اللهو واللذات ضليل
حتى انكأنا على فرش يزيناها	من جيد الرقم أزواج تهاويل
فيها الدجاج ، وفيها الأسد مخدرة	من كل شيء يرى فيها تماثيل
في كعبة شادها بان وزينها	فيها ذبال يضيء الليل مفتول
لنا أصيص كجذم الحوض هدمه	وطء العراك ، لديه الزق مغلول
٧٥٩ : والكوب أزهر معصوب بقلته	فوق السباع من الرمان إكليل

مُبَرَّدٌ بِمِزَاجِ الْمَاءِ بَيْنَهُمَا      حُبُّ كَجَوْزِ حِمَارِ الْوَحْشِ مَبْزُولُ  
وَالْكُوبُ مَلَانُ طَافٍ فَوْقَهُ زَبْدُ      وَطَابِقُ الْكَبْشِ فِي السَّقُودِ مَخْلُولُ  
يَسْقَى بِهِ مَنْصِفٌ عَجَلَانَ مُنْتَطِقُ      فَوْقَ الْحِوَانِ ، وَفِي الصَّاعِ التَّوَابِيلُ  
نَمَّ اصْطَبَحْتُ كَمَيْتًا قَرَقَفًا أَنْفًا      مِنْ طَيِّبِ الرَّاحِ ، وَاللَّذَاتُ تَعْلِيلُ  
صَرَفًا مِزَاجًا ، وَأُخْيَانًا يُعَلِّنَا      شِعْرُهُ كُذْهَبَةُ السَّمَانِ مَحْمُولُ  
تُذْرِي حَوَاشِيَهُ جَيْدَاءُ آنِسَةٌ      فِي صَوْتِهَا لِسْمَاعِ الشَّرْبِ تَرْتِيلُ  
٧٦٦ : تَغْدُو عَلَيْنَا تُلَهِّمِنَا وَنُصْفِدُهَا      تُلْقَى الْبُرُودُ عَلَيْهَا وَالسَّرَابِيلُ

أى مجلس شراب آنق من ذلك المجلس ؟ وأى مجلس أحفل بأسباب الأناج والمريح  
من مجلس عبدة بن الطيب ؟ شراب وطعام وغناء ، لقد عز عليه أن يقترح فيه ما يمكن أن  
يزيده جمالا .

أما النوع الآخر من الآثار الإنسانية التي عنوا بها ، وشغفوا بوصفها فهي عتاد  
القتال ، وأسلحة الحروب ، وقد أوفيناها حقها عرضا وبسطا ، ولا يزال حديثنا عنها جد  
قريب وحسبنا ما قدمناه .



## إفصاح السباع

صور لمظاهر مؤتلفة من الطبيعتين المتحركة والساكنة

( ١ ) وصف الطعائن

١ - قال المثقب العبدى \* من قصيدة أولها :

أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُكَ أَنْ تَبِينِي (١)

لَمِنْ طُعْمٍ تَطَالِعُ مِنْ ضَبِيبٍ فَأَخْرَجَتْ مِنَ الْوَادِي لَحِينٍ؟ (٢)

مَرَزْنَ عَلَى شَرَافٍ فَذَاتِ رِجْلٍ وَنَكَبْنَ الدَّرَانِجَ بِالْيَمِينِ (٣)

وَهُنَّ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلَجًا كَانَ حَوْلَهُنَّ عَلَى سَفِينِ (٤)

يُشَبِّهْنَ السَّفِينَةَ ، وَهُنَّ بُمُخْتٍ عَرَاضَاتُ الْأَبَاهِرِ وَالشُّؤُنِ (٥)

٧٧٢ : وَهُنَّ عَلَى الرَّجَازِ وَآكِنَاتُ قَوَاتِلِ كُلِّ أَشْجَمٍ مُسْتَكِينِ (٦)

\* ترجمه الشاعر : اقرأ الترجمة في ص ٨٢ .

التفسير اللغوي : (١) متعيني : بالوصل . أن تبيني : أن تبعدي .

(٢) الطعن : جمع طعينة ، وهو الهودج فيه النساء . ضبيب : بالضاد أو الصاد موضع

لحين : بعد حين وإبطاء .

(٣) شراف ، وذات رجل ، والدرايح : أمكنة . نكبن : عدلن .

(٤) الفلج : الطريق أو الوادي . المحول : جمع حمل الهوادج كان فيها النساء أو لم

يكن . السفين : جمع سفينة .

(٥) البخت : الجمال طوال الأعناق . عراضات : جمع عراضة ، والعراض المفرط في العرض

كطوال . الأباهر : جمع أبهر عرق في الظهر . الشؤون : جمع شأن ، وهي شعب قبائل

الرأس التي تجرى منها الدموع إلى العينين .

(٦) الرجاز جمع رجازة بكسر الراء مراكب النساء . وآكنات : مطمئنات . الأشجع :

الطويل . مستكين : خاضع .

كغزلانٍ خُذِلْنَ بذاتِ ضالٍ      تنوشُ الدَّانِيَّاتِ مِنَ الغُصُونِ (٧)  
 ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ ، وَسَدَلْنَ رَفْعًا      وَتَقْبِنَ الوَصَاوِصَ لِلْعُيُونِ (٨)  
 وَهُنَّ عَلَى الظَّلَامِ مُطَلَّبَاتُ      طَوِيلَاتِ الذَّوَائِبِ وَالْقُرُونِ (٩)  
 أَرَيْنَ مَحَاسِنًا ، وَكَنَّ أُخْرَى      مِنَ الأَجْيَادِ وَالبَشْرِ المَصُونِ (١٠)  
 وَمِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ عَلَى تَرِيبِ      كَلُونِ العَاجِ لَيْسَ بِذِي غُصُونِ (١١)  
 بِتِلْهِيمَةٍ أَرِيشُ بِهَا سِهَامِي      تَبْدُ المُرْشَقَاتِ مِنَ القَطِينِ (١٢)  
 عَلَوْنَ رَبَاوَةً ، وَهَبَطْنَ غَيْبًا      فَلَمْ يَرِجِعْنَ قَائِلَةً لِحِينِ (١٣)  
 فقلتُ لبعضهن ، وَشُدُّ رَحْلِي      لَهَا جِرَّةٌ نَصَبْتُ لَهَا جَبِينِي (١٤)  
 لَعَلَّكَ إِنْ صَرَمْتَ الحَبْلَ مِنِّي      كذالكِ أكونُ مُصْحَبَتِي قَرُونِي (١٥)

- (٧) خذلن : تخلفن . ذات ضال : اسم مكان يكثر فيه شجر الضال . تنوش : تتناول الدانيات : القربيات .
- (٨) الكلة : الست الرقيق . سدلن : أرسلن . الرقم : ضرب محطط من الوشي أو البرود . الوصاوص : البراقع الصغار ، واحدها وصواص .
- (٩) الظلام : بكسر الظاء الظلم . مطلبات : مطلوبات . الذوائب : جمع ذؤابة ضفائر الشعر . القرون : خصل الشعر .
- (١٠) كئن : سترن . الأجياد . جمع جيد الأعناق . البشر : ظاهر الجلد . المصون : المستور .
- (١١) التريب : جمع تريبة ، وهي عظام الصدر موضع القلادة . الغصون : ثنى الجلد من الكبر .
- (١٢) التلهية : التسلية . أريش بها سهامى : ألزق فيها الريش لتكون أفتك . تبد : بالبدال والزأى تسبق وتغلب . المرشقات : المتشرقات للنظر . القطين : الحدم والتباع والجيران .
- (١٣) الرباوة : ما ارتفع من الأرض . الغيب : ما اطمان منها . القائلة : القيولة وهي نصف النهار . الحين : لوقت قصير .
- (١٤) لها جرة : عند هاجرة النهار وهو منتصفه نصبت : رفعت . جبينى : أعلى وجهى .
- (١٥) صرمت الحبل : قطعت الوصل . مصحبتى : تابعى . قرونى : نفسى .

## تحليل الأبيات :

بدأ الشاعر قصيدته بمناجاة حبيبته ، فقال :

متعيني قبل الفراق بنظرة تكون لى أسعد الذكريات ، فتخف اللوعة ، ويهون الوجد ،  
فإن لم تفعلى شعرت عندئذ بألم الفراق ، ووجد البين .

ثم انتقل بعد أبيات إلى وصف الظعن ، فتساءل تساؤل المتلهف عن فيها ، فقال :  
لمن هذه الظعن تظهر من ضبيب؟ فإنها لم تخرج من ذلك الوادى من حين ، لكأنها كانت  
تستريح من سفر غير قاصد ، ومرحلة ليست بالقصيرة ، وكيف لا؟ وقد مررن بأمكنة كثر:  
بشراف وذات رجل ، بعد أن انحرفن عن الذرائح إلى اليمين ، وهن إذ قطعن فلجا تشبه  
هوادجهن السفائن ، تشبهها في امتدادها ، وتمايلها في سيرها ، واستواء ما تجرى فوقه ، ونفاسة  
ما تحمله ، تشبهها مع أنها إبل طوال الأعناق ، عراض الأباهر ومجارى الدموع .

أولئك النسوة فى هودجهن سا كذات مطمئنات ، يقتلن بسحر جاهلن العشاق من  
الشجمان ، ما أشبههن بغزلان تخلفن بأرض يكثر فيها الضال ، فهن يمددن أجيادهن يتلقفن  
أوراق الأشجار ، ظهرن بوجوههن الوضاعة الواضحة من الأستار الرقيقة المرفوعة ،  
وسدلن رقما مطرزا بالديباج ، موشى بالدمقس ، وثقبن البراقع الصغار بالعيون الناعسات ، وهن  
مع ظلمهن لنا ، ودلمهن علينا ، مطلبات منا ، مرغوبات إلينا ، قد تعددت أسباب حبهن ، أدناها  
أنهن طوال الذوائب ، مرسلات الغدائر ، أبدين من محاسنهن ما يصح أن يظهر من عيون  
نواعس ، وخدود نواعم ، وغدائر مرسله ، وسترن أخرى كالجياذ الناصعة ، والبشر المصون ،  
والترائب حليت بقلائد الذهب التى تشبه العاج فى صفاء لونها ، وملاسة بشرتها ، فهن  
شواب ناعمات .

أتمهى بفاطمة تلك حين أريش سهاى استعدادا للحرب ، فذكراها تبعث فى النجدة ،  
فهى تفوق الفتيات الشاخصات ، وتنير بجمالها الغوانى المرشقات من القطين والجارات .  
علت تلك الظلمات ربا وهبطن وهذا دون أن يسترحن ، فهن يصلن صباحهن بأصيلهن

وإن شق ذلك عليهن ، فقلت لإحداهن ، وهي محبوبتي التي أتبع خطاها بشد رحلي معها في الهجرة ، يستقبل أوارها جيبني : أخشى إن قطعت وصلي ، وصرمت حبل ودي أن تقطع نفسي وصلك ، وتصرم حبل ودك .

النقر :

بدأ وصف الظعن بالاستفهام التحسرى ، فأحسن في البدء ، وبرع في الاستهلال ، ولولا أنه أكثر من ذكر المواضع والأمكنة لكان قد بلغ الغاية ، كما بلغها في تشبيهه البخت بالسفن ، فهو تشبيه رائع جميل ، وبيته :

وهن على الرجائز واكنات قواتل كل أشجع مستكين

بيت فارع الحسن بتصويره وبتخيير لفظه ، وما أجل أن يجمع بين الشجاعة والاستكانة ، فهو شجاع عند ملاقات الأقران ، خاضع لدولة الحسن والجمال ، وليس أقل منه تصويراً ذلك البيت الذي استمد لقبه منه ، وهو :

ظهرون بكلة وسدلن رقما وثقبن الوصاوص للعيون

فهو بيت فيه من التصوير الحسى والنفسى مالا يمكن الغض منه ، هذا إلى ما فى الأسلوب من جمال رائع يبدو فى تلك المقابلات التي لا تكلف فيها من مثل قوله :

أرين محاسنا وكنن أخرى من الأجياد والبشر المصون

وقوله :

علون رباوة وهبطن غيبا فلم يرجعن قائلة لحسين

وإذا كان هناك ما يمكن أن يؤخذ عليه فهو خشية القطيعة إن صرمت حبله ، فالعاشق لا يملك زمام قلبه ، ولا يدفع جراح نفسه وكذلك مما يمكن أن يأخذه عليه نقدة الأساليب تكرير القافية فى البيتين الثانى والثالث عشر ، وهم يقولون صادقين إن التكرار قد يكون مبعثه نضوب معين القافية .

٢ — وقال زهير بن أبي سلمى \* من معلقته يصف الظمآن كذلك :

تَبَصَّرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَمَآنٍ      تَحْمَلُنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمٍ؟ (١)  
 عَلُونَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلِيَّةٍ      وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكَةً الدَّمِّ (٢)  
 وَفِيهِنَّ مَلْهَى لِللطيفِ وَمَنْظَرٌ      أُنَيْقٌ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ (٣)  
 بَكَرُنْ بَكُورًا، وَاسْتَحْرَنْ بِسُحْرَةٍ      فَهِنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِّ (٤)  
 جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَن يَمِينِ وَحَزْنَهُ      وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مَحَلٍّ وَمُحْرَمِ (٥)  
 ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ، ثُمَّ جَزَعْنَهُ      حَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيبٍ مَقَامِ (٦)  
 وَوَرَّ كُنَّ فِي السُّوبَانِ يَعْلُونَ مَتْنَهُ      عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ التَّنَعُّمِ (٧)  
 كَأَنَّ فَتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلِ      نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يُحْطَمِ (٨)  
 فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَامُهُ      وَضَعْنَ عَصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخِيمِ (٩)

\* ترجمه الشاعر : اقرأها في ص ٨٨ .

**التفسير اللغوي :** (١) تبصر خليلي : تأمل يا صاحبي . ظمآن : جمع ظعينة ، وهي الإبل فوقها الهودج فيها النساء . العلياء : بلد . جرثم : ماء من مياه بني أسد .  
 (٢) بأنمط : أنمط جمع نمط ، وهو ثوب من الصوف يطرح على الهودج . عتاق : كرام . الكلة ثوب رقيق يكون تحت الأنمط . وراد : تشبه لون الورد . حواشيا : نواحيها .  
 مشاكهة : مشابهة . (٣) ملهى : لهو . اللطيف : الرقيق لا جفاء فيه . أنيق : معجب .  
 المتوسم : المنفوس . (٤) استحرن : خرجن سحرة . وادي الرس : الرس ماء لبني أسد .  
 (٥) القنان : جبل لبني أسد . الحزن : الموضع الغليظ : محل ومحرم : ذي عهد وغير ذي عهد ، أو عدو وغير عدو . (٦) السوبان : واد . جزعنه : قطعنه . قيني : صفة لموصوف محذوف ؛ أي على كل غبيط قيني ، وهو النسوب إلى بلقين ، وهم حي من اليمن تنسب إليهم الرحال ، وهو ثوب طويل يكون تحت الهودج . قشيب : جديد . مقام : موسع .  
 (٧) وركن : ملن . متنه : أعلاه ؛ واللتن ما ارتفع من الأرض وغلظ . عليهن : على الظمآن . دل الناعم : دلال الرقيق واختيال المرفه . (٨) فتات العهن : منتشر الصوف ما صبغ منه وما لم يصبغ . منزل : مكان نزول . الفنا : شجر ثمره حب أحمر فيه نقطة سوداء . لم يحطم : لم يكسر . (٩) الجمام : ما اجتمع من الماء . وضعن عصي الحاضر : كناية عن الإقامة . المتخيم : المقيم للخيام .



## تحليل الأبيات :

تأمل أيها الصديق هل ترى ظمائن سائرات ؟ قد تحملن من العلياء محاذيات في مسيرهن ماء جرثم ، رفعن فوق الأمتعة الأنماط والكلل ذات اللون الوردى من نواحيها ، المشاكلة للدم في حواشيها ، في رؤية أولئك الظمائن ملهى الرجل الرقيق الذى لاجفاء فيه ، والمنظر الأنيق المعجب للسيد المتأمل الذى يعرف الجمال فيصفه ويطريه .

خرجن إلى رحيلهن بكرة ، وسرن سحرة ، فهن في مسيرهن بوادى الرس ، علمات بطرقه ، كما تعرف اليد الطريق إلى القم ، لاتجور عنه ولا تنحرف دونه .

جعلن جبل القنان وحزنه في مسيرهن عن يمينهن اتقاء لمخاطره ، فكم به من أقوام لهم ذمة وعهود ، وأقوام لازمة لهم ولا عهود ، خرجن من وادى السوبان ، ثم عرضن له مرة أخرى ، فقطعنه على كل غبيط منسوب إلى بلقين ، لا يزال قشيبا جديدا موسعا من جانبيه ، وملن في وادى السوبان عاليات ماغلظ منه وارتفع ، يبدو على الظمائن دلال المتعم ، ورفاهية المترفة ، كأن حثات الصوف في كل مكان ينزلن به حب الفنا قبل أن يحطم ، فحين وردن الماء أزرق لتجمعه ، وضمن عصي المتخيم ، ونصبن أخبية المقيم .

## النقر :

بدأ زهير أبياته على نحو ما بدأ به المثقب أبياته ، فكلاهما يستفهم في حسرة عن الظمائن ، وإن كان المثقب قد تجاهل أن هذه الظمائن هي التى فيها مالكة له تخفيها من وجده ، وكلاهما رسم طريق سير هذه الظمائن ، وصور الوديان التى سرن فيها إلا أن زهيرا كان أقدر على رسم خط السير ، ولكنه قصر في الحديث عن جاهلن ومجدهن ، وإن يكن كثير عزة حكم له بالتفوق في النسب ، إذ مثل أى بيت أنسب ؟ فأنشد :

فلما وردن الماء زرقا جامه      وضمن عصي الحاضر المتخيم

أما نحن فلا نرى في هذا البيت ما يراه كثير ، وخير منه عندنا قول المثقب :

وهن على الرجائز واكنات      قوائل كل أشجع مستكين

كفرلان خذلن بذات ضال      تنوش الدانيات من الغصون

## ( ب ) في وصف الفرسان وعتادهم عند الحرب

١ - قال ضمرة بن ضمرة \* يصف نفسه في قتال عدوه :

وَمُشَعَلَةٌ كَالطَّيْرِ نَهْنَهَتْ وَرَدَهَا إِذَا مَا الْجَبَانَ يَدَّعَى ، وَهُوَ عَانِدٌ<sup>(١)</sup>  
عَلَيْهَا الْكُمَاةُ وَالْحَدِيدُ ، فَفَنَهُمُ مَصِيدٌ لِأَطْرَافِ الْعَوَالِي وَصَائِدٌ<sup>(٢)</sup>  
شَمَاطِيظُ تَهْوِي لِلسَّوَامِ ، كَأَنَّهَا إِذَا هَبَّتْ غُوطًا كِلَابٌ طَوَارِدٌ<sup>(٣)</sup>  
وَقَرْنٍ تَرَكْتُ الطَّيْرَ تَحْجُلُ حَوْلَهُ عَلَيْهِ نَجِيعٌ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ جَاسِدٌ<sup>(٤)</sup>  
: ٧٩٥ حَشَاءُ السَّنَانِ ، ثُمَّ خَرَّ لِأَنْفِهِ كَمَا قَطَرَ الْكَعْبُ الْمَوْرَبَ نَاهِدٌ<sup>(٥)</sup>

\* ترجمته الشاعر : هو ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطش بن نهشل التميمي ، كان لسانا فصيحاً ، كان اسمه ( شقا ) فدخل على النعمان بن المنذر فعاب دمامته ، فقال له : أبيت اللعن إن الرجال لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بميزان ، وإنما المرء بأصغريه ، بقلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان ، فقال له النعمان : أنت ضمرة بن ضمرة يريد أنه كأبيه ، فصار اسمه ضمرة . توفي حوالي سنة ٦٠٠ م .

التفسير اللغوي : (١) المشعلة : الكتيبة تشعل للحرب ، شبهها بالنار المشعله . نهنت :

كففت ، وردها : الورد القطعة من الجيش . يدعى : ينتسب . عاند : منحرف .

(٢) الكمأة : جمع كمي الفرسان في أتم سلاحهم . العوالي : جمع عالية وهي أعلى الرماح .

(٣) شماطيط : جمع شمطاط أو شمطوط ، أو الشمطيط الفرقة من الجيش . تهوى : تسقط .

السوام : الإبل الراحية . الغوط : جمع غائط ، وهي الأرض الواسعة المطمئنة ، ومنها غوطة

دمشق ، وهي أجمل قطعة فيها . طوارد : قوائص . (٤) القرن : النظير في النجدة

والفروسية . تحجل : تسير على رجل واحدة من الفرح . النجيع : الدم الشديد الحمرة .

الجاسد : اللازق . (٥) حشاه السنان : دخل في أحشائه . خر : سقط . قطره :

رماه على قطريه ، وهما جانباها . الكعب : عظم يلعب به . المورب من الكعاب : الحاد الأطراف .

الناهد : الصبي المرتفع .

## تحليل الأبيات :

يصف ضمرة شجاعة قومه في قتال عدوم ، فيقول : رب كتيبة كثيفة منشرة انتشار الطير كفكفت جموعها ، ونهنت جحافلها ؛ حين يدعى الجبان الدعاوى ، وينسب إلى نفسه البأس والقوة ، وهو عاند عن الجمع ، منحرف عند ملاقاته الحشد ، خشية أن يصيبه الخطف ، يتزعم هذه الكتيبة الكماة الأبطال يفظيهم الحديد ، ويتسربلون بالبيض والدروع . ولكن جديدهم لم يغن عن أكثرهم شيئا ، وبيضهم ودروعهم لم تدفع عن جموعهم قضاء ، فمن هؤلاء المصيد والصائد ، والأسير والأسر .

فرق هذه الكتيبة تنقض على الغنائم انقضا الكلاب الطوارد ، وتهوى على الفئ هوى الطيور الجوارح ؛ لأنها لا تبالى عدوها ، فقد أجمته السنان ، وكسته الهزيمة العار . تلك الكتيبة لا تثبت لى فى ضراب ، ولاتنى أن تنهزم أمامى عند تبادل الطعان . ورب قرن جدلته وتركته نهش السباع ونهب الطيور ، فهى تحجل حوله تنتاش لحمه ، وتمتص عظمه ، فوق أجزاء جسمه الدم المتجمد ، وعلى أطرافه النجيع المتجسد ، فقد أوجأت شباة السيف فى أحشائه ، فسقط على وجهه ، كما يرمى الفتى الناهد الكعب المحدد ، فيلصق فيما يسقط عليه ، ويستقر فى أحشاء ما يرمى به .

## النقد :

فى هذه الأبيات تصوير للحرب ، فكم من الناس يقول ويدعى ، حتى إذا دارت رحاها انحرف عنها ، وخاف ميدانها « إذا ما الجبان يدعى وهو عاند » فى هذه الحرب تتصاول الفرسان ، ففيا الصائد والمصيد ، والأسر والأسير ، « مصيد لأطراف العوالى وصائد » . وفيها تصوير للجند وقد انتهت المعركة ، فهم ينصرفون إلى جمع الغنائم واقتسام الأسلاب ، وحينئذ تقبل الطيور « عصائب طير تهتدى بعصائب » لتجد طعاما ميسرا موفورا . وفيها وصف للقتلى يخرون على حراؤفهم ، وأمراء وسهم ، إذ سددت إليهم الأسنة تسديد اللاعب بالكعب المؤرب ، وهى صور لامبالغة فيها ولا غلو .

٢ - وقال دريد بن الصمة \* يصف حرباً قتل فيها أخوه عبد الله :

دَعَايَ أَخِي وَالْحَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِمَقْعَدِ (١)  
 أَخِي أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ بِلِبَانِهَا      بِثَدْيَيْنِ صَفَاءَ يَبِينُنَا لَمْ يُجَدِّدِ (٢)  
 تَنَادَوْا ، فَقَالُوا : أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا      قُلْتُ : أَعْبَدُ اللَّهَ ذِكْمُ الرَّدِيِّ ؟ (٣)  
 فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاحُ تَنْوِشُهُ      كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ (٤)  
 وَكُنْتُ كذَاتِ الْبُورِ رِيْعَتْ فَأَقْبَلْتُ      إِلَى جِلْدٍ مِنْ مَسْكَ سَقَبٍ مُقَدِّدِ (٥)  
 فَمَارَحْتُ حَتَّى طَرَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ      وَغَوَدَرْتُ أَكْبُوِي فِي الْقَنَا الْمَتَّقَصِّدِ (٦)  
 فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسْتُ      وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِي (٧)  
 ٨٠٣ : قِتَالِ امْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ (٨)

\* ترجمه الشاعر : هو دريد بن الصمة . واسم الصمة معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر شاعر فحل ، وفارس شجاع ، كان أطول الفرسان الشعراء غزوا ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نقيبة ؛ أدرك الإسلام فلم يسلم ، وقتل يوم حنين ، وهو هنا يبكي أخاه عبد الله الذي قتل في حربه مع غطفان .

التفسير اللغوي : (١) أخى : يعنى عبد الله . الحيل : يقصد الفرسان . بمقعد : يتخلف عن القتال ، وفي رواية بمقعد . (٢) اللبان : اللبن . لم يجد : لم يحف لبانه ، وفيه كناية عن دوام الصفاء . (٣) تنادوا : نادى بعضهم بعضاً . أردت : أهلكت . (٤) تنوشه : تتناوله . الصياصي : جمع صيصية ، وهى شوكة يمرها الحائك على الثوب حين ينسجه . الممدد : المطول الممتد . (٥) ذات البو : الناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحشى لها جلده فترأمه . ريعت : فزعت . الجلد : ما جلد من السلوخ وألبس غيره لتشمه أم للسلوخ فتدر عليه . المسك : الجلد لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظام . السقب : ولد الناقة الصغيرة . المقدد : للشقق (٦) طرقتنى : شقت جسدى وجلت فيه طرقا . أكبو : أسقط . القنا : الرماح . المتقصد : الميت . (٧) تنفست : تفرقت . حالك اللون : يقصد الغبار الكثيف من وقع حوافر الخيول حوله . أسودى : يريد أسودى ، كما قيل فى الأحمر أحمرى ، وفى الدوار دوارى ثم خفت ياء النسب بحذف إحداهما ، وهى الأولى ، وجعلت الثانية صلة . (٨) آسى : سوى ، محمد : خالد .

## تحليل الأبيات :

هذه الأبيات من قصيدة في الرثاء من جياذ الشعر الجاهلي ، لافي الرثاء فحسب ، بل في جميع ماتناولته فنون الشعر .

وقد كان دريد بارعا في وصف القتال ، فبعد أن ذكر دعوة أخيه إياه ، وأنه كان سريع التلبية ، إذ لم يكن عند مادعاه إلى الموت بمقعد ، فهو أخوه رضيعا ثديين جمعا على صفاء ، لم يبس لبيها ، فلم يجف عطف أمهما ، وصف القتال فقال :

لقد تنادى الأعداء ، وتجاوبت الأصداء ، أرذت الفرسان فارس الميدان ، ومن يكون ذلك الفارس غير عبد الله ، فهو وحده الذي يستحق هذا اللقب ؟

أقبلت عليه والرماح تنتاشه من كل جانب ، والعوالى تتناوله من جميع أقطاره ، فتقع على جسمه الطاهر وقوع الشوكة يمرها على الثوب الناسج ، فهو لم يقلب عن ضعف ، وإنما غلبته الكثرة الكثيرة .

حينئذ كنت كالناقة يذبح سقبا فتراع وتفزع ، فتبمث فيها الروعة والفزع النظر إلى ذلك البوتشمه وتتحسسسه ، فأنا أنامله تأمل الأم المنكوبة في وليدها ، فما نزلت إلى الميدان حتى خرقت جسمي رماحهم ، وجعلته طرائق وخطوطا ، وتركت أكبوا في الرماح الطاعنة .

لقد طاعنت عن جثته الفرسان حتى تفرقت جموعها ، وحتى علا النقع رأسي ، نصرت منه حالك اللون ، أسود البشرة ، لقد قاتلت قتلة أخي قتال أخ صادق في أخوته ، فهو يسوى بينه وبين أخيه حتى في طلب البقاء ، ويجب لأخيه الحياة كما يجبها لنفسه ، قاتلت عنه قتال من يعلم أن كل حي إلى فناء ، « وأن المرء غير مخلد » .

## النقر :

الأبيات تسيل بصورها العبرات ، فهو يصور تنادى الفرسان في غبطة بقتل أخيه ، وليس أبلغ في إظهار الغبطة من كلمة « تنادوا » ثم إن شعر الرأس ليقف من الهول عند ما يتصور تناوش الرماح لأخيه ، وهي « كوقع الصياصي في النسيج الممدد » ثم أي تصوير أجمع لذهاب العقل من التسوية بينه وبين الناقة ترام بوها ؟ لقد بلغ دريد بقصيدته آية الوصف الحسى والعاطفى .

٣ — وقال عنقرة \* يصف كتيبة هزمتها :

وكتيبة لبستها بكتيبة  
خرساء ظاهرة الأداة كأنها  
فيها الككاة بنو الككاة كأنهم  
شهب بأيدي القابسين إذا بدت  
صبر أعدوا كل أجرد ساج  
يعدون بالمستلثمين عوابسا  
يحملن فتيانا مداعس بالقنا  
من كل أروع ماجد ذي صولة  
شهباء بأسلة يخاف رداها<sup>(١)</sup>  
نار يشب وقودها بلظاها<sup>(٢)</sup>  
والخيل تمتر في الوغى بقناها<sup>(٣)</sup>  
بأ كفهم بهر الظلام سناها<sup>(٤)</sup>  
ونجبية ذبلت وجف حشاها<sup>(٥)</sup>  
قودا تشكى أيتها ووجاها<sup>(٦)</sup>  
وقرا إذا ما الحرب خف لواها<sup>(٧)</sup>  
مرس إذا لحقت خصى بكلاها<sup>(٨)</sup>

\* ترجمه الشاعر : اقرأها في ص ١٢٢ .

- التفسير اللغوي : (١) الكتيبة : الفرقة من الجيش . لبستها : خلطتها . شهباء : العظيمة الكتيبة السلاح . رداها : هلاكها .
- (٢) خرساء : لا صوت لها . الأداة : العتاد . يشب : يشعل . بلظاها : بلهبها .
- (٣) الككاة : جمع ككى ، وهو الفارس المدجج بالسلاح . الوغى : الحرب . بقناها : برماحها .
- (٤) شهب : وصف لموصوف محذوف هو أسنة . بهر : كشف . سناها : نورها .
- (٥) صبر : صابرون . أجرد : وصف للفارس خف شعره لسمنه . ساج : يعدو بأقدامه الأربعة ، كما يعمل الساج بيديه ورجليه . نجبية : ناقة كريمة . ذبلت : ضمرت . حشاها : ما انضمت عليه الضلوع .
- (٦) يعدون : يجرون . المستلثمين : اللابسي اللأمة ، وهي الدرع . عوابس : غضابا . قودا : جمع أقود الدلول النقاد . أيتها : تعبا . وجاها : حفاها .
- (٧) مداعس : جمع مدعس ، وهو الفارس الطعان . وقرا : جمع وقور الساكنون . خف : اضطرب .
- (٨) الأروع الماجد : الذكى الكريم النسب . مرس : ثابت . خصى : جمع خصية بالضم والكسر . الكلى : جمع كلية وكلوة .

وَصَحَابَةُ شُمِّ الْأَنْوْفِ بِعَثْمِهِمْ      لَيْلًا وَقَدَمَالَ الْكَرْمَى بِطُلَاهَا<sup>(٩)</sup>  
وَسَرِينَتُ فِي وَعَثِ الظَّلَامِ أَفُودُهَا      حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَالَ ضَحَاهَا<sup>(١٠)</sup>  
وَلَقَيْتُ فِي قُبُلِ الْمَهْجِيرِ كَتَيْبَةً      فَطَعَنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ أَوْلَاهَا<sup>(١١)</sup>  
وَضَرَبْتُ قَرْنِي كَبِشِيهَا فَتَجَدَّلَا      وَحَمَلْتُ مُهْرِي وَسَطَهَا فَمَضَاهَا<sup>(١٢)</sup>  
حَتَّى رَأَيْتُ الْخَيْلَ بَعْدَ سَوَادِهَا      حُمْرًا الْجُلُودِ خُضْنَ مِنْ جَرِّ حَاهَا<sup>(١٣)</sup>  
يَعْتَرُونَ فِي نَقَعِ النَّجْمِ جَوَافِلًا      وَيَطَّانَ مِنْ حُمَى الْوَعَى صَرَاعَهَا<sup>(١٤)</sup>  
٨١٨ : فَرَجَعْتُ مَحْمُودًا بِرَأْسِ عَظِيمِهَا      وَتَرَكْتُهَا جُزْرًا لِمَنْ نَاوَاهَا<sup>(١٥)</sup>

- 
- (٩) شم الأنوف : مرتقى الأنوف ، وهي كناية عن العلاء والرفعة . الكرمى : النوم .  
الطلى : جمع طلية وطلاة العنق ، أو أصلها .
- (١٠) وعث الظلام : اختلاط الظلام وشدته . زال : تحرك ، ومصدره زول . ضحاها :  
وقت ارتفاع الشمس .
- (١١) قبل المهجير : في أول اشتداد الحر . أولاهها : أولى طعناني .
- (١٢) تجدلا : تكسرا . فمضاها : ققطعها .
- (١٤) نقع النجم . النقيع : المستنقع والغبار ، والأول هو المراد . النجم الدم الأسود  
التجمد . حمى الوعى : شدة الحرب . صرعاها . قتلها .
- (١٥) محموداً : مشكوراً ، جزراً : جمع جزور ، وهي الناقة تجزر . ناواها : مخفف  
ناواها عاذاها .

## تحليل الأبيات :

رب فرقة كثيفة من الجند دهمتها بفرقة عظيمة العدد ، موفورة العتاد ، يخشى فتكها ، ويخاف رداها ، يسير أفرادها في سكون لامن خوف بل عن غضب ، فعتادها ظاهر ، وسلاحها لامع ، كأنه نار مشبوبة .

في هذه الفرقة فرسان ورثوا الفروسية عن آبائهم ، يشبهون - إذ تتعثر الخيل عند ماتحمى الوغى في الرماح المتساقطة ، والقنا المتهاوية - يشبهون في أيديهم سيوفهم ورماحهم شهباً بأيديهم أقباس من النار ، فيكشفون الظلام ، ويزيحون القتام ، كإتة أجلاذ ، أعدوا للجلاذ الجرد السوابح ، والنجب الذوابل الأخلاف ، الجواف الأحشاء ، الضواصر البطون ، تعدو تلك الخيول عوابس غواضب ذللاً ، تشكو ما يلحقها من نصب ، وما يصيبها من أين وتعب .  
بفرسان قد استلأموا . إنهن يحملن فتيانا فرسانا يحسنون الطمن ، رزنا عند ما يخف عقل الحليم ، ويضيع رشد الوقور ؛ إذا خف لواء الحرب ، فحمل أثناء الرجوع بالفشل ، من كل ندب ماجد ، وأروع ذكى ، ذى جولة وصولة ، وحول وطول ، ثبت عند النزال إذ تبلغ الحصى كلى الفرسان .

ورب صحب عزيزى النفوس ، شم الأنوف بعثت بهم ليلا فى غارة بعد أن لعب الكرى بأعنة الفرسان ، فسريت فى شدة الظلام أقود تلك السرية ، فلم أنفك فى غارتى حتى تحركت أشعة الشمس ، ولقيت فى أول المهجير فرقة ضخمة ، فجعلت أولى طعناتى لأول فرسانها ، وضربت قائدها فخرا مجدلين ، ثم حملت مهري على قلبها ففرقتها كل مفرق ، ومزقتها شراً ممزق ، وما زلت كذلك حتى رأيت الخيول الدم قد صارت كتنا ، كأنما خضبت من دماء فرسانها ، وحتى رأيتها تتعثر فى مجتمعات من الدماء ومستنقعات من النجيع ، فتذعر مما ترى ، وتجنفل مما تسير عليه ، فهى لم تر طرقة كتلك التى تتعثر فيها ، فهن إما سائرات فى مستنقعات ، وإما سائرات عند احتدام الحرب فوق رعوس الصرعى ، ثم عدت مظفراً منصوراً ، محموداً أحمل رأس عظيمها ، وتركت الكتيبة كالجزور ينهشها من عاذاها من الكواسر والجوارح .



## الغمر .

لعنتره في شعره شخصية ، فإنك تستطيع أن تحم دون تعثر في حركك عندما تسمع  
شعر عنتره أنه لعنتره دون سواه ، فهو يهول من قوة عدوه ليكون الغلب بعدئذ عظيما قهارا ،  
وهو في هذه الأبيات يسير على نمطه الذي اختاره سمة له ، وقد صور لنا الموقعة تصويراً واقعياً

فكثيبته : شهباء بأسلة يخاف رداها

خرساء ظاهرة الأداة كأنها نار يشب وقودها بلظاها

والخيول :

يعدون بالمستلثمين عوابسا قودا تشكى أينها ووجاها

ويصور الحرب أدق تصوير فيقول :

ولقيت في قبل المهجير كتيبة فطمنت أول فارس أولهاها

وضربت قرني كبشها فتجدلا وحملت مهري وسطها فمضاها

حتى رأيت الخيل بعدسوادها حمر الجلود خضبن من جرحاها

أما الأسلوب فهو أسلوب عنتره القوي الواضح لولا غموض يعثور البيت الثاني من البيتين :

فيها الكماة بنو الكماة كأنهم والخيول تعثر في الوغى بقناها

شهب بأيدي القابسين إذا بدت بأ كفهم بهر الظلام سناها

فوجه الشبه لا يستقيم إذا كان المشبه الكماة والمشبه به الشهب ، وإنما يستقيم إذا كان المشبه  
السلاح على أن الأبيات فيها قوة الكتيبة الشهباء .



ع — وقال سلامة بن جندل \* يصف نبذة قومه في حربهم من قصيدة أولها :

أودى الشبابُ حميداً ذُوَ التَّعَاجِيبِ      أودَى وَذَلِكَ شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ<sup>(١)</sup>

كفنا إذا ما أتانا صارِخُ فزِعٍ      كان الصُّرَاخُ له قرعَ الظَّنَائِبِ<sup>(٢)</sup>

وَشِدَّةُ كُورٍ عَلَى وَجْنَاءِ نَاجِيَةٍ      وَشِدَّةُ مَرَجٍ عَلَى جِرْدَاءِ مُرْخُوبِ<sup>(٣)</sup>

والعادياتُ أسابيُّ الدِّمَاءِ هباً      كأنَّ أعناقها أنصابُ ترَجِيبِ<sup>(٤)</sup>

مِنْ كُلِّ حَتٍّ إِذَا مَا ابْتَلَّ مَلْبَدُهُ      صَافِي الأَدِيمِ، أَسِيلِ الخَدِّ، يَعْبوبِ<sup>(٥)</sup>

لَيْسَ بِأَسْنَى، وَلَا أَقْنَى، وَلَا سَقِلِ      يُعْطَى دَوَاءَ قَفِي السَّكَنِ مَرَبُوبِ<sup>(٦)</sup>

٨٢٥ : تظاهر النى فيه فهو محتفل<sup>(٧)</sup> يُعْطَى أَسَاهِي مِنْ جَرِي وَتَقْرِبِ<sup>(٧)</sup>

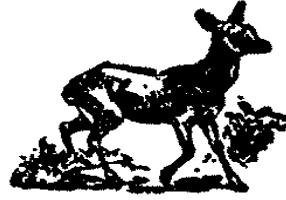
\* ترجمه الشاعر : هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث ، من شعراء تميم الفحول ومن فرسانهم الأبطال ، ومن وصاف الحيل البارعين ، وهذه القصيدة - فيما يقول الرواة - أجود شعره ، توفي حوالى سنة ٥٢٠ م

التفسير اللغوى : (١) أودى : ذهب . التعاجيب : الأعاجيب ، وهو جمع لا واحد له . الشأو : الغاية والسبق . (٢) صارخ مستنجد . فزع : خائف . الصراخ : الإغاثة الظنائب : جمع ظنبوب حرف عظم الساق ، والجملة كناية عن الاستعداد . (٣) الكور : رحل الناقة بأداته . الوجاء : الناقة العليظة الوجنتين . الناجية : السريعة . الجرداء : الفرس القصيرة الشعر . السرحوب : الفرس الطويلة . (٤) العاديات : الحيل السريعات . الأسابي : الطرائق ، مفردها إسبابة . أنصاب : جمع نصب حجارة كانت تنصب حول الكعبة . ترجيب . تعظيم . (٥) الحت : السريع . ملبد : موضع اللبد . صافى الأديم : صافى الجلد . أسيل الخد : ناعم الخد . يعبوب : كثير الجرى . (٦) الأسنى : الحفيف شعر الناصية . الأقنى : الذى فى أنفه احديداب . السفلى : المضطرب الأعضاء . الدواء : يقصد اللبن . قفى السكن : الضيف الكريم عند السكن ، وهم الساكنون . المربوب . الذى يغذى فى البيوت ، ولا يترك يرود الطعام عند غير أهله . (٧) تظاهر النى : تراكم الشحم بعضه على بعض . المحتفل : الكثير المجتمع . الأساهى : الضروب والفنون لا واحد له . التقريب نوع من السير دون الجرى .

- رَزَقَ الدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتَعَ (٩) فِي جُوجُو كَدَاكَ الطَّيْبِ مَخْضُوبٍ (٩)  
فِي كُلِّ قَائِمَةٍ مِنْهُ إِذَا انْدَفَعَتْ شَوْبُوبٌ شَدِيدَةٌ كَفَرَعَ الدَّلُوْ أُنْعُوبٌ (١٠)  
كَأَنَّهُ يَرْفِي نَامَ عَنِ غَنَمٍ مُسْتَنْفَرٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مَذُوبٌ (١١)  
يُحَاضِرُ الْجُونَ مُحْضَرًا جَحَافِلُهَا وَيَسْبِقُ الْأَلْفَ عَفْوًا غَيْرَ مَضْرُوبٍ (١٢)  
مِمَّا يَقْدَمُ فِي الْمَيْجَا إِذَا كُرِهَتْ عِنْدَ الطَّعْمَانِ وَيُنْجَى كُلُّ مَكْرُوبٍ (١٣)  
هَمَّتْ مَعْدٌ بِنَا هَمًّا فَفَنَهْنَهَهَا عَنَّا طِعَانٌ وَضَرْبٌ غَيْرُ تَذْرِيْبٍ (١٤)  
بِالْمَشْرِفِيِّ وَمَصْقُولِ أَسِنَّتِهَا صُمُّ الْعَوَامِلِ صَدَقَاتِ الْأَنْبِيْبِ (١٥)  
٨٣٣ : سَوَى الثَّقَافُ قَنَاهَا نَهَى مُحَاكَمَةٌ قَلِيْلَةُ الزَّيْغِ مِنْ سَنٍ وَتَرْكِيْبٍ (١٦)

- (٩) الدسيع : معرز العنق في الكاهل . الهادي : العنق أو مقدمه . البتع : الطويل .  
الجوجو : الصدر . المداك : الصلاة مخصوب : مخرج بدماء العدو .  
(١٠) الأساوي : دفعات الجري . فرغ الدلو : مخرج الماء منها . أنعوب : سائل منشعب .  
(١١) اليرفي : راعي الغنم . مستنفر : مستثار . مذوب : هجم عليه ذئب .  
(١٢) يحاضرها : يطاولها الحضر ، وهو شدة الجري . الجون : بالضم جمع جون بالفتح  
يقال للأبيض والأسود ، يريد بها الحجر الوحشية . الجحافل : جمع جحفة ، وهي للخيل والحير  
عنزلة الشفة بالانسان . عفوا : هادئا .  
(١٣) الميجاء : الحرب . إذا كرهت : إذا خيفت . مكروب : نازل به وشدة .  
(١٤) همت : عزمت . فنهها : فزجرها . نذريب : تحديد . وفي رواية غير تذييب  
وهي مبالغة من الذب .  
(١٥) المشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف الشام . مصقول : محدد . العوامل :  
جمع عاملة أعالي الرماح ، كهوال . صدقات : صلبات . الأنابيب : ما بين عقد الرماح .  
(١٦) سوى : عدل . الثقاف : مثقف الرماح ، وهي خشبة فيها ثقب تقوم بها الرماح .  
الزيغ : الاعوجاج . تركيب : يعني تركيب النصال .

- زُرْقًا أَسِنَّهَا ، مُحْرًا مُثَقَفَةً أَطْرَافُهُنَّ مَقِيلٌ لِلْيَعَاسِيْبِ (١٧)  
تَجَلَّوْا أَسِنَّهَا فِتْيَانُ عَادِيَةٍ لَامُتْرَفِينَ وَلَيْسُوا بِالْجَعَابِيْبِ (١٨)  
١٣٦ : كَأَنَّهَا بِأَكْفِ الْقَوْمِ إِذْ لَحِقُوا مَوَاتِحُ الْبُرِّ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبِ (١٩)



- 
- (١٧) زرقا أسنتها: لشدة صفائها . حمرا : اشتداد الصفاء يبعث حمرة . مقيل : مكان قضاء القيولة . اليعاسيب : جمع يعسوب ملوك النحل .  
(١٨) عادية : حرب . المقرف : الذي يكاد يكون هجينا ، والهجين من أمه رقيقة .  
الجماييب : القصار الضعاف .  
(١٩) مواتح البر : الحبال التي ينزح بها الماء من البر . الأشطان : الحبال الطوال  
مطلوب : بر بعيدة القرار بين المدينة والشام .

## تحليل الأبيات :

ذهب الشباب محمودة عواقبه ، كثيرة أعاجيبه ، ذهب وتلك غاية ما كنا نطلبها ،  
وشأولم نكن نامله .

يبكاء الشباب والتحسر على أيامه الزاهيات بدأ الشاعر قصيدته ، ثم انتقل إلى الفخر  
بالكرم والنجدة والشجاعة ، فقال :

كنا - ومازلنا - إذا استنجد بنا مستنجد ، أو استصرخ بقومنا مستصرخ كان  
الاستعداد للدفع عنه جواب استصراخه ، فنشد الأكوار على الوجناوات النجائب ،  
والسروج على الجرد السراحيب ، تلك العاديات التي ترى فوق أعناقها طرائق الدم من  
طعننا الأعداء ، فكأن هذه الأعناق أنصاب نذبح فوقها الهدى لها ، من كل فرس جواد  
سريع عند ما يتل موضع اللبد منه ، صافي الجلد ، ناعم الخد ، سريع الجرى ، وذلك  
لحسن القيام عليه ، ولكرمه وعتقه ، ليس فيه ما يمكن أن يعاب به ، فليس خفيف شعر  
الناصية ، وليس محدودب الأنف ، وليس مضطرب الأعضاء ، بل هو كامل الحسن ، بالغ  
الجمال ، فنحن لذلك نكرمه غاية الإكرام ، فنسقيه مما نسقى منه أكرم الضيوف ، ونغذيه  
ما نغذى به أعز الأرباب ، فهو سمين مكثنز ، ضخيم محتفل ، له أفانين في العدو والجرى ،  
وأساهى في الحضرة والتقريب ، يعتلى كاهله عنق يتع طويل ، فوق صدر ناعم أملس ، كأنه  
لنعومته وملاسته وكتته مداك الطيب ، في كل قاعة من قوائمه الأربع عند ما يندفع عاديا  
دفعات من الجرى ، كأنها في شدة وقعها انصباب الماء من الدلو .

كأن ذلك الفرس راعي غنم نام عنها ، فعثت فيها الذئاب ، فنهض من سباته فزعا  
مضطربا يحاول بأسرع عدوه ، وأشد جريه إنقاذها من مخالب مفترسها ، وهو يبارى الحر  
الوحشية حضرها ، وقد اخضرت شفاهاها ؛ لما هي فيه من رعى كثير ، ويسبق الألف من  
الخليل دون أن يضرب بسوط ، أو يركل بقدم .

ذلك الفرس من الجياد التي تختار لاقتحام الهيجاء إذا خيف اقتحامها ؛ لا اشتداد  
الضرب والطمع فيها ، فينجى فارسه بكره وفره ، فيسبق مطلوبا ويدرك طالبا .

همت معداً بناعماً ، وقصدت حر بناقصدا ، فكفها عن الهم بنا ماتعرفه عنا من طعن

مسدد ، وذب عن حرماننا قوى شديد بالسيوف المشرفية ، وبالرماح المصقولة الأسنة ، الصم  
العوامل ، الصلبة الأنابيب ، قد سوى الثقاف قناتها ، فهي محكمة ، عديمة الاعوجاج ،  
شديدة التحديد ، صافية الحديد ، فأسنتها زرق يخالطها حمرة لشدة صفائها ، مقومة أتم  
تقويم ، فأسنتها تقيل فيها رموس قواد الجيش ويعاسيب الجند .

تصقل أسنتها وتجلو أطرافها فتیان حرب ، كلهم نسيب كريم ، ليس فيهم هجين  
ولا ضعيف ، كأن هذه الرماح بأ كف الحار بين إذ لحقوا أعداءهم الفارين حبال يمتح بها  
ماء البئر ، أو أشطان بئر بعيدة النور ، فهي لا بد مدركة رؤوس أولئك الفارين .

#### النقر .

الأصل في هذه الأبيات أنها للفخر ، ولكن الشاعر وصف فيها الاستعداد للقتال  
وصفا بارعا في قوله :

وشد كور على وجناء ناجبة      وشد سرج على جرداء سرحوب

ثم سار يصف الخيل في حضرها وتقريبها ، وأجزاء جسمها ، وما تقدمه لفارسها من  
جهد محمود في قتاله فأجاد الوصف ، ثم وصف الرماح فوفق في وصفه إياها ، وإن يكن كرر  
بعض المعاني ، ولعل هذا التكرير مما يلائم الفخر الذي هو الأصل في قصيدته ، وذلك  
من مثل قوله :

سوى الثقاف قناها ، فهي محكمة      قليلة الزيغ من سن وتركيب

زرقا أسنتها حمرا مثقفة      أطرافهن مقيل لليعاسيب

تجلو أسنتها فتیان عادية      لا مقرفين ، وليسوا بالجماييب

ويعجبنا ذلك المعنى في قوله : « أطرافهن مقيل لليعاسيب » فهو قد صور لنا الرموس

تقيل في أطراف الرماح ، وهو معنى لم يسبق إليه فيما نعلم .

٥ — وقال بشر بن أبي خازم \* يصف نجدة قومه من قصيدة أولها :

عَفْتُ من سُلَيْمَى رَامَةً فَكَثَيْبِهَا      وَشَطَّتْ بِهَا عَنْكَ النَّوَى وَشُعُوبِهَا<sup>(١)</sup>  
 وَكُنَّا إِذَا قَلْنَا : هَوَازِنُ : أَقْبَلِي      إِلَى الرَّشْدِ لَمْ يَأْتِ السَّدَادَ خَطِيئِهَا<sup>(٢)</sup>  
 عَطَفْنَا لَهُم عَطْفَ الضَّرُوسِ مِنَ الْمَلَا      بِشَهْبَاءَ لَا يَمِشِي الضَّرَاءَ رَقِيبِهَا<sup>(٣)</sup>  
 فَلَمَّا رَأَوْنَا بِالنَّسَارِ كَانْنَا      نَشَاصُ الثَّرِيَا هَيْجَتِهَا جَنُوبِهَا<sup>(٤)</sup>  
 فَكَانُوا كذَاتِ الْقِدْرِ لَمْ تَذَرِ إِذْ غَلَّتْ      أَتْنَزِلُهَا مَذْمُومَةً أَمْ تُذَيِّبُهَا؟<sup>(٥)</sup>  
 قَطَعْنَاهُمْ ، فَبِالْيَمَامَةِ فِرْقَةٌ      وَأُخْرَى بِأَوْطَاسٍ تَهْرُ كَلْبِهَا<sup>(٦)</sup>  
 نَقَلْنَاهُمْ نَقَلَ الْكَلَابِ جِرَاءِهَا      عَلَى كُلِّ مَعْلُوبٍ يَثُورُ عَكُوبِهَا<sup>(٧)</sup>  
 ٨٤٤ : لِحُونَاهُمْ لِحْوَةَ الْعِصِيِّ ، فَأَصْبَحُوا      عَلَى آلَةٍ يَشْكُو الْمَوَانَ حَرِيبِهَا<sup>(٨)</sup>

\* ترجمه الشاعر : اقرأ ترجمته في ص ١١٦ .

- التفسير اللغوي : (١) عفت : درست . رامة : بلاد . الكثيب : الرمل . شطت : نأت وبعدت . النوى : نية السفر . شعوبها : جمع شعب يقصد أهلها .  
 (٢) هوازن : قبيلة وهي منادى . الرشد : الحلم والسداد . السداد : الإصابة .  
 (٣) عطفنا لهم : ملنا عليهم . الضروس : صفة لموصوف محذوف هو الحرب ، وإتما توصف بالضروس لأنها تضرس المقاتلين كما تعض الناقة السيئة الخلق حالبها . الملا : الصحراء .  
 الشهباء : السكتبية علاها الحديد فلع . الضراء : ما يوارى الإنسان من الشجر . الرقيب : الناظر .  
 (٤) النسار : اسم مكان . نشاص الثريا : ما ارتفع من السحاب بنونها ، وفيه كناية عن الكثرة . جنوبها : ريح شديدة تهب من الجنوب .  
 (٥) ذات القدر : صاحبة القدر فيها السمن . مذمومة : أى من الضيف . تذيبها : تذيب سمنها .  
 (٦) قطعناهم : مزقناهم في حربنا إيهم . اليمامة وأوطاس : موضعان كانا ميدان قتال .  
 تهر : تصيح من خوف . كلبها : كلابها (٧) نقلناهم : حملناهم على الانتقال من بلدهم . الجراء : جمع جرو . معلوب : وصف لموصوف محذوف أى طريق معلوب ، وهو المهد . عكوبها : غبارها ، والهاء تعود على الطريق ، وهو يذكر ويؤنث .  
 (٨) لحنوناهم : أخذنا جميع عتادهم ، وهو من لحا الشجرة إذا قشر عودها . الآلة : الحال . الموان : الدل . حريبها : الحريب المسلوب المال .

لَدُنْ غُدُوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ      وَأَدْرَكَ جَرَمَى الْمُبْقِيَاتِ لُغُوبُهَا<sup>(٩)</sup>  
جَعَلَنَ قَشِيرًا غَايَةً يُهْتَدَى بِهَا      كَمَا مَدَّ أَشْطَانَ الدَّلَاءِ قَلْبِيهَا<sup>(١٠)</sup>  
إِذَا مَا لَحِقْنَا مِنْهُمْ بِكَتَيْبَةٍ      تُذَكِّرُ مِنْهَا ذَحَلَهَا وَذُنُوبُهَا<sup>(١١)</sup>  
بَنِي عَامِرٍ : إِنَّا تَرَكْنَا نِسَاءَ كَمْ      مِنْ الشَّلِّ وَالْإِيحَافِ تَدْمَى عَجُوبُهَا<sup>(١٢)</sup>  
غَضَارِيطُنَا مُسْتَبِطِنُو الْبَيْضِ كَالدَّمَى      مُضْرَجَةٌ بِالزَّعْفَرَانِ جُيُوبُهَا<sup>(١٣)</sup>  
تَبَيْتُ النِّسَاءَ الْمُرْضِعَاتُ بَرَهْوَةَ      تَفْرَعُ مِنْ خَوْفِ الْجَنَانِ قَلُوبُهَا<sup>(١٤)</sup>  
٨٥١ : دَعَا مُنْبِتَ السِّيفَيْنِ إِنَهُمَا لَنَا      إِذَا مُضِرُّ الْحِمَاءِ شَبَّتْ حُرُوبُهَا<sup>(١٥)</sup>

- 
- (٩) لدن : عند ، وهو ظرف يصلح للزمان والمكان ، وهو المكان أقرب وأخص .  
الغدوة : أول الصباح . المبقيات : الحيل تدخر بعض جريها . اللغوب : الإعياء .  
(١٠) قشيرا : يعنى قبيلة بنى قشير ، والقصود أن خيل بنى أسد جعلت همها بنى قشير .  
الأشطان : الجبال الطويلة . القليب : البئر . الدلاء : جمع دلو .  
(١١) الكتيبة : الفرقة من الجيش . الذحل : الثأر .  
(١٢) بنى عامر : منادى حذف حرف نداءه . الشل : الطرد . الإيحاف : السير الشديد  
تدمى : يسيل دمها . العجوب : جمع عجب بسكون الجيم ، وهو نهاية العمصص .  
(١٣) غضاريطنا : خدمنا وأتباعنا مفردة غضريط . مستبطنون : داخلون فى بطونهم  
كناية عن أنهم فى أحضانهم . الدمى : جمع دمية التماثيل من الرخام أو الشمع أو غيرها  
مضرجة : مخضبة . الزعفران : نبت أصفر طيب الرائحة .  
(١٤) برهوة : بأرض منخفضة أو مرتفعة . الجنان : القلب .  
(١٥) دعوا : اتركوا . الشاطئين : مضر الحمراء . لقبت بالحمراء لقبه من  
جلد أحمر وهبها تزار لمضر .



## تحليل الرُّبَيَات :

درست لفراق سليمى بلدتها وإن تكن ماتزال عامرة ، وأوحشت كئيبانها التي كانت  
تُسجِر فيها ، وإن كانت ماتنفك آنسة ، وبعدت بمحبوبتك عنك نية سفرها مع قبيلها .  
بهذا المعنى الحزين بدأ الشاعر قصيدته ، ثم سار فيها متفجعاً من الفراق ، موجعاً من  
النوى ؛ حتى انتقل إلى وصف ناقته ، ومنها نخر بنجدة قومه فقال :

١٥٢ : أجبنا بنى سعد بن ضبة إذ دعوا      والله مولى دعو لا يجيبها  
وكنا إذا قلنا : هوازن أقبل      إلى الرشد لم يأت السداد خطيبها

ثم أخذ يصف عاقبة هوازن بعد أن حاد عن السداد خطيبها ، ومال عن الجادة حادها ،  
فقال : إننا ملنا عليهم ميل الحرب الشديدة تقبل عليهم من الصحارى بكتيبة كثيفة العدد ،  
كثيرة العدد ، لا يخفى رقيبها في الأشجار ، ولكنه يبدو للعيان والأنظار ، فلما رأته هوازن  
في النصار كأننا السحاب الركام كثرة وهولا هيجته الجنوب صاروا في حيرة واضطراب ،  
فمثلهم كمثل المرأة تسلاً سمناً ، وقد نزل بها ضيف ، فهي في حيرة أتم سلاًه ، فيسأم الضيف  
ويظن بها البخل ، أم تنزله ولما ينضج فيذم طعامها ؟ فهي في الحالين مذمومة ، وذلك حال  
هوازن إن حاربوا هزموا وذموا ، وإن أعرضوا لحقهم العار .

مزقناهم فرقا ، وقطعناهم قطما ، فرقة باليمامة ، وأخرى بأوطاس تهر كلابها هرير الخوف ،  
وتنبح نباح الفرع ، وحلناهم على أن يتنقلوا في الأحياء كما تنقل الكلاب جراءها خشية  
الاعتداء ، فذهبوا في طرق مطروقة يشور الغبار في وجوههم ، سلبناهم أموالهم كما يسلب العود  
لحاه ، فأصبحوا في حال تشكو ذلها وهوانها شكوى الضعيف السليب .

حاربناهم من الغدوة إلى العشي ، فلم نترك فيهم رمقا ، ولم يدخروا في الدفاع عن أنفسهم  
جهداً ، فمثلهم كمثل الفرس تُبقي بعض جريها ، ثم تضطر فلا تدخر شيئاً ، حتى يدركها الأين  
ويصيبها الكلال .

جعلنا نحن - بني أسد - بني قشير غايتنا التي نبغيها ، وهدايتنا التي نهتدي بها ، فلم نجد عن حربهم يمنة ولا يسرة ، كما تمد حبال الدلاء نحو القليب ، فتي أدركنا منهم فرقة تذكرونا ما بيننا من ذحول وذنوب ، فاشتد القتال ، واحتدم الضراب .

بني عامر : اذكروا لنا شجاعتنا ، فقد تركنا نساءكم تدمي عجبوهن ؛ إذ حملن على ظهر وطاء ، وأسرع بهن في السير حتى لا يقعن في الإسار ، واذكروا إذ تركتم بعض نساءكم ، فاستبطنها خدمنا ، وهن في جماهن كالدمى المطيبة بالزعفران ، أما المرضعات منهن فإنهن يستعصمن بالنجاد أو يستترن في الوهاد ، وهن في فزع تطير له القلوب .

فدعوا لنا شاطئ البحر فإنهما ملكنا إذا مضر الحراء شبت حروبها .

#### القدر :

قال بشر هذه القصيدة يشيد بانتصار قومه بني أسد وحلفائهم على بني عامر ، فنضبت تميم لقتل بني عامر ، فتجمعوا وقتلوا طيئا وحلفاءها ، فهزمت تميم ، فقال بشر قصيدة أخرى منها :

٨٥٣ : غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النصار فأعتبوا بالصـيلم

والقطعة قوية المعاني ، زاخرة بالصور ، ولا تأخذ عليه إلا إسرافه في دعاواه ، وطرحه الخلق العربي الكريم في معاملة السباء من الحرائر ، فما زعمه لا يقره الخلق العربي النبيل . ويعجبنا منه تشبيه تنقل أعدائه هروبا من قومه بنقل الكلاب جراءها ، كما يعجبنا ذلك التشبيه الذي جعلهم فيه مذمومين على أي حال .

فكانوا كذات القدر لم تدر إذ غلت أتزلها مذمومة أم تذيبها ؟

## (ح) وصف سوءات الحرب

١ - وقال زهير بن أبي سلمى \* يصف سوءات الحرب من معلقته :

وما الحربُ إلا ما علمتمُ وذُقمُ وما هوَ عنها بالحديثِ المرَّجَمُ (١)  
متى تبغثوها تبغثوها ذميمةً وتضرُّ إذا ضرَّ يتموها فتضرم (٢)  
فتعركمُ عركَ الرِّحَى بِثفالها وتلقحُ كشافاً ثمَّ تحملُ فتنتم (٣)  
فتنتجُ لكم غلمانَ ، أشأمَ كلُّهمُ كأحرِ عادٍ ، ثمَّ تُرضعُ فتفظم (٤)  
٨٥٨ : فتفليلُ لكمُ ما لا تُفيلُ لأهلها قرى بالعراقِ من قفيزٍ ودِزهم (٥)

\* ترجمه الشاعر : اقرأها في ص ٨٨ .

التفسير اللغوي : (١) يخاطب الشاعر بأبياته هذه حيي عبي وذييان ، ويذكرهم بالأحداث الجسام التي نزلت بهم أثناء حروبهم . المرجم : المظنون من الرجم بمعنى الرمي بالرجام وهي الحجارة ، فالمعنى مجازي ، قال الزمخشري : رجمه قذفه وشمته ، ورجم بالظن ، ورجم به رمى به . (٢) تضرم : تعود وتدرج . فتضرم : فتشتعل .

(٣) تعركم : تدلكم كناية عن الطحن . بثفالها : الثفال خرقاة أو جلدة تبسط تحت الرحي ليستقر عليها الطحين ، والباء في بثفالها بمعنى مع . تلقح : تحمل . كشافاً : متتابعاً . تنتج : تلد . فتنتم : فتجىء بتوأمين . (٤) الشؤم : ضد الجين ، ورجل مشوم ، وأراد بأحر عاد أحر عمود ، وهو عاقر الناقة ، واسمه قدار ، وقد تجوز ، إذ عمود يقال لها عاد الأخيرة ، والدليل قوله تعالى : « وأنه أهلك عاد الأولى » يعني قوم هود .

(٥) تفليل : تخرج الأرض الغلة . القفيز : مكيال . درهم : ميزان ، وخص العراق لشهرتها بالغلات .

## تحليل الأبيات :

صور الشاعر ويلات الحرب ونكباتها في صور متعددة متجددة ، كل صورة منها كفيلة بدفع الناس عن ركوبها ، وحملهم على الابتعاد عن امتطاء أسبابها ، فقال :  
ليست الحرب أيها المتحاربون شيئاً تجهلونهُ فأعرفكم به ، فقد خبرتموها وخبرتمكم ،  
وذقم ويلها ، وأذاقتم صابها ، وليس حديثي عنها بالحديث الذي يظن فيه الرمي بالغيب ،  
أو الرجم بالظن ، وإنما هو حديث الحق المشاهد .

إنكم إن تثيروها تثيروها دميمة دميمة ، كريهة قبيحة ، فهي كالوحش المدرب على  
الفتك ، المغرى على النهش والقتل ، أو هي كالنار المشتعلة لا تبق ولا تذر ، لواحة للبشر ،  
أو هي كالرحى لا تفتأ تطحن كل ما يقع بين شقيها ، أو كالناقة الشوهاء الولود تلد أشأم  
مولود ، أو هي أرض ذات غلة مرة المذاق ، لا تعقب الغنى وإنما تعقب الإملاق ، وتثمر  
رزايا تفوق في كثرتها ماثمره أرض العراق ، مما يكال أو يوزن ، فبئس هي من عدو  
للحياة والأحياء .

## النقد :

هذه الأبيات في وصف الحرب من أروع ما قال زهير ، وليس لشاعر جاهلي أو غير  
جاهلي في وصف سوءاتها ما زهير ، فقد جاء فيها بصور هي آية الروعة ورمز الإبداع ،  
ولعل ذلك لأن زهيراً كان يقول عن إيمان ، ويتحدث عن عقيدة و يقين ، فبلغ ما بلغ من  
الإجادة والافتنان ، ذلك الذي لا يحتاج إلى الإيماء إليه ، والتدليل عليه ، ففي كل بيت  
صورة أو صورتان ، متكاملة الظلال والألوان كقوله :

فتحرككم عرك الرحي بثفالها وتلقح كشافا ثم تحمل فتنتم

٢ - وقال امرؤ القيس \* يصف الحرب وسوء عواقبها .

الحربُ أولُ ماتكونُ فتيةً      تبدو بزيتها لكلِّ جهولِ  
حتى إذا حميتُ وشبَّ ضرامُها      عادتُ عجوزاً غيرَ ذاتِ خليلِ  
شمطاءُ جزَّتْ شعرها وتنكرتُ      مكروهةٌ للثمِّ والتقبيلِ

تحليل الأبيات :

الحرب في أول أمرها شابة فتية، فيها حسن وطلاقة وفتنة ؛ لأنها توحى بالظفر والنصر وطيب الأحذوتة ؛ حتى إذا وقع الناس في لهيبها ، وحى وطيسها ، واشتعل ضرامها ظهرت على حقيقتها عجوزاً نكراء لا تبقى على خليل ، ولا تحتفظ بخليل ، وكيف ذاك ؟ وهي تتخذ منهم غذاءها ، فدمأؤهم شرابها ، ولحومهم طعامها ، إنها تبدو شمطاء شوهاء ، قبيحة المنظر ، دميمة المرأى ، قد جزت شعرها فزادها ذلك نكراً ، وتنكرت لمن كانت تزعمهم أصدقاءها ، فعادت مكروهة للثم والتقبيل .

النقد :

مارس امرؤ القيس الحرب أعواماً ، فعرفها على حقيقتها ، فهي تغرى وتغوى ؛ تغرى بالنصر ، وتغوى بالظفر والغنيمة ، تبدو في زينة فاتنة ، وصورة ساحرة ، ولكنها ماتلبث أن تظهر على حقيقتها ؛ تنال من الغالب والمغلوب ، وتأخذ من الطالب والمطلوب ، فهي كالداهية العجوز توقع في الشباك بعد أن تنصب الأشرار .

والجميل في هذه الأبيات أن امرؤ القيس استمد صورته من المرأة شابة وعجوزاً ، والمرأة هي أول من أثار الشرور ، وحمل الأوزار ، وما أشبه قول امرؤ القيس بقول سيدنا سليمان عليه السلام : الشر حلواؤه ، مر آخره .

ترجمة الشاعر : انظر ترجمته في ص ١٠٩

التفسير اللغوي : (١) فتية : شابة . (٢) شب ضرامها : اشتعل لهيبها . خليل : صديق . (٣) شمطاء : اختلط بياض شعرها بأسوده . تنكرت : تغيرت .

## خاتمة عن خصائص الوصف في العصر الجاهلي

الآن وقد عرضنا الوصف في العصر الجاهلي بجميع صوره عرضا مبسوطا ، سواء من ناحية فنونه ، أم من ناحية أخيلته وأفكاره ، أم من ناحية نظمه وتنسيقه نستطيع أن نحكم عليه بما يأتي :

١ — الوصف هو أقدم فنون الشعر على الإطلاق ، لا نستثنى منها فنا ؛ وذلك لأن العربي شديد الحساسية بالجمال ، قوى الشعور بالحسن ، فهو مدفوع إلى التعبير عن حسه بالوصف ، مضطر إلى تصوير شعوره بالشعر ، وليس من اللازم اللابز أن يكون الشعر مستقيما في أوزانه ، فهذا عبيد بن الأبرص ، وهو من أبرز شعراء ذلك العصر يبدو الاضطراب في شعره أحيانا .

٢ — يلتزمون الصدق في أوصافهم ، والحقيقة في أوضح صورهم ، وليس معنى هذا أن الوصف يتجافى مع الخيال ؛ فهو يعتمد على الخيال إلى حد بعيد ، إذ الصدق لا ينافى الخيال ؛ فننرى حين يقول مثلا :

يَدْعُونَ عَنقَرَ ، وَالرَّمَا حُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بَثْرٍ فِي لَبَانِ الْأَذْهَمِ  
مَازَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِبُرَّةٍ وَجْهَهُ وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرُبَلِ بِالْدَمِ  
فَازْوَرَّ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانِهِ وَشَكَا إِلَى بَعْبَرَةَ وَتَحْمَنُحُمِ  
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمَحَاوِرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلَّمِي

صَادِقُ كُلِّ الصِّدْقِ فِي تَصْوِيرِهِ ، فَإِنَّ الرَّمَا حَ تَبْدُو مَصُوبَةً مُسْتَطِيلَةً ؛ كَأَنَّهَا فِي اسْتِطَالَتِهَا أَشْطَانُ الْبَثْرِ ، وَالْدَمُ قَدْ يَتَطَايَرُ فَيَغْطِي وَجْهَ الْجَوَادِ ، فَكَأَنَّهُ مَتَّخِذٌ مِنْهُ سِرْبَالًا ، وَالْفَرَسُ الْجَوَادُ يَشَارِكُ فَارِسَهُ فِي حَرْبِهِ ، فَلَيْسَ بَدَعًا أَنْ يَقُولَ أَرْمِيهِمْ بِبُرَّةٍ وَجْهَهُ ، وَقَدْ يَتَغَيَّرُ الْفَرَسُ مِمَّا يَلْقَى ، وَيَشْعُرُ فَارِسَهُ بِازْوَرَارِهِ وَتَغْيِيرِهِ ، وَقَدْ يَشْكُو بِالْمِحْمَةِ وَالْمِبْرَةَ فَيُثِيرُ فِي نَفْسِ فَارِسِهِ الْأَسْفَ وَالْأَسْفَ لَشَكْوَاهُ ، وَلَوْ اسْتَطَاعَ الْمَحَاوِرَةُ وَالْمَجَادِلَةَ لِاشْتَكَى وَحَاوَرَ وَجَادَلَ .

كل هذا صدق خالص ، وهو مع ذلك خيال سامق .  
إنهم صادقون في وصفهم ؛ لأن وصفهم لا تكلف فيه ، وإنما هو صادر عن عاطفة  
وشعور ، وهذان هما مبعث الصدق ، يرى امرؤ القيس البرق يومض ويهتز بين الجبال  
والوديان ، فيشبهه بحركة اليدين في سحب مستدير كأنه الإكليل ، أو هو في وميضه  
ولماته كصاييح الراهب السخى على معبده ، فهو يهين سليطه ويضاعف زيتة ، ويرفع  
ذباله المقتل ، والبيتان هما :

أصاح : ترى برّاً أريك وميضه كلع اليدين في حبي مكلل  
يضي سناه أو مصاييح راهب أهان السليط بالذبال المقتل

٣ - جميع شعراء هذا العصر لهم في الوصف الفكرة الواضحة ، والمعنى القوي الناصع ،  
ولا يمنع ذلك أنهم يتفاضلون في وضوح فكرهم ، ويتميزون في قوة معانيهم ، ونصاعة  
أخيلتهم ، إذ كيف لا نحكم بفضل عبيد بن الأبرص على الأعشى مثلاً ، وقد جاء في بيت  
واحد بمعنى فصله الأعشى في بيتين ، فقال عبيد يصف المرأة بحرارة جسمها شتاء ،  
وخصره صيفا :

تُدْفِي الضَّجِيعَ إِذَا يَشْتَوُ وَتَحْصِرُهُ فِي الصَّيْفِ حِينَ يَطِيبُ الْبَرْدُ لِلصَّاحِي  
وقال الأعشى ، وقد يكون آخذاً المعنى من عبيد :

وتبردُ بردَ رداءِ العرو س رقرقت بالصيف فيه العبيراً

٨٧٠ : وتسخنُ ليلةً لا يستطيعُ نباحاً بها الكلبُ إلاً هريراً

وقد مر بنا بعض الصور الغامضة التي عاجلناها على نحو قد لا تحتمله ألقاظ البيت  
كقول عنتره :

فيها الكماءُ بنو الكماءِ كأنهمُ والحليلُ تعترُّ في الوغى بِقناها

شهبُ بأيدي القاسينِ إذا بدتْ بأ كفهمُ بهرَ الظلامِ سناها

ولكن الغامض من صورهم قليل لا يعتد به .

٤ — على الرغم من أن صورهم بسيطة غير مركبة ، فإنها رائعة الحسن رائعة الجمال ، فإن التركيب قد يكون صادرا عن تكلف وتصنع ، وليس شيء يفسد الشعر كهذين ، وقد مر بنا من الصور الجميلة في بساطتها ، الرائعة في سهولة مأخذها ما فيه غنية عن الأمثلة .

٥ — يثبتهم معين وصفهم ، والعين الثرة لصورهم ، منها يستمدون تشبيهاتهم ، ويمتحنون استعاراتهم ، وعليها يعتمدون في كنيائهم ، لا فرق في كل ذلك بين السيد الشريف ، والعبد الوضيع ، فكل مظاهر البيئة ملكهم جميعا ، وقد مر بك الكثير من المعاني المتشابهة التي اعتمدوا فيها على البيئة .

٦ — أكثر صورهم حسية ، إن لم نقل إنها جميعها حسية ، أخذوها مما يقع تحت سمعهم وبصرهم من أحداث الطبيعة ، وتقلبات الكون ، وتطورات الأيام ، ومن صور الإنسان والحيوان والجماد والنبات ، وهم شديدو التأمل لما يرون ، بعيدو التدبر لما يسمعون ، وأى تأمل وتدبر أكثر من قول عنتره يصف ذباب الروض ؟

وَخَالَ الذَّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ      غَرِدًا كَفَعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ  
هَزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ      قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

وأى تأمل وتدبر أكثر من قول امرئ القيس يصف عيون الوحش وهو ينظر إليه حذرا ؛ لأنه يدرك أنه يسعى لصيده ؟

٨٧١ : كَأَنَّ عَيْوْنَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا      وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُنْقَبِ

٧ — كان الوصف سجلا لكثير من عاداتهم وأخلاقهم وسياستهم ، وقد مر بنا الكثير من الصور الدالة على هذه العناصر الثلاثة ، فليس هناك ما يدعو إلى التكرار أو الإفاضة فيما هو في متناول أيدي الجميع .

٨ — يميلون في الوصف — بالذات — إلى الإطناب ، فقد يبدءون ويعيدون ، وقد عللنا ذلك بأن المعنى أطربهم ، فأرادوا إيراده في أكثر من صورة واحدة ، وهم بذلك مخالفون لما كانوا يلتزمون في غير الوصف من الإيجاز البليغ .



فن الإطناب قول النابغة يصف سيف آل جفنة :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيوفَهُمْ      بَيْنَ فُلُوقٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ  
تُخَيِّرُنَ مِنْ أَرْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةِ      إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُّنَ كُلَّ التَّجَارِبِ  
تَقْدُ السَّلَوقِ الْمَضَاعِفَ نَسْجُهُ      وَتُوقِدُ بِالضَّفَّاحِ نَارَ الْحَبَابِ

٩ — صورهم في وصف الطبيعة المتحركة والساكنة تجمع بين الحركة والسكون ،  
والجلبة والهدوء ، وكأنى بهم يلائمون بين الصور وأسبابها ، وبين الحقيقة وخيالها ، وقد  
صرت بنا صور متنوعة ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن نعرض صوراً أخرى فيها حركة  
وجلبة ، وسكون وهدوء ، وملاءمة بين الصور ومصوراتها ، ومناسبة بين الأوصاف  
وموصوفاتها ، ألسن تحس الصخب والضجيج ، والجلبة والاضطراب في قول الحارث  
ابن حلزة اليشكري ؟

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا      أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ  
مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مُجِيبٍ ، وَمِنْ      تَصْهَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَلِكَ رُغَاءُ

تشر بهذا الصخب من المعنى ومن اللفظ ، ومن الأسلوب ، وهذه أبيات لعمر بن كلثوم  
تحس فيها الصلابة والقوة لأن الموقف يقتضيها :

بَأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرُو بَنَ هِنْدٍ      تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا ؟  
بَأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرُو بَنَ هِنْدٍ      نَكُونُ لِقَيْنِكُمْ فِيهَا قَطِينَا ؟  
تَهْدِدُنَا وَتَوَعِدُنَا . رُوَيْدًا !!      مَتَى كُنَّا لِأُمَّكَ مُقْتَوِينَا ؟  
فَإِنَّ قَنَاثَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ      عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا  
إِذَا عَضَّ الثَّمَامُ بِهَا أَشْمَارَتْ      وَوَلَّاتَهُ عَشَوَزَنَةً زَبُونَا  
٨٨٢ : عَشَوَزَنَةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنْتَ      تَشْجُ قَنَا الْمُثَقَفِ وَالْجَبِينَا

أليس خيالك سيصور لك ذلك الموقف وقد وقف عمرو متفكراً قوسه ، متقلداً سيفه ،  
مربد الوجه ، مختلج النفس ، يتخير الألفاظ تحييراً ، ويقذف بها عمرو بن هند كأنها قطع الصخر ؟  
إن خيالك لا بد ساجح بك فريك هذا المنظر .

وانظر إلى الأعشى يصف كرم آل المخلق ، فيتخير أوسع الألفاظ معاني ، وأضخمها حروفاً ، فيقول :

نَفَى الدَّمَّ عن آلِ المَحَلَّقِ جَفَنَةً      كجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيِّ تَفَهَّقُ  
يَرُوحُ فتي صِدْقٍ وَيَفْدُو عَلَيْهِمُ      بِمَلءِ جِفَانٍ من سَدِيفٍ يُدَفِّقُ  
تَرَى القَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَدُونَهُمُ      من القَوْمِ وَلَدَانُ من النِّسْلِ دَرَدَقُ

فإذا ذكر المحرق وعذب ، وأسمعنا لفظاً كأنه مقتبس من رقتها ، وعرض علينا صوراً توحى بمجلس أنس لجماعة من فتیان هذا العصر ، كقوله :

فَارَزَعْتُهُمُ قُصَبَ الرِّيحَانِ مُتَّكِنًا      وَقَهْوَةَ مِرَّةٍ رَاوُوقَهَا خِضْلُ  
لَا يَسْتَمِيقُونَ مِنْهَا وَهِيَ دَائِرَةٌ      إِلَابَهَاتٍ ، وَإِنْ عَلُّوا وَإِنْ تَهَلُّوا

وهذا عنتره الرجل الغليظ القلب ، يسيل رقة عند ما يناجي عبلة فيقول :

أَعْبَلَةٌ قَدْ زَادَ شَوْقِي وَمَا      أَرَى الدَّهْرَ يُدْنِي إِلَيَّ الأَحْبَبَةَ  
وَكَمْ جَهْدٍ نَائِبَةٍ قَدْ لَقَيْتُ      لِأَجْلِكَ يَا بِنْتَ عَمِي وَنَكْبَةَ  
٨٩٠ : فَلَوْ أَنَّ عَيْنَكَ يَوْمَ اللِّقَاءِ      تَرَى مَوْقِفِي زِدْتِ لِي فِي المَحَبَّةِ

١٠ - لم يكونوا في أوصافهم للطبيعة الساكنة يطيلون ، وقد عللنا ذلك قبل ، وإذا كان منهم من أطال فإن إطالتهم في موضوعات خاصة كوصف الحمر ومجالسها في شعر الأعشى وأضرابه ، ووصف الحرب وأسلحتها في وصف الشعراء الفرسان ، ونحن إذا ضمنا هذه الخصائص إلى ماسقناه عن الطبيعة المتحركة والساكنة بدت لنا خصائص الوصف كاملة تامة . وبعد فأرجو أن أكون قد بلغت الغاية التي رميت إليها من عرض صورة واضحة للوصف في العصر الجاهلي تتيح للدارس الحكم السليم على منزلة الشعر العربي وبخاصة الوصف بين آداب الأمم عامة .

وأرجو أن يهب لي الله القوة لإظهار بقية أجزاء هذا الكتاب لئتم بإظهارها حلقة لامة في سلسلة الأدب العربي .  
وعلى الله قصد السبيل .

## أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا الكتاب

- ديوان طرفة .  
» علقمة .  
» الحماسة : لأبي تمام .  
ساعات بين الكتب : للأستاذ العقاد .  
شعراء النصرانية : للآباء اليسوعيين .  
طبقات الشعراء : لابن سلام الجحى .  
في الأدب الجاهلي : للدكتور طه حسين بك .  
جمع الأمثال : للميداني .  
مختار الشعر الجاهلي : للأعلم الشنتمري .  
مختارات البارودي .  
مهذب الأغاني .  
تقد الشعر : لقدامة بن جعفر .  
تقد النثر : « » « » .  
نهاية الأرب : للنويري .
- (ب) كتب تاريخية وجغرافية :  
تاريخ الأمم والملوك : للطبري .  
سيرة ابن هشام .  
مروج الذهب : للمسعودي .  
جزيرة بلاد العرب : لحافظ وهبه .  
الرحلة الحجازية : للبتانوتي .
- (ج) كتب لغوية :  
أساس البلاغة : للزحشري .  
القاموس المحيط : للفيروزابادي .  
المصباح المنير : للفيومي .  
لسان العرب : لابن منظور .  
المنجد : للأب لويس معلوف اليسوعي .  
مختار الصحاح : للرازي .  
نهاية ابن الأثير .

- (أ) كتب أدبية :  
الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني .  
الأمالي : لأبي علي القالي .  
البيان والتبيين : للجاحظ .  
الحماسة : للبحتري .  
الحيوان : للجاحظ .  
الروائع : لفؤاد البستاني .  
الشعر والشعراء : لابن قتيبة .  
الصناعتين : لأبي هلال العسكري .  
العقد الفريد : لابن عبد ربه .  
العمدة : لابن رشيق .  
مثل السائر : لابن الأثير .  
المفضليات : للضيبي .  
المعلقات السبع : للزوزني .  
المعلقات العشر : للتبريزي .  
المعلقات العشر : للشنقيطي .  
النثر المفني : للدكتور زكي مبارك .  
الوسيط : للأستاذين السكندري وعناني .  
تاريخ آداب اللغة العربية : للأستاذ السباعي بيومي .  
« » « » : « جورجى زيدان .  
« » « » : « محمدهاشم عطية .  
جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد القرشي .  
دواوين الشعراء :  
ديوان امرئ القيس .  
» الأعشى .  
» النابغة .  
» زهير .

## فهرس تراجم الشعراء حسب الحروف الأبدية

الاسم	الرقم	الاسم	الرقم
ترجة دريد بن الصمة .	٣٢٦	ترجة أبي ذؤيب المنذلى .	١٩٨
» راشد بن شهاب اليشكري .	٣٠٥	» أعشى قيس .	٢٦٠
» زهير بن أبي سلمى .	٨٨	» الأسود بن يعفر .	٢٨٦
» سلامة بن جندل .	٣٣٢	» الحارث بن حنزة .	٢٤١
» سلمة بن الحرشب .	١٢٨	» الشنفرى .	٢٠٥
» سويد بن أبي كاهل .	١٥٩	» المنقب العبدى .	٨٢
» ضمرة بن ضمرة .	٣٢٤	» المرقش الأصغر .	١٣٦
» طرفة بن العبد .	٦١	» المرقش الأكبر .	٢٠٩
» عبيد بن الأبرص .	١٨٩	» المسيب بن علس .	٩٤
» عدى بن زيد .	٢٨٨	» النابغة الذبياني .	١٥٤
» عروة بن الورد العيسى .	٢١٤	» امرئ القيس .	١٠٩
» علقمة بن عبدة الفحل .	٩٨	» أوس بن حجر .	٢٩٢
» عمرو بن قبيصة .	٢٦٩	» بشامة بن العدير .	٧٤
» عمرو بن كلثوم .	٢٨٢	» بشر بن أبي خازم .	٢١٦
» عميرة بن جمل .	٢٤٣	» تأبط شرا .	٢٠٢
» عنزة بن شداد العيسى .	١٢٢	» ثعلبة بن عمرو العبدى .	٢٤٥
» عوف بن عطية .	١٣٣	» حاتم الطائي .	٢٤٧
» لبيد بن ربيعة .	١٤٦	» حنظلة الطائي .	٢٦٤
» مهلهل بن ربيعة .	٢٥٢		

## فهرس القواني

صفحة	بحره	قافيته	صدرالبيت	صفحة	بحره	قافيته	صدرالبيت
			الحاء :				ء :
٣٤٨	المقارب	الأحبة	أعبله	٣٤٧	الخفيف	ضوضاه	أجمعوا
٤٩	البيسط	بالراح	دان				الألف :
١٣٦	الطويل	وتروحوا	أمن	٢٦٤	الطويل	كالتقى	ومهما
٢٦٢	البيسط	لواح	إنى				الباء :
٣١٥	الطويل	وتقدح	وما	٣	الطويل	صالب	وقفت
٣٤٥	البيسط	للصاحي	تدفي	٣٨	»	لا تجاوب	فن
			الدال :	٣٩	»	مرا كبة	إذا
٦	الطويل	وجد	ألا	٤٠	البيسط	الرضا	وأركب
١٨	»	سميد	»	٥٢	الطويل	مشربا	وإنى
٣٩	البيسط	الرشذ	سرنا	٥٢	»	الثعالب	أرب
٥٧	الطويل	باليد	يشق	٥٨	»	طبيب	فان
٦١	»	اليد	لخولة	١٥١	الوافر	والايبا	وكل
٨٢	السريع	عد	هل	١٨٤	البيسط	الذيب	كانها
٨٨	الطويل	معبد	غشيت	١٨٩	مخلع البيسط	القلوب	كانها
٢٣٥ ، ١٥٤	البيسط	الأمد	يادار	٢٥٦	الطويل	الكواكب	كايى
٢١١	الطويل	أسودا	أترجو	٣٣٢	البيسط	مطلوب	أردى
٢٢٢	البيسط	المواعيدا	بانت	٣٣٧	الطويل	وشعوبها	عفت
٢٧١	»	بالزبد	فما	٣٤٧	»	الكتائب	ولا عيب
٢٧٣	الطويل	دد	كان				التاء :
٢٧٨	المقارب	لإنفاذها	وأبيض	٣١٥	الوافر	وفيت	وفيت

صفحة	بحره	قائمه	صدر البيت	صفحة	بحره	قائمه	صدر البيت
			الزاي :	٢٨٦	الكامل	غواذي	ولقد
٣٠١	الطويل	وحزائزُ	تخيرها	٣٢٤	الطويل	عائِدُ	ومشعلة
			السين :	٣٢٦	»	بمقعدِ	دعاني
٥٢	الطويل	ققعسُ	لعمرك				الراء :
١٦٤	»	موجسِ	كأني				
٢٠٩	»	يابسُ	ولما	٦	المتقارب	دبورا	لها
٢٤١	السريع	الفرسِ	لمن	»	الوافر	عرارِ	تمتع
٢٦٧	الطويل	ناعسُ	ودوية	٨	الطويل	أطيرُ	عوى
٣١٤	»	تغامسُ	وأعرض	٩	مجزوء الكامل	مطيرُ	ولقد
			الضاد :	٣٢	الخفيف	مكروراً	ماأرانا
٣٧	الطويل	أرضِ	أرقت	٣٣	الوافر	استعارا	أصاح
			المين :	٤٩	الكامل	شعارا	إن
٦	»	أن يودعا	قفا	٥٦	الطويل	النواضِرِ	رأين
٢٠	مجزوء الوافر	ومصنوعُ	رأيت	٥٧	الرمل	الأشْرُ	بدلته
٤٦	الرمل	ارتفعُ	تمنح	١١٦	الوافر	مستعارُ	ألا
٥٧	الطويل	راتعُ	وكلفتني	١٣٣	المتقارب	قفارا	أمن
٩٤	الكامل	بوادعِ	أرحلت	٢١٤	الطويل	مصدرا	تبغاني
١٥٩	الرمل	اتسعُ	بسطت	٢١٦	الرجز	خفرُ	صل
١٩٨	الكامل	لايتلغُ	فوردن	٢٥٢	الوافر	فلاتحوري	أليتنا
٢١٠	الطويل	ناقعُ	فبت	٢٥٨	الرمل	وتدزُ	ديمة
٢١٧	»	ومصرعا	وما	٢٦٩	الخفيف	الصنبرِ	ليس
٢١٨	الكامل	تخمعُ	يالف	٣١٢	الوافر	العقارُ	فبت
				٣٤٥	المتقارب	المبيرا	وتبرد

صفحة	بجوه	قافيته	صدر البيت	صفحة	بجوه	قافيته	صدر البيت
٧٤	المقارب	ثقيلا	هجرت	٢٣٩	الكامل	فالشرعُ	لمن
١٠٩	الطويل	هيمكل	وقد	٢٦٦	الرملي	القرعُ	وفلاة
١٢٢	الكامل	كالمنصل	عجبت	٢١٢	»	طلعُ	فأبيت
١٧٧	الطويل	وروا حلهُ	صحا	٣١٣	الكامل	بالجمعاج	وإذا
٢٠٥	»	لأميلُ	أقيموا	٣١٣	الطويبا	هزيعُ	لعمرى
٢١١ ، ٢٢٧	»	فخوملُ	تفا				الفاء :
٢٥٤	»	ليبتلى	وايل	٢	مجروه الكامل	بالطائف	تشتو
٢٦٠	البيسط	شعلُ	بل	»	الوافر	ثقيفُ	منعنا
٢٦٥	»	زجلُ	و بلدة	٢٤٥	الطويل	فواحفُ	لمن
٢٧٧	»	هطلُ	ما	٣٠٧	»	ثقاذفُ	وشوها
٢٩٢	الطويل	موكلا	صحا	٣١٣	الكامل	يزبفُ	ومسيب
٣٠٩	المقارب	فحولا	وحشوا				القاف :
٣١٦	البيسط	نجليلُ	وقد	٢٨٨	الخفيف	تستعيقُ	بكر
٣٠٩	المقارب	صقيلا	فأصحت	٣٤٨	الطويل	تعفقُ	نقى
٣٤٣	الكامل	جهول	لحرب				الكاف :
٣٤٥	الطاه بل	مكلل	أساح	١٩٤	البيسط	الشَّبِكُ	كأنها
			الميم :				اللام :
١٨	الكامل	الأعمام	أنى	٩	الطويل	كالسجنجل	مهفهفة
١٩	الطويل	والمآتم	خلقنا	٣٨	»	وتنهلُ	غذوتك
٢٢	»	والدم	لسان	٤٤	»	المعلل	فقلت
٢٧	الرجز	السقم	أبصرت	٤٥	»	المخاخيل	هصرت
٣٢	الكامل	خدام	عوجا	»	»	المعيل	وواد
٣٣	»	توم	هل	٥٨	الوافر	الو بيل	أكلت

صفحة	بجوه	قافته	صدر البيت	صفحة	بجوه	قافته	صدر البيت
٣٢٢	الطويل	جرثم	تبصر	٢٢٩،٥٧	الطويل	فالمتثلّم	أمن
٣٤١	»	المرجم	وما الحرب	١٦٩،٩٨	البيسط	مصروم	هل
٣٤٤	الكامل	الأدم	يدعون	١٢٨	الوافر	الفريم	تأوبه
			النون :	١٤٦	الكامل	قوامها	أنتلك
				٢١٨	السريع	الأعصم	لو كان
٦	البيسط	رياحينا	ليسق	٢٣١	الكامل	فرجامها	عفت
»	»	لينا	سقياً	٢٣٧	السريع	الحيم	هل
٤٠	»	تؤاسينا	ونركب	٢٤٧	الطويل	منمننا	أترف
٥٨	الوافر	للميون	ظهن	٢٧٥	الكامل	بعلم	أو
١٥٢	الخفيف	جباننا	وإذا	٢٨٤	البيسط	خرطوم	قد
٢٠٢	الوافر	بطان	ألا	٣٠٥	الطويل	ندم	فمها
٢٤٣	الطويل	ثمان	ألا	٣٠٩	المنسرح	لحم	في كفه
٢٨٢	الوافر	الأندرينا	ألا	٣١٢	مجزوء البيسط	المهموم	وليلة
٣١٨	»	تبينى	أفاطم	٣١٠	المتقارب	نثيا	وبالكف
			الهاء :	٣١٢	البيسط	مسموم	وقد
٣٢٨	الكامل	رداها	وكتيبة	٣١٤	الوافر	السهام	وخرق
			الياء :	٣١٤	الطويل	رغم	بنيت
٢١٧	الوافر	المعنى	إذا				



## فهرس الموضوعات

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
الشعر الجهورابى والينى .	٣٠	المقدمة .	١
الشعر العربى المفقود .	٣٣	الفصل الأول	
الشعر الغنائى . انبعائه	٣٥	بلاد العرب :	
تقسم الشعر الغنائى .	٣٦	أقسامها التاريخية .	١
الفصل الرابع		جو بلاد العرب وأثره فى شعرهم .	٥
الوصف :		تقسيم القبائل العربية على بلاد العرب	٧
الوصف وتقسيمه .	٤٢	أثر البيئة فى الشعر العربى .	٨
أثر البيئة العربية فى أهلها .	٤٨	الفصل الثانى	
أثر البيئة فى الوصف .	٥٢	مفائىء أدبية :	
الطبيعة فى الشعر العربى .	٥٤	شاعرية الأمم واختلاف مداها .	١٠
نهجنا فى التأليف .	٥٦	الشعر بذرة النثر الجاهلى .	١٣
قيمة الوصف فى العصر الجاهلى .	٥٧	سبق الشعر للنثر .	١٥
الفصل الخامس		حال النثر الأولى .	١٦
الطبيعة المتحركة :	٥٩	فضل الشعر على النثر .	»
(١) وصف الناقة :		فضل القرآن على الشعر .	١٧
لطفة . التحليل والنقد .	٦١	موازنة بين شعر ونثر .	١٩
لبشامة بن الغدير . التحليل والنقد .	٧٤	الفصل الثالث	
للمثقب العبدى . التحليل والنقد .	٨٢	تقسيم الشعر :	
لزهير بن أبى سلمى . التحليل والنقد .	٨٨	أقسام الشعر الإفرنجى .	٢٣
للسيب بن علس . التحليل والنقد .	٩٤	الشعر الغنائى وأقسامه .	٢٤
لعلقمة بن عبدة الفحل . التحليل والنقد	٩٨	لماذا لم يكن للعرب شعر قصصى ؟	٢٦
نظرة فاحصة عن المعانى فى وصف الناقة .	١٠٢	الشعر القصصى والتخيلى .	٢٩

(تابع) فهرس الموضوعات

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
لامبيد بن الأبرص يصف العقاب تصيد ثعلبا . التحليل والنقد .	١٨٩	(ب) وصف الفيس : لامريء الفيس . التحليل والنقد .	١٠٩
لزهير بن أبي سلمى يصف صقرا يطارد قطة . التحليل والنقد .	١٩٤	لبشر بن أبي خازم . التحليل والنقد لعنتره العبدى . التحليل والنقد .	١١٦ ١٢٢
لأبي ذؤيب الهذلي يصف صيد الحمر الوحشية . التحليل والنقد .	١٩٨	لسلمة بن الحرشب . التحليل والنقد . لعوف بن عطية . التحليل والنقد	١٢٨ ١٣٣
لتابط شرا يصف الغول وقد تقاتلا . التحليل والنقد .	٢٠٢	لدرقش الأصغر . التحليل والنقد . نظرة فاحصة عن المعاني في وصف الفرس .	١٣٦ ١٤٠
للشنفرى يصف الذئب . التحليل والنقد . لدرقش الأكبر يصف ذئبا أطمعه . التحليل والنقد .	٢٠٥ ٢٠٩	(ح) وصف الأوايد : للبيد بن ربيعة في وصف البقرة الوحشية . التحليل والنقد .	١٤٦
للنايعة يصف الحية . التحليل والنقد . لعنتره يصف الثعبان . التحليل والنقد . لعروة بن الورد العبدى يصف الأسد . التحليل والنقد .	٢١٠ ١١١ ٢١٤	للنايعة الديباني في وصف الثور الوحشى . التحليل والنقد . لسويد بن أبي كاهل يصف الثور الوحشى . التحليل والنقد .	١٥٤ ١٥٩
للنايعة يصف الحية أيضا . التحليل والنقد . نظرة في شعر الطبيعة الحية عند العرب .	٢١٦ ٢١٧	لامريء القيس يصف الحمار الوحشى . التحليل والنقد . لعلقمة بن عبدة الفحل يصف الظلم . التحليل والنقد .	١٦٤ ١٦٩
الفصل السادس الطبيعة الساكنة :	٢٢٤	نظرة فاحصة عن المعاني في وصف الأوايد . التحليل والنقد .	١٧٤
صور الطبيعة الساكنة . (١) وصف الأطلال . لامريء القيس . التحليل والنقد . لزهير بن أبي سلمى . التحليل والنقد . للبيد بن ربيعة العامري . التحليل والنقد . للنايعة الديباني . التحليل والنقد . لدرقش الأكبر . التحليل والنقد .	٢٢٧ ٢٢٧ ٢٢٧ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٥ ٢٣٧	(د) صور متنوعة لمظاهر الطبيعة الحية لزهير بن أبي سلمى يصف معركة مع الحمر الوحشية . التحليل والنقد . لامريء القيس يصف حربا بين عقاب وذئب . التحليل والنقد .	١٧٧ ١٨٤

( تابع ) فهرس الموضوعات

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
لعقمة الفحل . التحليل والنقد .	٢٨٤	لبشامة بن العدير . التحليل والنقد .	٢٣٩
للأسود بن يعفر . التحليل والنقد .	٢٨٦	للحارث بن حنزة . التحليل والنقد .	٢٤١
لعدي بن زيد . التحليل والنقد .	٢٨٨	لعميرة بن حمل . التحليل والنقد .	٢٤٣
نظرة في وصف الحجر ومجالسها .	٢٩٠	لثعلبة بن عمرو العبدى . التحليل والنقد .	٢٤٥
( > ) وصف الأسلحة :		لحاتم الطائي . التحليل والنقد .	٢٤٧
لأوس بن حجر . التحليل والنقد .	٢٩٢	المعاني المشتركة وعبر المشتركة في وصف الأطلال	٢٤٩
للشماخ بن ضرار : التحليل والنقد .	٣٠١	( ب ) وصف الليل :	
لراشد اليشكري . التحليل والنقد .	٣٠٥	لمهل بن ربيعة . التحليل والنقد .	٢٥٢
لثعلبة العبدى : التحليل والنقد .	٣٠٧	لامرئ القيس . التحليل والنقد .	٢٥٤
نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في السلاح .	٣٠٩	للناطقة الديباني . التحليل والنقد .	٢٥٦
نظرة شاملة في معاني الشعراء في وصف		( ح ) وصف السحاب والبرق والغيث :	
الطبيعة الساكنة .	٣١١	لامرئ القيس . التحليل والنقد .	٢٥٨
الفصل السابع		للأعشى . التحليل والنقد .	٢٦٠
صور لمظاهر مؤتلفة من الطبيعتين :		لعبيد بن الأرض . التحليل والنقد .	٢٦٢
المتحركة والساكنة .		لحنظلة الطائي في وصف القمر . التحليل والنقد	٢٦٤
( ا ) وصف الظمائن .		( د ) وصف الصحراء والبرد والحرب :	
لثقب العبدى : التحليل والنقد .	٣١٨	للأعشى . التحليل والنقد .	٢٦٥
لزهير بن أبي سلمى . التحليل والنقد .	٣٢٢	لسويد . التحليل والنقد .	٢٦٦
( ب ) وصف العرسان وعتادهم عند الحرب		لمرقش الأكبر . التحليل والنقد .	٢٦٧
لضمرة بن ضمرة . التحليل والنقد .	٣٢٤	لعمر بن قتيبة . التحليل والنقد .	٢٦٩
لدريد بن الصمة . التحليل والنقد .	٣٢٦	للناطقة الديباني . التحليل والنقد .	٢٧١
لعنترة . التحليل والنقد .	٣٢٨	( ا ) وصف الآثار الإنسانية :	
لسلامة بن جندل . التحليل والنقد .	٣٣٢	لطرفه في وصف السفينة . التحليل والنقد	٢٧٣
لبشر بن أبي خازم . التحليل والنقد .	٣٣٧	لعنترة العبسي يصف روضة التحليل والنقد	٢٧٥
( ح ) وصف سوءات الحرب .		للأعشى يصف روضة . التحليل والنقد	٢٧٧
لزهير بن أبي سلمى .	٣٤١	( ب ) وصف الحجر وسقاتها :	
لامرئ القيس . التحليل والنقد .	٣٤٣	للأعشى . التحليل والنقد .	٢٧٨
خاتمة عن خصائص الوصف في العصر الجاهلي	٣٤٤	لعمر بن كلثوم . التحليل والنقد .	٢٨٢

ندت أخطاء هيئة على القارىء أن يتفضل بتصحيحها قبل القراءة

الصواب	الخطأ	صفحة	سطر	الصواب	الخطأ	صفحة	سطر
متمكن	متمكنا	٢٠٨	١	أكثر	أ أكبر	٥	١٢
رواؤم	رواؤم	٢١٧	١٨	الحصاد	الحصا	٦	٦
إرازامها	إرازامها	٢٣١	٦	عهدكم	عهدم	٦	١٧
الدمع	الدفع	٢٤٠	٢١	مُقامه	مقامة	٣٨	١٥
ثعلبة بن عمرو	ثعلبة ابن عمرو	٢٤٦	١٧	ترده	تُرده	٨٨	٧
بها	بها	٢٤٩	٢٠	ذات	ذو	١٣١	١٠
بُرثنه	بُرثنه	٢٥٨	٥	الشَّرْع	الشَّرْع	١٥٩	٦
يحك	يحك	٢٧٥	٦	حِسِكِل	حِسِكِل	١٧٠	٣
شهادها	شهادها	٢٧٩	٤	النقل	النقل	١٩٦	٦
فمعنى	فمعانى	٢٩١	٢٠	وانصرفن	وانصرفنا	٢٠٧	٢٠

شركة مكتبة ووطع مصطفى النابلي العلوي اولاد بصرى

بمحمد الله تعالى قد تم طبع  
الجزء الأول من  
الوصف فى الشعر العربى

(العصر الجاهلى)

القاهرة فى { ٢٧ شوال سنة ١٣٦٨ هـ  
٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ م

مدير المطبعة  
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة  
محمد أمين عمران